الزواج السعيد
في
ظل المودة والرحمة

(هدية وهداية إلى الزوجين، قبل الزواج وبعده)

أعده: محمد زكريا المسعود

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المسعود، محمد زكريا

الزواج السعيد في ظل المودة والرحمة./ محمد زكريا المسعود - ط١.

- الرياض، ١٤٢٩هـ

٣٨٠ص؛ ١٦،٥ × ٢٤سم

ردمك: ٨-٣٩١-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

١- العلاقات الزوجية ٢- الزواج أ- العنوان

ديوي ٤٢٧، ٣٠١ ٨٤/ ١٤٢٩

رقم الإيداع: ٨٤/ ١٤٢٩

ردمك: ٨-٣٩١-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

الناشر: العبيكان Obeikan للنشر

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ /٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ /٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل شاب يبحث عن فتاة أحلامه ..

وإلى كل فتاة تبحث عن الرجل الذي يملأ حياتها أملاً وسعادة وحباً..

وإلى كل زوجين بدأا مسيرة الزواج، بالمودة والرحمة؛ كي يستمرا فيها ..

وإلى كل زوجين شعر أحدهما أو كلاهما أن مسيرة حياتهما الزوجية أصابها التصدع، أو كاد، فينتبهان لذلك، ويسرعان في لَأْمِ الصدع وإزالة الخلل..

إلى كل امرأة لم تجد بعد زوجاً صالحاً تتجب منه ولداً باراً ..

وإلى كل رجل لم يقترن بعد بامرأة تكمل حياته ودينه ..

إلى أجيالنا الناشئة التي تحلم بالسعادة في ظل الحياة الزوجية ..



وإلى زوجتي (أم البنين) أم يحيى؛ السيدة فاطمة الزهراء - حفظها الله ورعاها- التي كان لها الفضل الكبير في الاستجابة لصياغة حياتنا الزوجية نموذجاً للسكن النفسي والاستقرار العاطفي، ونموذجاً لهذه الرسالة المهداة إليها ..

وإلى من ذكرتهم، أولم أذكرهم ..

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا البحث؛ لعله أن يكون دفعاً ونفعاً لمسيرة الحياة الزوجية لأجيالنا الحاضرة والقادمة ..

محمد زكريا المسعود

أبو يحيى

المحتويات

رجاء ... واعتذار

هذا الكتاب ثمرة حياة وتجربة عمر .. صاغه قلم زوج خبير، وحكاه عقل إنسان ممارس .. أقدمه لكل شاب ورجل عاقل فطن، يقدِّر الآخرين ويحترمهم، ولو خالفوه في الرأي وخالفهم في الفكر .. وأهديه لكل فتاة وامرأة منصفة فهِمة، تنصف نفسها وغيرها، ولو كان الآخر من لا تحب ولا تهوى ..

أهديه للأزواج العاقلين؛ كي يتمتعوا بحياتهم الزوجية فيما بقي من العمر، كأحب ما تكون الشراكة بين رجل وامرأة خُلقا من (نفسٍ واحدة)

وأهديه للزوجات الذكيات؛ حتى يَصُغْنَ حياتهن، كأحلى ما تكون الحياة التي بنيت على المودة والرحمة؛ ليتحقق هذا السكن في ظل (وخَلَق منها زوجها)

أما غير هذين الصنفين من (الأزواج أو الزوجات) فلن ينفعهم كتابي، ولن تنفعهم كتب الآخرين، إلا أن يشاء الله، ولله في خلقه شؤون، وهو إذا شاء غيَّر الطبائع، وقلب الأعيان، فتبارك الله أحسن الخالقين.

أبو يحيى

تقديم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فالأسرة عماد المجتمع، وأساس بنيانه، وكلما كانت قوية متماسكة كان المجتمع قوياً متماسكاً، فإذا ضعفت الأسرة تخلخلت أركان المجتمع، وتداعى للسقوط، ومن هنا نستطيع فهم اهتمام سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله ﷺ بالأسرة، من حيث بدؤها، واستمرارها، ومعالجتها عند تصدعها، بنصائح نبوية شاملة، تضمن لمن أخذ بها واهتدى بهديها حياة أسرة سعيدة، تنتج النسل الصالح، وتؤمن السكن النفسي، وتبني المجتمع الفاضل، وبقدر ما يتساهل الناس في الأخذ بذلك تتداعى أواصر الأسرة، ويتهاوى المجتمع، وينعدم السكن النفسي، وتزول الطمأنينة الأسرية.

وقد اطلعت أخيرًا على كتاب بعنوان: (الزواج السعيد في ظل المودة والرحمة) صنفه أخ حبيب، بأسلوب بارع حصيف، جمع فيه نفحات النبوة الكريمة في النصائح التي تخص قيام الأسرة واستمراها ومعالجة مشكلاتها، بطريقة تقربها للأذهان، وتحببها إلى القلوب، مسندة إلى المصادر الموثوقة، وزيّنه بتجاربه الناجحة عبر سني حياته الطويلة التي قضاها في الفتوى وحل مشكلات الناس الأسرية وغيرها، فجاء - بحمد الله تعالى - سفراً نادراً، وبحثاً متعمقاً في موضوعه، يتضمن النواحي الشرعية والاجتماعية والإنسانية والتربوية، فله شكري وتقديري، وهو من عرفته على مقاعد الدراسة زميلاً محبباً، وعلى كرسي الفتوى أستاذاً ناضجاً، وفي دروسه داعية مفوهاً، وفي بحوثه فقيهاً متعمقاً.

فله دعواتي الصادقة، بأن ينفع الله تعالى به المسلمين، وبكتبه عباده الصالحين، وبمواعظه المتقين، وأن يوفقه للاستمرار في هذا الإنتاج العلمي المفيد، وأن يجعل ذلك في صحيفته يوم القيامة، ويجزيه خير الجزاء، والحمد لله رب العالمين.

أ.د. أحمد الحجي الكردي

خبير في الموسوعة الفقهية في دولة الكويت

وأستاذ في كلية الشريعة بجامعة دمشق سابقاً

المقدمة

طاقة زهر:

سكينة النفس وهدوؤها مطلب فطري يسعى إليه الناس؛ بمختلف أجناسهم وألوانهم، وبشتى مراتبهم في العلم، وتفاوتهم في الفضيلة ..

هذه السكينة يستشعرها الإنسان من حيث هو إنسان سويٌّ كامل القوى تام المدارك، صحيح البنية، سليم التفكير.

ولم لا، والحركة تولد تعباً، والسعي يورث جهداً .. وبعد الحركة والسعي يتطلب الإنسان الراحة، فيبحث عن السكون والهدوء، فيلجأ إلى بيته فيجِدهُ (سَكَناً)..[١]

وتمضي شمس النهار وينتهي ـــ غالباً ـــ الكدح والتعب،فيغشى الليل بظلامه الدنيا لتسكن الحركة، فيكون الليل(سَكَناً)[٢]..

وتنمو القوى في الإنسان وتتكامل فطرته وتبلغ أوجها، فيحسُّ أن شيئاً ما يفتقده، فيبحث عنه، فيجده لدى الجنس الآخر، فيطلبه حثيثاً كما يطلب الليل النهار، فيقترن به ويكتمل البنيان الجسدي، والفطري والعقلي والروحي بهذا الاقتران، فتهدأ مطالب النفس ويكون الزواج (سكناً)[٣]..

والزواج بنيان، والزواج اكتمال ...كما هو سكينة واستقرار، وسعادة وطمأنينة، ولكن هل يكون شقاء وبلاءً ؟! وقلقاً ونَصَباً ؟!

---

(١) قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ النحل: ٨٠.

(٢) وقال – عز من قائل – : ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ الأنعام: ٦٩. وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ النمل: ٦٨.

(٣) وقال – جلت عظمته – ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ الأعراف: ١٨٩. وقال سبحانه ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ الروم: ٢١.

وقبل الجواب نسأل: هل يكون الإخلال بقواعد البناء سبباً في انهيار المبنى؟ وهل يسبِّبُ عدمُ التزام قواعد الهندسة المعمارية شرخاً أو فسوخاً، أو تصدعاً في البناء؟!

إذا كان الجواب نعم، فنعم هنا أيضاً.

وسأبحث بعون الله وتيسيره خلال هذه الصفحات في عوامل نجاح البنيان الزوجي واستمراره في تحقيق السكينة والطمأنينة والهدوء والاستقرار لكلا الزوجين ..

كما سأبحث في العوامل الأخرى التي تصدع هذا البنيان، وتؤدي إلى انهدامه وتدميره، فضلاً عن تصدعه وانشراخه ..

لأنه يسرني ويسعدني أن أرى زوجين سعيدين، وأن أسمع أخبار زوجين سعيدين، يقضيان حياة الرغد والسعادة، وينعمان بالسكن والمودة، ويسوؤني أن أسمع أو أرى زوجين يتصدع بنيان حياتهما الزوجية، أو بدأ شَرْخٌ في الوئام، فتباعد ما بينهما، ليحدث الهوة التي لا تلتئم أو الانهيار الذي لا يترمم ..

* * *

وآمل أن يسعفني التوفيق، توفيق الله سبحانه، فأقدم (للشاب والفتاة قبل زواجهما) هذا الموضوع (هدية وهداية) لهما ليكون لحياتهما المستقبلية منهجاً سوياً، ودراسة قويمة، يبنيان عليها حياتهما الزوجية من وقت أن تتطَلَّعَ فطرتهما إلى مدِّ جسر اللقاء والالتقاء؛ ليعْبُرَا عليه، فيلتقيا ويسيرا في درب الاكتمال، ويقترنا على هدي رباني، ومنهج رحماني، يحقق لهما إنسانيتهما، ويربط بينهما برباط المودة والرحمة.

كما أقدم (للزوجين) بعد أن اقترنا ذات المنهج؛ ليصححا السير إن كانا لم يذوقا بعدُ حلاوة المودة والرحمة، ولم ينعما بأنس السكن، أو غَصَّا بمرارة الخصام الزوجي، وقد يكون أحدهما أو كلاهما قد صيَّرها مُرَّةً علقماً، بعد أن جعلها الخالق البارئ سبحانه حُلوةً مستساغةً ..

وأرجو الله تعالى برحمته أن يوفقني أيضاً لعرض بعض أمراض الزواج التي تسبب لكلا الزوجين سُقْماً أو عُقْماً في مسيرة الحياة الزوجية ..

ولعل المحبة الصادقة لبني جنسنا (الإنسان) والنصح الذي أُمِرْنا أن نقدمه للناس هو الباعث على حياكة هذه الكلمات نسيجاً يكون للزوجين لباساً ساتراً سابغاً؛ كما جعل اللطيف الخبير كل واحد منهما للآخر لباساً شاملاً كاملاً، يستر كل منهما سُوءَ الآخر وسوءته، فيظهران بمظهر الجمال والكمال، ويتوارى عنهما مظهر القبح والنقصان ..

والله المسؤول في الإعانة على الخير والجمال والكمال، وإنماء المودة والرحمة والفضل ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ الروم: ٢١.

* * *

زهرة:

كانت فكرة هذا الكتاب تدور في الخاطر، ومنذ زمن بعيد، قبل تسلُّمي منصب الإفتاء في مدينتنا المحروسة (الباب) بعام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م وبعدها، حيث كنتُ على صلة بمختلف حالات الخصام الزوجي، والمشكلات الأسرية، وما ينتج عنها، وما تسببه في حالات تصدع الأسرة .. وأهل العلم، وبخاصة الذين إليهم مرجع الناس في فتاواهم، واستشاراتهم في أمور دينهم ومعاملاتهم هم كالأطباء، ونصحهم لهم نابع من كونهم أمناء على دين الله، وفي الحديث الصحيح (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) رواه البخاري. لذلك؛ رغم ضيق الوقت والانشغال بأمور التأليف، والتدريس، والإفتاء وإدارة الأوقاف، والعلاقات الاجتماعية المختلفة التي تأخذ حيزاً كبيراً من الوقت والجهد، استخرت الله سبحانه، وأنا في حرم رسول الله ﷺ بعد حجي عام ١٤٢١هـ الموافق عام ٢٠٠١ أن أشرع أسطر بحوث هذا الكتاب، فكان التوفيق الإلهي، والبركة النبوية عوناً على هذه المقدمة التي أهديها (طاقة زهر)

لكل زوجين سعيدين، راجياً الله سبحانه أن يديم سعادتهما، كما أهديها أيضاً لكل زوجين لم يوفقا في السعادة، وهما يبحثان عنها أن يهديَهما الله سبحانه إليها.. وإلى من ذكرتهم في الإهداء جميعاً ..

وكانت البداية (طاقة الزهر) هذه، وبعض نصوص الكتاب في المدينة المنورة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عام ١٤٢١هـ من هجرة خير الأزواج سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الموافق لـ ١٣آذار عام ٢٠٠١ م إلى أن انتهت في هذا العام، والحمد لله على البدء والتمام .

محمد زكريا المسعود

أبو يحيى

البحث الأول

قبل البحث عن الآخر

عزيزي الشاب، غاليتي الفتاة، أتمنى لكما ألا تطول فرقتكما، وأن يسعفكما التوفيق فتلتقيا بعد بحث غير طويل، وتقترنا دون عناء، وتغمركما سعادة الزواج دون غَصَصٍ أو رَهَقٍ (تعب) ..

وأنتما الآن في ذروة الاكتمال الجسمي، تنمو أعضاء الجسم وتنمو معها التطلعات والطموحات إلى عيش رغيد، وسكن هادئ ، وأسرة سعيدة .. يظللكما الحب، وترفرف عليكما أجنحة المودة والرحمة ..

هلاّ تفحصْتَ - عزيزي الشاب، غاليتي الفتاة - هلاّ تفحصتما جوانب حياتكما، وعرفتما بعض أسرار جسميكما، وروحيكما وعقليكما!! هلاّ عرفتما كيف ينمو الجسم، وينمو معه الفكر والمعرفة، وكيف تنمو الفطرة بحاجاتها المختلفة، كما تنبت الشجرة من بذرة صغيرة، فتكبر وتعلو .. وكما تمتد جذورها في الأرض، وتنتشر أغصانها في السماء.

لا بد أنك تعرف عزيزي الشاب، أن الطفل ذكراً كان أو أنثى ينمو ويشب رضيعاً ناعماً وطفلاً مدللاً، وفتى يافعاً، بين أبوين كريمين يرضعانه مع الحليب حنانهما وعطفهما وحبهما، وآمالهما بأن يكون امتداداً لهما واستمراراً لذكرهما في الحياة وبعد مماتهما .. وكما يغذوانه بالطعام والشراب ويحفظانه من عوادي المرض والسقم، فإنهما يزرعان فيه الأمل بأن يكون في حياته صالحاً نافعاً، وبهما رحيماً باراً .. ومع العلم والمعرفة، والخلق الحميد الذي ينشّآنه عليه ويحوطانه به، فإن آمالهما تمتد إلى أبعد من عمره الذي هو فيه، ويتساءلان من يا تُرى تكون ابنة الحلال التي تكمِّله إن كان فتى ؟ ومن هو ابن الحلال الذي يسعدها إن كانت فتاة ؟ !

وقد تقول الأم: فلانة ابنة أخي، أو فلانة ابنة أختي، أو علانة ابنة صديقتي أو جارتي؛ إنها مناسبة لولدي هذا الغالي، وقد يقول الأب مثل قول الأم، وقد توافق الأقدارُ الآمالَ وقد تخالفها إلى ما هو غير ذلك .. حسب ما هو كائن في تقدير العزيز العليم، إلى الوقت المعلوم والنصيب المقسوم. ..

* * *

نقاط التشابه والاختلاف بين الرجل والمرأة:

ومن الثابت في الواقع، وقد أثبتت الدراسات العلمية (النفسية والطبية) أن جسم الذكر يختلف عن جسم الأنثى، وأن ميول الذكر غير ميول الأنثى، وأن تفكير كل منهما غير تفكير الآخر في بعض نواحي الحياة، وليس في كلها ..

فمما لاشك فيه أن كلا الجنسين الذكر والأنثى، يشتركان في الحاجات الأساسية لبني الإنسان؛ من مطعم وملبس ومأوى، وأن عندهما قابلية التعلم والمعرفة، والتخلق واكتساب المهارات في شتى أنواع العلوم والفنون، فهذا واضح وظاهر ومقطوع به.

ولكنَ الاختلاف الجسمي والفكري في نواح أخرى ثابت وواقع أيضاً، فعند الذكر ما ليس عند الأنثى جسماً وعقلاً، وميلاً وتطلعاً، وهذا من سر الخلق الذي أودعه الله في الجنسين؛ حتى يكتمل بنيان الحياة الإنسانية، ويستمر إعمار الكون بهذا الجنس البشري إلى أجله المسمى ..

ولهذا كان جسم المرأة ووجهها، وقوامها ونعومتها رمزاً لجمالها الجسمي، وحياؤها وعفتها وخفرها، رمز جمالها النفسي، وأدبها وخلقها، وعلمها، وسُمُوٌّ تصوراتها عنوانُ جمالها الروحي.

كما أن جسم الرجل وقوته، وقدرته على تحمل ظروف الحياة القاسية، تميزه عن عالم الجنس اللطيف، وعلمه وخلقه وأدبه وصحة تصوراته عن الحياة والكون والإنسان عنوان لِسُمُوِّ تطلعاته وأفكاره ..

هذه هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولازال هذا هو الاتجاه السليم الذي يكسب الحياة هدوءها وجمالها، ويجعلها مستمرة مسخرة لصالح الإنسان، وحسن معيشته على هذه الأرض ..

أما محاولات الخلط بين الجنسين لتكوين جنس ثالث آخر ليس ذكراً، ولا أنثى، فهي التي يَئِنُّ العالَمُ منها اليوم، وتشكو منها كافة المؤسسات العلمية والخلقية والاجتماعية في مختلف أنحاء المعمورة.

إن محاولة تجاوز خصائص الجنسين الجسمية والسلوكية والنفسية، أفسدت بنية المجتمع المعاصر وستجر آثارها على الأجيال القادمة بلا شك، إن لم تكبح جماحها عودة أجيالنا الناشئة سريعاً إلى سنن الفطرة وقوانين السلوك الاجتماعي السوي، كما خلقه الله سبحانه ويسره لكلا الجنسين ..

ومهما حاول الرجل التشبه بالمرأة فكراً وسلوكاً، وزياً وتخلقاً وعادة، فلن يصير امرأة، وإن ماعت رجولته، وأصبح في عداد المخنثين.

ومهما حاولت المرأة التشبه بالرجل زياً وسلوكاً، وتخلقاً وتقليداً، فلن تصير رجلاً، وإن ذابت أنوثتها، وأصبحت في عداد المسترجلات ..

ولئن كانت هناك بعض حالات (التخنث) الجسمي النادرة لدى أفراد قليلين في العالم حوَّلَها الجرَّاحون من رجل إلى امرأة، أو بالعكس، فإن حالات (التخنث) السلوكي والخلقي لن تجعلها مباضع الجراحين في مصافِّ الرجال، أو النساء أسوياء السلوك والفطرة ..

وكما يسعى العالم اليوم بكافة مؤسساته السياسية والعلمية والاجتماعية إلى نظافة البيئة وتطهيرها من التلويث؛ بتطهير أرضها وسمائها وإعادتها إلى الهيئة الأولى التي خلقها الله سبحانه وتعالى، يسعى العالم المتحضر إلى هذا بكل ما أوتي من قوة وفكر وعلم، وهذا مطلب حياتي لا غبار عليه، بل واجب كل إنسان أن يسعى

لتحقيقه، وإعادة الحياة الإنسانية إلى هيئتها الصحيحة، فكذلك علينا جميعاً أن نسعى إلى فَهْمِ فطرة الإنسان (الذكر والأنثى)؛ فَهْمِ خصائصها ومقوماتها، وحفظها من التصدع والذوبان، بل ومن التلوث (والتسرطن) بأمراض العصر التي لا شفاء لها، و(مرض فقد المناعة المكتسب، الإيدز) أكبر دليل على ما نقول ..

لذلك عزيزي الإنسان، رجلاً كنت أو امرأة، عليك أن تسهم في حفظ حياتنا البشرية، وبالأخص حياتنا الأسرية التي عمادها وأساسها (أنت وهي) فأنتما ركنان ركينان فيها؛ فإن استقامت فطرتكما وسلوككما، فقد استقامت الأسرة وسَعِدَتْ وسَعِدْتما، وهنئتما وسعد المجتمع المكون من أمثالكما .. وإلا، فالكوارث نراها بأم أعيننا قد تفشت في جيراننا، وفيمن حولنا من أمم العالم وأجناس البشر التي حادت عن الفطرة ولوثت سلوكها الأسري والزوجي بمختلف الأوبئة التي لا شفاء لها، إلا بالعودة إلى الخط القويم والصراط المستقيم، صراط الفطرة الصافية التي يصونها العلم ، ويحوطها الخلق المسترشد بتعاليم الوحي وهدي الأنبياء ..

* * *

المرأة غير الرجل ؟ !:

لقد قلنا: إن هناك عوامل يتشابه فيها الإنسان الذكر والأنثى، وهي كثيرة ..

ولكن ما هي المظاهر أو النواحي التي يختلف فيها الرجل عن المرأة ؟! في الجسم، والفكر، والسلوك ؟

من الواضح أن الجسمين يختلفان، وكذلك العادات والأخلاق ..

فجسم الرجل - كما أسلفنا - فيه على الغالب، خصائص القوة وتحمل المشاق والأثقال أكثر من المرأة. وليس كذلك المرأة .. والجهاز التناسلي لدى الرجل غيره عند المرأة ..

وقد أودع الله لدى المرأة الرحم الذي يحتضن المولود، وينمو فيه تسعة أشهر كاملة، فتغذوه بدمها في أثناء مدة الحمل، وتفرزه خارج جسمها، إن لم يكن ثَمَّةَ حَمْل

كل شهر غالباً لبضعة أيام، يجعلها في عداد المرضى، كذلك ولادتها ونفاسها يمرضها أياماً عديدة إن لم تبلغ شهوراً ..

وزودها الله سبحانه بثديين ترضع وليدها منهما لبناً سائغاً حولين كاملين، إن أرادت أن تتم الرضاعة.

والأكثر من ذلك، فقد أعطاها الله سبحانه من الحنان والعطف، والحب واللطف ما ينمو به الوليد، ويسعد به الطفل .. فهي مع إرضاعها له اللبن، فإنها بعاطفتها الحنون، وحبها الشامل تتحمل آلام الولادة، فتحمل المولود كُرْهاً وتضعه كُرْهاً، ولا يخفف عنها هذا الكُرْهَ للحملِ والولادة، إلا الحبُّ للثمرة المستفادة، ألا وهي هذا المولود السعيد الذي يصير امتداداً لحياتها واستمراراً لبقائها، فهي تنظفه، وتلاطفه، وترضعه وتلاعبه، وتضمه إلى صدرها، فيدر اللبن من ثديها، فترضعه لبناً كما ترضعه عاطفة قلبها وحبها .. وكما ينمو الطفل باللبن ويشب، فإنه ينمو بالحب ويشتد، وإذا مرض فمن الذي يسهر عليه ؟ ويحنو عليه ؟ فهل تنام الأم قبل أن ينام ؟ وهل يغمض لها جفن إذا لم يغمض جفنه ؟.

ومن الذي يتحمل تنظيفه؛ ليس سنة أو سنتين بل سنين وأعواماً، ويغسله ويطهره، ويغسل ثيابه في اليوم مرات، هل يفعل الرجل هذا، هل يشم الأب رائحة أوساخ الوليد، ولا يكرهها كما تفعل الأم ؟! أم يقول لها بتأفف واستعلاء: نظفي طفلك في بيت آخر، ولا تؤذينا برائحته؟

هل تراقب عيناه أَنَّات الطفل الصغير مريضاً؟ أم هل يسمع قلبه تأوهات أولاده وآلامهم صغاراً وكباراً ؟

قد يفعل، فيأخذه للطبيب ليداويه، ويشتري الدواء، ثم يضع رأسه نائماً من تَعبٍ صاحَبَهُ وإِرْهاقِ عَملِ يومه، ولكن هل تنام الأم ؟!

وإذا نامت، وتحجرت عاطفتها، أو فعلت كما يفعل الأب؟ فمن للطفل يرعاه، ومن للوليد يمرِّضه؟!

هذا بعض ما عند المرأة، وهذا بعض ما عند الرجل تجاه ثمرة قلبهما (الطفل الوليد) وتجاه الأولاد والأحفاد .. فهل هما سواء ؟! وهل يقوم أحدهما بعمل الآخر دوماً إن قام بها يوماً! إن الأم تعنى بالطفل بعاطفتها وحنانها مع عمل يديها، بلا شك، ولا ريب ..

ولكن! أليس أبو الطفل يحتاج أيضاً إلى حنانها، وحبها وعطفها ؟!

إذن ! لِنَلِجَ قلبَ هذا الرجل، وقد خرج في الصباح من بيته، فودعته بابتسامتها التي رسمتها على وجهها، وأضفى عليها قلبُها الذي يخفق حُبًّا لبَعْلِها نبضاتٍ من كهرباء المودة؛ استقبلها قلب زوجها، فعاش عليها ساعات عمله، في متجره أو دكانه،في وظيفته أو بستانه، كلما شعر بالتعب؛ نبضَتْ دقاتُ قلبه وجيباً يُمَنِّيهِ بلقاء الزوجة الحنون؛ تستقبله وراء الباب عند الإياب، بمثل الابتسامة التي ودعته بها أو أحسن، فيتجاوز متاعبَهُ، ويتغلب على صعوبات يومه من نَصَبِ الحياة، ويسرع إلى بيته، عندما تحين العودة، وأَلْفُ نبضةِ شوق يرسلها فؤاده، وآلاف موجات الحب ترسلها شقيقة روحه، فيدخل بيته بفؤاده المشوق قبل جسمه المتعب، تستقبله شقيقة الروح بحنانها وترحيبها، فيشعر بدفء العاطفة أكثر من طفله الرضيع، ويحمل وليده بين يديه يضمه إلى صدره، ويشبعه لثماً وتقبيلاً، ولا يضعه على سريره، إلا ليجلس هو وهي على مائدة صنعتها أناملها الرقيقة، وكان إدامَ الطعام الشوقُ إلى هذا الزوج الغالي، والحبُّ الخالص لهذا البعل الكريم ..

ولندخل إلى قلبها أيضاً؛ لنرى ماذا فيه عندما ودعته، وماذا فيه عندما تستقبله؟! فهل ترسم في خيالها لزوجها العزيز صورة الرجل الهادىء، القوي المتزن الذي يتحمل رهَقَ العمل ونصَبَ الحياة؛ ليُسْعِدَها ويسْعِدَ وليدها، وأولادها فيما بعد.

هل ترسم في خيالها صورة لشريك حياتها الذي يُظِلُّها، وأولادها بعقله الواسع، ودرايته الشاملة لأمور الحياة، واتزانه في معالجة الأمور، وتغليبه العقل على الهوى ..

إنه يريدها إن نظر إليها سَرَّتْهُ بجمالها أو تجمُّلِها، وإذا أشار إليها لَبَّتْهُ بقلبها وفعلها، وإن غاب عنها حفظته في بيته وأولاده وماله، وعفافها وشرفها وحيائها ..

وهي تريده، كما قلنا عاقلاً متزناً، صبوراً حنوناً، يقاسمها آلامها وآمالها!

عزيزي الشاب غاليتي الفتاة ..

قبل أن تلتقيا، لابد أن أحدكما أو كليكما كان يبحث عن الآخر، وبعد ما قدمت إليكما قطوفاً من حديث ما قبل الزواج أقول لكما مُجْمِلاً ما فصلت:

عند الرجل الأقل من العواطف، والشوق الأكثر للعاطفة، وللحب، وللحنان، وللمودة يجده عند المرأة، فتكمل بعاطفتها وحنانها ما ينقصه ويحتاجه، وعندها الأكثر من العاطفة الجياشة، والشوق إلى قرينها، والحب لبعلها وأولادها والجمال في خَلْقِها وخُلُقِها، والتجمل في بيتها وشؤونها. عند الرجل حب للجمال وطلب للأنوثة فيجده لدى هذه المرأة (المرأة الحلال التي جعلها الله زوجته وجعل في قلبه حبها ومودتها) وبهذا يكون كماله واكتماله ..!!

وعند المرأة الأقل في بنيان القوة الجسمية والعقلية، فتجد ما تفقد لدى الرجل الذي يحنو عليها، ويحميها من عوادي الزمان، فتستظل بظل رجولته، وتلتجئ إلى كهف قوته وحمايته، وبهذا يكون كمالها واكتمالها ..

وهل بإمكاننا أن نقول إن الرجل والمرأة انفصلا من قديم الزمان منذ بدء الخلق؛ ليلتقيا ويقترنا بالزواج؟ هل نقول: إن هذا الكلام مفهوم من قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾ النساء: ١. صدق الله العظيم هذا ما أفهمه من الآية، وأرجو أن يكون صواباً وسداداً.

البحث الثاني

في البحث عن الآخر (شريك الحياة)

وحتى يتم تكامل البنيان الأُسَري، وتنمو شجرة المودة، والمحبة في أرض صالحة فتُؤْتِي أُكُلَهَا كل حين بإذن ربها، ويدنو جَناها (ثمرها) القريب لأدنى الأرحام وأضعفهم، فضلاً عن أقواهم وأبعدهم، ويتمتع كل من حول الظلّ بالثمرة والأُكُل، فماذا على الأبويين أن يفعلا ؟.

ماذا على الأب العاقل أن يهيئ لفتاته؛ حتى يُعِدَّها لتكون زوجة صالحة لمن كُتِبَ له أن يقترن بها، ويكتمل بها بنيانه الجسمي والروحي والأسروي ؟ ثم تكون بعد ذلك أماً مربية ؟!

وماذا عليه أن يلاحظ في طور التربية لفتاه أيضاً؛ حتى يكون زوجاً صالحاً، لمن عساها أن تكون شريكة حياته، وقسيمة روحه وتمام بنيانه ؟ ثم يصير بعد ذلك أباً مربياً ؟!

وماذا على الأم أيضاً أن تفعله متعاونة مع الأب في إعداد الفتى والفتاة وتهيئتهما؛ ليكونا زوجين صالحين، وأبوين ناجحين ؟!

لقد عهدنا فيما مضى من أجيال الآباء والأمهات حرصاً على هذه التنشئة، وهذا الإعداد للفتيان، والفتيات؛ ليكون الجميع شباباً وشابات مهيئين لبناء أسرٍ قوية الترابط عظيمة التلاحم، مستمسكة البنيان لا تسمح لعوامل التصدع، وشروخ الانفصال أن توهن بنيان هذه الأُسَرِ، أو تفك رباط الحياة الزوجية، إلا في الظروف القاهرة النادرة ..

ورغم قلة حظ أولئك الآباء، وتلكم الأمهات من العلم والثقافة، فإن حظهم كان كبيراً من الخلق المستقيم والسلوك القويم، والتربية الصحيحة المقوِّمة لاعوجاجات

قد تطرأ، أو شروخ قد تحدث؛ في حياة أبنائهم الزوجية (أزواجاً وزوجات) بعد أن تم الرباط المتين بين الزوجين بعقد الزواج المحترم المصون ..

لقد كانت تنشئة البنين، والبنات في بيوت آباء الأجيال السابقة شاملة لكل النواحي التي قد يمر بها الطفل والطفلة في سيرهما الحياتي، طفلان ثم فتيان، ثم شابان، ثم زوجان، ثم أبوان، ثم .... وكانت التربية البيتية مضافاً إليها بعض مبادىء العلم بآداب الشريعة، حسب توفر فرص العلم، تمشي جنباً إلى جنب مع التغذية، والتنمية، والتمرين على مهنة الأب في السوق، وعمل الأم في البيت .

وكانت المراقبة الحازمة لهذه التربية من الجَدَّين مع الأبوين الذين يعيشان في كنفهما كافية لأن تُخَلِّقَ هذين الطفلين، الفتيين، ثم الشابين (المؤهلين للزواج بعد بلوغهما) بكل ما يحتاج إليه، شاب صار مؤهلاً للزواج، وفتاة دخلت مرحلة الأنوثة التي تهيِّئُها؛ لكي تكون زوجة صالحة ..

وكما يكتسب الولد مهارات مهنة أبيه على مر الأيام، وهو بصحبته، وتحت ملاحظته،كذلك تتخلق الفتاة بعادات أمها في كيفية معاملة الزوج وصيانة الأسرة والمحافظة على رباط المودة، والمحبة، والرحمة، والعطف التي هي عماد استمرار الأسرة الناجحة .[1]

وقد يكون هناك بعض الشذوذ والخروج على المنهج المستقيم لدى بعض الزوجات والأزواج، فعلاج ذلك يكون سريعاً، إذْ إنَّ لَأْمَ الصَّدْعِ وإصلاح الشرخ، لا يتطلب محاكم ولا دعاوى، ولا محامين، ووكلاء .. إلا في حالات تعد على الأصابع ..

وقد يقول قائل: إن قوام التربية الأنثوية في موضوع الزواج كانت عمدته طاعة المرأة للزوج، وعدم خروجها عن أوامره وطلباته، بل قد تقتضي هذه الحال أن يكون

---

(١) يراجع في بحث تربية الأولاد ما كتبه السادة الأفاضل الشيخ عبد الله علوان في كتابه القيم النافع (تربية الأولاد في الإسلام) والأستاذ محمد نور سويد في كتابه الرائع (منهج التربية النبوية للطفل) والدكتور محمد خير فاطمة (منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشىء) وغيرها من الكتب التي تبحث في موضوع تربية الناشئة .

الزوج هو السيد المطاع الذي لا يرد أمره، وهي المطيعة التي ليس لها أن تعترض، أو تنتقد !!.

وقد نسلم مبدئياً بهذه المقولة .. ولكننا نسأل قبل تفنيدها وَرَدِّها؛ ما هي الأدلة على صحة هذه الفرضية أو المقولة؟ وهل كان هناك استقراء وتتبع لأحوال البيوتات؟ وهل كان نتيجة هذه الاستقراءات هذا الذي يعرض ويفرض؟

وهب أنها كانت صحيحة، وأن الرجل هو السيد المطاع، فإننا نقول: إنه لابد لكل جماعة أو جمعية، اثنان فما فوق، أن يكون هناك قائم على أمر هذه الجماعة، لأنه لا يصلح حال الناس دون رئيس مسموع الكلمة في البيت أو الوظيفة أو المدرسة، أو أي مرفق من مرافق الحياة، وهذا أمر مدني يتطلبه الطبع السليم والعقل القويم، فمن ترى يجب أن يكون القائم القَوَّامُ على الأسرة ؟ الرجل، أم المرأة، أم الولد، أو البنت؟.

وإذا كان المنفق عادة هو القوّام، والمنفق هنا الرجل غالباً، فلماذا يكون الإنفاق عليه والقوامة لغيره ؟ وإذا كانت بعض النساء في حالات معينة وظروف قاهرة هن اللاتي ينفقن، فهل التكوين الجسمي والعقلي والروحي، فضلاً عن المنزلة الاجتماعية لدى ناس أسوياء، تسمح أن تكون المرأة هي القَوَّامة ؟

وإذا احتج بعض الناس اليوم بأنها أصبحت رئيسة وزراء، أو وزيرة، أو نائبة، أو قاضية أو... أو ... فهل يعني هذا أن أنوثتها ألغيت ؟ وأنها لا تحتاج إلى الرجل، أو أنها تجاوزته واكتفت بدونه ؟ ! ولن أدخل في تفاصيل هذا الموضوع ومتاهاته، فإن بحثنا هذا يوجب علينا في موضوعيته أن لا نتجاوز موضوع الزواج وتكوين الأسرة ..

فالمرأة امرأة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، مهما خرجت من بيتها، ومارست أي عمل في حدود ما يسمح به الشرع والعقل؛ لأنها في بيتها مع زوجها وأولادها تحمل صفة الزوجة الحنون العطوف، والأم الرؤوم الودود، والمرأة الناعمة الولود ..

لذلك كله، فإنها تروم وتسعى إلى العش الدافىء والبيت الهادىء واليد الحانية تحنو عليها، وتشتاق إليها، **ومهما كانت وظيفتها وعملها خارج البيت، فإن هذه الصفة (الوظيفية) تبقى خارج البيت لا تدخل معها؛ حتى لا يتهدم ويتصدع بنيان الأسرة، بل تدخل بصفة زوجة محبة حانية مطيعة، وأم شفوقة رحيمة .. لا بصفة مديرة، ولا وزيرة، ولا قاضية .**

العلاقات غير الشرعية تهدم الأسرة والمجتمع:

واليوم وبعد أن جرب جيرانُنا الأباعد والأدنون في دول أخرى غيرَ التي تربينا عليها في الحياة الأسرية والزوجية، فماذا كانت النتيجة؟! وأي أسرة سعيدة حصل عليها أي زوج، أو زوجة منهم؟!

لقد تهدمت الأسرة واستعيض عنها برباط ظاهري اسمه (الصداقة) وحقيقته الفجور والعُهْر، وأي سكن وهدوء أو حب أو مودة، يحصل عليه رجل يتوقع في كل يوم، بل في كل ساعة من صديقته التي يساكنها، ويضاجعها مثل الزوجة، أن تجد غيره أغنى منه وأجمل منه، وأفتى منه، فتتركه وتتحول إلى غيره، وكذلك هو يفعل عندما يجد أجمل منها، أو أكثر فجوراً وخداعاً ؟! ولسنا بحاجة إلى الاستشهاد بأدلة على ما نقول؛ فقد قدمت لنا الصحف والإذاعات المرئية والمسموعة آلاف الشواهد على ما يجري في العالم الذي بات يسعى وراء اللذة في غير طريق الفطرة، ويلهث وراءها، ويبدع كل يوم أنواعاً من الشذوذ الجنسي ما تعجز الأبالسة عن توصيفه وتسميته !!

واسألوا التاريخ بصحافته ومجلاته وكتبه؛ لماذا انتحرت كبريات الممثلات والمغنيات وكبار الفنانين وأدباء الفجور؟ ولماذا قضى نحبه أيضاً بالطريقة ذاتها كبار الممثلين والراقصين والمغنين بعد أن وصلوا إلى قمة الشهرة والثراء العريض، ونهلوا وعبُّوا من الفساد الجنسي ما يكفي لإفساد قارات؟! لماذا أنهوا حياتهم هكذا بالانتحار؟! هل لأنهم فقدوا عش الزوجية الطاهر النظيف؟

هل لأنهم لم ينعموا بظل الأسرة الهادئ العفيف ؟ أظن أن الجواب هو نعم، وألف نعم[1] !..

إن الفطرة اليوم تنادي: أغيثوني من هذه الأوصاف الشنيعة التي لطخت صورتي الجميلة .. طهروني من هذه المواخير التي ملأت الشرق والغرب، وأعيدوني إلى أحضان الأسرة الهادئة الدافئة، أتمتعُ بالحبِّ فتيَّةً، وبالمودَّة امرأة سويَّةً، وبالرحمة أماً حنوناً، وجدة ضعيفة غير قوية ..

أعيدوني إلى أحضان الزواج الصحيح الذي تحيطه قواعد الشرع وتصونه، وتحفظه آداب المجتمعات السوية المستنيرة، المستظلة بظل تعاليم الأنبياء ...

* * *

أسباب فشل زيجات الشباب، وعنس الفتيات:

واليوم نلمس بوضوح تقدم الفتى والفتاة في شتى ميادين المعرفة والعلم، ومختلف ميادين الفنون والثقافة، ونجاح كل منهما في هذه الاختصاصات المختلفة من طب، وهندسة، وفيزياء، وصيدلة، وآداب، ولغات، و... وحصولهما على مختلف الشهادات، ونيلهما أعلى درجات التحصيل في هذه الدراسات ..

---

(١) نشرت مجلة (الكويت) التي تصدرها وزارة الإعلام الكويتية بعددها رقم ٢٤ لعام ١٩٨٣ تحقيقاً بعنوان لماذا ينتحر الفنان؟ قالت فيه: كثيرون من الفنانين والكتاب والشعراء وضعوا حداً لحياتهم بالانتحار، وتتعدد الأسباب والتبريرات، لكن يبقى السؤال لماذا يختار الفنان المشهور هذا الطريق؟ لماذا يترك الأضواء والحياة العامرة إلى حيث نهايته المذلة؟ ونقلت عن مجلة آشوريا رقم ٣٨٨ العدد الذي خصصته للانتحار بحثاً بعنوان: (ألف يومياً) قالت فيه: إن موت الإنسان الاختياري هو موضوع جسيم بما فيه الكفاية، فعدد المنتحرين لا يتوقف عن التضاعف يومياً .. إذ ينتحر يومياً ألف شخص، ويتم إنقاذ ألفين من الانتحار، ويزداد معدل الانتحار في بلاد أكثر من غيرها، فالمجر وبرلين الغربية بهما أكبر معدل في العالم، تليهما النمسا وتشيكو سلوفاكيا وفلندا ثم فرنسا والدنمارك، وتجيء في المؤخرة المكسيك والفلبين وتايلاند .. ومن هذه القائمة يتضح أن الدول الغنية بها أكبر معدل من الانتحار ..

ثم فصلت المجلة ذكر أسباب انتحار كبار الممثلين والممثلات والفنانين، أمثال: مارلين مونرو، وآرنست همنغواي وغيرهم اهـ ص٣٦ . من مجلة (الكويت).

ولكننا نرى زيجات هؤلاء الفتيان إن حصلت، فإن معظمها فاشل، أو يتجرَّعُ الغَصَصَ، فضلاً عمن فاتهن سن الزواج ودب اليأس إلى قلوبهن، وصار العَنَسُ ينخرُ حياتهن، فلماذا ؟!

لقد قلت هذا في مجامع كثيرة خطيباً، وأقوله اليوم مكتوباً، داعياً كافة الهيئات الاجتماعية التي بيدها الحل والعقد لإيجاد الجواب.

إن هناك أكثر من عامل، وأكثر من سبب لفشل هذه الزيجات، أو تأخُّرِ مَنْ تَأَخَّرَ عن ركب الزواج، فلم يصل إلى ظل الحياة الأسرية السعيدة.

إن الحياة اليوم قدمت إلينا علوماً وفنوناً، وثقافة ومعارف، وهيأت التقنية الحديثة مختلف الوسائل المادية، ولقد سبقت حضارة الجيران في نظم الحياة التي قدمتها للعالم ونحن منه، إذ سبقت بتقديمها كل ما يخطر بالبال؛ لزيادة ترفيه الجنس البشري، ولكن فاتها الشيء المهم في هذا كله ! فاتها روح الحضارة وسر السعادة، فاتها أن تمد يدها إلى قلب الإنسان، وتنظر ما فيه، وتتفحصه جيداً، وتسأل ما الذي يسعده، وما الذي يشقيه ؟ لقد قدمت العلوم والفنون والمعارف، وكل وسائل الترف، وكل بهارج الحياة في الجامعات والمدارس، والأسواق والمتاجر، والمسارح والمسابح، ومجامع السياسة وملاعب الرياضة، أي أنها قدمت للإنسان الشيء الكثير لجسمه وشهواته، ولنفسه وهواه، ولكنها لم تقدم لروحه وفؤاده وقلبه وضميره، ما يسعده أو يريحه، ويطمئنه من قلق، ويؤمنه من خوف؛ لذلك بقي قلقاً ممزقاً، وخائفاً مضطرباً، يحسب السعادة في هذه اللذة فيعبَّ منها، فلا تروي ظمأه، وينتقل إلى أخرى، فيجدها سراباً يحسبه الظمآن ماءً، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، ويظل ينتقل من لذة إلى أخرى، ومن شهوة إلى غيرها، ويحسب في كل منها رُوَاءَهُ ورِيَّهُ، فلا يجد إلا الظمأ القاتل، والقلق الفاتك !! إن هذه المفاسد والشهوات، والمظاهر والبهارج المختلفة، لم تلامس قلب هذا الإنسان ولم تَرْوِ روحه؛ لأن بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد أمداً بعيداً، وبوناً شاسعاً، وهل تطفأ النار بالنار، وهل يروى الظمآن بالماء الملِح !!

إن شفاء أمراض الروح يكون بما يجانسها، وعافية القلوب تحصل بما يوافقها، وإن الاستقرار والطمأنينة، والسعادة والسكينة لا تكون بالانتقال من شهوة إلى شهوة أخرى، ومن لذة إلى غيرها ..أرأيتم إذا كان النهار سرمداً، فهل يرتاح الإنسان فيه ؟ أم لابد له من ليل يسكن إليه ؟!

أرأيتم من ليس له مأوى، هل يبقى متنقلاً من فندق إلى نُزُلٍ، ومن ظل جدار إلى آخر ؟ أم لابد له من بيت يأوي إليه ويجد السكن فيه ؟ !

وكذلك الرجل والمرأة كلاهما لابد لهما من اقتران ببعضهما؛ حتى يجدا السكن في الزواج المستقر الدائم، ويحصلا على السعادة في اللجوء إلى كنف بعضهما بعضا ..

ونعود إلى السؤال: لماذا لا تنجح معظم زيجات شباب العصر وفتياته؟ ها قد اقترنا وأوى كل منهما إلى حِجْرِ الآخر، ودخلا بيت الزوجية، فلماذا لا يجدان هذا (السَّكَن) الذي عاش فيه أبواهما؟ ولماذا لا يذوقان الحلاوة التي نعم بها والداهما؟! رغم أنهما متعلمان، مثقفان، واعيان لمعظم حاجات العصر، منفتحان على أغلب فنونه وبهارجه، وعندهما معظم وسائل الترف ووسائط المدنية الحديثة؟! وفي الغالب، فإن أبويهما أميّان، أو على درجة بسيطة من العلم والثقافة، ولا يملكان وسائل العيش المدني الحديث، كما يملكه أولادهما.

وإن الجواب بسيط: لقد قدمت الحياة المعاصرة إلى أجيالنا من بنين وبنات، وشباب وفتيات مختلف العلوم والفنون، كما قدمت مختلف الوسائل المادية التي نستخدمها في طعامنا، وشرابنا، ونومنا، وركوبنا ... إلخ.

فخرَّجَت الجامعاتُ والمدارسُ والمعاهدُ الأطباءَ، والمهندسين، والصيادلةَ، والمحامين، والمعلمين، والفنيين من الجنسين ..من الشباب والفتيات، وأَعَدَّتْ من كليهما (بنين وبنات) كل ما تحتاجه الحياة المعاصرة؛ ليقوم هؤلاء بدورهم الفاعل، والمنتج في بناء الحياة العصرية، وكذلك قدمت المصانع، والمعامل مختلف وسائل الراحة والترفيه للبيت والمطبخ وللسفر والحضر، ولكن عندما أعدت الجامعات، والمعاهد، والمدارس هؤلاء الشباب

والفتيات؛ ليكونوا كما أرادت لهم مناهج العلوم وبرامج الفنون، من ذوي الاختصاصات العلمية المختلفة .. **أغفلت هذه المؤسسات التعليمية ناحية مهمة في إعداد هؤلاء الشباب والفتيات** .. هذه الناحية المهمة أغفلتها المناهج سهواً أو عمداً، لأنها في الغالب أُخِذَتْ طبق الأصل عن مناهج غيرنا الذين ليس لهم في مناهجهم هذه الناحية المهمة، وهذه المادة التي يحتاجها جيلنا، وفقدتها أجيالهم .. فكان ما رأيناه، وصار ما أحسسنا به؛ من فشل زواج شبابنا وبناتنا وعنوسة معظم الفتيات، وبخاصة المتعلمات .. !!

هذه الناحية المهمة التي كان الأبناء والبنات يُرَبَّوْنَ ويُنَشَّؤُون عليها في بيوت الآباء والأمهات الأميين، أو قليلي الثقافة والعلم، وهي أهم وأعظم ما يفقده جيل الشباب والفتيات المثقفين المتعلمين، ألا وهي: **كيف نُعِدُّ شبابنا وبناتنا ليكونوا (أزواجاً صالحين وزوجات صالحات، ثم آباء مربين، وأمهات مربيات ؟!)**.

والأمر ليس صعباً، وليس عسيراً؛ لأنه كما قلت: كان الآباء والأمهات الأميُّون والأميَّات يربون أطفالهم، ويلاحظونهم في تكوينهم، كما يتعلم الولد مهنة أبيه، وتتعلم البنت تدبير المنزل من أمها ..

لقد اكتسب أزواج وزوجات الجيل الماضي، جيل آبائنا وأمهاتنا مهارات آبائهم وأمهاتهم في الصناعات والمهن التي كانوا عليها في السوق والمنزل، واكتسبوا معها عملياً كيف يكون الرجل زوجاً صالحاً، والمرأة زوجة صالحة، وبالتالي كيف يكون الزوج أباً مربياً والأم أماً مربية، واكتسبوا هذا في البيوت التي كانوا يساكنون فيها آباءهم وأمهاتهم، دون أن يدرسوها في مدرسة، أو يتعلموها في الجامعة؛ لأنهم كانوا أميين وأشباه أميين ..

ولكنهم كانوا مزودين بثمرة العلم ونتيجة المعرفة، ألا وهي **الخلق الفاضل والسلوك المستقيم مع أنفسهم في نطاق الأسرة**، ومع جيرانهم في نطاق الحي والقرية، ومع الناس كافة على مستوى المدينة، والبلدة، والريف، والحاضرة .. وأحب أن يقرأ الآباء

والأمهات والطالبات الجامعيات أيضاً ما نشرته جريدة تشرين في عددها الصادر ٢٠٠٥/٦/١٣ وأمثاله من أخبار الحوادث ففيها العبرة.[1]

---

(١) قالت جريدة تشرين في عددها رقم ٩٢٧٥ الاثنين ٧جمادى الأولى عام ١٤٢٦ الموافق ٢٠٠٥/٦/١٣ تحت عنوان: (حكاية كروب امتهنَّ اللهو وشرب الممنوعات، فكان مصيره السجن) ما يأتي: تشير وقائع هذه الدعوى إلى أن (أ) و(س) و(ك) و(ع) أربع فتيات طالبات جامعيات في سنوات مختلفة جمعتهنَّ أهداف واحدة، هي: اللهو واللعب والتسالي والصرف .والجخ .. تقول (س): إني فتاة جئت إلى الجامعة وطموحي النجاح والعمل في شهادتي، ولكن هذه السنة الرابعة في السنة الثانية . أرى زميلاتي يلبسن أجمل ثياب، ويأكلن في أفخم المطاعم، ويحملن أغلى أجهزة الموبايل، وينجحن دون السكن في المدينة الجامعية أو حتى حضور المحاضرات فعرفت السبب ؟! بينما تقول (ك): إني فقيرة كان كل طموحي الوصول إلى الجامعة، وعندما جئت للدراسة هنا شاهدت الجامعة، فهي مجتمع كبير وواسع في كل شيء من علاقات مشروعة وغير مشروعة، وقد تعرفت على (أ) مصادفة عندما كنت أقف على الموقف للنزول إلى المدينة الجامعية، فوقفت إلى جانبي، وسألتني: هل أنا طالبة جامعية فقلت لها: اسمي وأي اختصاص، ومن أي بلد .. عندها قالت سوف أوصلك إلى السوق في طريقي وفعلاً بعد لحظات حضرت سيارة فخمة جداً .. وفتحت السيارة وطلبت مني الصعود . كل علمي أن السيارة لأهلها .. ولكن عندما دخلت السيارة وعرفت الشاب علي وعرفتني عليه تبين أنه صديق لها .. طلبت مني مرافقتها، ولكني اعتذرت ونزلت من السيارة وبعد أيام التقيتها .. فقالت لي: نحن طالبات الجامعة حياتنا الوحيدة هي هذه المدة .. فلماذا لا نأكل ونشرب ونلهو وننجح ونضحك؟! فهاأنذا ألبس أفضل الموديلات وأركب أفخم السيارات وأضع أجمل البارفانات وأبعث إلى أهلي النقود .. بينما تقول (ع) إني أعرف (أ) كونها ابنة منطقتي وعندما جئت إلى الجامعة ساعدتني في التسجيل وعرفتني على الجامعة وعلى المدينة الجامعية وكيفية التنقل في الشام، وبدأت معرفتي بها تزداد وكانت تعيرني ثيابها وبعض أكسسواراتها، وقد عرفتني على بعض زملائها .وقد عرفتني على (س) و(ك) و(ع) نلتقي دائماً وأصبحنا رفقة وفي يوم من الأيام عرفتني (أ) على زميل لها (ط) وهو من أسرة ميسورة كل يوم يغير سيارة، وقد اجتمعنا في أحد الأيام معه، وكان معه ثلاثة شبان أيضاً وهم (ر) و(م) و(ص) ومن ذلك اليوم ونحن نسهر ونذهب سيران مع بعض، ونلتقي في الجامعة مع بعض وكان لدى(ط)شقة كبيرة في إحدى ضواحي دمشق المتميزة، وقد اجتمعنا فيها يوم عيد ميلاد (ط) حيث سهرنا حتى الصباح نأكل ونرقص وندبك .. وبعد ذلك أصبحنا نجتمع كل أسبوع، حيث كان (ر) يحضر معه نوعاً من الدخان المخلوط بالحشيش ويضعه في الأرجيلة .. وفي بعض المناسبات نشرب بعض المشروبات وفي يوم من الأيام، وبينما كنا نحتفل بعيد ميلاد زميلتنا (س) قرع الجرس، وكانت الساعة حوالي الساعة الثانية عشرة ليلاً حيث فتح (ط) الباب فكانت دورية شرطة، عندها هرب (م) و(ص) من شباك الشقة، وتم القبض علينا، وقد تأيدت هذه الوقائع بالأدلة الآتية: محضر شرطة دمر، وأقوال الجوار الذين أكدوا أن هذه الشقة هي شقة يمارس فيها شرب المشروبات الكحولية، ويصدر منها أصوات مزعجة أكثر من شهرين .وتقرير الخبرة الفنية على آثار المواد التي كانت موجودة، وهي عبارة عن آثار الحشيش المخدر وبعض أشرطة الخلاعة وآثار مواد كحولية في بعض الكؤوس، وضبط فرع الأمن الجنائي الذي تضمن اعترافات المتهمة (أ) والمتهم (ط) وأنهما اللذان كانا يشربان الأرجيلة الممزوجة ويحتسون المشروبات الروحية، بينما جاءت اعترافات الآخرين بعد إحضار الذين هربوا بأنهم كانوا يوجدون فقط للمشاركة في عيد ميلاد أحد زملائهم، وأنهم لا يتعاطون المخدر، ولا حتى ممارسة أي شيء وفي أثناء القبض عليهم جاؤوا لمشاركة زميلتهم في عيد ميلادها، وقد أكد الجميع هذه الاعترافات أمام هيئة المحكمة وقبلها أمام قاضي التحقيق .. حيث ثبت من وقائع الأدلة هذه الدعوى المسرودة =

دور الأبوين في إعداد الزوجين:

ففي ظل الأبوين كان الشاب يتزوج منذ بلوغه سن الزواج، ويقترن بالفتاة التي يخطبها له أهله، ويعيش الزوجان غالباً في كنف الوالدين الشفوقين العطوفين .. هما وأولادهما، حتى إذا كبرت الأسرة واستعان الزوج الجديد بأهله وكسبه، فبنى داراً أو اشتراها وانتقل إليها، نقل معه أيضاً أخلاق والديه في أصول معاملة الزوجة، وتربية الأولاد التي صارت جزءاً منه.

فماذا كسب الزوج الشاب من أسرته بعد زواجه وقبله، وماذا استفادت الزوجة من أهلها قبل الزواج وبعده ؟!

لابد أننا سمعنا من جيل آبائنا وأجدادنا، ورأينا ذلك الاحترام المتبادل والحب العميق الذي يكنه، ويتبادله هؤلاء الأزواج، وسمعنا القصص والحكايات عنهم ورأينا ! رأينا وسمعنا احترام الزوجة لزوجها، وأدبها معه، وتقديرها له، وقيامها بشؤون بيته وخدمة زوجها، وسهرها على راحته، وعملها معه في البستان أو البيت، ومعونتها له في تحضير شؤون المؤونة، وكسوة الأولاد وتدبيرها أمر المعيشة، وإدارتها وسهرها على أولادها وبناتها، والصبر على القلة، وضيق ذات اليد، راضية متحملة كل الظروف القاسية؛ فأعانت زوجها في القيام بحاجات الأسرة، حتى كبر الأولاد وتزوجوا وتحملوا مسؤولياتهم في الحياة.

وقفت مع زوجها، وصبرت وسهرت على مرضه ومرضهم، واقتطعت اللقمة من فمها لهم، وأعانت زوجها، حتى بنت له أسرة سعيدة كريمة؛ تَخرَّج فيها الأولاد، وكان

= آنفاً، والتي بلغت حد اليقين التام وهي إقدام المتهمين المذكورة أسماؤهم وما إنكار الباقين الذي جاء مجرداً من أي دليل سوى التهرب من المسؤولية الجزائية، وحيث إن فعل المتهمين والحال ما ذكر، فإنه يشكل إقلاق راحة الجوار وإشاعة الفوضى والإساءة إلى الآداب العامة والمنصوص عليها في أحكام المادة (٦٢٥) وما بعدها ومساءلتهم وفق ذلك وعملاً بالمادة (٣٠٩) وما بعدها تقرر الحكم بحبس كل واحد منهم ستة أشهر، وللأسباب المختلفة التقديرية تنزيل العقوبة إلى ثلاثة أشهر لكل من (أ) و(ط) والاكتفاء فقط بمدة توقيف المتهمين الباقين .

تعليق: شرب الخمر، والحشيش والاختلاط الماجن، أليس له عقوبة في القانون ؟! ولا غرابة في ذلك كله، فإنه عند غياب التربية الإيمانية يحدث هذا وأفظع منه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لهم شأن في الحياة .. فكان منهم (الطبيب فلان، والمهندس علان، والمدير ذو الشأن) ورأينا وسمعنا كدح هذا الزوج وسهره وتعبه وإخلاصه لزوجته وحبه لها ووقوفه إلى جانبها في مرضها وصحتها وأنسه بها في بيتهما، حيث هي لا غيرها أنيس الروح، وعِشْرة الصبا، وأليفة الشباب، وملجأ الكهولة .

رأيناه لا يدخل بيته إلا، وهو مشوق لأن يراها بأحسن حال، فإذا دخل البيت فكأنما دخل جنة الدنيا من سروره بمرآها ومن نظافة بيته وحسن رتابته، ولذة لقمته، وإذا دخل البيت، فلم يجدها فكأنما فقد شيئاً من كيانه ونفسه .. ورأيناه أيضاً لا يخرج من البيت إلا على أمل العودة إليه، لا يستهويه في الدنيا مراح سواه، ومستقر إلا فيه، ولم لا ؟ وابنة الحلال التي سَرَّه مرآها، وأعجبه استقبالها، تشتاق إليه ويشتاق للقياها، فهي منه بمنزلة الروح من الجسد، وهو منها كالماء الزلال للكبد الحرَّى .. هكذا عاشا زوجين كريمين في مقتبل عمرهما يغمر حياتهما الحب المتبادل، والمودة العميقة، ويعيشان في ظل الألفة والحنان الذي جعله الله بينهما، فألَّفَ بين قلبيهما، وربط برباط السعادة حياتهما، وهكذا عندما تقدم بهما العمر، فغمرتهما الرحمة والعطف المتبادل بينهما، كما غمرت هذه الرحمة أولادهما وأحفادهما، فوجدا السكن والطمأنينة في ذلك الرباط المتين الذي فطر الله سبحانه الخلق عليه، ألا وهو الزواج ..

وقد يقول قائل: حق ما تقول؛ لأنه لم تكن هناك مفاتن في الشوارع، كما هي اليوم من نساء جميلات، وأخريات متبرجات، ومثلهن كاسيات عاريات، ولم يكن هناك من فتن الحياة وبهارجها، قنوات فضائية، وتلفزيونات تعرض مختلف فنون الجنس وشهواته، كما تعرض مختلف أنواع المسلسلات التي فيها تخبيب (إفساد) الزوجة على زوجها، وخروجها عن طاعته، وتزين للزوج خيانة زوجته، وتهديم أسرته، واصطياد الغانيات الفاجرات !! لم يكن في حياة آبائنا من ذلك شيء، فاستقام الزوج والزوجة، واقتصرا على بعضهما ؟ فكيف يصنع اليوم شباب العصر، وفتياته أمام هذا البهرج، وتلقاء تلك الفتن.

وأقول: كيف يفعل من يرى في السوق آلاف الحاجات من طعام وشراب، وفاكهة ولحوم وأثاث بيوت، وأدوات وآلات لمختلف شؤون الحياة، وهو لا يملك قيمتها، ولا يستطيع اقتناءها؟ فهل يسرق، أو يختلس؟ أم يصبر على ما عنده؛ حتى يهيِّئ الله له فرجاً ومخرجاً؟ وقل لي هل يصبر طالب العلم على السهر والتحصيل، وعدم التمتع بمباهج الحياة وملذاتها، كما يتمتع بها غيره؛ حتى ينال الشهادة المطلوبة والإجازة المبتغاة، أم يضيعها بعدم صبره، وقلة حيلته؟.

إذا كان الأمر يحتاج في الأولى والأخرى إلى الصبر والقناعة بما رزقه الله من مال وعافية وحاجات ومتطلبات، فالأمر هنا أيضاً يحتاج إلى الصبر والقناعة والرضى بما قسم الله تعالى؛ حتى يجعل الله له الفرج، وقد وعد بأنه ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾. الطلاق: ٢-٣.

* * *

المطلوب: إعادة التوازن الفطري في الأسرة:

وبعد أليس من واجبنا الآن أفراداً هيئات أن نعيد التوازن الفطري إلى الأسرة وندعم ونثبت وجودها واستقرارها واستمرارها ؟! ونعيد إلى الرجل والمرأة السر الذي يربط بينهما بأمتن الروابط وأقوى الوشائج ؟!

أليس من حق أجيالنا اللاحقة وناشئتنا المتطلعة إلى حياة رغيدة إذا صاروا في مستوى وسن الزواج أن يعيشوا الحياة الحميدة في ظل الأسرة السعيدة؟ أليس من حق الفتى والفتاة أن يجدا في ظل الزواج بحبوحة الأمل في حياة عائلية هانئة، وسكن نفسي، واستقرار عاطفي، فيسعدا ويهنأا؟!

أليس من حقهما أن يُهَيَّأا لما فطرا عليه، ويعانا على ما سيؤولان إليه من تأليف أسرة مستقرة، في ظل حياة زوجية هانئة هادئة؟! فإذا فرَّطت المدارس والجامعات أو قصَّرَت، فهل علينا نحن الآباء والأمهات أن نهمل أم نكمل، ونسد الخلل ونرتق الفتق؟

إذن ماذا علينا أن نفعل؟ وقد فطنت كثير من المجتمعات في دول غيرنا إلى هذا الذي فقدناه، فشرعت برأب الصدع وتدارك ما فات [1] فهل نفطن نحن لذلك، ونتدارك قبل فوات الأوان ؟!

---

(١) - نشرت جريدة (تشرين) الدمشقية بتاريخ ٢٠٠٤/٣/٢٥ الخبر الآتي بعنوان:

مدارس المكسيك تعلم الطالبات كيف يصبحن زوجات صالحات

(مرة كل أسبوع تتجه مجموعة من البنات من عائلات مكسيكية ثرية بعد انتهاء الدراسة إلى بيت أنيق بجنوب العاصمة؛ ليتعلمن كيف يصبحن زوجات ممتازات .

تتلقى البنات اللاتي تتراوح أعمارهن بين ١٣- ١٨ سنة دروساً في الطهي والحياكة والكي وطي مناديل المائدة وتقديم وجبة العشاء وإضفاء لمسة أنثوية على البيت، مثل وضع الزهور في الحمام أو تطريز المناشف وتقول المعلمة (توتا توبيتي): إن هذه المهارات تواجه خطر الانقراض، حيث انضمت شابات مكسيكيات إلى ظاهرة عالمية في التوظف والسعي لاحتلال مكانة في الحياة العامة بدلاً من العناية بالمنزل.

قالت توبيتي التي بلغت الستين، ولا تزال تنبض بالحيوية والجمال: الآن تريد كل النساء الخروج إلى العمل، ولكن العمل ثماني ساعات في اليوم بالنسبة للزوجة أو الأم مهمة شاقة. هذا يعني إهمال الزوج، ويمكن أن يذهبا إلى مكان آخر، بحثاً عن العاطفة قد يعني هذا أن تنتهي الحياة الزوجية بالطلاق، وفي المكسيك تشير الإحصائيات إلى أن امرأة من كل ثلاث تعمل خارج البيت، بالمقارنة مع واحدة من كل خمس في السبعينيات وهذا لا يشمل ملايين منهن يعملن بطريقة غير مشروعة، أو يبعن الطعام في الشوارع، وقد انخفض معدل الإنجاب مع التغير الذي لحق بنظرة الرجل إلى اشتغال المرأة، وبالمبادىء الكاثوليكية الداعية إلى إقامة عائلات كبيرة العدد . =

المبحث الثالث

كيف يتم اختيار شريك الحياة؟

ملاحظات مهمة لابد منها:

أصبحت المرأة اليوم بفعل عوامل كثيرة وردت إلينا من غيرنا مبتذلة غالباً، معروضة بشكل غير لائق؛ وأقول بشكل رخيص في كثير من الأحيان .. وحسب قوانين الحياة، وأعراف الناس، فالمبذول رخيص، والمعروض مبتذل، والمحجوب غالٍ ومطلوب ..

وظاهرة نزول المرأة إلى كل ميدان واختلاطها بكل فئات الناس أرخصت كثيراً من قيمتها النسوية، وأنزلتها من مكانتها الاجتماعية، لدى العقلاء والفضلاء والذين يبحثون عن ذات الصون والعفاف، والحشمة والحجاب، والترفع عن كل رخيص، ومبتذل .. وكثيرٌ ما هم ..

بل صارت هذه المرأة نفسها تحاول اصطياد الرجل، وبخاصة إذا تقدمت بها السن، وفاتها قطار الزواج، ودخلت في سرداب العنوسة، مجهول النهاية!!

وقد كانت غالب الأمهات سابقاً يحاولن تدبير ابن الحلال المناسب لبناتهن، تارة بالعرض المحتشم، وأخرى بالتلويح، ومرة بالتصريح، وفي بعض الأحيان بإبراز بعض صفات الأنوثة، أو جمالها المحتشم للوصول إلى الرجل المناسب، وبخاصة إذا خافت الأم أن يفوت ابنتها الخُطَّاب، ويرغب عنها الرجال ..

= كما أن الفاقة التي تجبر ملايين النساء على العمل الشاق للحصول على لقمة العيش في الأحياء العشوائية أو الأرياف الفقيرة تزيد من صعوبة إدارة بيت بنقود أقل من القليل.

في الشرائح السكانية الفقيرة تجبر البنات على ترك المدرسة في سن العاشرة، أو الحادية عشرة للمساعدة في أعمال البيت وتخوض توبيتي معركة ضد اتجاه في الدول الصناعية، حيث تمضي المرأة أغلب الوقت في العمل. وتظهر إحصائيات مخيفة في المكسيك تدني مهارات منزلية، مثل الطهي ورعاية الأطفال، حيث تنيط النساء العاملات هذه المهمة إلى خادمات، ويشبه سعي توبيتي جهود (لورا شلزينجر) خبيرة العلاقات الزوجية في الولايات المتحدة، والتي ألفت كتاباً في هذا الشأن، عنوانه: (الطريقة الصحيحة لرعاية الأزواج وإطعامهم). (رويترز). ا. هـ من جريدة تشرين.

وحسب ما أفرزه المجتمع من عوائق، فقد ابتعد الشاب عن الزواج، وتأخر زواج الفتيات ففات بعضهن القطار، وانتظر الباقيات ..

* * *

والمهم الآن أن نعرف كيف يتم اختيار شريك الحياة، رغم هذه العوائق التي سنتحدث عنها في فصل لاحق، فإن الخالق سبحانه، جعل الأمور متوازنة، ومتكاملة، وليس هناك خلل إن لجأ الإنسان إلى منهاج الله سبحانه الذي وصفه لإصلاح البشرية ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ الملك: ١٤. بلى إنه يعلم، وقد شرع لهذا الجنس البشري ما يصلحه في الدنيا والآخرة ..

وفي أمر الزواج، وبخاصة الذي نحن بصدد الحديث عنه، فقد تركبت الفطرة الإنسانية على حاجة الرجل إلى المرأة، والمرأة إلى الرجل، فلا يتم عمران الحياة واستمرارها إلا باقترانهما واستمرار هذا الاقتران، حتى الوفاة .. لذلك، فليس غريباً ولا عجيباً أن يبحث الرجل عن المراة، وأن تميل المرأة إلى الرجل، ويصبو كل منهما إلى الآخر .. فهذا سر الخلق، وسر الحياة الذي أودعه الله سبحانه في نفوس الزوجين الذكر والأنثى.

فمنذ نضج الوظائف الجنسية في الرجل، واكتمالها في المرأة يبدأ البحث الفطري عن الآخر، وتلح حاجة كل منهما إلى نظيره .. ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون** ﴾ الروم: ٣٠، وتأتي العوائق كما أشرنا لتقف في طريق التقائهما الإلتقاء الطبعيّ الفطري، وسنجتازها الآن؛ لنتحدث هنا عن دور الأسرة (الوالدان أو كبار العائلة الذين يَلُون أمر الشاب أو الفتاة) في اختيار الشريك، بل النصف الآخر المكمل ..

وحسب ما تربت عليه الأسر التي لا تزال تحتفظ بسر تماسكها، وائتلافها، وترابطها، فإن الأم هي التي تبدأ منذ تفتح ملامح النضوج في ابنها، أو ابنتها في البحث عمن

تكون الزوجة لولدها، أو الزوج لابنتها، وقد كان يتم هذا بمشورة الآباء في العائلات التي يسميها المجتمع المعاصر (محافظة) أي محافظة على الآداب والأخلاق..

وكانت الموازين والاعتبارات في الاختيار تستند إلى الدين والخلق وجودة المنبت، وأصالة الخؤولة، وشرف المحتد (الأصل) الذي تنتمي إليه الأسرة التي ستكون المصاهرة إليها، وإن روعي الجمال، فالأصل الأهم هو طيب الأرومة، أصالتها؛ لأن المرأة كادت أن تلد أخاها، فيستبعد غالباً دناءة الأصل، ووضاعة العشيرة..

وبعد المشورة بين الأم والأب وعرض هذا الاختيار على الابن الذي يكون غالباً موافقاً لوالديه في اختيارهما تتم مقدمات الخطبة، ثم العقد وإعلانه، ثم الزواج وأموره.. وإن كان هذا للشاب، فإنما يجري أيضاً بين العوائل المتحابة وأسر الأقرباء عرض البنت أيضاً؛ لتكون زوجة لذلك الشاب القريب، أو ابن الصديق أو الجار، ثم تتم باقي الأمور الأخرى من عقد وإعلانه وزواج وترتيباته.

ويحوي منزل الوالدين، تلك الأسرة الجديدة، التي تنبثق في وجودها كبراعم الزهر الذي يتفتح يوماً بعد يوم، ويكبر أسبوعاً بعد أسبوع، وتنمو معها وتُكْتَسَبُ أخلاقُ الأسرتين المتوارثة من تعاليم الدين، والآداب والأخلاق الفاضلة التي تغذيها، كما الماء للزرع والشجر..

حتى إذا كبرت الأسرة الجديدة انتقلت إلى مسكن آخر بمعونة الوالدين مع توفيق الله سبحانه وبركته ..

حذار من أشواك الخطوبة السريعة، ومخبوءاتها !

أما اليوم، فإن هذا الاختيار، وتلك الخطوبة لا تنسجم مع واقع الحياة المعاصرة؛ بعد ما رأى الشاب فتاته، ورأت الشابة زميلها وعاشرته في الجامعة، أو زاملته في الوظيفة، أو التقى كل منهما الآخر في الحافلة ذاهبين آيبين إلى مقر عملهما في ضاحية أو معمل، أو مؤسسة أو مدرسة، ففي رأي كثير من الشباب والفتيات لا حاجة

لرأي الوالدين، أو وساطة الأم في الاختيار؟ وقد رأى كل منهما الآخر، وانكشفت بعض أخلاقه عليه، ووقع في قلبيهما الحب، والميل، كل منهما تجاه زميله، أو رفيق دربه، وقد يكونان ارتبطا ببعض الوعود ؟!(١)

---

(١) - من المفيد أن نثبت هنا الاستطلاع الذي أجرته جريدة تشرين عن هذا الموضوع بعددها الصادر بتاريخ ١٢/١/٢٠٠٥ بعنوان: (ماذا يفعل الشاب حين يصطدم اختياره لشريكة حياته بمعارضة الأهل ؟ اختصاصي يقول: الزواج بموافقة الأهل أفضل وأسلم) بعد أن يجد الشاب الفتاة التي يعتقد أنها جديرة أن تشاركه حياته والأقدر من غيرها على إسعاده، وفي غمرة سعادته وأوج رضاه باختياره هذا يرى نفسه أمام حقيقة مؤلمة تجبره على التعامل معها كأمر واقع لا مفر منه تتمثل بمعارضة أسرته لهذا الاختيار .. ورفضها، وبشكل قاطع للعروس التي قرر الارتباط بها لأسباب بها تراها جوهرية .. ترى عندما يتخلى عن حبه تحت ضغط أسرته ماذا يحدث ؟ هل يصر على الفتاة التي يحب غير آبه بمعارضة الأهل القاطعة، وما قد يترتب عنها من نتائج قد تصل إلى حد القطيعة معهم، أم يتخلى عن حبه وحلمه مستسلماً لإرادتهم .

هذا ما سنعرفه من خلال مجموعة من الأشخاص الذين كانت لهم تجارب في هذا المضمار، تحدثنا إليهم؛ لنتعرف، ونستفيد من تجاربهم ..

١- (**زواجه كان سبباً في مقاطعة أهله لسنوات**): سعيد كان طالباً في السنة الأخيرة، عندما أحب زميلة له كانت في السنة الثانية، وبعد تخرجه اتفق معها على الزواج، لكن بعد أن يجد عملاً ويؤسس بيتاً يجمعهما، وخلال تلك المدة كانا يلتقيان باستمرار، الأمر الذي زاد تعلقهما ببعض وبعد ثلاث سنوات قرر الشاب أن يفاتح أهله بموضوع زواجه.. وأوضح سعيد أنه عندما تحدث مع أمه عن الفتاة وعائلتها وعن قرار الارتباط بها رفضت أمه الفكرة من أساسها، وقالت إنها لن توافق، ولا بأي شكل من الأشكال من زواجه من هذه الفتاة؛ لأنها من طبقة اجتماعية تختلف عن طبقتهم، وبالرغم من جميع محاولاته لإقناع عائلته بالموافقة، إلا أنها بقيت مصرة على رفضها، لكن بالمقابل أشار إلى أن أسرة الفتاة وقفت إلى جانبهما، ولم تأخذ من رفض أهله ذريعة لعدم الموافقة، بل باركت لهما حبهما وتزوجا . لكن النتيجة كانت مقاطعة أهله له لسنوات، وبعد أن تدخل أناس مقربون من العائلة تمكن من مصالحتهم ..

٢- (**إصرار الأم على الرفض**): وقال سمير: إنه وبعد مضي أكثر من أربع سنوات على زواجه الذي كان سبباً في قطع صلة الرحم بينه وبين أهله حتى اليوم إنه ليس نادماً على زواجه ممن أحب، بالرغم من ابتعاده عن أهله؛ لأن والدته كانت تخطط له للزواج من إحدى قريباته التي لا تربطه بها سوى صلة القرابة، حتى إنه لا يعرفها .. وأوضح أن اقتناع أهل الفتاة باختيار ابنتهم جعله يتمسك بها أكثر، كما أن وقوف أهلها إلى جانبهما ومساعدتهما لهما مكنتهما من الزواج بسرعة .. وأضاف سمير: إن زوجته استطاعت استيعاب الظروف الصعبة التي مر بها، ولم تشعره يوماً أنها تكره عائلته، بل كانت في كل مناسبة تحاول إقناعه بمصالحتهم، والتقرب منهم؛ كي يسامحوه، لكن رفض أمه المستمر للمصالحة كان السبب في الابتعاد حتى اليوم ..

٣- (**الفتاة يمكن تعويضها، أما الأهل، فلا يمكن**): إلا أن سائد الذي بلغ الثلاثين من عمره قال: إنه يعرف سلفاً ما يتعين عليه فعله إذا وجد نفسه في مأزق كهذا، لا سيما إذا خُيِّر بين أهله وفتاة أحبها، فإنه سيختار بالتأكيد أهله لأن أي فتاة مهما كانت يمكن تعويضها .. أما الأهل، فهم الكنز الذي لا يعوض، لاسيما الأم .. وأكد سائد الذي يعمل مسؤول علاقات عامة في إحدى المؤسسات أن رضى الوالدين أهم من الحب، موضحاً أنه عندما اختار الفتاة رفضتها أسرته، بعد أن اكتشفت أنها لا تنتمي إلى المحيط الاجتماعي ذاته الذي ينتمي إليه، فقطع علاقته بها،

أقول: إن هذا الواقع هو أخطر ما تواجهه الأسر الكريمة، ويوقع شباب وفتيات اليوم في منعطفات خطيرة قَلَّ أن ينجوا منها. وإن إبرام الاتفاقات المنفردة بين الشاب والفتاة ووضع الأهل بعد ذلك تحت الأمر الواقع، لهو أيضاً من أبرز عوامل فشلِ هذه الزيجات، وتصدُّعِ بنيان الأسرة إن تمت، وإليكم الأسباب(البيان):

١ - إن هذه اللقاءات التي تحدث بين الشاب والفتاة، سواء كانت طويلة أو قصيرة، ضمن ضوابط الآداب والأخلاق الشرعية أو خارجها، لا تعطي الصورة الصحيحة، أو الوجه الحقيقي لكل من الشاب والفتاة، ولا الواقع الصادق لأسرتيهما، ذلك أن كلاً من الشاب والفتاة يحاول أن يبرز أمام الآخر بأخلاق مصطنعة ليست أصيلة فيه، فيظهر كل منهما تجاه الآخر باللباقة والكياسة، وبالصدق والأمانة، والعفة والحشمة، وغالباً فإنهما ليسا كذلك، وإنما هذا؛ ليري كل منهما للآخر منتهى الأخلاق الجميلة التي ليست لديه..

مسلماً الموضوع كله لوالدته التي فوضها مشاركته اختيار العروس التي تراها مناسبة، وأوضح سائد أنه اكتشف بعد مدة من الزمن أن أهله كانوا على حق، والفتاة كانت لا تناسبه أبداً ..

٤- **(مباركة الأهل للزواج)**: لكن ابن السادسة والعشرين لا يستطيع إلا أن يسلم لرأي الأسرة الذي لابد من أن يكون في أغلب الأحيان مصيباً، لذا قال: إنه لن يتزوج ما لم توافق أسرته على اختياره .. وأضاف أنه كان في الماضي على استعداد لأن يفرض خياره في هذا الموضوع بأي شكل، إلا أنه تراجع عن قراره اليوم لأنه؛ اكتشف أن هذا التصرف غير سليم؛ لأنه سيعرض نفسه والفتاة التي سيتزوجها للأذى .. وقال: إن أهله لا يفرضون رأيهم عليه في هذا الموضوع، بل هم يقدمون النصيحة والباقي عليه، وبرأي وسام، فإن أعين الأهل تظل مصيبة أكثر من رؤية الأولاد؛ لأن خبرتهم بالحياة أكبر ولذلك لا يمكن أن يفضل أي فتاة، مهما كان يحبها عن أهله، فأحياناً يمكن أن ينجرف الشاب لعاطفته دون تدخل المنطق، عندها تكون القاضية بالنسبة له، حيث يترتب عليها آثار سيئة أكبر من الزواج نفسه ..

٥- **(لا بد من مشاورة الأهل)**: وحول هذا الموضوع قال الاختصاصي الاجتماعي حسان علي: إن هذا الموضوع متشعب جداً ولا توجد قاعدة يمكننا الارتكاز عليها؛ لأن في حياتنا الاجتماعية حالات حب كثيرة تمت ونجحت دون موافقة الأهل؛ لتطرفهم في آرائهم وعدم إفساح المجال أمام أولادهم لتعريفهم بالفتاة التي يحبون؛ ليكون لديهم الحجة في رفضها أوقبولها.. وفي المقابل هناك حالات زواج كثيرة أيضاً فشلت فشلاً ذريعاً؛ لأن العاطفة في الاختيار طغت على المنطق السليم والرأي السديد ولأنهم لم يعيروا الانتباه إلى رأي الأهل الذي كان أقرب إلى المنطق مؤكداً أن مثل هذه الزيجات تؤدي إلى تشتت أسرة بكاملها بسبب التسرع لكن بجميع الأحوال حتى يتمكن الشاب من عدم الانزلاق وراء عاطفة قد تكون غير حقيقية عليه اختبار عواطفه جيداً في أكثر من موقف وتغليب العقل عليها.. ومشاورة الأهل هو أمر ضروري وفي حال كان الرفض عليه الانتظار لإقناعهم برأيه عبر الحوار؛ لأن الزواج من غير موافقتهم تصرف غير سليم وله عواقبه السلبية وقال لمعرفة ما إذا كانت الفتاة تحب الشاب وتناسبه عليها تحمل ظروفه وفي حال انجرافه، وتسرعه عليها أن تُعَقّله، وتعيد إليه توازنه، وتنصحه بعدم القبول بالزواج دون مباركة أسرتها وأسرته معاً؛ لأن زواجاً بموافقة الأهل ورضاهم أفضل وأمتن وأسلم من جميع النواحي. (سفيرة إسماعيل تشرين ٢٠٠٥/١/١٢) .

وإذا انقدحت شرارة الرغبة والميل في قلب الشاب تجاه الفتاة بحكم طبيعة ميل الرجل إلى المرأة، وقويت هذه الرغبة في قلبه فَعَلِقَ الفتاةَ وأحبَّها، وتصنعت هي الجمال فتجملت وأظهرت ما ليس لديها من جمال أو كمال خلق، وأوقعا ذويهما في شراك الأمر الواقع - إن كان لذويهما أمر الحل والعقد - فعند ذلك يتم الإسراع في عقد الزواج، دون أخذ أسباب الحيطة في السؤال عن واقع هذين الشابين (رجلاً وفتاة) والأسرتين، وحَدِّثْ بعد ذلك عن انكشاف المستور، وظهور المخبوء من صفات كانت محجوبة وراء التصنع، وأمور كانت مغطاة بغطاء الميل الأعمى والهوى الجانح الذي لا يترك مجالاً لِرَوِيَّةٍ أو فرصة لإعطاء قرار هادىء متزن بالإيجاب أو السلب .

٢ - قد يختبىء وراء ميل الشاب والفتاة والرغبة في سرعة الاقتران ميل خفي أو ظاهر إلى مالها أو راتبها إن كانت موظفة أو وضع أسرتها الاجتماعي إن كانت منزلة يُطْمَعُ فيها وهذا من أخطر العوامل التي تصاحب أمثال هذه الزيجات وتحمل بذور التصدع وتهدم الأسرة السريع؛ لأن طمع الرجل في مال المرأة وحرصه على ذلك، والمرء مجبول على حب المال، وحب التملك، يبذر عوامل الشقاق والخلاف منذ اليوم الأول من اللقاء وبخاصة إذا كان الزوج عاطلاً عن العمل، أو في قلبه حب العطالة والكسل !!

وأي بنيان يبقى قائماً إن كان الشريك يريد ابتلاع مال شريكه أو مصادرته دونما وجه حق ؟!

وكذلك التسرع في إرواء الغريزة (بالزواج المستعجل ممن تعرف عليها) يسرع في العزوف عنها وهدم الحياة الزوجية بعد انكشاف مخبوئها .

٣ - قد يكون في طبائع الزوج أخلاق مستورة من البخل والشح والانكماش عن النفقة، وقد يكون ذا أرومة وضيعة، (أصل دنيء) وأصل لا يكافىء الفتاة، خبأته اللقاءات السريعة المصطنعة، والوعود الكاذبة، فانكشف المخبوء بعد أيام من الزواج وهنا يحدث ما لم يكن في حسبان الزوجة، ولا حسبان أهلها إذا ما تسرعت فأقنعتهم

به، بعد ميل إليه، وتعلق به، فماذا تفعل أسرتها تجاه رجل بخيل شحيح،أو وضيع حقير لا يراعي حرمة لعهد،أو وفاءً لميثاق، والزواج ميثاق غليظ وعهد وثيق ؟ (١)

---

(١) كُتِب في جريدة تشرين في هذا الموضوع بعددها المؤرخ ٢٠٠٥/١١/٢٨ تحت عنوان (**الخطوبة هل تعتبر تمثيلية يقوم بها الخطيبان لإبراز أفضل محاسنهما ؟!**) كتبت الكاتبة ما يأتي: يفترض في مدة الخطوبة أن تكون فرصة للتعارف والتوافق بين طرفي العلاقة حيث يدرس كل منهما الآخر؛ فيتعرف على ما يحب وما يكره، يطّلع على نفسيته ومشاعره حتى يألفه ويتآلف معه . لكن الخطبة كثيراً ما تنحو إلى مدة يتجمل فيها الطرفان ويسعيان للظهور بمظهر لا يعكس حقيقتهما حيث يداري كل طرف عيوبه عن الآخر لتصبح العلاقة بينهما أقرب إلى النفاق منها إلى شيء آخر، الأمر الذي يجعلهما بعد الزواج على خلاف دائم حتى تبدو حياتهما مستحيلة . وهذا يقودنا إلى التساؤل هل الخطبة مدة حقيقية قائمة على المكاشفة والمصارحة أم **لعلها مسرح لتمثيلية يمارس الطرفان كل أشكال الكذب والتجمل الصريح** هذا ما ستؤكده تجارب بعض الأفراد الذين تزوجوا بعد خطبة. (**الكرم الطائي انقلب إلى بخل لا يطاق**): عبير متزوجة منذ عامين قالت إنها اصطدمت بزوجها جراء تحول كرمه الطائي أيام الخطبة إلى بخل لا يطاق بعد الزواج وأعربت عن أسفها لهذا الانقلاب الذي حل بزوجها بعد خطبة دامت عاماً كاملاً موضحةً أنه بالرغم من تقدمه لخطبتها بطريقة تقليدية إلا أن مدة الخطوبة الوردية جعلت عبير تتمسك به خاصة وأنه استطاع جذبها إليه بكلامه وكرمه الزائد الأمر الذي اضطرها لمطالبته بالحد من المصروف الزائد وأضافت عبير أن مصيدة الكرم التي أغدقها عليها زوجها سرعان ما تكشفت بعد الزواج وانكشفت حقيقته أمامها حيث كان يسأل عن كل كبيرة وصغيرة وبطريقة تثير الاشمئزاز، الأمر الذي اضطرها للعمل كي تصرف على نفسها .. (**خطيبها بات عدواً لأمها**) أما نادين فقد بدأت حكايتها بالقول: إن زوجها المحب لأسرتها ولأمها والذي كان يعد نفسه أحد أفراد أسرتها أيام الخطبة لم يلبث كثيراً أن كشر عن أنيابه بعد الزواج وتحول إلى عدو لأمها التي ربتهم بعد وفاة والدها . وقالت: إن ما حدث بعد الزواج لم يكن في الحسبان أبداً فبعد أن كانت أمها من أقرب المقربين لزوجها باتت سيرتها من المحرمات في المنزل بالرغم من أنها كانت لا تعده صهراً بل ابنا، وبعد أن كانت تزورها في بداية زواجها كل يوم تقريباً أصبحت لا تقوم بذلك إلا مرة في الأسبوع ولا يتم ذلك إلا بشق الأنفس وبعد مشاجرات عنيفة .. (**الكذب والتجمل تجيده النساء أكثر**): لكن تجربة سامر الذي يعمل في مجال الأتمتة أجبرته على وصف الخطبة بأنها أقرب إلى التمثيل والادعاء أكثر من قربها إلى الصدق وأوضح أن الكذب والتجمل ليسا حكراً على الرجال فقط بل على العكس فالنساء لديهن تقنية عالية في لعب مثل هذا الدور وأشار سامر إلى زواجه الذي لم يعمر أكثر من سبعة أشهر سرعان ما انهار بعد اكتشافه الخداع الذي وقع فيه في أثناء مدة الخطوبة فالرومانسية والهدوء والطيبة التي طفت على زوجته انقلبت فجأة بعد الزواج إلى امرأة مختلفة تماماً وكأنه لم يرها ولم يتحدث إليها، امرأة مزاجية تنكش المشكلات من تحت أظافرها لا يروق لها رؤيته مرتاحاً أبداً مؤكداً أن التحول كان بالنسبة إليه الضربة القاصمة التي أدت إلى الطلاق .. (**التجمل في مرحلة الخطوبة غير مقبول**): وإذا كانت الخطوبة مرحلة أساسية للمضي في زواج ناجح ونافذة تسمح للطرفين برؤية بعضهما بوضوح فلماذا تفشل الكثير من الزيجات التي قبلها خطبة ؟ هكذا بدأ خليل مدرس اللغة الفرنسية حديثه متسائلاً وأضاف أن مرحلة الخطوبة يجب أن تتسم بكثير من الصدق والشفافية والصراحة بين أي فتاة وشاب يخططان لتكوين أسرة وإنجاب أولاد وتربيتهم تربية صالحة مؤكداً أن التجمل في هذه المرحلة مرفوض؛ لأنه لا يتناسب مع علاقة جادة ومسؤولة وقال: إن الكذب قد يكون وارداً في أمور لا تتجاوز الأمور الشخصية التي لا تسيء إلى العلاقة الزوجية.. (**مبررات السلوك السلبي مرتبطة بعوامل ذاتية عاطفية**): وحول هذا الموضوع يقول دكتور علم الاجتماع رافي أحمد: إن الخطبة تمثل تعارفا وتفاوضا بين الطرفين =

٤- وقد يكون الزوج من ذوي العقول الصغيرة، والآفاق الضيقة ظنوناً حسوداً، أو حقوداً حانقاً، أو مَوْتُوراً[1] في حياته أو دخل في تجارب غير شريفة مع النساء، فيحسب أن كل فتاة يقترن بها برباط الزواج هي مثل تلك التي أغواها وأغراها، ثم قضى وطره وألقاها، وهرب منها ومن تبعاتها، واليوم يريد امرأة شريفة ليست كما عَرَف، ولا كالتي جَرَّبَ، بل له وحده، وقد ظفر بها في هذه المسكينة التي ساقتها الأقدار إلى التعرف عليه زميلة في العمل أو رفيقة في درب المدرسة، تسرَّع أهلها فوافقوا على زواجها منه قبل البحث عنه وعن سلوكه وأخلاقه؛ خوفاً من العنوسة لها أو خشية ألا يأتي غيره أو.. أو.. فأرادها شريفة خلوقة محتشمة، وظنته خلوقاً صادقاً شريفاً وفياً، حتى إذا ضمهما بيت الزوجية، ظهرت أخلاق هذا الوغد وظنونه السيئة وتجاربه غير المستقيمة يطبقها على هذه الفتاة المسكينة التي تسرعت فقبلته وأقنعت أسرتها به فصارت سجينة أخلاقه السيئة وظنونه المريبة، وشكوكه التي لا تنتهي، ويضيق عليها الخناق كل يوم حتى تصبح عندها جنة الزواج نار الله الموقدة فمتى تنعم بالخلاص منها؟

٥- وقد تكون هناك عوامل أخرى من عدم التكافؤ بين الأسرتين أو الزوجين، ومن أهمها التفاوت المالي أو الأسري أو العلمي والثقافي، فإن أيَّ تفاوت واضح وأي تباعد

= المقبلين على الزواج، مشيراً إلى أنه مشروع متعدد الأهداف ولا يمكن نجاحه إلا إذا نجحت مدة الخطوبة وقال: إن أية عملية تفاوض يحاول الطرف الآخر أن يبدو بأحسن صوره عارضاً كل ميزاته وإيجابياته مقللاً من عيوبه بهدف إقناع الطرف الآخر بأنه مقبل على عقد صفقة مريحة بكل المقاييس وقال الدكتور: إن مبررات السلوك السلبي الذي ينتهجه طرفا الخطبة منها ما يرتبط بعوامل ذاتية وعاطفية مثل التعلق بالشخص والرغبة في توطيد العلاقة معه بسرعة؛ خوفاً من فقدان الفرصة ومنها ما يتعلق باعتبارات اجتماعية كالمكانة والمال حيث يلجأ أحد طرفي الزواج بهدف الارتقاء في السلم الاجتماعي إلى تحقيق مكاسب مادية معينة من وراء صفقة الزواج . وأضاف أن كل ما يحدث أو يقال في مدة الخطوبة يكون جزءاً من إستراتيجية التفاوض لبلوغ الهدف المرسوم وإن وجد الاستعداد للتصديق، فيكون تعبيراً عن حالة القلق والرغبة الشديدة التي يبديها أحد الطرفين في التمسك بالآخر والحفاظ على العلاقة فكلما كانا صادقين في عرضهما ونيتهما كانت صفقتهما ناجحة ومريحة بمعنى أن الزواج لا يمكن أن يبنى على الغش والنفاق . (سفيرة إسماعيل تشرين ٢٠٠٥/١١/٨) .

(١) بسبب إصابته أو أحد أهله بمصيبة، ويظن أن سببها المرأة .

بين مستوى الأسرتين أو الزوجين لهو شرخ واضح يبدأ صغيراً ثم يكبر حتى يأتي على بنيان الحياة الزوجية، فيهدمه من القواعد ..

لذلك كله؛ فإننا نضع بين يدي أحبتنا الزوج والزوجة، الشاب والفتاة وأسرتيهما هذه الأمور التي يجب ألا تغيب عن الفكر عند اختيار الرجل والفتاة، فإن أسس الاختيار قد حددها الزوج الأول والمربي الأول الذي أسعد الدنيا بمنهاجه وكان مثال الزوج الوفيِّ لأزواجه ألا وهو الرسول المعلم ﷺ حينما قال: (**تُنْكَحُ المرأةُ لأربعٍ لمالِها ولحسبِها ولجمالِها ودينِها فاظفرْ بذاتِ الدينِ تَرِبَتْ يداك**) متفق عليه، وفي رواية لمسلم: (**إن المرأة تُنْكَحُ على دينها ومالها وجمالها، فعليك بذات الدين تربت يداك**) والمعنى: إنه إن لم يختر الإنسان ذات الدين تَرِبَ؛ أي افتقر.

وقبل أن أفصل البحث في اختيار الزوجين حسب القواعد الشرعية والآداب السائدة في المجتمع المتمسك بدينه وأخلاقه أحب أن يطلع الآباء والأمهات والشباب والفتيات على ما كتبته الجرائد عن بعض عقود الزواج الوهمية والفاسدة التي يجريها بعض الشباب الصيادين للشهوات، والذين يوقعون في حبائلهم بعض الفتيات الساذجات (ولو كن متعلمات) ثم يفتضح الأمر، ويقع المحذور، ولا حول ولا قوة إلا بالله[1].

---

(١) نشرت جريدة تشرين الدمشقية في عددها المؤرخ ٢٠٠٤/٧/١٩ ما يأتي تحت عنوان: (أشكال مفجعة من عقد القران بين شباب وفتيات لكنها أقرب إلى الطرائف) لوهذا ما نشرته بحروفه: (على الأريكة الطويلة وكما هي معروفة بين الأطباء باسم (الشازلنج) استرخت الفتاة الصغيرة ..هنا لا حرج عليها في أن تبكي، حكَتْ معترفة عمري: ٢٠ سنة أبي وأمي تعودا على السفر ومنذ نعومة أظافري لم أرهما إلا شهرين في السنة فقط، عشت مع أخي السلبي الذي لم يعد يهمه إلا أن يقضي النهار خارج البيت؛ بنت مثلي ماذا تفعل بعدما انكسر بداخلها أشياء كثيرة أهمها شكل الأسرة الذي افتقدته !! المهم تعرفت على شاب يكبرني بحوالي عشر سنوات قال لي: (أحبك) وصدقته وتبادلنا المشاعر وأحيانا كان الأمر يتخطى إلى ما هو أبعد ولكن لم أسلمه نفسي حتى طلب مني الزواج لم يكن زواجاً كما نعرفه جميعاً وإنما على طريقته هو أقنعني بأنه شكل جديد من أشكال الزواج حتى انتهي من جامعتي بعدها نعقد العقد عند مأذون شرعي!!

١- **زواج بالدم**: الجلسة بدت مثيرة وانتهت بأكثر إثارة قالت الفتاة وهي تحاول أن تستعيد ذكريات مؤلمة (أعطاني دبوساً وشك به أصبع السبابة. وعندما نزف منه الدماء أسرع هو الآخر وشك أصبع السبابة وخلط دمه بدمي ونظر إلى عيني وقال لي: (هذا هو أسمى أشكال الزواج) !! صرنا زوجين في غمضة عين أحل له ويحل لي شهور كثيرة نلتقي في شقة مفروشة وعندما عادت أمي من السفر في إجازة الصيف كانت تحمل عريساً «لقطة» لي .. في هذه =

٦- وقد يكون من التقته الفتاة وتعرفت عليه، أو من التقاها وتعرف عليها، في منتزه أو في الجامعة أو في سفر في رحلة مشتركة، قد يكون هو صياد نساءٍ؛ يبحث

= اللحظة أحسست بالمصيبة وانهرت وانهارت أعصابي!! أما رأي الزوج المزعوم فكان يريدها كعاشقة لا زوجة فاستغل سذاجتها وسفر والديها وأقنعها بأن هذا هو الزواج الحقيقي ولا تزال المريضة تخضع للعلاج النفسي المكثف !! (تعليق للمؤلف: رغم أنها جامعية فأين الثقافة والمعرفة بأمور الدين والحلال والحرام ؟! أبو يحيى).

٢- **القسم على المصحف** !! هذه القصة بطلتها فتاة عمرها ٢٣ سنة أحبت شاباً واتفقا على الزواج ولكن على طريقتهما الخاصة بالقسم على المصحف الشريف قال لها: هذه طريقة جديدة يا حبيبتي !! وهي سهلة بدون تعقيدات ولا أوراق أو زفة وأب وأم يتحكمان ويشترطان علينا، وبعد، «هو في أحسن من المصحف الشريف نقسم عليه»؟! فعلاً اتفقا فقال لها نضع أيدينا على كتاب الله وأسألك إن كنت تريدينني زوجاً! وتردين علي بالموافقة وكتاب الله أحسن من الشهود !! تم الزواج وبعد ستة شهور أخبرت أختها الكبيرة المتزوجة بما فعلته فلطمت خديها وأسرعت تحكي لأمها في محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ولكن عريس الغفلة هرب عندما علم بافتضاح الأمر. (تعليق أيضاً: وأين دور الأبوين في تعليم أولادهما وبناتهما ما يجهلون من أمور دينهم وحياتهم ؟ أم هم عن هذا غافلون ؟ أبو يحيى).

٣- **شريط كاسيت** !! بطلا الحكاية طالبان بجامعة القاهرة اتفقا على الزواج بطريقة حديثة قرأتها الفتاة في مجلة أجنبية ولأن المأساة أحياناً تبدأ بلعب المراهقين؛ سرعان ما وافق الشاب وفي شقة مفروشة أتت البنت الموافقة بكاسيت ووقف الاثنان أمامه ومن خلفهما اثنان آخران كانا شهودهما وبدأ الزوج يسأل عروسه: (هل تقبليني زوجاً لك على سنة الله ورسوله؟؟ وترد الفتاة: نعم قبلت على المهر والصداق المسمى بيننا)! وجاء دور الشاهدين: أقرا في شريط التسجيل بهذا الزواج وأنهما شاهدان عليه ثم أخذت العروس نسخة من شريط الكاسيت ومثلها الزوج .. أصبح الاثنان عروسين لم تنته المأساة عند هذا الحد فبعد مدة قصيرة ملت الفتاة من هذا الزوج فأسرعت تعطيه شريطه المزعوم (نسخة العقد) وتطلب منه نسخة شريط الكاسيت الآخر ،وأن يرمي به عليها الطلاق وفي مقابل هذا تُبْرِئه من كل الالتزامات المادية بحقه!! رفض العريس، هددته بأنها سوف تتزوج بحق وحقيقي من رجل ثري وبدلاً من أن تتوقف المهزلة عند هذه الدرجة فوجئت جامعة القاهرة كلها بالشاب وهو يحمل جهاز التسجيل على كتفه ويدخل به إلى حرم الجامعة ويقوم بتشغيل الشريط على مسمع ومرأى من الطلبة والطالبات!! النتيجة الفضيحة للفتاة بين زملائها..ليس هذا فقط وإنما هربت بلا رجعة ولا يزال البحث عنها مستمراً !! (تعليق؛ أقول أيضاً؛ بعد كل ما حدث وما يحدث لماذا لا نضع في مناهج التعليم قواعد صيانة الحياة الزوجية وشؤون الأسرة، وحقوق الزوجين وواجباتهما بدلاً من بعض المواد الأخرى!! أبو يحيى).

رأي القانون .. قدسية الزواج: يقول المستشار حاتم عزت: إن مثل هذه القضايا لن تصل إلى القضاء ولو جاءت أمامي قضية من هذا النوع فلن أتردد في حبس الشاب والفتاة ولن أقول زوجين؛سأعاقبهما بتهمة الزنا مالم يتزوجا أمامي.ويجب أن تتحرك الأجهزة الرسمية في مصر لوأدها قبل أن تستشري مثل الطاعون!!

رأي علماء الدين: يقول الدكتور عبد الصبور شاهين أستاذ الفقه بجامعة القاهرة: هذا استهانة بشرع الله وبحقوق العباد وبكرامة المرأة وكل هذا تحايل لنيل ما يتصوره صاحبه لذة وهي في الواقع محاولة لاقتحام شروط الزواج الشرعي من إيجاب وقبول وإشهاد وإشهار وأن يتم على قسيمة زواج وهذا هو الزواج الشرعي. (ا. هـ من جريدة تشرين). (تعليق: مع تسليمي بما قاله الدكتور شاهين والمستشار عزت، فإن الزواج ليس من شروطه التسجيل في المحاكم، ولكن تسجيله في المحكمة توثيق له وصيانة لحقوق الزوجين، ونحض عليه وندعو إليه ولكنه ليس شرطاً أو ركناً في عقد الزواج . أبو يحيى).

عن اللذة العاجلة، أو خبيثاً ماكراً يخبىء حقداً أو عدواناً أو استغلالاً للقائه معها ليستغل هذا اللقاء، وتلك العلاقة بينهما كما ذكرنا فيبتز المال منها أو من أهلها، أو ليلوث سمعتها، أو يسيء إليها .. أو ما شابه ذلك. ومثال على ما أقول ما نشرته جريدة تشرين بقلم أحد كتابها وهي مشكلة تعرضها إحدى الفتيات التي وقعت في حبائل شيطان من شياطين الإنس مستغلاً اللقاء بينهما، بصورٍ مشتركة؛ كي يبتزها بعد أن خالطته وعرفت أخلاقه المتحجرة، وأرادت الخلاص منه. وإليكم ما ذكره ذلك الكاتب بحروفه بعنوان (حصانة القذر) بالذال[١]

---

(١) **القصة طويلة ومعظمها مألوف بالنسبة إليكم؛ لذلك أسمح لنفسي بأن ألخصها قبل التعليق عليها بناءً على رغبة صاحبتها:**

تقول الفتاة (م-س) البالغة من العمر أربعة وعشرين عاماً إنها تعرفت على شاب يكبرها أربعة أعوام . في البداية أبدى الشاب شهامة ورقياً في التعامل مما جعل الفتاة ترتاح إليه وتلتقي معه مرة في إحدى الحدائق . لم تولِ الفتاة أي اهتمام للكاميرا الفوتوغرافية ذات الحامل التي كان الشاب يهيئها المرة تلو الأخرى كي تلتقط لهما الصور أوتوماتيكياً بأوضاع مختلفة. خاب أمل الفتاة بالشاب في ذلك اللقاء لأنها اكتشفت أن عقليته (متحجرة) فتجنبت تكرار هذا اللقاء به آملة أن يفهم الوضع من تلقاء نفسه . لكنه واصل الإلحاح . بعد فترة تقدم لخطبة الفتاة شاب من أقارب أمها، وقد أعجبت الفتاة بخطيبها إذ وجدت فيه فتى أحلامها وبدا لها أن حكايتها تقترب من نهايتها السعيدة . لكن الشاب تغير فجأة، وبعد أيام طلب فك الخطبة دون إبداء أي سبب، بعد كثير من المناورات علمت (م-س) من شقيقة خطيبها (السابق) أن الشاب الذي ذهبت معه مرة واحدة إلى الحديقة قد اتصل بالخطيب وأبلغه أن الفتاة (زوجته) هو لولا ينقصهما شيء سوى ورقة صك الزواج! وقد اتصل الشاب وأبلغها بوضوح، أنها لن تتزوج أحداً إن لم تتزوجه !

هكذا فقدت الفتاة فرصتها وبدأت الألسن تلوك اسمها،وقد جاءت إلى الجريدة؛ كي تستشيرني ! والحق أنني شعرت بعجز مطلق عن مساعدتها؛ لأن كل الاحتمالات التي أوردتها هي غاية في السوء! فهي تفكر أن تقتل نفسها ! أو أن تستدرج الشاب المفتري إلى مكان وتقتله فيه وتقتل نفسها، لكن أغرب الحلول هو أنها تفكر بأن تتزوجه؛ كي تدمر حياته كما دمر حياتها ! لاشك أن الصحافة قد وضعتني في مواجهة الكثير من المآزق التي لم أجدلها مخرجاً لكن هذا لا يزال يبدو هو الأصعب . الوقت يمضي، الفتاة تتجه نحو العنوسة، والشاب المفتري يطل برأسه من خلف كل منعطف في حياتها ! اعتذرت من الفتاة المحطمة عن عجزي عن مساعدتها، وأحلتها للزمن! قلت لها: إنني شخصياً أتعرض للافتراء من قبل شخص حاسد، وأنا عاجز عن معالجة مشكلتي معه؛ لأن القذارة تحمل حصانتها في داخلها، وليس من حل سوى الابتعاد عنها، فإذا وقع المرء على القذارة تلوث وإذا وقعت القذارة عليه تلوث أيضاً! قبل أيام اتصلت بي سيدة تسألني عن إشاعة سيئة سمعتها عني مصدرها ذلك الشخص المفتري فأجبتها مطوراً فكرة كنت قد كتبتها قبل سنوات: (عزاء الأرdياء إلصاق نقاط الرداءة بالطيبين، أما الطيبون فلا عزاء لهم) حسن م. يوسف أ هـ جريدة تشرين.

تعليق المؤلف: في البداية أخطأت الفتاة باللقاء معه وبصحبته إلى المنتزهات، وأخطأت مرة أخرى بالسماح له بالتقاط الصور، ولم يكن عقد الزواج بينهما قد حصل، وهذا أيضاً من ثمرات الاختلاط والسفور الذي حذر منه=

معوقات في طريق الزواج:

ولا بأس هنا أن أذكر بعض المعوقات والأشواك في طريق الزواج ومن أهمها:

١- **غلاء المهور:** وغلاء المهور عائق كبير أمام تسهيلات الزواج في هذا الزمن الذي أصبح فيه الزواج من أعظم الحصون التي تحفظ شبابنا وفتياتنا من الانحراف نحو الخطيئة والفاحشة التي يسرتها الحياة المعاصرة أكثر من كل وقت مضى، ولعل الله سبحانه يلهم الآباء والأولياء تسهيل المهور أمام من يرضونهم أزواجاً لفتياتهم، وليذكروا دائماً أنهم كانوا فقراء عندما تزوجوا ثم أغناهم الله سبحانه من فضله وأصبحوا أصحاب الثروات، قال سبحانه في شأن الزوجين الفقيرين: ﴿ **وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾النور:٣٢، وقال ﷺ: **(من يمن المرأة يسر مهرها).**

٢- **اتباع التقاليد والعادات الغربية:** تمثل بعض العادات والتقاليد الخاصة بالخطوبة والزفاف عائقاً كبيراً أمام الشباب الذين يبتغون الزواج والعفاف ومن هذه التقاليد التي يبالغ فيها بعضهم (فستان الخطوبة، وفستان الفرح وفستان الزفاف، وحفلة الخطوبة، وحفلة الزفاف، وبدلة الخطوبة وبدلة الزفاف) ... إلخ.

.. وماذا يحدث لو تساهل الناس في مثل تلك الأمور، فليس بالضروري شراء فستان للخطوبة، إن لم يستطع الخاطب ذلك، ويمكن استئجار فستان لذلك إذا لزم الأمر، وما الداعي أن يكلف الخاطب نفسه فوق طاقتها؛ ليشتري بدلة بسعر معين، وقد لا تلبسها العروس أكثر من ساعة ثم لا تحتاج إليها، أو يستدين لشرائها، وعنده بدل أخرى. لقد نسي الناس أم تناسوا الأمور المهمة مقابل تلك التفاهات، وهناك من يفسخ الخطوبة، إذا صار تقصير في أمثال هذه الأمور ..

= إسلامنا؛ ليصون أعراضنا، وما أبدته الفتاة للكاتب من الانتحار أو قتل الرجل،لم يوافق عليه،ولا يوافق عليه الإسلام أيضاً ولكن على أهلها - وهم الذين سمحوا لها بهذا الاختلاط وغيره - أن يتفهموا موقفها بعد ما تبين لهم ذلك، وأظن أن القضاء لازال بخير،وهو قادر على أن يضع حداً لأمثال هذا الوغد القذر،ويوقع به العقوبة المناسبة، وهذه القصة عبرة لمن يعتبر من الآباء والأمهات، والبنين والبنات، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وتعاليم الإسلام حصن وحماية للجميع. أبو يحيى.

٣- التمسك بالعادات العائلية أو القبلية القديمة: .. وقد نشرت مجلة الوعي الإسلامي الكويتية بعددها (٤٢٢) لعام ١٤٢١هـ تقريراً حول عادات بعض القبائل في إحدى المجتمعات العربية والتي تحول دون زواج كثير من الفتيات وتتسبب في العنوسة في سؤال تم توجيهه لإحدى الفتيات تعدت سن الزواج، عن الأسباب الكامنة وراء هذا الأمر رغم أنها على درجة من الجمال والأدب والنسب فقالت: المسألة باختصار شديد أنني أنتمي إلى إحدى القبائل العريقة - وهي ككل القبائل لها معايير خاصة في مسألة الزواج - ومن المستحيل أن يتزوج بنا من عنده نقص في هذه المعايير ولو بقدر يسير، ومن هذه المعايير (المفاضلة في النسب) بمعنى أنه لا يتزوج من قبيلتنا من ينتمي إلى قبيلة أقل نسباً منا، وإن كنت لا أعرف هذه الأمور، إلا أن الآباء والأجداد متمسكون بها، وهي بالنسبة لهم أهم من أي شيء في الحياة .. إن معيار المفاضلة هو الذي عصف بحياتي ومستقبلي، كامرأة من حقها أن تنال حقها في الحياة، وتشبع رغبتها في تكوين أسرة وبيت، وتنعم بالأمومة ..

لَعَمْرُكَ لا تترك التَّقْوى
اتِّكَالاً على النَّسَبِ

فقد رفع الإسْلامُ سلمانَ فارسٍ
ووضَعَ الشِّركُ الشَّريفَ أبا لَهَبِ

٤- ارتفاع سن الزواج لدى الشباب والفتيات: ومن الأمور التي لعبت دوراً كبيراً في هذا الأمر، وأدت إلى تأخر سن الزواج لدى الطرفين، وبالأخص الشباب هو مرحلة الدراسة الثانوية والجامعية، فإنها تمتد حتى ما بعد العشرين إلى الرابعة والعشرين، ثم مدة الخدمة العسكرية التي تمتد سنتين أخريين، ثم مدة البحث عن الوظيفة أو عمل، وماذا قبلها، قبلها شروط الأهل في كثرة المهر أو المنزل المستقل، وأثاث المنزل. ولذلك ينصح الشباب بالاعتماد على حرفة في أثناء الدراسة، ويُنْصَح الأهل بعدم المغالاة في المهور، والاستقلال في الدور للعروسين، ريثما ييسر الله على الزوجين

مسكناً ملائماً، وأثاثاً موافقاً، وقد كانت عادات الجيل السابقة أن تشارك المرأة في تأثيث بيت الزوجية بمهرها المقدم، فأصبح الآن في الغالب المهور غير مقبوضة، وهذا مما يثقل التكاليف على الزوج، فيا حبذا لو عاد الأمر إلى المشاركة في تأثيث المنزل؛ ليخفف الحمل على الزوجين.[1]

* * *

(١) نقلنا بعض هذه المعوقات من كتاب إرشاد الخاطب والمخطوبة لمؤلفه عادل فتحي عبد الله نشر دار الإيمان الإسكندرية لعام ٢٠٠٢ ص٤٢ وما بعدها بتصرف واختصار .

في اختيار عروس العمر
والحظوة بالزوج الصالح

ما بعد الملاحظات المهمة: كان علماؤنا حكماء، فطناء، خبروا الحياة وظروفها، وعلى ضوء الوحي الهادي إلى السعادة في العاجلة والآجلة بَيَّنُوا القواعد الأساسية والمبادىء الصالحة لاختيار الزوجين ورتبوا الأحكام التي تكفل استمرار حياة الأسرة قبل بنائها وبعد بنائها، ومن هذه الأحكام ما هو واجب مفروض، ومنها ما هو مستحب مرغوب، ومنها ما هو صيانة لرباط الزوجية؛ حتى لا تتفصم عراها، وتتفكك أواصرها، فكان تركه حراماً أو مكروهاً.

لذلك على ضوء الأحكام الشرعية؛ ولابد في كل مجتمع ما؛ سواء سار على نور الوحي الإلهي الواضح المنير، أو على آراء مفكريه وُمنَظِّريه،لابد لكل مجتمع من قواعد وأحكام تضبط علاقات الأفراد ببعضهم في الأحوال الشخصية والمعاملات، والأخلاق والسلوك، فتكون هذه الأحكام والقواعد سياجاً وصيانة للأسرة وحفظاً ورعاية للمجتمع، وسوراً للأمة من عوامل التصدع والانهيار ..

ولهذا كانت أحكام الشرع الإسلامي في بناء أحوال الأسرة وصيانتها كما في سائر النواحي الأخرى العبادية والمالية في قمة الأحكام الناظمة لهذه الشؤون وأيسرها وأعدلها، وعليها المعول لا على غيرها؛ لأنها تنزيل العليم الخبير ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ الملك: ١٤.

سواء كانت الأحكام الأخرى من الشرائع السابقة المنسوخة، أو من وضع الناس الذين استقوها من بقايا الشرائع، أو من أفكار السابقين من مفكرين، وفلاسفة وحكماء..

وعليه، فحَرِيٌّ بنا؛ آباء وأمهات وأزواج وزوجات، وخاطبين وخاطبات، أن نتعرف على هذه الأحكام التي تحفظ لنا حقوق الزوجين، وتبين لنا واجبات الأبوين، وتفصل

لنا آداب العلاقة الأسرية فيما بين أسرتين وما ينشأ عن ذلك من رباط وثيق نتيجة عقد الزواج .. وإن من أولى ما حرص عليه الشرع في بناء الأسرة وتأسيسها وصيانتها ما يأتي:

١- الاختيار الصالح للزوج والزوجة.

ففي البحث عن الزوجة وكذلك عن الزوج تُراعى أهم الأوصاف ألا وهي العقل المخرج عن دائرة العته والجنون، ثم الدين الحاجز لصاحبه عن الفسق والمعصية وعن الخروج عن طاعة الله وطاعة الزوج.

ثم بعد ذلك السلامة من العيوب الجسمية التي تخل بالقيام بأمر الزوجين من أمراض سارية، أو منفرة، فيها تشوه خَلْقي. كما أن البكارة في الزوجة (وهي ألا يكون للمرأة سبق زواج من آخر) أمر مستحب مطلوب، مرغوب فيه طبعاً وشرعاً، وكذلك الأصل الطيب، والأرومة الحسنة في النسب وكرامة الأسرة، المساوي لنسب الزوج أو المقارب له ..

فإذا زان هذه الصفات في الزوجة جمال يَسُرُّ العين وخُلُقٌ تسكن إليه النفس، فقد حصل حد الكمال المرغوب في الزوجة الذي يرغب فيه العقلاء، ويطلبه الفضلاء، وبيَّنه الحكماء والفقهاء ..

وما لا يدرك كله لا يترك كله، وقد تكون هناك صفة في الزوجة تنوف على أخرى وتفضل على غيرها، فَيُغَضُّ الطَّرْفُ عن مطلب آخر مرغوب فيه لحصول هذه الصفة الأعلى، وكما أن هذا الاختيار مرغوب في الزوجة فإنه مرغوب في الزوج أيضاً.

وأن يكون الخاطب أو المخطوب من قبل أهل الفتاة من **ذوي العقل والدين والأرومة الطيبة** التي ليست أدنى من أرومة الزوجة، فإن من تجمعت فيه خصال العقل والدين والخلق الرصين، فهو الكُفْء المناسب، والضالة المنشودة ..

أما ما يَعُدُّه أهل زماننا من شرط المال والغنى والمنصب والجاه، أو ما يشترط فيه

على الزوج من كثرة المهر وفخامة الأثاث والاستقلال عن الأهل في المسكن فإن هذا ليس من مقومات السعادة، وليس من عناصر الكفاءة بين الزوجين ..

كما أن الشرع استحب أن تكون الزوجة أدنى غنى وأقل ثروة من زوجها؛ حتى لا تستكبر عليه في نفسها، ولا تتعالى عليه وبالتالي حتى لا يطمع في مالها أو يمد عينيه إليه، وهو أحرى أن يراعي في زماننا الذي كثر فيه طمع الأزواج بمال الزوجات.

ولنستعرض فيما يأتي ما ورد عن الحق سبحانه من آيات بينات تبين لنا صفات الأزواج الصالحين والزوجات الصالحات، وما يجب أن نراعيه في الاختيار مما ذكرناه آنفاً مجملاً وذكره الله ورسوله ﷺ مبيناً مفصلاً :

أولاً: ففي القرآن الكريم الهادي إلى أفضل ما تصبو إليه نفس الإنسان، قص علينا الحق سبحانه قصة زواج سيدنا موسى من ابنة الرجل الصالح في (مَدْيَنْ) في سورة القصص عندما هرب من فرعون وتوجه تلقاء مدين، وجلس في ظل جدار يستريح من وعثاء السفر، فرأى تلكما الفتاتين واقفتين على استحياء مع أغنامهما تحفظانها، وتنظران فراغ بئر القرية من الرعاة المجتمعين حوله يسقون أغنامهم، فقال لهما: ما خطبكما؟ ما شأنكما واقفتين لا تسقيان؟ قالتا: لا نسقي حتى يُصْدِرَ الرعاء وينفضوا منصرفين عن البئر ومالنا أخ يعيننا على مزاحمة الرجال، وأبونا شيخ كبير، فسقى لهما ثم تولى إلى الظل الذي كان يستظل فيه داعياً الله سبحانه أن يغنيه عن الناس فهو الفقير إلى رحمته تعالى.. ووصفت تلكما الفتاتان لأبيهما ذلك الشاب الغريب القوي الذي سقى لهما وأراحهما من عناء التعب، ومزاحمة الرعاء، وقالت إحدى الفتاتين: يا أبت استأجره لنا يرعى أغنامنا ويسقيها لنا، وأَرِحْنا من مشقة الرعي والسقي، فرأى الأب الصالح أن خيرَ حَلٍّ لذلك هو أن يخطبه زوجاً لإحدى ابنتيه، والمهر الذي يدفعه لا يملكه موسى عليه السلام بالطبع، فهوَّنَ عليه الأمر وجعل المهر رعاية أغنامه ثماني سنوات أو عشراً ... ولنستمع إلى القصة التي يرويها أصدق القائلين، قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾
القصص ٢٢-٢٨.

فواضح من هذا القصص القرآني أن الصفة المحبوبة والمطلوبة في الرجل الكُفء في زواج كريمة الإنسان هي (القوة والأمانة) وهما خلاصة الخلق والدين، وهذا أهم ما يطلب في الرجل؛ ليكون زوجاً كفئاً للمرأة، أما المال والغنى فإنه من الله سبحانه وهو الذي يهبه لمن يشاء ويمنعه عمن يشاء، وليس صفة أساسية في اختيار الزوج والزوجة كما قال سبحانه: ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ النور: ٣٢.

والأيامى جمع أيِّم، وهي كل امرأة لا زوج لها، سواء كانت بِكْراً أم ثَيِّباً، والإماء ج: أَمَة وهي الرقيقة .

وهنا لفت الحق سبحانه النظر إلى أن (الصلاح) هو الصفة المطلوبة وليس (الغنى) فإن يكن طالب الزواج صالحاً فقيراً فالله يغنيه من فضله ..كما أن الحق سبحانه طلب من الخاطب الذي لا يجد مالاً يتزوج به أن يستعفف ويصبر؛ حتى يغنيه الله من فضله، وهذا من التقوى التي تجعل له مخرجاً، قال سبحانه: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ النور: ٣٣.

وقد يقال هذا في صفات الرجل المطلوب أن يكون زوجاً، أو الخاطب الذي يطلب يد فتاة، فما شأن المرأة، وما هي الصفات المطلوبة فيها؟ ولا نجد هنا أروع من الوصف القرآني للمرأة بصفتها زوجة تسكن إليها النفس، ويميل إليها الرجل، لافتاً النظر إلى أنها جزء من هذا الرجل فهي قسيمة جسمه، وبغية نفسه، وهل هناك تقرير للحقيقة وعناية بها ورعاية لها أروع من أن توصف المرأة بأنها جزء من الرجل، وبأن الزوجة بعضٌ من نفس هذا الزوج ؟!

فلنستمع إلى هذه التقريرات القرآنية، قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء:١.

وقال سبحانه: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾الروم: ٢١، وقال سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ النحل: ٧٢.

ووصف الله سبحانه الزوجات المؤمنات بأنهن صالحات عابدات، حافظات لأموال أزواجهن وأعراضهن حال غياب الزوج وحضوره، كما في سورة النساء التي بَيَّنَ الله فيها قوامة الرجل على الأسرة، وبين فيها بعض صفات الزوجات المؤمنات وصفات الأخريات اللواتي لسن بهذه المرتبة من الصلاح، فقال سبحانه: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾ النساء: ٣٤.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ النور: ٢٦.

فهذه الآيات بعض ما يناسب هذا المقام مما ذكره الله سبحانه في آداب اختيار الزوج أو الزوجة ..

ثانياً: في السنة النبوية، ولنستمع إلى الحبيب المصطفى ﷺ، الذي هو الزوج المثالي، يبين لنا هذه الصفات التي نختار المرأة بسببها وما يرغبه لنا هذا الرسول الكريم ﷺ فقد قال فيما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه: (**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**) فما أشفق هذا الرسول الكريم بك أخي الشاب، الذي تبحث عن زوجة تسكن إليها وتجد طمأنينتك عندها! فإن هذا الرسول الكريم ﷺ يعرض لنا بعض الأوصاف التي يرغب بها الناس في المرأة فمنهم من يرغب في المرأة الغنية (ذات المال) ومنهم من يرغب بذات الحسب (النسب) ومنهم من يفضل الجميلة ومنهم من يبحث عن ذات الدين[1] وأنت فما الذي تختاره؟ هل تريد من الرسول الرؤوف الرحيم أن يختار لك؟ نعم إنه اختار لك ذات الدين، فاظفر بها، فإنك واجد في ذات الدين كل وصف مرغوب وغنى مطلوب وهذا أكرم وصف كما قال الله سبحانه: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

ونظراً لأن أعمارنا في الحياة الدنيا قصيرة، والدنيا كلها بما فيها من شهوات وأموال وبنين، متاعٌ يستمتع به ثم ينقضي وينتهي؛ فقد وجه انتباهنا الرسول العطوف (إلى أن أفضل ما في الدنيا من متاع هو المرأة الصالحة فقال فيما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما (الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة).

وقد تسأل عزيزي **ما هي مواصفات المرأة الصالحة**؟ وما هي الشهادة التي تحملها؟ أو العمر المناسب لها أو الثياب التي ترتديها؟ فقد أراحنا خير الأزواج، صاحب الخلق العظيم، من عناء البحث فاعتبر المرأة الصالحة خيراً من الكنوز الذهبية التي يتنافس في اقتنائها الناس فقال لسيدنا عمر فيما رواه أبو داود: (ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟! المرأة الصالحة؛ إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته).

(١) وهذا لا يعني أننا إذا خُيِّرنا بين ذات دين جميلة؛ وبين ذات دين غير جميلة ألا نختار الأولى، فإن الوصفان المرغوبان أحب من وصف واحد،وثلاثة خير من اثنين،ولكن إذا كانت جميلة غير ذات دين، وذات دين غير جميلة فمن تختار؟ فالاختيار النبوي لذات الدين وهذا الذي يجعل الله فيه الخير وهي التي يُجَمِّلها الله في عين الزوج، أما اختيار الناس الجميلة غير ذات الدين فهو الذي يعاني منه كثير من الأزواج اليوم.

وفي رواية لابن ماجة: (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة؛ إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله). وفي رواية للإمام أحمد سئل عليه الصلاة والسلام: أي النساء خير؟ قال: التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها وماله بما يكره).

فاعجب عزيزي الزوج، مما يكنزه الناس من متاع وحلي، وجواهر ولآلىء وأثاث ورياش، وانظر بعقلك الواعي إلى هذا المتاع الزائل واحرص على هذا الكنز الباقي الذي أرشدنا إليه الرؤوف الرحيم بصفاته الأربع في المرأة الصالحة:

١- فمنظرها جميل يسرك كلما رأيتها، فهي في جسمها إما جميلة، أو متجملة في ثيابها وهيئتها وزينتها، وكلامها، وقوامها، يضاف إلى هذا :

٢- طاعة للزوج المحب في غير معصية لله، تجعل حياته سعادة وطمأنينة، واستقراراً في نفسه يُضَمَّان إلى :

٣- أمانتها وعفافها وحصانتها إذا غاب عنها، فلا يقلق ولا يشغل باله حفظ ماله وبيته، وعرضه وسمعته ومن باب أولى إن كانت هذه صفاتها:

٤- أن تبرَّ قسمه إذا حلف .

والمرأة بهذه المواصفات هي أحد عناصر ثلاثة إذا توافرت للمرء حوى أسباب السعادة، كما أن فقد هذه العناصر شقاوة، وقد أشار إلى هذا الصادق المصدوق فيما رواه الإمام أحمد في مسنده عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح، ومن شقاوة ابن آدم؛ المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء).**

ومن الأوصاف التي رغب فيها الرسول الكريم في اختيار الزوجة صفة (الودود الولود) وهذا ما رواه لنا الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة)** والوَدُود المُحِبَّةِ لزوجها

وأهله، والولود غير العقيم التي لا تلد. وإن رغب الناس اليوم عن كثرة الأولاد بسبب قلة اليقين بالله الرزاق وعدم العناية بتربية الأولاد، كما يريده الرسول المربي ﷺ، فإن هذا ليس من سنته ﷺ وليس من توجيهاته الواضحة في هذا الأمر، والمرأة الودود الولود هي في الغالب البكر التي لم يسبق لها الزواج من آخر، وهي أجدر بأن يحرص عليها الشاب الذي لم يتزوج بأخرى، وإن كانت الثيب أيضاً لها من يرغب بها.[1]

وانظر إلى إرشاد المربي الشفوق سيدنا رسول الله ﷺ لبعض أصحابه وهو جابر بن عبد الله رضي الله عنه عندما جاء إلى النبي ﷺ يخبره بأنه تزوج امرأة ثيباً، فقال له عليه الصلاة والسلام: (فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك) ولكن جابراً رضي الله عنه أبدى عذره بأن أباه عبد الله بن حرام استشهد يوم أحد، وترك له أخوات بنات، فالمرأة الثيب أوفق لاستيعابهن والعناية بهن وتربيتهن، وذلك في قصة لطيفة تدل على رفعة خلق هذا الرسول الكريم وشدة تواضعه ومباسطته لذلك الشاب النابه المحب لرسول الله ﷺ جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

ويعلل الرسول الكريم ﷺ سبب حضِّه الشباب على الزواج من الفتيات الأبكار بقوله: (**عليكم بالأبكار، فإنهن أَعْذَبُ أفواهاً، وأَنْتَقُ أرحاماً، وأَرْضَى باليسير**) رواه ابن ماجة، ويفسر بعض المعاصرين هذا الحديث بأن البكر التي لم يسبق لها الزواج أرضى وأحب لزوجها من الثيب التي قد أَلِفَتْ زوجاً سابقاً قد لا تجد في اللاحق من الصفات التي أَلِفَتْها في زوجها الأول.. وإن البكر تكثر ملاطفة زوجها وملاعبته ومرحها معه، كما أن ريقها وطيب فمها يحقق لزوجها متعة عظيمة حين المعاشرة، ومن ناحية أخرى،

---

(١) قال الشافعي: تزوج رجل من الأعراب امرأة جديدة على امرأة قديمة، وكانت جارية الجديدة تمر على باب القديمة، فتقول:

وما يستوي الرِجْلان رجل صحيحة ... ورجل رمى فيها الزمان فشلت

ثم مرت بعد أيام، فقالت:

وما يستوي الثوبان ثوب به البلى ... وثوب بأيدي البائعين جديد

فخرجت إليها جارية القديمة، فقالت:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما القلب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبداً لأول منزل

(البدور ص٨٠)

فقد تكون عذوبة الفم دالة على حسن الكلام وقلة البذاءة والفحش مع زوجها لحيائها، ولأنها لم تخالط زوجاً قبله، كما أنها تكون ولوداً غالباً، راضية باليسير من العيش والنفقة والجماع، وأقل طمعاً، وأسرع قناعة، وأقل مكراً وخداعاً من تلك التي جربت الأزواج، فهي (أي البكر) على الفطرة لا تعرف حيلة، ولا تحسن مكراً [1] اهـ ومن أجل هذا وغيره، يوصي الرسول الكريم ﷺ بحسن اختيار المنبت الصالح والأرومة الطيبة، ويحذر من عكس هذا ومن ذلك:

١- ما رواه الطبراني والبيهقي عن أنس رضي الله عنه قوله ﷺ: **(من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي)** .

٢- وقال ﷺ فيما روي عن أنس رضي الله عنه أيضاً: **(من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسنها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحَصِّن فرجه، أو يصل رحمه، بارك الله له فيها، وبارك لها فيه)** رواه الطبراني في الأوسط، ورمز الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب لضعفه، ولكنه يتقوى بحديث:

٣- عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل)** رواه ابن ماجة.

وقد ذكر هذه الأحاديث الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب.

٤- وذكر في الجامع الصغير للسيوطي حديث: (تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم) برواية مالك والبيهقي. وساقه الحافظ العجلوني بهذا اللفظ: (تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم) وقال: رواه ابن ماجه، والدارقطني، والحاكم، والبيهقي عن عائشة - رضي الله عنها - مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم

(١) تحفة العروسين ص٨٣ بتصرف يسير .

ذكره بلفظ: (تخيروا لنطفكم، وانظروا أين تضعونها) برواية عمر بن الخطاب مرفوعاً، وبرواية أخرى عنه بلفظ (فانظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس) وذكر العجلوني ضعف هذا الحديث، ثم ذكر حديث عائشة - رضي الله عنها - مرفوعاً بلفظ: (تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن) وفي رواية: (اطلبوا مواضع الأكفاء لنطفكم فإن الرجل ربما أشبه أخواله) اهـ.

وقال ﷺ: (**إياكم وخضراء الدمن، قالوا وما خضراء الدمن ؟ قال المرأة الصالحة في المنبت السوء**). رواه الدارقطني وغيره، وذكر العجلوني في (كشف الخفا) بعض طرقه ورواياته، وذكره موقوفاً على سيدنا عمر رضي الله عنه بقوله: (إياكم وخضراء الدمن، فإنها تلد مثل أصلها، وعليكم بذات الأعراق، فإنها تلد مثل أبيها وعمها وأخيها) اهـ.

وقال ﷺ: (**لا تنكحوا القرابة القريبة، فإن الولد يخلق ضاوياً**). علق عليه صاحب تحفة العروسين بقوله (ضاوياً) أي نحيفاً، وذلك لضعف الشهوة، غير أنه يجيء كريماً على طبع قومه، ونقل عن ابن الصلاح قوله: ولم أجد لهذا الحديث أصلاً معتمداً.

وعن السبكي قوله: فينبغي ألا يثبت هذا الحكم لعدم الدليل، وقد زوج النبي ﷺ علياً بفاطمة - رضي الله عنهما - وهي قرابة قريبة.

فهذه توصيات باختيار المنبت الصالح والموضع الجيد لتربية الولد، فإن المكان الخبيث ينتج خبيثاً، كما أن القرابة القريبة قد تسبب بعض الأمراض في الأولاد أو الضعف في البنية، فالإبعاد في المصاهرة يقي هذا المحذور، والله تعالى أعلم ..

ومما يجب أن يلحظ أن قلة المهر من بركة المرأة؛ فقد وَضَّحَ ذلك الرسول المصطفى ﷺ بقوله: (أعظم النساء بركة أيسرهن صداقاً) أخرجه الحاكم .

وفي رواية للإمام أحمد: (أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة) وفي رواية للبيهقي (أيسرهن مهوراً) وفي لفظ (صداقاً) وكلها عن عائشة - رضي الله عنها - كما في كشف الخفا.

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن اختيار الزوج ليس بأقل أهمية من اختيار الزوجة، وحتى لا يكون الأمر علينا صعباً، فقد حسم لنا المربي الشفوق هذه المسألة، ولخص لنا أهم الصفات المطلوبة في الزوج الخاطب بقوله فيما رواه ابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض) وفي بعض ألفاظ الحديث: (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه).

وقد ذكرنا - آنفاً - أن القوة والأمانة هما خلاصة الخلق، ومجمع الفضائل، والدِّين أصل الكل، وكما ينظر إلى أرومة المرأة وأصلها ينظر بالأحرى إلى أصول الزوج وكرم منبته، وسمعة أسرته أيضاً، فإن دناءة الأصل لا تعطي كرامة الخلق والدين، ومن الخلق الفاضل، **عقل الرجل وفطنته**، فإن من تحجر فكره وضاق منظوره للأشياء، لا يستطيع أن يسوس نفسه فضلاً عن أن يدبر أمر أسرة، أو يستوعب أخلاق امرأة، **وسؤال الأقران** والأصحاب عن سلوك الشابِّ الخاطب قبل إعطاء الجواب بقبوله زوجاً أو ارتضائه صهراً،ويكون كذلك قبل **الاستخارة الشرعية** بالإصهار إليه، وإبرام عقد الزواج ..

والاستشارة للمؤمنين عن الخاطب وأحواله، **والاستخارة الشرعية** في أمر تزويجه، **سياجان للفتاة** من الوقوع فيما لا يحمد عقباه، والله الوكيل، وهو (نعم المولى ونعم النصير).

* * *

هل يخطب الإنسان لابنته رجلاً صالحاً؟

ولماذا لا يخطب، وقد قرأنا فيما مضى - آنفاً - كيف خطب ذلك الرجل الصالح في مدين لابنته الطيبة موسى عليه السلام، كما ورد في سورة القصص.

وكما فعل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما تأيمت حفصة من زوجها خنيس ابن حذافة السهمي، فيما رواه ابن سعد في طبقاته عنه قال: (.. فأتيت عثمان بن

عفان فعرضت عليه حفصة، قلت: إن شئت أنكحتك حفصة، فقال (عثمان): سأنظر في أمري، فمكثت ليالي ثم لقيني، فقال: قد بدا لي ألا أتزوج يومي هذا.

قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة، قال عمر: فصمت أبو بكر، فلم يرجع إلي شيئاً، فكنت عليه أوجد (أشد غضباً في نفسي) مني على عثمان.

فمكثت ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت حفصة علي، فلم أرجع إليك شيئاً، قال عمر: نعم. قال أبوبكر: إنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت (أي أجيبك) إلا أني قد كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها[١].

وكان هذا بعد وفاة رقية بنت رسول الله ﷺ زوجة عثمان، فأتى سيدنا عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: لقيت عثمان فرأيت من جزعه (حزنه) فعرضت عليه حفصة. فقال له النبي ﷺ: (ألا أدلك على ختن (صهر) هو خير من عثمان، وأدل عثمان على ختن هو خير له منك؟

قال عمر: بلى يا رسول الله، فتزوج النبي ﷺ حفصة، وزوج بنته (أم كلثوم) عثمان رضي الله عنه.[٢]

وكذلك فعل سعيد بن المسيب - رحمه الله - وكان من أكابر التابعين، لما ماتت زوجة تلميذه ابن أبي وداعة قال له سعيد: هل تزوجت بأخرى ؟ فأجابه التلميذ: ما عندي ما أتزوج به، وما أملك سوى درهمين، فقال سعيد: زوجتك ابنتي على درهمين، ثم أتى سعيد بابنته إلى دار صهره في مساء تلك الليلة، ولم يرض أن يبيت ليلة عزباً. [٣]

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ ص٨٢.

(٢) طبقات ابن سعد ج٨ ص٨٣ .

(٣) انظر القصة مفصلة في (بستان الأسرة) من هذا الكتاب .

فهل ستفعل أنت - عزيزي الأب الصالح - وتختار لابنتك التي ربيتها على الإسلام تربية فاضلة، هل ستختار لها زوجاً صالحاً وترسل إليه وتقول له: زوجتك ابنتي على ما معك من القرآن أو ما تملك من مهر؟ أظنك ستقول: إن ظروف مجتمعنا لا تسمح بهذا فإن صار بين الزوجين خلاف، ولو كان بسيطاً سيقول الزوج لزوجته: اذهبي إلى أهلك، فإن أباك هو الذي عرضك علي ولو لم تكوني كاسدة، ما عرضك علي، أو على غيري ! وأقول لك أيها الأب الصالح: إن كان الزوج الذي اخترته صالحاً فعلاً، فلن يفعل هذا، ولتتخَلَّص من هذه الظنون، إن غلب على ظنك صلاح رجل موافق لابنتك، فأرسل وسيطاً بينك وبينه يدله عليك، وبعد الاستشارة والاستخارة تزوجه إن شاء الله، وتتخَلَّص من العواقب التي ذكرناها. والله ولي التوفيق.

٢ - أمور لابد منها قبل عقد الزواج

فإذا جاء الذي نرضى دينه وخلقه، فهل علينا أن نسأل عن ماله ووظيفته ؟ ولونه وجماله ؟ أم نستخير الله سبحانه في الإصهار إليه بعدما تثبتنا بواسطة الاستشارة عن أخلاقه ودينه وعقله وتصرفاته ؟ نعم، علينا بعد الاستخارة والاستشارة أن نتوكل على الله في توثيق الصلة بينه وبين فتاتنا بعقد الزواج، ولكن هناك بعض الملاحظات إليك أخي العاقل، ولي الزوجة، فلتكن في حسبانك قبل عقد الزواج وقبل إعطائك الجواب لمن يخطب إليك بالقبول، فراعِها:

١- **إن الكفاءة بين الزوجين أمر مهم** وقد بحثه علماؤنا الفقهاء مفصلاً وقالوا: يجب تزويج المرأة من الأكفاء ويحرم على ولي المرأة تزويجها بغير كفء لوصية رسول الله ﷺ بذلك فيما يروى عنه بقوله: (لا تنكحوا النساء إلا من الأكفاء ولا يزوجهن إلا الأولياء).

وقد عَدَّ الشارع الحكيم الكفاءة لدوام استمرار الحياة الزوجية ولعدم انفصام عراها،والصفات المعتبرة في الكفاءة للمرأة ذكرناها في أول بحث الاختيار بأنه يجب أن يراعي الدين والنسب، وعدم العيوب المنفرة، ويجب أن نضيف اليوم أن التفاوت

الثقافي والعلمي بين الزوجين له أكبر الأثر في عدم السكينة والاستقرار، وإن كانت تراعى قديماً بعض الصفات التي تجعل الرجل كفئا للمرأة فإن الموازين اليوم يجب أن تراعى أيضاً فذلك أحرى أن يُمَتِّنَ عرى الحياة الزوجية ويعين على ديمومتها، وهذه تختلف من بلد لآخر ومن زمن لآخر.

ويذكر الفقهاء في هذا حديثاً لا يرتقي إلى درجة الصحيح يستأنسون به في موضوع الكفاءة وهو فيما روي عنه ﷺ؛ أنه قال: (قريش بعضهم أكفاء لبعض، والعرب بعضهم أكفاء لبعض، قبيلة بقبيلة ورجل برجل، والموالي (أي غير العرب) بعضهم أكفاء لبعض، قبيلة بقبيلة ورجل برجل إلا حائك أو حجام) رواه الحاكم.

وعلى فرض ثبوت هذا الحديث ففيه إرشاد لملاحظة الأوضاع الاجتماعية والقبلية والمهنية بين المتصاهرين، وواضح أن بعض المهن كان العرب يأنفون منها ويعدونها وضيعة كالحياكة والحجامة .. وإن تبدلت النظرة اليوم.

لأن قول الحق سبحانه: إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وقوله: أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون؟ هو فصل الخطاب في هذا الباب.[١]

٢- **وعلى كل حال للمرأة الحق في قبول هذا الخاطب ورفضه**، ولذلك لابد من استشارتها وعرض الأمر عليها فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**لا تُنْكَحُ الأَيِّم حتى تُسْتَأْمَرَ، ولا تُنْكَحُ البِكْرُ حتى تُسْتَأْذَنَ**، قالوا يا رسول الله وكيف إذنها ؟ **قال: أن تسكت**)

وروى مسلم أيضاً عن عائشة - رضي الله عنها - قالت سألت رسول الله ﷺ عن الجارية (الفتاة) يُنكحها (يُزوجها) أهلها أتستأمر أم لا؟ فقال لها رسول الله ﷺ: نعم تستأمر، فقالت عائشة - رضي الله عنها - فقلت له: فإنها تستحي. فقال رسول الله (فذاك إذنها إذا هي سكتت). وقد لا تستحي من الرفض قولاً لا سكوتاً وخاصة

(١) وانظر كتاب تحفة العروسين للشيخ الأهدل حفظه الله .

في زماننا هذا؛ ولهذا شاهد فعلته إحدى الفتيات زمن الرسالة حيث جاءت فتاة إلى النبي ﷺ تشتكي إليه بأن أباها زوَّجها من ابن أخيه (ابن عمها) ليرفع بها خسيسته (أي ليرفع منزلته بزواجه منها) فجعل النبي (لها الخيار في الموافقة وعدمها فأجازت ما صنع أبوها [١].

تحذير: إياك أخي المؤمن، إن رأيت إصرار ابنتك على الرفض لهذا الخطيب الذي تقدم إليها، أن تجبرها عليه، أو تستحي من أهله، من والده مثلاً، إن كان قريبك (أخاك، أو أختك) وتقول: أنا لا أُخَجِّل أختي أو أخي، فإن أمر الرضا فيه صلاح الزوجين والرفض وعدم قبول البنت له، ثم إجبارها عليه، فيه تحطيم مؤكد للأسرة، وللبنت، ونتيجة ذلك إما الطلاق، أو الأمراض العصبية لا سمح الله.

ولا نستطيع أن نقول: هذا الزمن لابد فيه من التصريح بالقبول أو الرفض قولاً لا سكوتاً؛ لأنه لا يزال هناك كثير من الفتيات والحمد لله يغلب عليهن الحياء، فيخترن السكوت علامة على القبول.

٣- **النظر إلى المخطوبة والخاطب:** ومن مقدمات الزواج التي تعين على إبرامه وتوثيق عقده، أو تُفْضِي إلى العدول عنه قبل إبرام ميثاقه، هو نظر كل من الخاطبين إلى بعضهما، وقد يستشكل بعض الناس هذا النظر، والله سبحانه يقول: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾ النور: ٣٠، وقوله سبحانه :﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ النور:٣١.

---

(١) رواه ابن ماجة، وانظر كتاب تحفة العروسين ص٨٩ وكتاب إرشاد الخاطب ص٢٦ .

وقول الرسول الكريم ﷺ: (النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة فمن تركها من خوف الله أثابه – جل وعز – إيمانا يجد حلاوته في قلبه) وقوله لسيدنا علي رضي الله عنه: (يا علي، لا تتبع النظرة، النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة) رواه الترمذي(١) .

والجواب صريح من الشفوق الرؤوف الرحيم، فإن النظر لأجل الخطبة مستثنى من هذه القاعدة الإيمانية التي هي سياج للمؤمنين من إطلاق الأبصار تسرح في وجوه النساء وتُحْدِثُ سُمَّها في القلوب، فإن نَظَرَ الخاطبِ لخطيبته بِنيَّةِ الزواج (بعد إبرام أمورها والاتفاق على شؤونها واستشارة المؤمنين عن دينه وخلقه) إمَّا أن يوقعَ في قلبه الميل إليها فيبرم عقد الزواج، أو يوقع الإعراض عنها وعدم القبول فيكون الرجوع عن الخطبة قبل توثيق العقد أهون على الطرفين من تحمل تبعات العقد ثم نقضه، روى ابن ماجة في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن المغيرة بن شعبة أراد أن يتزوج امرأة، فقال له النبي ﷺ: (اذهب فانظر إليها،فإنه أحرى أن يُؤْدَمَ بينكما) ففعل، فتزوجها فذكر من موافقتها له. وكذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أراد أن يتزوج امرأة من نساء الأنصار، فقال النبي ﷺ: (انظر إليها، فإن في أعين الأنصار شيئاً).

قال علماؤنا الفقهاء: إذا أراد الرجل خطبة امرأة جاز له أن ينظر إلى وجهها وكفيها بإذنها وبغير إذنها، وحتى ولو لم تَدْرِ هي؛ فقد روى ابن ماجة عن محمد بن مسلمة قال: خطبت امرأة فجعلت أَتَخَبَّأُ لها، حتى نظرت إليها في نخل لها، فقيل له: تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا ألقى الله في قلب امرئ خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها). (رواه ابن ماجة في سننه).

وقالوا أيضاً: (يجوز للمرأة أيضاً إذا أرادت أن تتزوج برجل أن تنظر إليه؛ لأنه يعجبها من الرجل ما يعجب الرجل فيها ..) ولهذا قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لا تُزَوِّجوا بناتكم من الرجل الدميم، فإنه يعجبهن منهم ما يعجبهم منهن).

(١) والحديثان وغيرهما في هذا الباب في الترغيب والترهيب للمنذري .

كما أن للخاطب أن يكرر النظر مرة ومرتين بهذه النية أيضاً؛ حتى يقع في قلبه القبول أو الرفض.[1]

أقول: وقد جرى الأمر اليوم في البيوتات الإسلامية المحافظة على دينها وأخلاقها، والتي لم تسفر نساؤها وبناتها عن وجوههن أن تجري الرؤية الشرعية للمخطوبة بحضور والدها أو أحد محارمها، فيراها خطيبها وتراه ويكلمها وتكلمه، وهي في حجاب الصلاة كاشفة الوجه واليدين فقط .ولا يغرنك عزيزي الشاب ما تقرؤه في بعض الكتب أو يقوله بعض من ينتسب إلى العلم بأن للخاطب أن ينظر شعرها ونحرها زيادة على الوجه والكفين، فإن الكاشفات للشعور والنحور،والأرجل والصدور، يملأن الشوارع!!. أما اللؤلؤ المكنون؛ فإنه مكنون في البيوتات المسلمة المحافظة على الدين والخلق والحشمة والشرف والحجاب.

التريث في إعلان العقد وتوثيقه: بعد الذي عرضناه من مقدمات الزواج وما ارتضاه أولياء الزوجين من الخاطب والمخطوبة، وبعد أن رأى الخاطب المرأة التي اختارها أو اختارها له أهله، وبعد أن جرى السؤال عن الأسرتين باستشارة أهل النصح والرشاد في أمر الخاطبين، وتمت في الغالب المفاوضة على المهر والأثاث وما يتبعهما من المسكن واللباس، فإن أمر إعلان العقد قد أصبح وشيكاً.

- وقد يستعجل الشاب، يريد أن يتجاوز كل هذه المقدمات والأسباب ويصل إلى يوم يوثق فيه اختيار أهله أو اختياره؛ بعقد الزواج؛ حتى لا يبقى أمامه مانع من لقاء فتاة أحلامه وشريكة عمره، ويريد أن يقفز فوق الزمان وفوق حواجز الأعراف والعادات ولكن قالوا قديماً: من صبر ظفر، ومن جاع أكل طيباً ..

- وقد ترى الفتاة أيضاً أن هناك أموراً لا لزوم لها يفرضها أهلها على من أحبت أن يكون فتى أحلامها، ويضعون الحواجز والعوائق أمام لقائهما ويبعدون زمن اقترانهما.

(١) وانظر هذا مفصلاً في الكتاب النافع (تحفة العروسين للشيخ الأهدل حفظه الله).

- فمهلاً عزيزي الشاب، غاليتي الفتاة، مهلاً، فإن الأمر ليس لقاءً مؤقتاً واجتماعاً عاجلاً، إنه حياة مديدة، وعمر طويل تنتج آثارها عليكما بالسعادة والهناء، والخير والبركة والبنين والبنات السعداء الموفقين إن شاء الله .

- ولما ذكرناه مفصلاً في الصفحات السابقة من عواقب ما تنتجه الزيجات السريعة من آثار ضارة على الزوجين والأسرتين؛ نتيجة عدم المعرفة بالواقع الذي عليه الزوجان (الخاطبان) فإن التريث والهدوء في عقد الزواج لاستكمال المعلومات واستشارة أهل الرأي والحصافة واستخارة الله سبحانه من قبل الزوج والزوجة وأهليهما؛ يوصل إلى الخير والتوفيق بإذن الله .

إرشادات للخاطب حول معاملته لخطيبته:

إذا قدر لكما الله سبحانه في مدة الخطوبة وبعد عقد الزواج - قبل البناء (الزفاف) - اللقاء والحديث، وأن تعرضا بعض آمالكما وخططكما المستقبلية لبناء الأسرة المرتقبة؛ فلاحظ عزيزي الزوج (الخاطب) ما يأتي:

١- أَشْعِرْ خطيبتك (زوجتك) أنها ستلقى الأمن والأمان لديك في عش الأسرة السعيد؛ لأن المرأة خلقت عاطفية أكثر من الرجل وتحب الاعتماد عليه، حدثها عن ذلك، ولتحس منك أنها ستجد هذا الذي تبحث عنه؛ فحاجة المرأة إلى الشعور بالأمان يجعلها أشد ارتباطاً بالزوج وسعياً نحو إرضائه، ولكن لا تكن كاذباً في وعودك ولا مخادعاً في حديثك.

٢- عليك إذا تحدثتما معاً أن تصغي لحديثها، وتقدر عواطفها، وألا تسفه اهتماماتها، ولا تعجب إن رأيتها تبكي أحياناً لسبب تجده أنت تافهاً، وتراه هي مهماً، فإن لدى المرأة قدرة تفوق الرجل في التعرف على مشاعر الآخرين، والإحساس بها ،وقد تأخذ بعض الأمور بعاطفة زائدة، وبدون تعقل ثم تندم على ما فعلت، فعليك ألا تسفه رأيها، ولا تذكرها بأخطائها ..

٣- كما أنها تحب الكلام والحديث إلى الرجل، ومعظم حديثها عن فلان وفلانة، وقد يكون فيه الغيبة، فعليك أن تعرفها إثم الغيبة وتلفت نظرها عنه بلطف مع بيان إثمه وعقابه عند الله سبحانه، كما أنها غيور فاحذر ذكر امرأة أخرى عندها بعينها، أو بأخلاقها إلا على سبيل التأسي بصاحبات الخلق الفاضل.

٤- كما أن عليك ألا تحدثها عما لا تحب، سواء ماكان في ماضي حياتها، أو ماضي حياتك، والحذر الحذر أن تجرها إلى حديث عما فعلت في مراهقتها أو فتوتها، ولتحذر هي أيضاً أن تحدِّثَ عما فَعَلَتْ، أو يتحدث هو عما فعل، فإنه إن كان في معصية، فعلينا بعد التوبة منها ألا نفضح أنفسنا بذكرها (إذا ابتليتم بالمعاصي فاستتروا) وإن لم يكن معصية، ولكن مما لا يفيدنا في بناء الحياة الزوجية، فالإمساك عنه، وعدم التحدث أولى، وأفضل .

ومن الإرشادات لما بعد الخطوبة :

٥- إن المرأة لا تحب غياب الرجل الطويل عن بيته، وتخاف من بُعْدِ الزوج عنها فلاحظ هذا، واجعل قسطاً من وقتك لمؤانسة زوجتك، وبالمقابل فعلى الزوجة أن تجعل نفسها وبيتها جذاباً لزوجها، يحب العودة إليه والراحة فيه لا مغادرته والفرار منه.

٦- كما عليك أيها الزوج الخاطب، أن تتذكر بعض المواقف والمناسبات والثياب التي تحبها زوجتك لما رأتك فيها، عليك ألا تنساها، بل تَجَمَّلْ لها كما تحب أن تَتَجَمَّلَ لك، ولتكن أناقتك، وبخاصة في الثياب والمظاهر التي تحبها زوجتك، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: (إني لأتجمَّل لزوجتي كما أحب أن تتجمَّل لي). [1]

فاذكر هذا، واحرص عند عودتك من عملك، بعد زواجك الميمون - إن شاء الله - أن تخلع ثياب المهنة، وتغسل يديك ووجهك أو تستحم إن اقتضى الأمر، وتلبس الثياب المناسبة لجلوسك معها على المائدة، أو في المنزل تقضيان بعض الوقت، أو تلاحظان فيه الأولاد ..

---

(١) – انتقينا بعض هذه الإرشادات من كتاب إرشاد الخاطب والمخطوبة ص٥٢ وما بعدها .

٣- مقدمات الإعلان (الدعوة إلى عقد الزواج).

وقد جرت عادة الأسر المسلمة، والحمد لله منذ القديم، منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا، بإعلان عقد الزواج ودعوة الأهل والأصدقاء، والجيران والأقرباء لحضور العقد، فيعلن عن موعده ومكانه، ويدعى إليه من ذكرنا، يُتَوِّجُ حضورَهم النخبةُ الصالحة من العلماء والفضلاء، ثم إجراء العقد أمام جمهور الحاضرين ليكون إشهاداً على الزواج وإعلاناً له كما يرى بعض الأئمة الفقهاء أنه لابد مع الإشهاد من أن يكون معلناً على ملأٍ من الناس، اتباعاً لوصية الرسول المصطفى ﷺ بهذا.

- ولذلك كان كثير من الصالحين يرغبون ولا يزالون بإجراء عقد الزواج في المساجد؛ ليحضره جمهور المسلمين الصالحين ويستمعون فيه إلى المدائح النبوية والأناشيد الدينية مع صوت الدف (المزهر) الذي هو رمز الإعلان، وامتثال أمر الرسول ﷺ بقوله: (أعلنوا بالنكاح، واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف) وفي رواية بالدف، رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها .

والعقد ميثاق غليظ كما قال الله تعالى: ﴿ **وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا** ﴾ النساء:٢١، فيبدأ ولي الزوجة، وهو غالباً والدها (أو أخوها أو جدها حسب درجات العصبة الإرثية) قائلاً للزوج الحاضر أمامه أو وكيله: (وبحضور الموظف المأذون من قبل قاضي شرع البلدة) زَوَّجتُك (أو زَوَّجتُ موكلَك فلان) موكلتي فلانة، على مهر قدره كذا ألف ليرة معجلاً مقبوضاً أو غير مقبوض ومؤجله كذا ألف ليرة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فيجيبه الزوج أو وكيله: (قبلت زواج موكلتك فلانة من نفسي، أو من موكلي) على ما ذكرت من المهرين المعجل والمؤجل على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبذلك يتم عقد الزواج، وقد شهد عليه الجمع من الفضلاء والصلحاء والأهل والأقرباء.

أهمية توثيق العقد في الدوائر الرسمية:

وعملاً بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ البقرة: ٢٨٢ فإن الحق سبحانه حضَّنا ورغَّبنا وطلب منا أن تكون كافة عقودنا ومدايناتنا وشراكاتنا وإيجاراتنا وكافة معاملاتنا المالية موثقة، ومن أهمها عقد الزواج .

وأحب أن أنبه هنا إلى هذه الناحية، فإن عدم توثيق عقد الزواج لدى الدوائر الرسمية المختصة (المحكمة الشرعية ودائرة الأحوال المدنية) يُسَبِّبُ كثيراً من المشكلات للزوجة وأهلها، وأؤكد على الآباء أنه مهما كان الزوج موثوقاً في دينه وأمانته ولو كان من الأقرباء ألا يكتفوا بعقد الزواج (العرفي) العادي (خارج المحكمة) بل عليهم ألا يقبلوا إلا أن يكون موثقاً ومسجلاً في الدوائر المختصة، وإن اقتضى الأمر السرعة وعدم التوثيق بيوم العقد لظروف معينة فمن اللازم توثيقه في اليوم الآتي مباشرةً، أو بأقرب فرصة، فإنه أضمن لحقوق بناتهم إذا حدث أي خلاف مع أزواجهن، كما أنه قيد وثيق للزوج؛ حتى لا يتخلص منه إذا كان في نيته السوء، أو كان ممن يتظاهرون بالصلاح وهو غير ذلك، فلقد رأينا آثار عدم التوثيق ضياعاً لحقوق الزوجة، وفيها من المشكلات والخصومات مالا يرضاه أهل الخلق القويم .

لذلك فإن العمل بالأمر الإلهي ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ... ﴾ فيه الضمان المالي على الأقل، والتخويف لمن أراد الاستخفاف بحق الزوجة.

وقفة عند المهر المقبوض وغير المقبوض (المعجل والمؤجل) وتنبيهات مهمة للزوجين:

قد يسخر بعض الشباب وبعض الفتيات من تسجيل المهر معجلاً أو مؤجلاً ومن كثرته أو جعله مقبوضاً، ومن إجراءات عقد الزواج، وما يتطلبه من إذن ولي الزوجة وموافقته الصريحة، وباقي الإجراءات الأخرى من الفحص الطبي، (فإن الفحص

الطبي الصحيح وليس الشكلي) لكلا الزوجين مهم وضروري لمعرفة ما إذا كان فيهما مرضٌ سارٍ، أو خفيٌّ يعيق أحدهما أو كليهما عن القيام بحقوق الزوجية فلينتبه لهذا، ولا يستخف به، وسلامتهما من الأمراض، حصانة لهما وللأسرة مستقبلاً وحاضراً، وكذلك إذن دائرة التجنيد لازم لتوثيق العقد في المحكمة.

لهذا كله أقول: مهلاً عزيزي الشاب، مهلاً غاليتي الفتاة،..

لا تسخرا، ولا تستخفا بما يضمن لكما بعض الحقوق وليس كلها، إذ إن الرجل الغادر الذي يخبئ الشر ويبطن المكر لكِ - غاليتي الفتاة - قد لا توقفُ شرَّهُ هذه القيود، ولكنها تُرْبِكُهُ وتجعله يفكر كثيراً قبل أن يجتازها ويقطعها، ومتى شعرتِ بمحاولة قفزه فوق هذه القيود ورغبته في توهينها وتقطيعها، فهذه نُذُرٌ تنبئُكِ بأنه ماكر غادر، فأَعْلِمي ذويك بها، ولا تخبئي عنهم شيئاً، ولو أغواك وأغراك بمعسول الكلام، وجميل الوعود .. **فافطني لهذا جيداً، وإياكِ من كتمانه عن أهلك ؟!**

وكذلك عزيزي الشاب، إذا شعرت بأن هذه المرأة تريد منك (مباشرة منها، أو بواسطة أهلها من ورائها) بعد عقد الزواج غير مادُوِّنَ فيه، وتريد أن تخصص هي، وأهلها بعض أموره وقيوده، فكن حذراً فإن وراءها من سيفسد عليك عيشتك، ويجعلك تسير على غير الطريق الذي اتفقتما عليه،فشاور أهلك ومحبيك (قبل إبرام أي أمر من تعديل المهر، أو الإضافة عليه).. **وقد لا يدري كثير من الأزواج ما معنى المهر غير المقبوض والمعجل والمؤجل، فلنتفهم حقيقة المهر وآثاره المادية والمعنوية في حياة الزوجين.**

إن المهر في حقيقته تكريم للمرأة، وليس شراءً لها كما يحلو لبعض الناس أن يعبر عنه، قال ربنا سبحانه: ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا** ﴾ النساء:٤.

فقد سمى الله سبحانه وتعالى المهر (صَدَاقاً) وجعله هدية، وهذا معنى (النِّحْلة) أي العطية، فهو قبل كل شيء تكريم للمهدى إليه، وليس لأحد أن ينزعه من الزوجة

فهو حقها، كذلك أوصى الله سبحانه في هذه الآية وفي آية أخرى بألا يمد أحد يده إلى هذا المهر فيأكل أو يتصرف فيه دون رضا الزوجة، قال تعالى كما مر معنا ﴿ ... وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ النساء: ٢١.

فالمهر إذن حَقٌّ لها قليلاً كان أو كثيراً، ولا يجوز لأحد قريباً كان؛ كالزوج أو الوالد أو الأخ أو بعيداً، أن يتصرف فيه أو يأخذه إلا برضا صاحبته المطلق، وكذلك فليس لأحد أن يحدد هذا المهر بحد معين، وإن كان الخير واليسر والبركة في عدم الكثرة كما ورد عن الحبيب المصطفى ﷺ (من يُمْنِ المرأة يُسْرُ مَهْرِها) وإن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أعلن أنه لا يجوز لأحد أن يزوج ابنته بأكثر من مهور نساء رسول الله ﷺ فقالت له امرأة سمعت خطبته: أنطيعك أم نطيع الله يا عمر؟ فقال لها: بل نطيع الله، فقالت: إن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ ... وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ فقال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر، وعدل عن تحديد المهور [1].

والمهر إما أن يكون معجلاً كله أو منه معجل (مقدم) ومنه (مؤجل) أي مؤخر.

فالمؤخر إنما هو تخفيف عن الزوج بسبب تأجيل قسم منه (لما بعد الوفاة أو الطلاق) وهذا من باب التيسير على الزوج؛ كيلا يدفع كل المهر معجلاً ..

وقد جرت عادة آبائنا الصالحين أن يشتري أولياء الزوجة بالمهر أثاثاً وحوائج يضعونها في بيت الزوجة إعانة للزوج الذي أنفق هذا المال وأهداه (نِحْلَةً) للزوجة، إذ قد لا يتيسر له المال الذي يفرش به بيته، ويكمل به متاع الأسرة الجديدة، وهذه خطوة فيها كل العون والنصح والرشاد ودلالة على محبة أهل الزوجة للزوج وعربون

---

(١) القصة بتمامها رواها الإمام أحمد بسنده والحافظ أبو يعلى بسنده إلى مسروق، وقال في نهاية الحديث: وإسناده جيد، ولكن دون قوله: أصابت امرأة وأخطأ عمر وانظرها بتمامها مع رواياتها في كتاب البدور في أحوال ربات الخدور، بحث المهر، ص ٣٩.

مناصحة وإكرام أن يجعلوا مهر الزوجة أو قسماً منه أثاثاً لبيت الزوجية يستخدمه الزوجان أول حياتهما.

أقول: جرى هذا الأمر مدة طويلة ولازال حتى الآن بعض الناس يفعلونه، وإن كان هذا الأمر غير واجب على الزوجة وأهلها ولا ملزم لهم، فإن المهر حق وملك للزوجة تصنع به ما تشاء، فلها أن تشتري به بيتاً تسكنه مع زوجها أو تؤجره لآخر، ولها أن تشتري به حلياً ذهبية تستعملها، ولها أن تتاجر به أو تضع قسماً منه في شركة... إلخ وليس لأحد ولو زوجها أو والدها أن يأخذ هذا المهر دون رضاها، كما بينا في الآيات، والأحاديث السابقة ..

وما يصنعه الناس اليوم من تدوين المهر المعجل غير مقبوض، فإن له حسنات وسيئات، وهذا يعود لنية الطرفين:

فمن إيجابياته: تسهيل أمر الزوج إن كان لا يملك المهر، فإنهم ييسرونه عليه، ويجعلون المعجل غير مقبوض، أي لا يطالبونه به ولا بشيء من الأثاث والفرش، فيجعل في بيته ما تيسر من الجهاز، والمهر ثابت في ذمته يدفعه عند الطلب.

ومن سلبيات هذا الأمر أن المرأة ولو زفت إلى زوجها وأصبحت في بيت الزوجية، فإن لها المطالبة بمعجل المهر غير المقبوض فإن لم يدفعه لها فلها أن تمتنع عن زوجها وتلجأ إلى أهلها أو إلى المحكمة مطالبة بقبض مهرها المعجل ولا تُعد ناشزاً (عاصية لزوجها) شرعاً ولا قانوناً، حتى يؤديها إياه، فإن لم يؤدها إياه وهذا طبعاً يكون بعد الخصومة، فإن القاضي يأمر بحبسه؛ حتى يؤديه ..

وأما المهر المؤجل: فهو غير مقبوض في كلا الحالتين، وتأخير قسم منه تيسير على الزوج، ولا تستحقه الزوجة إلا بعد وفاة الزوج أو طلاقه لها.

وأؤكد هنا: إن المهر قليله وكثيره، مقبوضه وغير مقبوضه ومؤجله ومعجله، هو ملك للزوجة، فإذا مات الرجل عنها، أو طلقها بعد أن تم عقد الزواج، ولو لم يدخل بها

(أي لم تزف إليه) فإنه حقها تستوفيه منه، أومن تركته وليس لأحد غيرها الحق فيه، ولها مع المهر (ثُمُن) التركة إرثاً إن مات الزوج، وكان له ولد، وإن لم يكن له ولد فلها (الربع) من تركته ماعدا مهرها.

فإن كان مهرها أثاثاً وضعته في بيت الزوجية، فهو لها ولاحقَّ لغيرها فيه، وإن كان مالاً نقداً فهو لها أيضاً تستوفيه إن كان غير مقبوض، مع المؤجل الثابت في ذمته.

ملاحظة مهمة: وأحببت أن أُذَكِّرَ بشيء مهم؛ لأنني سمعت في أثناء عقود الزواج أن المهر غير المقبوض (حبر على ورق) فليسجل أولياء الزوجة ما شاؤوا من المال !! فهذا الفهم خاطىء من وجوه عديدة:

١- إنه ليس حبراً على ورق بل هو وثيقة دين ممتازة مقدمة على سائر الديون يحبس بها الزوج إن امتنع عن أدائه، ولا تكون الزوجة ناشراً شرعاً وقانوناً - كما قدمنا - إن طالبت به وامتنعت عن معاشرة الزوج؛ حتى تقبضه.

٢- إنه يبين سوء نية الزوج وجهله بالأمور المالية والحياتية التي سيقدم عليها، معتبراً أن الزواج مغنم ليس فيه مغرم، وهذا خطأ كبير يقع فيه كثير من الناس فإن الزواج مسؤولية دينية ومالية واجتماعية قبل كونه متعة ولذة.

٣- إن نية الزوج عدم وفاء المهر لزوجته وعدم تقديمه لها عند الطلب والاستحقاق؛ إن هذه النية تجعله بمنزلة السارق بل والزاني فقد ورد في الحديث (أن رسول الله ﷺ قال: أيما رجل تزوج امرأة على ما قل أو كثر من المهر ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها خدعها فمات، ولم يؤد إليها حقها، لقي الله يوم القيامة وهو زان، وأيما رجل استدان ديناً لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه حقه خدعه، حتى أخذ ماله فمات ولم يؤد إليه دينه لقي الله سبحانه هو سارق)[١].

وحاشاك أخي المؤمن أن تنوي منذ الساعة الأولى من حياتك الزوجية أن تكون سارقاً لمهر زوجتك، أو تلقى الله زانياً، والعياذ بالله تعالى.

---

(١) - رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورواته ثقات، كما في الترغيب والترهيب للمنذري .

ضيافة العقد:

اعتاد الناس، المغالاة في حفلات العقد، وصرف المال الكثير عليها، وتركو الوليمة (الدعوة إلى الطعام) التي هي السنة وفيها البركة، فماذا ستفعل أنت عزيزي ؟!

لقد سرت سنة حسنة في مجتمعنا، وهي أن يقدموا هدية العقد كتاباً نافعاً، أو مصحفاً، فهذا أجمل وأفضل وهذا مما نوصي به ونحض عليه وليكن كتابنا هذا، أيضاً هدية، فهو مناسب لهذا الموضوع.

كما أحب أن أذكر أن الزهور التي تقدم وقيمتها تساوي عشرات أو مئات الألوف إنما هي إسراف وهدر، فلا مانع أن نذكر في بطاقة الدعوة الاعتذار عنها، وتقديم قيمتها إلى الجمعيات الخيرية، لقاء إيصال ويذكر ذلك في حفلة العقد، كي يقتدي به الناس، وكذلك في حفلة العرس، فأَوْصِ به، واحرص أيضاً على وليمة العرس ففيها البركة والخير.

٤- بعض الآداب بعد عقد الزواج :

عزيزي الزوج، غاليتي الزوجة، ها قد تم عقد زواجكما وقد أصبحتما زوجين بعد أن كنتما خاطبين بارك الله لكما وبكما وعليكما وجمع بينكما بخير وأنشأ منكما الكثير الطيب.

والآن أحب أن أقدم لكما بعض التنبيهات التي يجب معرفتها والاطلاع عليها؛ حتى تعلماها ولا يتنغص عيشكما بجهل بعض الواجبات أو تجاوز بعض المسؤوليات.

فلقد أصبحتما منذ هذه الساعة زوجين عليكما واجبات ولكما حقوق تجاه بعضكما بعضا وتجاه الآخرين، بدءاً من والديكما، وأبنائكما مستقبلاً، وجيرانكما، وأصدقائكما، وكافة الناس، فعليكما معرفة ذلك وإعطاء كل ذي حق حقه؛ حتى تتم لكم السعادة والهناء فإن من عرف ماله وما عليه، وأعطى لكل ذي حق حقه؛ سارت حياته هادئة مطمئنة بعون الله وتيسيره، وقد قال الحبيب المصطفى ﷺ: **(كلكم راع**

وكلكم مسؤول عن رعيته، فالرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والإمام راع ومسؤول عن رعيته) رواه البخاري .

أقول: بعد أن تم عقد زواجكما وصرتما شريكين في حياة مستقبلية هانئة - إن شاء الله - وقد وصلتما إلى هذه الساعة التي طالما انتظرتماها بفارغ الصبر، وأصبحتما تعيشان في ظلها، فهل هناك مانع من أن تجلسا معاً دون رقيب أو عذول، وهل لكما أن تخرجا معاً في نزهة، وتسيرا في شارع دون أن يقول لكما أب أو أخ: هذا ممنوع، ويجوز أو لا يجوز ؟! كمثل هذه الكلمات: (يا بنت أين تذهبين ؟ لماذا أكثرت الجلوس مع خطيبك ؟ لماذا تأخرت عن الحضور إلى المنزل ؟) وهل لك أن تتصرفي مع خطيبكِ الذي صار زوجاً (شرعاً وقانوناً) دون أن يكون لأحد تدخل في تصرفاتِكِ؟

وهل لك عزيزي الخطيب (الزوج) أن تأتي إلى بيت زوجتك التي لا تزال عند أهلها وتجلس معها وتأخذها في نزهة وتسافر معها دونما لائمٍ و لائمة، أو مانع أو مانعة؟

أخي الزوج الفطن، سوف تنسى من فرحة اللقاء بعد العقد في أثناء جلوسك مع عروسك في أبهى زينتها في هذه الساعة الحلوة التي طالما انتظرتها أن أحداً في الدنيا له حق عليك أو سبيل لمنعك من تصرف ما، وسوف تزداد لوعة الشوق في قلبك بعد ذلك وتفكر وتدبر أموراً كثيرة ..!!

ولكن أقول لك: مهلاً، فأنت لا تزال محكوماً بأعراف وعادات وتقاليد لا أقول عنها بالية ولا عتيقة ولا رجعية، عليك أن تراعيها وتراعي الناس الذين لازالوا يتمسكون بها فقد يكون بعضها لازماً لصيانتك وحفظك من ألسنة الناس وقالة السوء ..

فإن كانت أعراف بلدك لا تزال تحافظ على عدم خروج الفتاة المخطوبة (بعد كَتْب العقد) قبل الزفاف فالتزمها، وأسرع في تعجيل ليلة الزفاف؛ حتى تصبح شريكة حياتك في بيتك وليس لأحد عليكما سلطان، ولا لعين عليكما رقيب ..

فإنك عزيزي الزوج الخاطب، مطالبٌ أن تراعي أعراف الناس وتقتصد في خروجك ودخولك حسبما تسمح به تلك الأعراف؛ حتى لا تسيء إلى ذوي زوجتك

وتجرح شعورهم أو تحملهم مالا يطيقون من كلام الناس عنهم، وكذلك فإن خروج خطيبتك (زوجتك) معك قبل زفافها أيضاً مرهون بهذه الأعراف البلدية التي علينا أن نراعيها ما أمكننا، طالما أنها لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً، بل هي أشبه بالسياج للأعراض والمروءات .

وقد تقول: إنها زوجتي شرعاً وقانوناً فلماذا لا يتركوننا نفعل ما نشاء، وأقول لك: نعم، إنها زوجتك ولكن لا تزال لدى أهلها ولم تزفَّ إليك، وإن من كمال إعلان الزواج الذي يجري بعد العقد، أن تزفَّ إليك وتعمل حفلة العرس التي توازي عقد النكاح ويدعى إليها الناس، فذلك العقد (كتب الكتاب) في عرف الناس (**مقدم**) وحفلة العرس التي تزف فيها العروس إلى بيتك (**المؤخر**) الذي تستحقه أنت بعد عمل (**المقدم**) فهو لك خالصاً من دون الناس!

زهرة محفوفة بشوك:

وخلال هذه المدة مابين العقد والعرس، فإن لك أن تعيش أياماً هانئة سعيدة تشعر فيها بحرارة اللقاء ولذته مع عروسك، ومرارة البعد والصبر عنها وقسوته، ولك فيها أن تختبر أخلاقها، وأن تختبر أخلاقك تحت مظلة أهلها وأهلك وضمن آداب بلدتك وأعرافها ..

فكن عاقلاً، صابراً وحليماً حازماً؛ فإن التؤدة في الأمور خيرٌ كلها .. فإن وجدت بعد التردد إلى بيت أهلها، ومخالطة عروسك ومجالستها ومحادثتها أن الحياة لا يمكن أن تستمر معها، فاعلم أن لك أن تفصم عقد الزواج بالرضى والهدوء ودون مخاصمة وبالاتفاق مع أهلها فبيِّنْ لهم الذي تريد واتفقا على المخالعة (فسخ الزواج).

فإن تراضيتما عليها (المخالعة) فالمهر معجله ومؤجله والهدايا، والمِلاك بينكما حسبما تتفقان على أدائه كلاً أو بعضاً وبتراضيكما، وإن لم تتفقا؛ وكنت **قد خلوت بها**، ولو لم تكن بينكما معاشرة جنسية، فاعلم أنها تستحق المهر كاملاً، إن أردت طلاقها.

أما إن كنت لم تَخْلُ بها، فلها نصف المهر، وليس عليها العدَّة الشرعية، كما بين ذلك الحق سبحانه بقوله: ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾البقرة: ٢٣٦.

أي فلها نفقة تطيب خاطرها إن لم يكن قد سمى لها مهراً وطلقها قبل الدخول.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة: ٢٣٧.

ولا أحبُّ أن أُعَكِّرَ صَفْوَ حياتك بحديث الطلاق، ولكن أبيِّنُه لك، لأنه قد يحدث الاختلاف والافتراق قبل الزفاف، فإن كنت رزيناً هادئاً في معاشرتك لزوجتك المخطوبة بالمعروف تحت مظلة الآداب الاجتماعية وكنت متريثاً غير مستعجل، فلم تكن بينكما خلوة ودخول يوجب المهر كاملاً وأردتما الافتراق بالتراضي، فإن فراقكما لن يؤدي إلى جرح كرامة أهلها وإيذاء سمعتها، وبالتالي فإن أمامكما للفراق طريقين:

الأول: ويكون بالتراضي بين أهلكما، وتشاوران فيه أهل العلم.

الثاني: ويكون بالتقاضي، أي برفع الأمر للقضاء وأنا أنصحكما بالتراضي في حَلِّ الخصومة، فهو خير من رفع الأمر للقضاء وتوكيل المحامين، ودفع الأموال، وتزوير الحقائق ثم الفراق .. مع السمعة السيئة ..!! وعذراً من هذا الحديث، فإن مرارته كمرارة الدواء النافع عند اللزوم.

وإن ساءك هذا الكلام، فاضبط نفسك، وَزِنْ تصرفاتك بميزان العقل السليم الذي يهدي إلى الشرع المستقيم، وما قدمت لك هذا إلا لكي تضبط تصرفاتك ولا تسير وراء شهواتك، وما عليك بأس بمعرفة الخطأ لتجتنبه، والصواب لتتبعه، إذن فليكن هذا معلوماً لك، ونتابع معاً الحديث الذي يوصلنا إلى ليلة العرس المنتظرة.

٥ - ماذا أعددت لليلة العرس المنتظرة ؟

عزيزي، وأنت وهي تنتظران ليلة العرس بفارغ الصبر، بعد أن أتممتما تجهيز البيت أثاثاً وفرشاً ورتبتما كافة أموره بواسطة الأهل والأقارب، وأنهيتما شراء الحاجيات الصغيرة والكبيرة، التي تظنان أو يظن أهلكما أنها لازمة، ولم يبق عليكما إلا حجز (صالة الأفراح) وتوزيع بطاقات الدعوة لحضور العرس للرجال وللنساء، وإبلاغ أصدقائكم وأقربائكم الموعد المنتظر ..

وتمر الأيام بطيئة في نظرك - أخي الزوج - وتتذكر حاجة وتنسى أخرى، وتفطن على دعوة صديق أو رفيق عمل أو زميل دراسة، فتدعوه وتتذكر بعض الحوائج فتشتريها أو توصي بشرائها، ويزداد وجيب قلبك وقلبها وتضطرب أكثر عندما تحس أنك محجوب عن عروسك لا تراها، وتستبطىء ساعة اللقاء وتتمنى لو تقفز فوق الأيام والساعات التي تستحثها؛ لكي تتجاوز الزمن ثم تكون بجانب عروسك في ليلة الأحلام، ليلة اللقاء، فماذا هيأت لهذه الليلة ؟ وماذا أعددت لهذا اللقاء؟

ماذا تريد من عروسك أن تكون لك في تلك الليلة، وما بعدها؟

وماذا تريد عروسك منك أن تكون لها في تلك الليلة، وما بعدها؟

هل هناك مسؤوليات أمامكما؟ هل هناك واجبات عليكما؟ هل هناك حقوق لكما أو عليكما؟

وهل تعيرني سمعك أيها الشاب، وهل تصغين إلي أيتها الفتاة؛ لتعلما بعض الذي لكما وعليكما؟! فتبنيا حياتكما المستقبلة على أسس ثابتة راسخة وتؤسسا أسرتكما وبيتكما الجديد على ثوابت مستقرة، فتنعما بالهدوء والهناء، وتصنعا بيتاً يخيم عليه السرور والسعادة، وتكون حياتكما كلها شهر عسل دائم يجري عليكما خيره وهناؤه طول عمركما؟!

وحتى يحين موعد العرس (ليلة لقائكما على الخير) والسعادة والسرور، والمحبة والحبور، إذن فاسمعا مني أيها العزيزان ما يأتي: واقرأاه برويّة وتمهل، وإمعان وتفكر!

أولاً: من أجل سعادتكما المستمرة، ومن أجل ألا ينغص حياتكما منغص داخلي وكيلا يكون واحد منكما أيها العزيزان الزوجان قد تناول مِعْوَلَ هَدْمٍ ولو بسيط يحدث به شرخاً أو شَقّاً في الحياة الزوجية، عليكما أن تعلما علم يقين أن الرجل والمرأة (وبخاصة بعد أن أصبحا زوجين) كل واحد منهما مكمل للآخر، فالمرأة جزء من الرجل، والرجل مكمل لحياة المرأة. لا أقول هذا من باب الخيال ولا من باب العاطفة بل هذه حقيقة قررها الخالق الذي خلقهما وأبدعهما وصورهما، وقد قدمت لكما - عزيزي الزوجين العروسين - بعض الآيات التي قررها الحق سبحانه في كتابه، وهأنذا أعيدها عليكما؛ لتقرأاها بتدبر وروية قال الله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ النساء: ١.

وقال الله سبحانه: ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً**﴾ النحل: ٧٢. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الروم:٢١.

عزيزي الزوج، هل بعد بيان العليم الخبير بيان ؟ وهل بعد قوله تعالى قول ؟!

غاليتي الزوجة، إذا وعيتما هذا، وهو أن كلاً منكما جزء متمم للآخر، لا تكمل الحياة الهانئة في الدنيا إلا بلقائهما واقترانهما وزواجهما، لذلك فليحافظ كل منكما على الآخر، كما يحافظ أحدكما على يده ورأسه، وعينه وصدره.

وكل جزء من أجزاء جسمه، وليكن كل منكما للآخر إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

فإذا حدث خلاف بينكما مستقبلاً، أو خصومة، فليكن الحل لاعن طريق بتر الجزء المريض، بل معالجته ومداوته حتى يشفى، وكن أيها الزوج، واعياً لهذا، فإن مسؤوليتك أعظم، حيث إن الله سبحانه جعل لك القوامة على الأسرة والرياسة فيها، فلا تغفل عن هذا !.

ثانياً: إن راحتكما وسعادتكما وهناءكما هي بالزواج؛ لأن سكن النفس والجسم واستقرار العقل والقلب لا يكون إلا به، فعندما يكون الإنسان بلا زوجة، فهو غير مستقر من هذه الناحية، وقد وضح الخالق الحكيم سبحانه هذا في بيانه الرائع بقوله «لتسكنوا إليها» وكيف يسكن الرجل إلى بيت ليس فيه زوجة؟ وكيف يطمئن في حياته، ونصفه ناقص؟!

وكيف تستقر جوارحه وأعضاؤه المضطربة، وبعضها غائب عنه مفصول منه ؟! فلا غرابة إذن أن يسعى كل منكما نحو الآخر؛ ليجد لديه سكن نفسه وراحة قلبه، فحافظا على هذا السكن بدوام العناية به. وترميم ما خَلَقَ (بَلِيَ) منه وصيانة أمر السكن بما أمر به الحق سبحانه، وبما سار عليه الزوج المثالي خير الأزواج الحبيب المصطفى ﷺ.[1]

ثالثاً: إن الرباط الوثيق بينكما الذي لا ينفصم والذي يكسو الحياة بهجة وسعادة هو الحب الدائم الثابت (المودَّة) وهذا يخلقه الله سبحانه بينكما، فقوِّياه ولا تَفْصِماه، ولا تقطعاه، ولا تتسببا في توهين عراه، وتقويض حبال وثاقه.

كما أن الرحمة (الحب الممزوج بالحنان والعطف) هو الإطار الذي يلف حياتكما عندما تهدأ حرارة الحب أو تخبو جذوتها، فهذه الرحمة هي التي تستمر وتستقر إن هدأ الحب أو انطفأت جذوته، وهي التي ينمو عليها الأولاد والأحفاد، ويعيش في ظلها الزوجان بعد أن يبلغا من الكبر عتيا، ويشتعل الرأس شيباً.

فلا تنس – أخي الزوج أختي الزوجة – هذه الرحمة التي جعلها الله بينكما مع المودة أوثق رباط لحياتكما الأسرية حالاً ومآلاً ..

رابعاً: إن لكل منكما (الرجل والمرأة) خصائص، عزيزيَّ الزوجين، وجعل الله في كل واحد منكما صفات قد لا توجد في الآخر، مثلما توجد في شريكه .. وهذه نقطة

---

(١) – سوف ترى في القسم الثاني من هذا الكتاب أخبار الأزواج والزوجات في القرآن الكريم من الأنبياء، وزوجات الرسول ﷺ.

جدٌّ مهمة، وعلى غاية من الأهمية والخطورة، إن أنتما وعيتماها وفهمتماها، فإن الحياة الزوجية تستمر بينكما كأحسن ما تكون وأهنأ ما تكون، فاعرفاها ولاحظاها ألا وهي: **إن الله سبحانه خص الرجل بالأوفر من العقل، والأقل من العاطفة، وخص المرأة بالعكس من هذا، فجعلها أوفر عاطفة، وأدنى من الرجل عقلاً**، وهذا لعموم جنس الرجال وعموم جنس النساء، وقد يكون العكس أحياناً، لكن ليس من باب العموم بل من باب شذوذ القاعدة، فقد يكون بعض الرجال أقوى عاطفة وأقل عقلاً، والعكس لدى بعض النساء أيضاً أن يكنَّ أوفر عقلاً وأقل عاطفة، وبالطبع فإن هذا ليس كمالاً لكليهما ولكنه شذوذ عن القاعدة كما قلت ولله في خلقه شؤون، وهو الحكيم العليم.

وهذا الذي أقوله هو الحقيقة التي أشار إليها حديث الرسول المعلم ﷺ من باب تقرير أمر واقع نبهنا إليه لنفطن عليه، ولا ننساه، ونتعامل بواسطته في حياتنا الزوجية، وهو بعينه الكمال لكل من الرجل والمرأة؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام: (إن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع رأسه فإن ذهبت تقيمه كسرته، فاستمتعوا بهن على عوجهن) وفي رواية (وكسرها طلاقها، ألا فاستوصوا بالنساء خيراً).

وفي رواية للشيخين، البخاري ومسلم: (واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً) وقد يَعُد أعداء الإسلام هذا الأمر ثلمة أو نقصاً، ولكنه ليس كما يظنون بل هو تقرير واقع معيش وفطرة طبعية وإذا لفت نظرنا الشارع إلى بعض الأمور الواقعية لنحسن التعامل معها فهل هذا عيب؟ وإذا قلنا: إن المرأة في تكوينها الجسدي غير الرجل فهل هذا نقص؟ أم يريدون من المرأة ألا تحمل ولا تلد، ويريدون من الرجل هذا، إنهم يريدون المرأة متعة جسدية خالصة، ولا يريدونها زوجة صالحة، ولا أماً مربية؛ حتى يُقَوِّضوا بهذا أسس المجتمع المسلم الذي نحيا في ظله، ونصبح كمجتمعاتهم المنهارة التي فقدت حرارة العلاقات الإنسانية والأسرية وأصبحت حياة الرجل والمرأة على السواء؛ بحثاً عن المتعة واللذة يسعون إليها سعي الأنعام ..

ولنستمع إلى شرح هذا الحديث الشريف كما قرره أخونا الكبير العلامة الشيخ الدكتور نور الدين عتر في كتابه (دراسات في الحديث الشريف) فقال: وقد جاء نص الحديث بالتأكيد في ذلك فعبر: (استوصوا) أي أوصيكم فاقبلوا الوصية،ثم علل هذه الوصية المؤكدة ببيان سببها، وهو اختلاف نفسية المرأة عن الرجل، وبيان الفرق بينهما ويسمى ذلك في علم البلاغة حسن التعليل؛ فبَيَّنَ الأصلَ الذي خلقت منه المرأة وهو الضلع وهذا يتضمن تشبيه المرأة بالضلع، وهو تشبيه أمر معنوي بأمر حسي.

والغاية من ذلك بيان طبيعة المرأة ونفسيتها، وأنها عاطفية تخضع للعاطفة، وتتأثر بها أكثر من الرجل أما الرجل فطابع الفكرة العقلية أقوى فيه من العاطفة؛ فلا ينبغي إذن أن يتوقع إخضاع التعامل مع المرأة للمقدمات المنطقية، والاستنتاجات، لأن العاطفة اندفاع متأثر بالواقع، لا يخضع كثيراً للمحاكمات العقلية فكان واجباً على الرجل أن يراعي ذلك، ولا يلزم المرأة بطريقته في التفكير والتعامل.

وليس في هذا الحديث الغض من جانب المرأة، إنما هو بيان لواقعها،بل النبي ﷺ يثني على المرأة بتوفر العاطفة الإنسانية الدافقة، كما في الحديث (**خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده**) متفق عليه.

وفي بيان استنباطات الحديث قال العلامة الشيخ نور الدين عتر: أهمية المرأة في انتظام حياة الأسرة وسعادتها، وأنه لا يتم إلا باحتمال الرجل لامرأته، وإلا عَرَّضَ حياته للتعاسة أو لتفكك الأسرة، كما صرح في حديث مسلم: (فإن ذهبت تقيمه كسرته وكسرها طلاقها)[١] اهـ.

ولمزيد من الإيضاح أقول لك - أخي الزوج أختي الزوجة - إن كمال الرجل يكون في الحظ الأقل من عاطفته، وكمال المرأة في الحظ الأوفر من عاطفتها؛ فإن الرجل كما بينت في أول البحث يحتاج إلى الخروج من البيت والعمل وملاقاة الناس، فلا

(١) من كتاب دراسات منهجية في الحديث النبوي والأسرة والمجتمع (ص ٥٢) للدكتور نور الدين عتر ط جامعة دمشق ١٤٠٩ هـ.

تصلحه العاطفة، بل لا يصلحه إلا المزيد من العقل الواعي، ومعرفة كيد غالب الناس وشرور بعضهم؛ حتى يتجنب ما يوقعه في الغبن والغدر، والكيد والمكر. (١)

أما المرأة، فإن الذي يصلحها ويزيدها ألقاً وكمالاً هو هذا الحب المتوفر المنبثق من العاطفة التي تتمتع بها، فيحتاج إليها الزوج المتعب الذي يجدها سكناً وسكينة في بيته، وراحة وهدوءاً يحسُّ بها لدى زوجته، وأنساً ولطفاً تتحلى بها شريكة حياته، ويجدها الأولاد أماً حانية وسكناً لطيفاً ومأوى لا غنى لهم عنه، فهي التي حملت كرهاً ووضعت كرهاً، وهي التي تزودهم بهذا الحب، وتلك العاطفة الفياضة، وتربيهم وتسهر عليهم وتنظفهم، وترضعهم عطفاً ولطفاً، إلى أن يشُبُّوا ويكبروا على هذا العطف واللطف (الحب والحنان).

فإذا فهم الرجل هذا في شريكة حياته، وفهمت المرأة هذا في شريك حياتها وتعاملا على أساسه، فقد فَقِها بعض أسرار الحياة الزوجية، وأدركا جوانب ذات أهمية بالغة في بناء الأسرة واستمرار المودة والرحمة بينهما، إذ إن أغلب الخلافات والشقاق بين الزوجين ناتج عن عدم فهم هذه الناحية المهمة في طبائع الرجل والمرأة ..

---

(١) قال في كتاب إرشاد الخاطب والمخطوبة إلى الحقوق والآداب المطلوبة ما يأتي: الرجل يحتاج إلى الاحترام والتقدير أكثر من حاجة المرأة لذلك؛ لذا فهو حساس جداً تجرحه أي كلمة قد تسبب خدشاً لرجولته، أو يشعر هو منها بذلك الأمر، فعلى المرأة أن تبتعد عن كل ما من شأنه الانتقاص من احترام الرجل، أو ما يمكن أن يشعره بذلك، ولتعلم أن الرجل وتبعاً لما ذكرناه قليل الاعتذار عما يبدر منه من أخطاء؛ لأنه قد يعد الاعتذار أحد وسائل الانتقاص من الرجولة، لذلك كان على الزوجة أن تَعْذِرَ زوجها في هذا الأمر،ولا تحاول أن تجبره على الاعتذار على أمر ما بدر منه تجاهها، ولتتسامح معه، خصوصاً إن كان هذا الأمر لا يتكرر، وفي الحديث: (ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: (كل ودود ولود إذا غضبت أو أسيء إليها قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى) .فالمرأة بصفة عامة يسهل عليها الاعتذار بخلاف الرجل، وذلك للميل الفطري عند المرأة لكسب ود الآخرين، بخلاف الرجل الذي لا يعول كثيراً على هذا الأمر، فهو يصب اهتمامه حول ذاته، وتقدير الذات يمثل عنده الشيء الكثير. الرجل قليل الكلام، ولا يحب الثرثرة، ومعظم كلامه ينصب على الأشياء المجردة مثل الأفكار والمفاهيم، والمكسب والخسارة، والقيم والمبادىء، والأمور السياسية والعادات الاجتماعية ونحو ذلك، ولا يستهويه الكلام عن الأشخاص أو المحسوسات كثيراً، فحاولي أن تتحدثي معه بعض الوقت عن الأفكار، وما يحب أن يتحدث عنه، ولا تجبريه طوال الوقت أن يستمع إليك في حكايات طويلة عن الأصدقاء والأصحاب، ونحو ذلك حتى لا يمل ا هـ ص٥٩ – ٦٠.

بناءً عليه، فاذكر أخي الزوج، وصيته ﷺ بالنساء، عندما قال: (استوصوا بالنساء خيراً) وتذكر أيضاً أن قوله: (النساء شقائق الرجال) وصية بالغة لك؛ حتى لا يشتط بك التسلط، وتطغى بك الأنانية، ويستولي عليك حب الرئاسة فتريد من الزوجة أن تكون عبداً رقيقاً أو أجيراً وضيعاً، أو أسيراً مهيناً. تريد منها تلبية أمرك فوراً كأنها آلة إذا أدرت مفتاح التشغيل استجابت لك، كما تستجيب آلة التسجيل أو غسالة الأتوماتيك. أليس كذلك؟

لا لا، عزيزي الزوج، إنما هي مجموعة عواطف مشحونة بالرغائب والآمال، تنشطها الكلمة الطيبة من ثناء وشكر أو مديح وحسن ذكر، ويثبطها القول السوء، من سب أو شتم، وتحقير وضرب، وإعراض وسوء عتب، كما أن طبيعتها التي فطرها الله عليها بموفور العاطفة تجعلها لا تنسى سريعاً، كما ينسى الزوج الأسى والمصيبة، والحزن والكآبة، فلاحظ هذا.

عزيزي الزوج الغالي، تَعرَّفْ طبيعتها، واعذُرْها ونَشِّطْها، إذ إن طبيعة الدورة الشهرية تُمْرِضُها وتهدُّ عافيتها فاعذرها، في أثنائها ولا تكلفها إذا أتاها ما يأتي بنات جنسها من حيض أو نفاس، مما أعفاها الحق سبحانه في أثناء حصوله من أهم العبادات، فقد أسقط عنها الصوم والصلاة أيام الميعاد، وهما ركنان من أركان الدين؛ فكن ربانياً في تعاملك معها، ولاتكن نفسانياً شيطانياً، فإن المؤمن الفطن يتخلق بأخلاق الرب سبحانه كما أوصانا بذلك بقوله: ﴿ **وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** ﴾ آل عمران: ٧٩.

واذكر دائماً الوصية النبوية أنهن: (شقائق الرجال) واذكر أيضاً بخصوص هذا الموضوع قوله ﷺ: (**لا يَفْرَكْ مؤمن مؤمنة، إن ساءه منها خلق سره منها آخر**) ولا يَفْرَكْ معناه: لا يغضب منها ولا يحقد عليها، وليتذكر أن لها أخلاقاً حسنة وصفات صالحة تغطي هذا الذي ساءه وأغضبه، **وهذا لعمري قاعدة عظيمة، وإرشاد نبوي رائع، إلى حسن التعامل بين الأزواج ..**

ولتذكري عزيزتي الزوجة، أيضاً أن الرجل (زوجك) الذي تريدين تحميله مالا يطيق بشرٌ أيضاً يغضب ويرضى، ويتعب وينْصَب،ويحب ويكره،وأنه في بعض أموره قد يخرج عن طوره، وبخاصة إذالم يُستجبْ طلبه، أوكان في حالة التعب والإرهاق قادماً من عمله، أو كان في ذهنه أمر ما وحاجة إليك، إذ كان طوال يومه يهيء لها ويخطط من أجلها، ففاجأته بإبطالها، أو عدم استطاعتك لها، فأحْسِني الاعتذار، وقدمي من حسن التبعل ما ينسيه حاجته وعوضيه عنها خيراً منها، وأنت الفطنة الذكية واللبقة المحبة.

وقد يتجاوز زوجك حده في الغضب، فانحني عند العاصفة، وتلاطفي عند الغضب، واهدئي عند هيجان الحفيظة؛ وبكلمة ناعمة وبسمة رقيقة ومداعبة لطيفة بعد الغضب تنالين منه ما تريدين؛ لأن الغضب نار مستعرة، فأطفئيها بما قلت لك، ولا تؤججيها بعنادِك وصدِّك، ووقوفك أمامه كالنِّدِّ المُغاضِب، أو كالعدو المخاصم.

واذكري أيضاً محاسن صفاته، وجميل أخلاقه وتناسي ما يسوؤك منه؛ حتى تزول أسباب الخلاف، واذكري أن هذا الغضب من الشيطان قال الله سبحانه معلماً ومربياً لنا: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾ الأعراف٢٠١.

وقال سبحانه: ﴿ **وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾ فصلت: ٣٤،٣٥. فاستبدلي بسَيِّئَةَ الإعراض عنه والوقوف في وجهه، حسنة ملاقاته وطيب إرضائه، فإذا كانت الحسنة تجعل العدو البغيض صديقاً حميماً، فكيف بهذا الزوج الحبيب صديق الحياة وشريك العمر؟! فاصبري وتجملي بالقول والفعل؛ حتى تكوني من ذوي الحظ العظيم.

واذكري رحمة الله بك وبه، والرباط الوثيق الذي جمع بينكما، وما هي إلا لحظات، حتى تعود المياه إلى مجاريها وتهدأ العاصفة، وتنعمين وإياه بالنسيم العليل !..

خامساً: اذكر أخي الزوج أختي الزوجة؛ قبل لقائكما في ليلة العرس أن لكل منكما والدة تعبت وسهرت ليالي عليكما لم تنم فيها، اذكرا سهرها عندما يمرض الولد وتعبها عندما تحمله، وألمها عندما تضع وليدها، وكثرة انشغالها وضَرَّائِها في التنظيف والعناية والإرضاع والفطام، وطول سهدها في التربية والمداراة، وملاحقة أمر الأولاد، حتى كبر الولد وشب وصار فتىً يافعاً، وشاباً يانعاً، وكيف بحثَتْ واجتهدَتْ حتى اختارت له بنت الحلال التي سوف يضمها هذه الليلة إليه، ويترك حِجْرَ أمه وحنانها، فينسى في أحضان زوجته (المرأة الجديدة) حب أمه وحنانها (المرأة القديمة).

كذلك تذكري أختي الزوجة، أُمَّكِ التي عانت مثل ما عانت حماتُكِ، وجَهِدَتْ مثلما جَهِدَتْ أم زوجك.

اذكرا عزيزيَّ هذا جيداً، وفكّرا فيه ملياً فإنها سنوات غير كثيرة وتصبحين أماً وحماة فماذا أنتما صانعان؟

عزيزي الزوجين الكريمين، لا أذكر هذا لكما لأنغص عليكما ليلة عرسكما وشهر عسلكما، ولكن أذكِّرُكُما بالأم؛ حتى تعرفا قيمتها وتقدراها قدرها، وتنعما بالسرور المديد والسيرة الحميدة **فكن عزيزي الشاب الزوج** بارّاً بأمك منذ هذه الليلة وتعطَّف وتلطَّف معها ولا تقل لها: أف، فإن هذه الليلة ليلةٌ ذاتُ حساسية خاصة، فيها ترى الأم ثمرة الفؤاد (أنتَ) اقتُطِعَتْ منها ووُصِلَتْ بغيرها، فكن واعياً لما أقول فطناً لما أوصيك به، فزد حنانك وعطفك وبرك لأمك هذه الليلة وأطعها فيما لا يغضب ربك وفيما لا يكون ظلماً لزوجتك، وكن حكيماً في تعاملك معها، ومع زوجتك منذ تلك الليلة، وإلى ما بعدها.

وكوني غاليتي الفتاة (الزوجة)، أيضاً حكيمة في تصرفك واعتبري منذ اليوم الأول أنه قد أصبحت لك أم جديدة، ووالدة مع والدتك، فأكرميها وأعيني زوجك على برها وإكرامها وهيئي لها الهدايا اللطيفة دائماً والكلمات الحلوة الرقيقة، واعتبري **رضاها على زوجك ودعواتها له زاداً وخيراً وتوفيقاً لحياتكما ..**

واذكرا أيضاً الوالد، فقد أصبح لك عزيزي الزوج، والد جديد هو والد زوجتك، فعليك احترامه وتكريمه، كما أن أبا زوجكِ غاليتي الزوجة، أصبح أباً لك وعماً، فعليك إن كنت في بيته أن تتعهدي خدمته وإكرامه، وتحيته واحترامه هو وزوجته (حماتك) فإنك إن راعيت هذه الوصية وأَلَنْتِ الجانب وتلطفت بالقول، واجتهدت في خدمتهما مع خدمة زوجك، فقد كسبت قلبيهما، وحصلت على دعواتهما، وحبهما وبرهما، فكوني لهما بارة كبرِّك لوالديك وأكثر، وراعي راحتهما وابتعدي عما يزعجهما، فإن الكريمَ البارَّ هو الموفق، وإن خدمة الوالدين شرف، وطاعة الزوج دين، ومن أحب للناس ما يحب لنفسه، فقد استوجب حبهم وتكريمهم.

ومن العجائب أن بعض الأمهات - وهن قليلات - لا تروق لهن الحياة بعد تزويج أبنائهن إلا بأمر ولدها أن يضرب زوجته أمامها، وتستمتع هي بهذا الظلم؛ لترضي غريزتها غير الإنسانية، وكم شكت إلينا الزوجات من صنيع أزواجهن غير الشرعي هذا وهن في دار الغربة ولا حول لهن ولا قوة؟! فلا حول ولا قوة إلا بالله. ومن باب التذكير بالخير، والحض عليه أسوق لكما عزيزي الزوجين - قصيدتين - وأظنكما سمعتماهما منشدتين الأولى عن الأم، والثانية عن الزوجة، للأخ الصديق الشاعر المنشد محمد منذر سرميني - حفظه الله - حيث يقول عن الأم:

يا أُمي أنتِ سَقَيتيني لبنَ التَّوحيدِ مع الفِطْرَة
وغرسْتِ حنانَكِ في صَدْري من أولِ رَشْفِيَ للقَطْرة
ونَفَحتِ أريجَكِ إيمَاناً كالوَردِ إذا أَهْدى عِطْراً
مَنْ مثلُكِ يا أمي قَدْرًا ؟! أقدامُكِ تاجٌ للغرَّة

* * *

مَنْ غيرُك يا أُمي يَقِظٌ في الليلِ إذا هَجمَ الكرْبُ
مَنْ مثلُكِ يا أُمي قَلِقٌ من دَائِيَ إن عَجزَ الطِّبُّ
لو صحَّ سُجُوديَ يا أُمي في حبُّك ما امتنَعَ القَلْبُ

* * *

فِـي حقـِّك آيـاتٌ تُتلـى مـرَّ الأيَّـام: (ووصَّيـنـا)
لا يَـقـدرُ أحـدٌ إيفـاء لحقوقِـك مَهْمـا أَدَّينـا
لكنَّ فـؤادك إحسانـاً كم يرضى عنـا وعلينا

* * *

وأما عن الزوجة الصالحة، فإليكما ما قال :

رسـولُ اللَّهِ قَدْ سَنَّ الـزواجَ لكثرَةِ النَّسلِ
فبادِرْ يا أخا الإسْلامِ واخْطُبِ ابنةَ الأَصْلِ
يـزيِّنُ قَدَّهـا دِيـنٌ كسَاهـا حُلَّةَ الفَضْلِ
وأَعْطَى طِيبُ مبَسْمَهِا عبيرَ المسكِ بالقولِ
فـتـاةٌ قلبُها سَـكَـنٌ يضـمُّ الـزوجَ في حِلِّ
حباها الدينُ أجنحةً تطيرُ بها إلـى عِلِّ
جـنـاحٌ كلُّـه أدبٌ ولـطـفَ عـزَّ عَـنْ مثلِ
وجُنـحٌ إن أتـى ليلٌ رأيـتَ الـنورَ في الليلِ
تـراهـا في تَبَتُّلِها مَـلاكاً طـافَ من حَولِي
تُصلي الليلَ خلفَ الـزوجِ تدعو اللَّه في ذلِّ
كتابُ اللهِ شاغلُها لكي تنـأى عن الجهلِ
ترى إن أنهتِ الأعمالَ ضمن البيتِ في شُغلِ
إلـى الـقـرآنِ تـرتـاحُ وتـتـلوه عـلى مَهْـلِ
فيخشعُ قلبُها حِيناً وطـوراً شَوقُها يغلِي
لما في الآي من سحرٍ لـرانِ القلبِ كم يَجْلِي

تُـؤَدي واجـبَ اللـهِ وتُـرضِـي الـزوجَ بالفعلِ
أَلَــذُّ سُـوَيْـعَــةٍ لَمَّــا تُــهـيِّـئُ راحــةَ الـبَـعْــلِ
تُحَـاولُ دائماً حباً لغرسِ الحبِّ في الأهـلِ
تـعـينُ الــزوجَ كـي يـرقَـى لـبـرِّ الأمِ بـالـوصـلِ
فتغدو فـي أَصَـالَـتِـهـا إليهـا الـكلُّ فـي مَـيْـلِ

* * *

كلمات من دم ودمع:

وبما أن الحكمة ضالة المؤمن، حيثما وجدها التقطها، فقد أعجبني هذا المقال المناسب لموضوعنا وهأنذا أثبته بحروفه من مجلة العربي الكويتية [١] بعنوان: (كرامة أم) نشر في الباب الثابت من عناوينها وهو مناسب أيضاً لكتابنا وعنوانه: (مساحة ود) وإليك هذا المقال بحروفه:

عندما كنت صغيراً يا قرة العين، لم تكن ترضى بابتعادي عنك ولو للحظة واحدة، كنت تلاحقني من حجرة إلى حجرة، وتمسك بثيابي وتشدني؛ كي أبقى بجانبك؛ لنلعب ونلهو ونحكي ونضحك ..

عند خروجي كنت تثور، وتصرخ إلى أن أعود فتعاتبني وتبكي على صدري وترجوني ألا أتركك مرة أخرى فأضمك إلى أحضاني وأقبلك وأشرح لك أن الضرورة هي التي أخرجتني وإلا لما كنت تركتك لتحزن وتبكي.

وكثيراً ما اعتذرت وتأخرت عن الدعوات والمناسبات؛ لأبقى بجانبك ولا أقلق ببعدي عنك ..

وكثيراً ما كنت تصحو ليلاً، وتبكي فكنت أنتفض وأنهض عن سريري؛ لأحملك

(١) عدد (٥٥٦) محرم١٤٢٦الموافق آذار٢٠٠٥ص (١٧٨) الكاتبة رانية عبد الرزاق من الكويت .

على كتفي إلى أن تهدأ وتنام فأضعك على سريرك برفق وأقبل خصلات شعرك بحنان، وأتلو عليك ما استطعت من آيات الحفظ والأمان .

أما عند مرضك، فلم تكن عيني تعرف معنى المنام، وكلما رأيت قواك تخور أمامي كنت أنهار وأصلي لله وأطيل السجود، متضرعة له بأن يشفيك ويقويك .. ما شكوت يوماً سهر الليالي وتعب الأيام، وما توانيت لحظة عن القيام بحقك وتلبية رغباتك، ولم يشغل خاطري أبداً قلق منامي ووهن عافيتي، كل ما أردته هو سعادتك وتوفيقك .

وتحقق حلمي، وأنا أراك اليوم رجلاً ناضجاً قوياً .. ناجحاً سعيداً . أما أنا، فقد هرمت، واعتلى الشيب رأسي .. ورسم الزمان تجاعيده على وجهي، وبدأت الأمراض تسلك دربها إلى جسدي .. وتوقعت يا قرة العين، منك الحنان والاحتواء ليس رداً للجميل، فما فعلته كان واجبي ولا أنتظر له شكراً ولا عرفاناً . توقعته لأجل الحب الذي جمعنا والدم الذي يجري في جسدينا، توقعته لأجل السعادة التي عشناها وعشرة السنين التي طالت واقتسمناها .

وتحدَّر الدمع من عيني، واختنقت العبرات في صدري حين وجدتك تتضجر من كلماتي وتتأفف لكبر سني وتتهرب بأعذار واهية؛ لتبتعد عني وعندما يشتد مرضي أعرف بأنك بينك وبين نفسك تتمنى لي الموت وتعجيل خاتمتي ..

بني الحبيب،.. لا تقلق عليَّ ولا تضيّع وقتك الثمين بجانبي، فمن الواضح أنك تجاملني ولحظاتك لم تعد تسعني. ارحل يا قرة العين، ولا تتكلف محبتي وحين تشعر بأنك مشتاق إليَّ فعلاً تعال؛ لأضمك من جديد إلى صدري.

ارحل، وسأطلب من الخادمة أن تتصل بك حين يأخذ الله وديعته ويقبض روحي ..

ارحل، فالله غني عنك وأحن منك وهو الباقي لي بعد فراقي للدنيا وبعد فراقك. ا هـ

سادساً: هذا الذي ذكرته آنفاً إنما هو من طاعة الله سبحانه وابتغاء مرضاته وطلب لطفه وتوفيقه، ولا يكون هذا إلا بتحَرِّيكما عمل ما يرضيه سبحانه، والبعد عن

معصيته، ألا فاعلما أن خشية الله سبحانه أهم من خشية غيره قال سبحانه :

﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ المائدة:٤٤. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ التوبة:٦٢. لذا فليكن رائدكما بُنْيَانَ حياتكما، ومنذ الليلة الأولى، على طاعة الله سبحانه والبعد عن معصيته قال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُم﴾ التغابن:١٦. فاحذرا أشد الحذر أن تبنيا حياتكما الجديدة على معصية الله سبحانه، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ التوبة:١٩.

وعليه، فليلاحظ أن العرس وهو ليلة البناء الأولى في حياة الأسرة، واللبنة الأولى في بنيانها، يجب أن يقوم على طاعة الله ومرضاته لا على معصيتهِ وغضبه، فليقرأ هذا الآباء والأزواج والأمهات والبنات والزوجات والأخوات والخالات والعمات، فإن الفرح لا يُعد فرحاً إذا كان على معصية الله وغضبه، وكيف يفرح العاقل بإغضاب من له عليه واجب الطاعة وله المنة والفضل بالنعم والرزق، والمدد المتواصل بالعناية واللطف، وكيف يمكن للعاقل الفطن، والمؤمن التقي أن يجعل فرحه بمعصية الله؟

فاحذر أخي المؤمن من إقامة العرس على المعصية وغضب الله فإن المؤمن يفرح بما شرعه الله سبحانه، ولا يظنُّ ظَانٌّ أن الأعراس يجب أن تقام على غضب الله، بل إنها تقام على طاعة الله ومرضاته، والعرس الإسلامي أهنأ ولله الحمد وأكمل وأجمل من أعراس الذين لا يقيمون لرضا الله سبحانه وزناً، فيؤسسونها على الخمور والفجور والمعازف والطبول وآلات اللهو وغضب الله وسخطه ..

أما المؤمن المحب لله، فإن في أعراس المؤمنين له فسحة، فالأناشيد والأغاريد وضرب الدف (المزهر) ورقص السماح ورقص الرجال، ولعبهم بالسيوف والدرق، كل ذلك وارد في الأعراس التي يقيمها المؤمنون ويفرحون بها ويسرون، وكذلك بالنسبة للنساء، فلهُنَّ أن ينشِدْنَ ويزغرِدْنَ، ويفرحْنَ ويَهْزُجْنَ، مع ستر العورات عن بعضهن، وعدم كشف ما لا يحل، ولا مانع من ضرب المزهر والغناء الذي لا فحش فيه، ولا رفع

صوت يسمعه الرجال الأجانب، ألا فَلْيلاحَظْ هذا في أعراس النساء ! وليكن الصوت غير مسموع، والزينة غير ظاهرة لمن لا تحل له ..

وقد استأذنت السيدة عائشة - رضي الله عنها - زوجها رسول الله ﷺ في حضور عرس من أعراس الأنصار، فأذن لها وقال: (يا عائشة، ما كان معكم لهو ؟ فإن الأنصار قوم يعجبهم اللهو، وفي رواية (فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني ؟ فقالت عائشة: نقول ماذا يا رسول الله ؟ قال: قولي:

أَتَينـاكُم أَتَينـاكُم فَحيُّونا نُحيِّيكُم

ولولا الذهبُ الأحـ ـمرُ ما حَلَّتْ بواديكم

ولولا الحنطةُ السمراءُ ما سَمِنَت عَذارِيكم

أي أنشدي ما ينشده الناس من هذه الأهازيج والأغاريد التي يظهر فيها المرح والفرح، ثم قال لها: هذا ليعلم اليهود أن شريعتنا سمحة، وأن في ديننا فسحة. ألا ما أعظم هذا المعلم المربي عليه صلوات ربي وسلامه عليه الذي يعلم أم المؤمنين كيف تشارك في أعراس المسلمين، وتدخل على قلوبهم الفرحة والسرور ..

وهذا الأمر، أمر العرس وإقامته على طاعة الله سبحانه يُهَيَّأ له قبل أيام، ويتفق بشأنه مع الأهل والأصدقاء، ويوصي به من يقوم على أمر النساء من أخوات وعمات وخالات، معلنين للمدعوات بأن عرسنا سيكون - بحمد الله وفضله - خالياً من كشف العورات وارتكاب المحرمات وسماع آلات اللهو والمعازف التي حرَّمها إسلامنا، ونهى عنها ديننا، وحذَّر منها رسولنا الكريم ﷺ حينما قال محذراً: (لَتَسْتَحِلُّ أمتي الحِرَّ الحرير والخمر والمعازف) والحر: الزنا، رواه البخاري.

وإذا علم المدعوون أن القائمين على العرس ملتزمون بآداب الإسلام، وأن العروس هي التي تطلب هذا مع أهل زوجها، وهم يستبدلون بالمعازف الدُّفَّ المأمور به فإن هذا يكون دعوة عملية وإرشاداً للناس إلى الخير والحق، وبأنه من الممكن أن يقام العرس

على طاعة الله، وأن يُسَرَّ الحضور به، ويفرحوا ويكون حضورهم طاعة لله؛ لأن فيها إدخال السرور على قلب الأهل وامتثال أمر النبي ﷺ بالإنشاد اللطيف البريء من الكلمات المبتذلة والمعاني السافلة التي تروج بين من لا يلتزمون الخلق والدين .

وقد أصبحت - والحمد لله - أعراس المؤمنين للرجال وللنساء تقام على طاعة الله ورضوانه في طول البلاد وعرضها، ولم يبق هناك مشكلة في استبدال الذي هو خير بالذي هو أدنى.

سابعاً: وغَنيٌّ عن هذه التوصية عزيزي الزوج، أن أذكِّرك بألا تطيل على نفسك وإخوانك في السهر ليلة العرس، فإن الكاملين من المؤمنين قد عرفوا قيمة الوقت، وأصبحت الحفلات تختصر في أكثر البلدان، فيكتفي فيها بساعتين أو ثلاث يمرح فيها الشباب ويفرحون مع المنشدين، وتلقى فيها الكلمات الملائمة لهذه المناسبة، ثم ينفضُّ الجمع وتُزف العروس إلى عريسها وقد بقي لديه شيء من الراحة ولم يستهلكها تعب يوم العرس وليلته، فيجلس فيها بعد انتهاء العرس مبكراً مع عروسه بين والديه ومحارمه فقط، ودون أن يكون معه كعادة الجاهلية إخوته أو بنو عمه، فإن هذا الأمر من (**دخول الأخوة وأولاد العم مع العريس على عروسه، يأباه المسلم الغيور كل الإباء ويرفضه كل الرفض بعد أن حذر منه الرسول الكريم ﷺ بقوله:** (**إياكم والدخول على النساء، قالوا: يا رسول الله أرأيت الحَمْوَ (أقارب الزوج) قال: (الحمو الموت)** فهذا في غير حالة العرس منهي عنه ومحذر منه، فكيف في ليلة العرس والعروس بأبهى زينتها هي وقريبات الزوج وأصدقائهن؟ فإن هذا يأنفه طبع المؤمن الغيور على عرضه ودينه، وقد امتنع عنه الشباب المسلم والحمد لله على ذلك.

ثامناً: كما أحذرك أشد التحذير أن يرد على لسانك ما يفعله جهلة الناس، ويتلفظون به في حال مزاحهم وأحاديثهم من حلف بالطلاق قبل الزواج وبعده، ألا فابتعد عن هذا، واعلم أن الطلاق يمين الفساق، وأن التقيَّ العاقل لا يحلف بالطلاق، ولو كان لتأكيدِ فعل يريده أو لتشديد النهي عن أمر يكرهه من زوجته أن تفعله، ألا فاعلم أخي العاقل، أن التلفظ بألفاظ الطلاق، ولو كنت مازحاً، فإنها تنتج آثارها،

وهي كاللعب بالنار، أو القرب من الألغام والمتفجرات؛ فكن حذراً من التلفظ بألفاظ (الطلاق والحرام) فإن الشارع جعلها حلاً لمشكلة عدم استمرار الحياة الزوجية، وليس يميناً لتأكيد الأفعال، وإنما تكون بعد التروي والهدوء، فيتلفظ الزوج بلفظ الطلاق ولمرة واحدة فقط بعد أن يكون عزم على فراق زوجته وعرف أنه بذلك اللفظ سيفارقها ويؤدي إليها حقوقها من المهر المعجل والمؤجل ونفقة العدة ..

لذلك أحذرك أخي الزوج العاقل الفطن من هذا كله، ولا تقل: إني تلفظت بالطلاق في حالة الغضب، وسأذهب إلى عالم يحللني من يمين الطلاق، فإنك ستفرِّطُ بحقٍ جَعَلَهُ الشارع لك، إذا استعملته في غير موضعه، وكثير من الناس تجري ألفاظ الطلاق على ألسنتهم بطريق اللغو أو الغضب من فعل قامت به الزوجة، أو للنهي عن أمر لا يريده الزوج منها، أو يعلِّقُون الطلاق على أمر تفعله كقوله لها: إن فعلت كذا فأنت طالق أو إن لم تفعليه فأنت طالق، أو عليه الحرام إن فعلت كذا، فكل هذه الألفاظ خطرٌ عليك وعلى حياتك الزوجية، ومهما تلفظت بواحد منها فوقع الأمر المنهي عنه فقد وقع الطلاق مرة وبقي لك مرتان فإن حلفت بالثلاث فقد وقع الثلاث، ولا تغتر بقول من يقول: إن الثلاث إن كانت للتأكيد فهي يمين وكفارته كفارة اليمين، فإن جمهور علماء المسلمين من الأئمة الأربعة يوقعونه ثلاثاً، إلا من خالفهم وشذ عنهم.

وعلى كل حال، فإني أحذرك أخي المؤمن، من هذه الألفاظ في حال الغضب أو الرضا والمزاح والجد، وإن وقع معك شيء من هذا، فاسأل عالماً تقياً ممن يُعْرَفُ بعلمه وتقواه وصلاحه، أو راجع دائرة الإفتاء في بلدك مستفتياً عما وقع منك ..

وأخيراً: لا أحب أن أعكر عليك صفو أحلامك السعيدة، وأنت تتهيأ لليلة العرس المنتظرة، ولكن هذه تنبيهات وملاحظات أقدمها بين يدي زواجك وقبل أن تبني بزوجتك وتنتظر وإياها ليلة العرس المرتقبة.

تاسعاً: تذكر أخي الزوج، أختي الزوجة، أنه لابد لكل جمع (اثنان، فما فوق) من أن يكون لهم أمير مسؤول عنهم يدير شؤون اجتماعهم وافتراقهم وحياتهم في لقائهم

وغيبتهم، وقد أعطى الله سبحانه هذه المسؤولية والإمارة للرجل، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا ﴾ النساء:٣٤.

لذلك عزيزتي الزوجة، فقد أراحك الله من هذه المسؤولية (القوامة) لتتفرغي لما هو أهم منها، ألا وهو كيف تجعلين بيتَ الزوجية (جنةَ الدنيا)! كيف تأسرين قلب هذا الرجل الذي مضى عليه سنون، وهو يحلم بك ملكة بيته، وأميرة أحلامه، وعروس حياته ؟ كيف تجعلين هذا الرجل الذي أوقع الله سبحانه حبه في قلبك، وحبك في قلبه وربطكما بالمودة والرحمة؟ كيف تجعلين بيته أحلى بيت في عينه، وتكونين أجمل امرأة في نظره؟!

أتظنين أن الزوج المعلم رسول الله ﷺ لم يرشدنا إلى ذلك قولاً وفعلاً ؟! بلى إنه أرشدنا فعلاً بأن كان أعظم زوج بل خير زوج عندما قال: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) وعندما حدثتنا كتب السيرة أنه كان أوفى الأزواج لزوجته الأولى خديجة التي ملكت وملأت حياته حباً وعطفاً ومناصحة ولطفاً، ومعاونة على أعباء الحياة، كانت له أعظم زوجة في الدنيا؛ في أشد ظروفه التي عاشها في مكة يتحمل إيذاء المشركين وصدهم وعداوتهم وسخريتهم وتكذيبهم، فكانت تمسح بيدها الحانية تعبه وبكلماتها العذبة ألمه ونصبه،وكانت بحسن تبعلها وجميل تعاملها تنسيه كل ما يلقى من المشركين من أذى، وكان أفضل وأوفى زوج لها حتى إنه كان يذكرها بعد وفاتها متأسفاً على أيامها، مترحماً عليها، يملأُ قلبه الحنين إليها، والوفاء لها، روى الإمام أحمد بسند جيد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة، أثنى عليها، فأحسن الثناء. قالت: فَغِرْتُ يوماً، فقلت: ما أكثر ما تذكرها! حمراء الشدقين، قد أبدلك الله خيراً منها،

قال: «لا. ما أبدلني الله خيراً منها، لقد آمنت بي وكفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها، إذ حرمني الناس، ورزقني الله تعالى أولادها، إذ حرمني أولاد النساء» أخرجه الإمام أحمد (ج٦ ص ١١٧). (١)

(١) - وانظر في القسم الثاني من هذا الكتاب: زهرات من بساتين رسول الله ﷺ سيرته مع زوجاته الطاهرات وقصة زواجه بكل واحدة منهنَّ .

لذلك عزيزتي الزوجة فليكن حُسْنُ تَبَعُّلِكِ لزوجك وحسن المعاشرة هدفك وهو الذي يجعل زوجك أسيراً لك، يعيش في ظل كلمتك الحلوة وبسمتك اللطيفة، وهيئَتك الأنيقة، ونظافة بيتك المستمرة، وجمال ترتيب أثاثه، ولذة لقمة الطعام التي تصنعها أناملك، وحسن المظهر الذي تظهرين أمامه، وأمام ضيفاتك، وحسن اللقاء الذي تلاقينه به كلما دخل بيته فيحسُّ أنه يعيش فعلاً في جنة أحلامه التي يرى فيها كل يوم جديداً..

وهذا الذي أقوله هو الذي أوصى به الحبيب المصطفى ﷺ لمندوبة النساء (أسماء بنت يزيد) التي أرسلها نساء الصحابة إلى الرسول الكريم ﷺ عندما اجتمعن في المسجد وبعثنها فخاطبت الرسول المعلم ﷺ قائلة: يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن أصيبوا أُجِرُوا، وإن قُتِلوا كانوا أحياءً عند ربهم يرزقون، ونحن معاشر النساء نقوم عليهم، فمالنا من ذلك ؟ قال رسول الله ﷺ: (أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافاً بحقه يعدل ذلك، وقليل منكن يفعله) رواه البزار، وفي رواية الطبراني: فقالت: إني رسول النساء إليك، وما منهن امرأة علمت أو لم تعلم إلا وهي تهوى مخرجي إليك، الله ربُّ الرجال والنساء وإلههن، وأنت رسول الله إلى الرجال والنساء، كتب الله الجهاد على الرجال، فإن أصابوا أُجروا، وإن استُشْهدوا كانوا أحياءً عند ربهم يرزقون، فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة ؟ قال: (طاعة أزواجهن، والمعرفة بحقوقهن، وقليل منكن يفعله)[1].

لذلك أختي المؤمنة، عزيزتي الزوجة، كوني من هؤلاء القلائل: (وقليل منكن يفعله) بل كوني رائدة لهن في حسن التبعل الذي ذكرت لك بعضاً من جوانبه، فذكاؤك وفطنتك تكملُّه في النهار، وتضيف عليه في الليل أطيافاً من السعادة والسرور واللذة الحلال والسكن والحبور لا يجدها إلا لديك ..

---

(١) انظر هذا الحديث وأمثاله في الترغيب والترهيب للحافظ المنذري كتاب النكاح ،فصل ترغيب الزوج في الوفاء بحق زوجته وحسن عشرتها والمرأة بحق زوجها وطاعته .

واضبطي نفسك عند غضبه وتعبه، ولا تقابلي السيئة بالسيئة ولا غضبه بالحرد والزعل، فتذهبي غاضبة حردانة إلى بيت أهلك، وتضَخِّمي الأمر عليهم، وتنسيْ جميل أخلاقه وحسن معاشرته، فإنك بذلك تكونين قد أسهمت في خراب بيتك بيدك، ألا فاحذري هذا أشد الحذر !

عزيزي الزوج، كن أنت فاضلاً في قوامتك على الأسرة كاملاً في تعاملك مع هذه الزوجة التي بذلتَ الغالي والرخيص؛ حتى ضممتها إلى بيتك، كن رجلاً فاضلاً في تعاملك معها ومع الأولاد متأسياً بخير الأزواج سيدنا رسول الله الذي كان خير الناس لأهله؛ يكون معهم كواحد منهم؛ يقوم بخدمة بيته، يشارك في مهنة أهله، يعينهم في أمور البيت، يلاطف هذا ويمازح ذاك، يحلب شاته، يرقع ثوبه، يَخْصِف نعله، يعين في حوائج البيت، كل هذا كان الرسول المعلم، حتى ملك قلوب زوجاته جميعاً، وتنافسن على إرضائه.

وباختصار أقول لك: ألا تحب زوجتك ؟ ألم تبذل الكثير حتى وصلت إليك ؟ إذن ! لا تنسَ أن الشيطان لكما بالمرصاد، ولا يحلو له إلا أن يزعجكما، ويخرب بيتكما، فكن واعياً حذراً من مَكْرِهِ، واعلم أن الغضب وسيلته إلى هدم بيتك أو تخريبه، فكن حذراً وكن عاقلاً عند الغضب ؛لأن الغضب بوَّابَةُ الجنون، واعلم أن عقلك الكبير الواعي يتجاوز كل الأمور الصغيرة، ويستوعب الكبيرة، ولا يحملنك الجوع إن تأخر الطعام على فعل مالا يرضى عنه العاقلون، ويندم عليه الرجل الكامل الفطن، ولا يسوءَنَّك منظر زوجتك إن لم ترها كما تحب عند قدومك إلى البيت، فتقطِّبَ وجهك وتعبسَ في وجهها، ولا يحملنك تأخر تلبية طلبك أن تنسى فضلها عليك،أو لياليك الحلوة معها وأيامك الجميلة التي قضيتها بصحبتها.. بل التمس لها عذراً، وأوجد لها كل جواب مقبول، قبل أن تعتذر هي إليك، أو تبين لك سبب تأخرها، أو مخالفتها ..

واعلم أن الحياة المستقيمة المستمرة بالسكينة والسعادة هي التي يلتمسُ فيها كلٌّ من الزوجين عذراً للآخر، ويتناصح فيها الزوجان المحبان، كلما وجدا حاجة للتناصح

.. ويتذاكران فيها ما يرمم سعادتهما، ويعيد الأَلَقَ والبهجة إلى حياتهما، كلما احتاج الأمر إلى ذلك ..

إن المناصحة والمذاكرة في شؤون الأسرة والحياة، وفي أوقات خالية من المشاغل وعلى رويَّةٍ وهدوء يمد الحياة الزوجية بأسرار الديمومة والاستمرار مع السكن والسعادة بتوفيق الله ورضاه، وهكذا يفعل المحبون، وهكذا يعيش المتناصحون ..

* * *

٦ - آداب الزفاف (ليلة العرس)

ومن الطبعيّ - عزيزي الزوج - أن تكون في هذه الليلة مع إخوانك في أحد بيوت أصدقائك أو أقربائك أو في صالة من الصالات المعدة للأفراح، مجتمعين تنشدون وتهزجون، وتستمعون إلى من ينشد لكم أناشيد العرس، وأغاريد الفرح وقد أوصيتك في فقرة سابقة، ألا تطيل السهر هذه الليلة كما يفعله بعض الناس، فيسهرون في الأعراس حتى الصباح، ثم يذهب الرجل إلى عروسه متعباً، مهدود القوى غلبه النعاس؛ لأنه كان طيلة نهاره السابق في قضاء الحوائج اللازمة لحفلة العرس، ثم طالت عليه السهرة وتأخر أيضاً المدعوون في الحضور؛ وقد استنفد طاقته من الراحة، فوصل إلى عروسه متهالكاً، منهك القوى، إنَّ هذا - عزيزي الزوج - وإن كان يقع في بعض المدن والمجتمعات إلا أنه عَيْنُ الخَطَلِ، وكلُّه خطأٌ وبُعْدٌ عن العمل الصحيح في أمثال هذه الليالي .. لذلك أوصيك أخي العروس، [1] بما يأتي:

١- اقض حوائجك قبل يوم أو يومين ..

٢- ذكِّر المدعوين أن حفلة العرس لن تطول منذ بدء السهرة التي تبدأ بعد صلاة العشاء أكثر من ساعتين صيفاً، وثلاث شتاءً ..

٣- احذر الحلاقين، فإنهم يأخذون من العروس ساعات طويلة بحجة تصفيف شعره

---

(١) - العروس لفظ مشترك يطلق على كلا الرجل والمرأة .

وتزيينه، والمدعوون ينتظرون في صالة العرس، وقد انصرف بعضهم، وتململ بعضهم الآخر يريد الانصراف.

٤- هيىء ثياب العرس معك أو أَقْدِمْ إلى المدعوين، وقد لبستها ..

٥- تعاون مع ذويك في إحضار العروس إلى المكان المعد لفرح النساء، منذ أول الوقت (أي منذ بدء عرس الرجال).

٦- بعد انتهاء العرس - وسوف تلقى بعض الكلمات بهذه المناسبة من أحد أهل العلم المدعوين - سيزفُّك إخوانك إلى بيت الزوجية، ولكل بلد طريقته الخاصة بزفة العرس، وهذا كله من إعلان النكاح المأمور به؛ فعند ما تصل إلى بيتك المعد لقضاء هذه الليلة الغالية على قلبك، ودِّع إخوانك وأصدقاءك، وادخل وحدك إلى عروسك، ولا مانع أن يكون معك محارمك من الرجال والنساء، وأقصد بمحارم الرجال والدك أو جدك فقط ومن النساء والدتك وحماتك وأَخَواتك؛ لأن العروس سوف تكون بأبهى زينتها، ولا يحل لغير محارمها رؤيتها .

٧- وسوف تجلسان مع الوالدين والأخوات بعض الوقت تؤنسانهم ويؤنسونكما، ثم ينصرف الكل فماذا أنت فاعل بهذا ؟ ستقول هذه الليلة :ليلة العمر وقد طال انتظاري لها، وأقول لك هنيئاً؛ سوف تعبر عن حبك لعروسك، وسيمنعها حياؤها من كثير مما تَوَدُّه منها ..

فماذا ستفعل مع العروس الحلوة ليلة الجلوة ؟ !

إذا أردتما أن تكون حياتكما كلها سعادة وهناء وشهر عسل؛ فابدأا بطاعة الله أولاً، فطاعة الله في أول كل عمل مفتاح كماله وجعله موفقاً دائماً، وهل تحبان أن تسمعا كيف فعل رسول الله ﷺ في زواجه، وماذا قال عندما تزوج السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها ؟

١ - تروي لنا أحداث هذه الليلة أسماء بنت يزيد بن السكن - رضي الله عنها - قالت: إني قنيت (زَيَّنَتُ) عائشة لرسول الله ﷺ ثم جئته، فدعوته لجَلْوتها (أي

النظر إليها مكشوفة مجلوة) فجاء فجلس إلى جانبها فأُتِيَ بعُسٍ (قدَح كبير) لبن (حليب) فشرب، ثم ناولها فخفضت (أي عائشة رأسها) واستحيت .. الحديث .. فانظر كيف لاطفها رسول الله ﷺ في ليلة جلوتها وسقاها من يده الشريفة، وكان حياؤها يمنعها من النظر إليه.

٢ - وستجلسان بجانب بعضكما عزيزي العروسين، فهل ستقول شيئاً ؟؟ نعم ستقول الكثير من عبارات الحب والغزل، والشوق واللهفة، ولكن ابدأها بقولك وأنت واضع يدك على رأسها: (اللهم إني أسألك خيرَها وخيرَ ما جُبِلَتْ عليه، وأعوذ بك من شرِّها وشرِّ ما جبلت عليه) ثم خُذْ بناصيتها (رأسها) وادع بالبركة قائلاً: (اللهم بارك لي فيها واجعلها خيراً عليَّ واجعلني خيراً عليها، واجمع بيننا بخير، وارزقني الحلال الطيب من الولد والمال والعافية وحسن التوفيق .)

٣ - و ستكون عزيزي الزوج متوضئاً وقد أوصاها رفيقاتها المؤمنات قبل أن يكملن الزينة بالوضوء، فتوضأت - وهكذا تفعل العروس المؤمنة - فقم وإياها، وقد انصرف أهلك، وصَلِّ معها إماماً ركعتين، وهما من سنن الزواج، فقد فعل أصحاب رسول الله ﷺ هذا، فعندما تزوج أحد الصحابة جاءه إخوانه وكان فيهم عبد الله بن مسعود، وأبو ذر الغفاري وحذيفة بن اليمان وغيرهم فقالوا للزوج: إذا دخلت على أهلك (أي زوجتك) فصلِّ ركعتين ثم خذ برأس أهلك (أي زوجتك) فقل: (اللهم بارك لي في أهلي وبارك لأهلي فيَّ، وارزقهم مني وارزقني منهم) ثم قالوا له: ثم شأنك وشأن أهلك .[1]

٤ - ثم شأنك وشأنها الخاص بكما، لن أقول لك إلا ما ستكون حريصاً عليه؛من النظافة والتطيب وحسن المظهر وقد نظفت فمك جيداً بالسواك والفرشاة والمعجون، وهي كذلك فعلت، وستتحدثان بكلام يشعر كل منكما صاحبه بالحب والولاء، والعطف واللطف، فهل تنسى أن تقول قبل المعاشرة الزوجية: (بسم الله اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا)؟ فإذا قدر الله الحَمْلَ من تلك

---

(١) - تحفة العروسين ص١٤٦عن المغني لابن قدامة كتاب النكاح ج٧ ص٤٦٣ .

الليلة، وجاءك ولد، فلن يضره الشيطان أبداً، كما وعد الحبيب المصطفى معلماً لمن أراد أن يأتي أهله، وهذا ينطبق على كل معاشرة جنسية (حالة جماع) ليلة العرس، وغيرها ..

من آداب ليلة العرس:

٥ - ويذكر أهل العلم أن هنا بعض الآداب، منها:

أ- ألا يتجردا من الثياب تماماً لورود النهي عن ذلك، وأباحه بعضهم. ! وما ورد من حديث في النهي عن التجرد، فإنه لا أصل له.[١]

ب- ألا يكثرا من الكلام عند الجماع.

ح - أن يلاعب امرأته بما ينهض شهوتها ويدفع حياءها، فتنال منه كما ينال منها..

د - ألا يَنْزِع عنها حتى تقضي شهوتها هي أيضاً، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال لأحد أصحابه: (لا تواقعها إلا وقد أتاها من الشهوة مثلما أتاك لكي لا تسبقها بالفراغ)، قلت وذلك إلي؟ قال: نعم إنك تُقَبِّلُها وتغمِزُها وتلمزُها (تلاعبها وتحضنها) فإذا رأيتَ أنه قد جاءها مثلما جاءك واقَعْتَها. أي فهي كذلك تحتاج مثلما تحتاجه أنت.

هـ- فإذا فرغت بالإنزال قبلها فلا تنزِع حتى تفرغ هي، لما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إذا جامع الرجل أهله فليقْصِدْها (يتأنى عليها) ثم إذا قضى حاجته فلا يَعْجَلْها حتى تقضي حاجتها) وهذا يعني أنه مثلما تبغي شهوتك أنت، فهي تبغيها كذلك ..

وإن أردت العود فالغسل أفضل إن كان الوقت يسمح به، و إلا فلا مانع من العود دون وضوء أو غسل، كما ذكر ذلك فقهاؤنا [٢]، وذلك في غير الليلة الأولى، فقد

(١) أفاد فضيلة الدكتور محمد عادل عزيزة الحسيني - حفظه الله - عندما راجع هذا الكتاب (قبل طبعه) أن الحديث الوارد في النهي عن التجرد من الثياب مكذوب موضوع كما في علل الدارقطني (ج٥ص١٠٩) .

(٢) انظر هذه المسائل مفصلة في كتاب تحفة العروسين ص١٤٧ وما بعدها .

أوصى الأطباء ألا يعود إليها إلا بعد ليلتين أو ثلاث، وهو الوقت الكافي لاندمال جرح البكارة.

ملاحظات في ليلة العرس، وغيرها:

أخي الزوج العاقل، أختي الزوجة الفطنة، ها قد جمع الله بينكما بخير وقضيتما ليلتكما بسرور وحبور ولذة حلال؛ فأنتما بفضل الله في عبادة، حتى في قضاء شهوتكما كما أخبر الحبيب المصطفى ﷺ فيما رواه مسلم والنسائي عنه قال: (وفي بُضْعِ أحدكم صدقة) والبضع هنا كناية عن الجماع قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال أرأيتم إن وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ قالوا: بلى! قال وكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر.

لذلك أيها العزيزان، عليكما أن تتعرفا إلى أمور قد يفعلها بعض الناس، وهي منهي عنها، أو محرم في الشرع إتيانها:

وأول ما أذكِّرك به أخي الزوج، ما يأتي:

١ - أن تؤانس زوجتك هذه الليلة وتلاطفها، وبخاصة إذا شَعَرْتَ بحيائها الشديد وخوفها من تلك الليلة، فقد تكون غِرَّةً (ليس لها معرفة ولا اطلاع على أمور هذه الليلة) فتخشى من عملية البناء (الجماع) وتستوحش منه،وعدم تقديمك الملاطفة يزيد في خوفها واستيحاشها، ويسبب لها عُقَدًا نفسية قد تصاحبها طيلة حياتها معك، أو تفضي إلى الطلاق، وبخاصة إذا كانت صغيرة السن أو نحيفة الجسم أو كليهما معاً أو كان الزوج ضخم الجسم، ولم يقدم المؤانسة والملاطفة، فارفق بها عزيزي الزوج، واضبط نفسك من الوقوع عليها، وهي بتلك الحالة من الخوف والرعب، أو شدة الحياء وأَجِّلْ ليلتك إلى غد أو بعده؛ حتى تأنس بك وتزول عنها وحشتها وخوفها، وفيما يأتي من (التوصيات الطبية) وغيرها ما يعينك على هذه الليلة .

أ- **توصيات طبية:**

وهأنذا أنقل لك بعض التوصيات والنصائح الطبية في ليلتك الأولى، اخترتها لك من كتاب: (الطب والحياة الزوجية) قال تحت عنوان: (الجماع الأول - عملية جراحية - في ظروف عقيمة) ما يأتي: لا تبدأ حياتك الزوجية باغتصاب، ففي هذه الليلة يحف بالزوجة شعور بالخوف والتهيب من الرجل والحياة الجديدين، والزوج الحكيم هو الذي يحسن استقبال هذا الإنسان الوديع (الزوجة) والحبيب المضطرب والقلب الولهان.

يجب على الزوج أن يعطي انطباع الهدوء وقلة الألم ما أمكن، وأن يتحلى بثقة كبيرة في نفسه، وليبدأ بالمداعبة، ويحسن أن يستخدم مراهم مزلقة ومخففة للألم، ففي المرات الأولى قد لا يساعدها مهبلها بالإفراز المزلق الذي لم تعرفه من قبل، ويحفها خوف من الألم، وليحاول شق غشاء البكارة بقضيبه بكل لطف وتدرج، فإن فشل فليحاول بأصبعه بشرط أن تكون الأصبع نظيفة معقمة، فإن فشل فلا بد من الشق الجراحي .. (وهنا لابد من العرض على الطبيبة المختصة).

والوضعية المناسبة للمرأة ليلة الزفاف هي وضعية الاستلقاء على الظهر ..

ملاحظات مهمة:

١- قد يكون غشاء البكارة ذا ثقب واسع يتمكن من الإيلاج بدون شق، فليتنبه الزوج إلى ذلك، ولا يركبه الغضب والشك.

٢- وقد يكون الغشاء رقيقاً سهل الشق، وقد يكون سميكاً صعب الشق.

٣- في العادة، لا يحصل عند شق غشاء البكارة سوى ألم خفيف ونزف نقاط قليلة من الدم .. أما إذا استمر الدم، فيجب أن تضم العروس ساقيها، وتستلقي على ظهرها ساكنة لا تتحرك، ولا تلمس جراحها ولا تجففها، ولتنتظر قليلاً، فلن يظهر دم جديد في الغالب .

أما إذا كان النزف كثيراً، فيجب الاستعانة بالطبيبة النسائية.

٤- من المستحسن في حال عدم تمزق الغشاء في الليلة الأولى أن يؤجل المحاولة إلى الليلة الثانية، وليحذر من العنف، ويحسن ألا يخبر الأهل، إذ إن كثيراً من الأزواج يعجز عن تمزيق غشاء البكارة من الليلة الأولى، وهذا شيء طبعيّ.

٥- إذا فشل في محاولاته في الأيام القادمة أو الأسابيع الأولى، فليراجع طبيبه؛ حتى يوجهه إلى التقوية النفسية والأغذية المقوية (لحوم - بيض- سمك - عسل- توابل) فإذا فشلت محاولاته الجديدة بسب صلابة غشاء البكارة، فليراجع الطبيب، لإزالة غشاء البكارة بعملية بسيطة، وعلى كل يجب فحص قدرة الرجل؛ خشية أن يكون مصاباً بالعِنَّةِ الدائمة.

٦- على الزوج أن يتنبه نفسياً من وجهتين:

الوجهة العنفوانية؛ فلا يستعمل العنف؛ خشية إيذاء العروس وإيلامها وجعلها تنزف وتستوحش منه، وبالتالي يحرمها ويحرم نفسه من متعة الأيام الآتية المرتقبة.

والوجهة السلبية التي تسبب له عدم الانتصاب، إما بسب مدافعة العروس لزوجها بسبب الخوف من الألم، فربما يحدث معه تثبيط نفسي، وإما بسبب ما وقر في نفسه في الأيام السابقة لليلة العرس من الخجل والحياء من ألا يكون كباقي الرجال. .

٧- ستبقى الزوجة تتألم من جرحها لمدة أسبوع، وحتى أسبوعين أحياناً، فعلى الزوج أن يلاطفها ويراعي شعورها، وليقلل من المعاشرة الزوجية؛ حتى يشفى الجرح، وليستخدم المراهم المخففة للألم مع التحميلات الشرجية المخدرة .[1] اهـ.

ب- قصة ذات موعظة بالغة: قد تكون زوجتك عاشرت غيرك، واكتشفت هذا ليلة الزفاف، فماذا ستفعل؟

وسأذكر لك قصة مفيدة في هذا الموضوع ذكرها الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي في كتابه: (موسوعة أسماء الله الحسنى) قال: رأى خطيب جامع الورد (في

---

(١) - من كتاب الطب والحياة الزوجية للدكتور عبدو ناقو ورفاقه بتصرف بسيط . ص ٩ .

دمشق) في المنام النبي ﷺ فقال له: قل لجارك فلان: إنه رفيقي في الجنة، وجاره سمان، وهو الخطيب والعالم، فتمنى لو أنه بمكان هذا الجار، طرق باب جاره، ودخل عليه، وقال له: لك عندي بشارة، ولكن والله لا أقولها لك إلا إذا أطلعتني على حقيقة أمرك، وماذا فعلت حتى حللت هذه المنزلة عند الله - عز وجل - فامتنع عن الإجابة وبعد إلحاح شديد؛ قال: لقد تزوجت امرأة، وفي الشهر الخامس (من زواجنا) تبين لي أنها حامل وحملها في الشهر التاسع، فعلمت أنها قد زلت قدمها، فكان بإمكاني أن أطلقها، وأن أفضحها .. وأنا محق بذلك، والناس يقرونني فجئت بمولدة فولدت غلاماً، وحملته تحت عبائتي، ودخلت إلى جامع الورد بعد أن نوى الإمام صلاة الفجر، ووضعت هذا الغلام خلف الباب، واقتديت بالإمام، فلما انتهينا من صلاتنا، بكى المولود، فتحلق المصلون حوله، واندسست معهم، قلت ما الخبر ؟ قالوا: مولود، فقلت: هاتوه، أنا أكفله، فأخذته أَمَامَ أهل الحي على أنني قد تبنَّيْتُهُ، ودفعته لأمه التي ولدت قبل ساعات.. ا هـ فانظر أخي العاقل - حفظك الله - كيف كان جزاؤه لستره على زوجته التي زلت قدمها أن بشره رسول الله ﷺ بالجنة؟

٢- **قد يفاجئها الحيض تلك الليلة، فإياك أن تأتيها في الحيض،** قال الله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ البقرة:٢٢٢، وعليك بالصبر حتى تطهر، وإن كان يجوز لك الاستمتاع بجسمها فيما فوق السرة ومادون الركبة، وقد ورد أن النبي فيما حكته عنه السيدة عائشة قالت: (كان يأمرني فأتزر فيباشرني وأنا حائض) وهذا الحديث الصحيح الذي روته السيدة عائشة من فعل النبي معها ليبين لنا جواز مباشرة الرجل لزوجته أي إلصاق جسمه (بشرته) بجسمها فيما فوق الإزار الذي يغطي من السرة إلى الركبة؛ لأن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة اعتزلوها، فلم يأكلوا معها ولم يجالسوها، فَبَيَّنَ النبي الجواز في ذلك ومخالفته اليهود، وقال بعض العلماء: لا يجوز له المباشرة في الفرج، وله ما سوى ذلك .

وإليك ما رواه الإمام البخاري في الأدب المفرد: عن عمارة بن غراب أن عمة له حدثته أنها: سألت عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - فقالت: إن زوج إحدانا يريدها فتمنعه نفسها، إما أن تكون غضبى أو لم تكن نشيطة فهل علينا في ذلك من حرج قالت: نعم إن من حقه عليك أن لو أرادك وأنت على قتب لم تمنعيه قالت قلت لها: إحدانا تحيض وليس لها ولزوجها إلا فراش واحد أو لحاف واحد فكيف تصنع قالت: لتشد عليها إزارها ثم تنام معه فله ما فوق ذلك، مع أنى سوف أخبرك ما صنع النبي صلى الله عليه وسلم إنه كانت ليلتي منه فطحنت شيئاً من شعير فجعلت له قرصا فدخل فرد الباب ودخل إلى المسجد وكان إذا أراد أن ينام أغلق الباب وأوكأ القربة وأكفأ القدح وأطفأ المصباح، فانتظرته أن ينصرف فأطعمه القرص فلم ينصرف حتى غلبني النوم وأوجعه البرد فأتاني فأقامني ثم قال أدفئيني أدفئيني، فقلت له: إني حائض فقال: اكشفي عن فخذيك، فكشفت له عن فخذي فوضع خده ورأسه على فخذي حتى دفىء.

فأقبلت شاة لجارنا داجنة، فدخلت ثم عمدت إلى القرص، فأخذته ثم أدبرت به قالت: وقلقت عنه واستيقظ النبي ﷺ فبادرتها الباب، فقال النبي ﷺ: خذي ما أدركت من قرصك ولا تؤذي جارك في شاته) .

فانظر أخي صنيع النبي ﷺ في عبادته، وحسن تلطفه مع زوجته، وتواضعه، وهو يستدفىء بها، وعمله هذا الذي يبين لنا أي إنسان كريم لطيف صاحب خلق عظيم مع أزواجه.

وقد حرم النبي ﷺ إتيان المرأة في أثناء الحيض وفي دبرها أيضاً فقال: (من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)[1] وإذا أخطأتَ ووقعتَ في الحرام - لا سمح الله - بأن جامعت أيام الحيض فكفارة ذلك التوبة عن العَوْدِ إلى ذلك مرة ثانية والتصدق بدينار إن كان في شدة الدم وبنصف

---

(١) - الحديث في الجامع الصغير للسيوطي بهذا اللفظ (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول، أو أتى حائضاً، أو أتى امرأة في دبرها فقد برىء مما أنزل على محمد) ورمز لروايته عن الإمام أحمد وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه.

دينار إن كان في خفته، أو حسب الحال من اليسار أو الفقر، فقد أمر النبي ﷺ من فَعَل ذلك (أن يتصدق بدينار أو نصف دينار) كما رواه الحاكم [١]،

ومن المناسب أن أذكر لك أخي، ما قاله الإمام النووي: بأنه لو اعتقد المسلم حِلَّ جِماعِ الحائض في فرجها صار كافراً مرتداً ولو فعله غير معتقدٍ حِلَّه ناسياً وجود الحيض، فلا إثم عليه أما إذا فعله عامداً عالماً بالحيض والتحريم، فقد ارتكب معصية كبيرة يجب عليه التوبة منها والكفارة.[٢]

٣ - إياك أيضاً أن تفعل ما يفعله بعض من لا دين ولا أخلاق لهم؛ من إتيان المرأة في الدبر فإن ذلك حرام ولم يجزه أحد في شريعتنا، وما روي من الجواز فهو مردود، وقد عظمت المصيبة به هذه الأيام من قبل أناس ينسبونه إلى بعض الأئمة بالجواز زوراً وبهتاناً، وقد علمت حرمته في الحديث السابق، وقد سئل ابن عباس رضي الله عنه عن الذي يأتي امرأته في دبرها، فقال: هذا يسألني عن الكفر؟ أي أن هذا الإتيان كفرٌ بالله كما بينه الحديث السابق، ولكن لا حرج على الزوج أن يأتي امرأته من الخلف في موضع الفرج كما بين النبي ﷺ موضحاً معنى الآية ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ** ﴾ البقرة ٢٢٣.

فقال ﷺ: (أَقْبِلْ وأَدْبِرْ واتَّقِ الحَيْضَةَ والدُّبُرَ) وقال لمن سأله: أمِنْ دُبُرِها في قُبُلِها؟ فقال: نعم، أمّا مِن دُبُرِها (أي من ظهرها) في دُبُرِها فلا، إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن. رواه ابن ماجة، وفي رواية: (لا تأتوا النساء في أعجازهن).

وواضح من هذا البيان النبوي جواز إتيان المرأة في المحل الذي جعله الله لذلك من أي جهة من جهات جسمها من خلفها، أو من أمامها، ولكن في الفرج خاصة.

---

(١) الحديث في الجامع الصغير بلفظ (من أتى امرأته في حيضها فليتصدق بدينار، ومن أتاها وقد أدبر الدم عنها ولم تغتسل فنصف دينار) ورمز لروايته للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) من كتاب وعاشروهن بالمعروف ص٨٤، الدينار الذهبي يزن / ٤,٢٥ / غ فاسأل عن قيمة غرام الذهب وتصدق بالقيمة المقدرة .

وقال ﷺ: (لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأة في دبرها) رواه ابن ماجة، وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (ملعون من أتى امرأة في دبرها).

ومن المفيد أن أذكر لك ما يقرره الطب في المعاشرة الجنسية الطبيعية السليمة: قال في كتاب: (الطب والحياة الزوجية) في فصل: (الحياة الزوجية الطبيعية) ما يأتي:

المداعبة الجنسية:

لكي يتمتع الزوجان بالاتحاد الجنسي لابد من المداعبة أولاً، فإهمال المداعبة يضايق المرأة، ويثير اشمئزازها، بل يؤذيها إيذاءً بدنياً خالصاً.

وإهمال المداعبة دليل الغباوة والحماقة؛ لأن المداعبة فن غزير اللذات، ولذاته لا تقل عن لذات الجماع ذاته، والألفاظ والنظرات لها أهمية عظمى في التمهيد؛ لأنها أدل على الإفصاح عن المشاعر والأحاسيس في هذا الدور الباكر، حيث تكون النفس أكثر استعداداً من الجسم للتأثر والإثارة، ومهما بدت هذه الأمور تافهة وصغيرة، فإنها مهمة جداً.

ولكي يكون الاتصال الجنسي طبعياً وجميلاً ومستحباً، لابد أن تسهم الزوجة بدورها مع الرجل في الوصول بهذا العمل إلى الغاية التي ينشدها زوجها والتي يجب أن تنشدها هي أيضاً.

وهذا يتطلب منها ألا تكون شريكاً سلبياً، بل عليها أن تندمج في دورها اندماجاً كلياً؛ روحياً وجسدياً، إذ إن هذا الاندماج والاندفاع من كلا الزوجين تجاه الآخر بشوق وحنين ورغبة وتفاهم يخلع على الاتصال لوناً زاهياً وجذاباً من ألوان المتعة واللذة المنشودة.

أما في حال بقاء الزوجة سلبية التصرف – كما يفكر بعض النسوة أن يتصرفن – وتركت زوجها وحده في هذا العمل، فإن كثيراً من النشوة تذهب سدى؛ لأن التعبير عن الحب يكون ناقصاً إذا لم يكن هناك الشوق والرغبة المشتركان.

وكما أن المداعبة ضرورية قبل اللقاء، كذلك هي على أهمية عقب الإنزال، فمن عادة كثير من الأزواج أن يتباعدا بعد الجماع مباشرة، ولا سبب لذلك إلا الجهل والإهمال، فيدير الرجل وجهه ويستغرق في النوم، بينما تشعر الزوجة بهبوط تلهفها الجنسي تدريجياً فيحرم الزوج نفسه من أعظم الحالات العاطفية، كما يفسد على زوجته استمتاعها بمشاركة تلك اللحظات وحنانها الجميل، وحاجتها الأكيدة إلى المداعبة، التي تتطلبها المرأة أكثر من الاستمتاع الجسدي، لذلك على الزوج الاستمرار في إمتاع زوجته ومداعبتها بعد إشباع رغباته، ويكفي أن يمنحها كلمة رقيقة أو قبلة أو لمسة حنان، أو عناق شوق .. اهـ بتصرف بسيط. (ومن المهم أن تقرأ في القسم الثاني من الكتاب ما نقلناه من كتاب بهجة العروسين. ص ١٨٠) .

٤- احذر أن تفعل ما يفعله الجهلاء، فتتحدث في صباح اليوم الآتي عما جرى بينك وبين زوجك في الليل، سواء ليلة العرس أو غيرها، فإن هذا لا يفعله عاقل، فضلاً عن مسلم؛ لأن ما يجري بينكما من المؤانسة والمداعبة بالأقوال والأفعال والأسرار لا يجوز نشرها ولا يحل الاطلاع عليها لغيركما، فكما أن الله سبحانه أباح لك الاستمتاع بجسدها، وأباح لها الاستمتاع بجسدك، كذلك لا يحل لغيركما الاطلاع عليه، ولو كان مَحْرَمَاً لكما، فأنت تسترها خارج البيت، وهي تسترك كما قال الله تعالى معبراً عن هذا الستر من جميع الأوجه: ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾ البقرة:١٨٧ كذلك وصف الزوجة المؤمنة بأنها حافظة لأسرار زوجها إذا غاب عنها قال الله تعالى: ﴿**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**﴾ النساء:٣٤ .. وتروي لنا السيدة أسماء بنت يزيد بن السكن – رضي الله عنها – قالت: (إنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود (أي في المسجد) بعد الصلاة، ومن المعلوم أن صفوف النساء خلف صفوف الرجال، فقال عليه الصلاة والسلام: لعل رجلاً يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر ما فعلت مع زوجها ؟ فأَرَمَّ القوم (أي سكتوا عن الإجابة) فقالت أسماء: أي، والله يا رسول الله إنهن ليفعلن، وإنهم ليفعلون !! فقال عليه الصلاة والسلام: (فلا تفعلوا) إنما ذلك (أي الذي يُحَدِّثُ بما فعل أو التي تحدث) شيطانٌ لقيَ

شيطانةً في طريق فغشِيها، والناس ينظرون. رواه الإمام أحمد. فهل تحب أن تفضح نفسك أخي الزوج، بعد أن سترك الله؟ إنَّ هذا مما يستحي العاقل أن يفعله، وبخاصة بعد أن شبه الرسول المعلم من يفعل هذا بالشيطان الذي يواقع (يجامع) شيطانة في الطريق أمام أعين الناس.

٥- ومما يجب أن تُمْسِكَ عنه وتَسْتَحي منه ما ذكرناه أعلاه، وما يتعلق بشأنك الخاص مع زوجتك أمام أهلها، فإن أهل الزوجة يكرهون ذلك، وهذا يجرح شعورهم، ويَخْدِشُ حياءهم، وقد قال الإمام النووي - رحمه الله -، شارحاً لحديث سيدنا علي رضي الله عنه حيث قال: (كنت رجلاً مذاءً، فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ لمكان ابنته مني، فأمرت المقداد، فسأله) وكان سيدنا علي قد تزوج فاطمة - رضي الله عنها - بنت رسول الله ﷺ، وكان يستحي أن يسأل رسول الله ﷺعن المذي هل يوجب الغسل أم لا ؟ (والمذي) كما هو معلوم يخرج من ذكر الرجل بعد الشهوة،وهو بلون البول،رقيق لا يوجب الغسل، فكان يستحي من هذا، فأرسل المقداد بن الأسود رضي الله عنه ليسأل رسول الله ﷺ دون أن يذكر علياً.

قال الإمام النووي - رحمه الله -: اعلم أنه يستحب للزوج ألا يخاطب أحداً من أقارب زوجته بلفظ فيه ذكر النساء وتقبيلهن أو معانقتهن أو غير ذلك من أنواع الاستمتاع بهن أو يتضمن ذلك أو يستدل عليه أو يفهم منه [1].

وقد تقول كان هذا في الزمان الأول، أما اليوم فإن معظم الناس قد عرفوا أسرار الاستمتاع، ولم يبق هذا الحياء الذي تقول عنه فقد فضحت التلفزيونات بالقنوات الفضائية كل الأسرار، وأقول: لازال هناك قلة مؤمنة تحافظ على الحياء والمروءة فكن أنت وعروسك منهم؛ لأن هذا خلق أصيل في المؤمن ..

٦ - ومن المناسب، ونحن نذكر هذا، ونذّكر به؛ بأن يكون معلوماً لديكما عزيزيَّ العروسين، **أن المخالطة مع غير المحارم باب عظيم من أبواب الفتنة، والخروج عن**

(١) - من كتاب (وعاشروهن بالمعروف) ص٨٥.

شرعة الله وحدوده، فإن الشرع الشريف ما أمرنا بأمر إلا وفيه مصلحة لنا في الدنيا والآخرة، وما نهانا عن أمر إلا وفيه الوقاية لنا من خطر وفساد محقق في الدنيا والآخرة، وقد سَبَّبَ الاختلاط المحرم بين الرجال والنساء كثيراً من الفواحش، وخراب البيوت العامرة المحافظة على الدين والخلق، ولم يأتنا هذا إلا ممن لا يدينون بدين، ولا يقيمون للحياء والمروءة والعرض وزناً . وهذه الأخلاق سياج الأسرة المسلمة وحصنها الحصين من التفكك والانهيار

فاحذر أخي ما يسمى بالسهرات العائلية، التي يختلط فيها الرجال والنساء من الأقارب والأباعد، فإن ذلك السم القاتل، وهو أساس البلاء الذي هدم بيوتنا، وخرب أخلاقنا [1].

---

(١) وأسوق هنا لأحبابنا العروسين هذه الحادثة التي ذكرتها صحيفة تشرين في عددها المؤرخ ٢٠٠٥/٥/٢٣ بعنوان:(بعد أن سفَّر عائلته، استنجد بجارتهم، مدعياً أن زوجته بحالة خطرة واعتدى عليها) والتي تبين ضرر الاختلاط والسهرات العائلية قالت الصحيفة ما يأتي: تشير وقائع هذه القضية إلى أن (ن) عروس جديدة وقد سكنت مع زوجها منذ شهور في البناية التي يسكن فيها المتهم (ع) ..زوج السيدة كما هو معروف لأهل البناية يذهب إلى دوامه منذ الصباح الباكر .. وعندما ذهب إلى ضيعته للزفاف دعا كل جيرانه (سكان البناية) لكن بُعْدَ المسافة حال دون ذلك .. عندما عاد العريس إلى شقته ذهب بعض الجيران للمباركة له . ومن بينهم المتهم (ع) وزوجته والتي هي من ذات المحافظة .. ولكن الأصول تقضي رد الزيارة والشكر على المباركة، بعد أيام جاء الزوج العريس (ك) مع زوجته العروس (ن) إلى منزل المتهم (ع) وسهر الجميع مع بعض وتم التعارف أكثر .. كانت نظرات المتهم (ع) إلى السيدة الساكنة جديداً وهي الصبية بمقتبل العمر والحسناء جداً فلم تفارقها عيونه . مرت الليلة .. ولكن المتهم (ع) أصبح يأخذ زوجته كل يومين أو ثلاثة إلى بيت جيرانه الجدد .. (أي العِرْسان) أحست الزوجة بنظرات جارها الخبيثة .. ولكن لم تخبر زوجها .فهي جديدة ولا تريد إثارة المشكلات مع جيرانها .. ولكن مع ازدياد تصرفاته وقاحة .. وكما أن الزوجة العروس أحست بنظرات الجار الخبيثة أحست زوجة المتهم هذا الإحساس وعاتبته على كل الاهتمام وكان المتهم (ع) في الذهاب والإياب إلى البناية وكلما التقى بها يقدم لها خدماته بسخاء، ماذا تريدين أنا خادم .. أن أحمل القنينة .(قنينة الغاز) ..أن أجلب الأغراض كون زوجك بالدوام .. لكن المتهم (ع) لم يستفد من كل أنواع التقرب للتقرب من السيدة العروس الجديدة الساكنة في البناية، حاول استلطافها فصدته .. غمزها ذات مرة فبصقت عليه .. خفت الزيارات .. بل انقطعت .. وفي ذات مرة أضمر المتهم (ع) على النيل من جارته الشابة .. حيث سفَّرَ زوجته إلى ذويها يوم الجمعة مساءً، بحيث لا ترى الجارة جارتها، وهي تسافر .. ويعرف جيداً أن جاره يناوب يوم السبت، وفعلاً منذ صباح يوم السبت بعد سفر زوجته بيوم واحد .. شغَّلَ المسجل بصوت عال وقرع الجرس على بيت جاره .. منذ الصباح الباكر أي بحدود الساعة السابعة صباحاً أي بعد خروج الزوج بربع ساعة، فقد خرجت الزوجة بثياب النوم .. لتفتح الباب .. وهي من وراء الباب من ؟ أنا جاركم زوجتي مريضة، وهي تستفرغ ولا أعرف ما بها انطلت اللعبة على الجارة .. طلبت منه الانتظار قليلاً لتغير ثيابها .. غير أنه ظل واقفاً على الباب وينادي =

وأحذركما كذلك أنت وزوجتك من الخلوة بأجنبي أو أجنبية (من غير المحارم) فقد حذَّر الرسول الأعظم ﷺ من ذلك أشد التحذير، فقال ﷺ: إياكم والدخول على النساء، قالوا يا رسول الله: أرأيت الحمو (أقارب الزوج) قال: (الحمو الموت) لأن الحمو يدخل على بيت أخيه بدون إذن، وبخاصة إذا كان أخو الزوج عزباً ويسكن مع أخيه المتزوج في دار والديه، فإن دخوله بدون استئذان يسبب الخلوة بزوجة أخيه وهذا مفض إلى الألفة بينهما ورفع الكلفة وبالتالي أن تتكشف أمامه أوَّلاً وقد لا يكون سترها وافياً وقد تبدو زينتها وما تحتها، وهنا يقع المحذور وتقع الفاحشة وما أكثر ما وقعت، وما أكثر ما سُئلنا عنها، وما أكثر ما خربت بيوت، وطلقت نساء، وجرى القتال بين الأخوة بسبب هذا الذي قال عنه الرسول المعلم ﷺ: (الحمو الموت) ولا يغرنك أخي العاقل

= لها.. بسرعة .. بسرعة جاءت الجارة دخلت البيت أين أم ؟! إنها في غرفة النوم .. (صوت المسجل عال جداً لغاية في نفسه .. دخلت الغرفة لم يكن فيها أحد .. .. أغلق المتهم الباب واستل عليها سكين المطبخ، وقال لها: أي صوت سوف أقطعك ولا أحد يعرف مصيرك . حاولت مقاومته، لكنها لم تستطع إبعاد خنزير هائج .. اعتدى عليها بعد أن ترك آثار المقاومة على وجهها، هو كذلك، فقد امتلأت أظافرها بلحم وجهه.. وبعد أن أشبع غريزته الحيوانية فكر في قتلها للتخلص منها .. ولكن فكر أن الجريمة ممكن أن تتكشف من جهة، ومن جهة أخرى لم تتجرأ الجارة على إخبار زوجها؛ لأن الجار قد أخبر جاره أن زوجته مسافرة إلى الضيعة لرؤية والدتها .. أي ما سبب حضور الزوجة إلى بيت الجيران، اتصلت بزوجها لتطلب منه الحضور فوراً أصر على معرفة السبب، فلم تستطع تمالك نفسها فأخبرته على الهاتف أن جارهم اعتدى عليها فكر الزوج أن زوجته اختلفت مع جارتها فضربها (ع) وتساءل! وكيف اختلفتم وهي مسافرة منذ يوم أمس؟ عندها أخبرته أنه اغتصبها جاء على الفور وقبل أن يعرف التفاصيل طرق الباب مرات ومرات لا أحد يفتح أطلق عدة عيارات نارية على قفل الباب الذي انفتح فدخل البيت لقد فعل الجار فعلته وهرب .. بعد ذلك ذهب الزوج إلى الأمن الجنائي في ريف دمشق وأخبرهم بكل ما جرى، تم القبض على (ع) فحاول التملص من فعلته مدعياً أنها هي التي جاءت إلى بيته وتعلم أن زوجته مسافرة وهذه ليست المرة الأولى .. وإن سبب تبليغها عنه عدم موافقتها على التخلص من زوجها .. غير أنه اعترف بعد ذلك بعدما تم التوسع بالتحقيق ولاسيما مع الزوجة أي زوجة المتهم التي أشادت بأخلاق وأدب جارتهم .. غير أن الزوج عاد وأنكر الجرم المسند إليه أمام قاضي التحقيق القضائي وهيئة المحكمة وأن أقواله الأولية انتزعت منه بالضرب وقد تأيدت الوقائع بالأدلة الآتية: ضبط فرع الأمن الجنائي واعترافات المتهم الأولية والقضائية وأقوال المعتدى عليها والوقائع التي أظهرت من خلال التوسع بالتحقيق وعلى الخبرة الفنية للطبيب الشرعي .. حيث إن هيئة المحكمة وبعد اطلاعها على ملف القضية وأدلتها، والتي بلغت حد الجرم القانوني، وإقدام المتهم (ع) على الاعتداء على جارته (ن) وما إنكاره لما أسند إليه إلا للتهرب من جريمته والإفلات من المساءلة والتهرب من العقاب، وعليه بات من الواجب تجريمه بجناية الاغتصاب وفق أحكام المواد /٦٢٥- ٦٤٧/ عقوبات عام ووضعه لأجل ذلك في سجن الأشغال الشاقة مدة ٩سنوات، وللظروف المخففة كونه طلب الشفقة والرحمة تنزيل العقوبة إلى ٧سنوات مع حساب مدة توقيفه وحجره وتجريده مدنياً. تعليق: هذا الجرم جزاؤه في الشرع القتل رجماً، وليس السجن، وهذا كاف لردع آلاف المجرمين أمثاله.

أختي المؤمنة، كثرة المتساهلين في هذا والداعين إلى السفور والاختلاط، فليس بعد بيان الله وقوله بيان، قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ الأحزاب:٥٣ وهذا لنساء النبي ﷺ فكيف لغيرهن، وقوله ﷺ: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ البقرة:١٨٧متفق عليه كما في الجامع الصغير، وقد اطلعت بعد كتابة هذه الفقرة على ما نشرته إحدى الصحف اليومية حول هذا الموضوع، وكيف تجاوز شاب مراهق على زوجة أخيه وحملت منه وحصل المحذور، فاقرأه في الهامش .[1]

---

(١) - ذكرت جريدة تشرين بعددها الصادر ٢٠٠٥/٣/٧ تحت عنوان: (يضع المخدر في الشاي لزوجة أخيه ثم يعتدي عليها) بما يأتي: تشير التحقيقات في هذه القضية إلى أن هناك أسرة في أحد أحياء دمشق مكونة من شابين وأمهما.وقد تزوج (الأخ الأكبر ب)وبعد زواجه بثلاثة شهور جاءه عقد عمل في دولة خليجية وفعلاً سافر للعمل هناك وقد مضى على سفره سنة وأربعة شهور.. وفي يوم من الأيام أحست زوجته بالغثيان وطلبت من حماتها مرافقتها إلى الطبيبة للاطمئنان على صحتها.وفعلاً ذهبت الحماة مع كنتها؛ لأنها تعاني من الألم في بطنها ودوخة ... وكانت المفاجأة عندما كشفت الطبيبة عليها وضحكت وقالت لها: مبارك أنت حامل في الشهر الثاني.صدمت (س) من هذا الكلام،بل أغمي عليها كيف يا دكتورة وزوجي خارج البلاد من ١٦ شهراً ؟! في هذه اللحظات كانت الحماة تغلي بل تكاد أن تنفجر من شدة الغيظ لأن ابنها مسافر من شهور عديدة..فمن أين جاء هذا الطفل الحرام وبدأت تنظر إلى كنتها بشزر وسخرية واستغراب وصدمة بآن واحد. وجلست (س) في العيادة ولم يعد بمقدورها الوقوف بل الحركة.. وطلبت من الطبيبة إعادة الكشف لأن هذا الكلام خطير بل فيه حياة أو موت .. أعادت الكشف وأكدت لها الحمل وأن الجنين ابن شهرين وأربعة أيام عندها وقعت (س) من جديد..اتصلت الحماة بأهل كنتها طالبة منهم الحضور فوراً إلى عيادة الطبيبة (ح) لأن (س) في خطر. هرول الأهل إلى العيادة وكانت المصيبة أكثر .. صدم الأهل لما سمعوا من الطبيبة عن حال ابنتهم وحملها.. في غياب زوجها أخذ الأهل ابنتهم معهم لمعرفة الحقيقة.. سهر الأهل كل تلك الليلة السوداء.سألتها أمها عن صاحب الجريمة ولكن الفتاة تبكي ولا تعرف ماذا تقول..تقسم أنها لا تعرف أحداً ولم يلمسها أحد بعد زوجها المسافر منذ ١٦ شهراً ..أم الزوج وفور وصولها إلى البيت اتصلت بابنها المسافر طالبة منه طلاق زوجته فوراً وإرسال ورقة طلاقها عبر الخارجية وعندما سألها الزوج الابن عن السبب ...لم تستطع الأم كتمان السر..فقالت له:إن زوجته حامل من غريب.. جن الابن ولم ينتظر طلب إجازة وإنما عاد إلى الوطن فوراً. وفعلاً بعد أن وصل إلى البيت سمع من أمه الحكاية من أولها وبعد ذلك ذهب إلى بيت عمه لمعرفة الحقيقة والاتفاق على المقدم والمؤخر .. وكتمان السر؛ حتى لا يفتضح الأمر.وفعلاً جلس الزوج مع زوجته.. فقالت له لو كان لي علاقة مع أحد أو لو أعرف أنني حامل من واحد غريب هل اصطحب حماتي معي..عندها وقف الزوج شارداً..نعم إن كلام الزوجة فيه شيء من الصحة .. الزوجة لا يهمها الطلاق وجل ما تريد معرفته الحقيقة أيضاً من أين أتى هذا الجنين وهي التي لا تعرف أحداً .وبدأت تفكر .وأشركت أمها في تفكيرها وأصبحت تعود بذاكرتها إلى الوراء وتسرد لأمها كل شيء صار معها منذ شهرين وفي أثناء مراجعة تفكيرها شكت في أن أخا زوجها الذي كان في تلك المدة يصنع الشاي ويطلب من أمه وزوجة أخيه احتساء الشاي معه.وفعلاً يشرب الجميع الشاي وتحس بعد ذلك بالنعاس الشديد وتستأذن للخلود للنوم.. هذا ما تذكره وقد تكرر أكثر من مرة .. عندها استقرت على هذا الرأي ..وحتى تكشف الحقيقة وتظهر براءتها أمام أهلها وزوجها وتلجم لسان حماتها.. ذهبت منذ الصباح =

٧ - **وهنا أمر لا أظنكما عزيزي العروسين تنسيانه، ألا وهو الصلاة**، صلاة الصبح بعد ليلة العرس والصلوات بعدها، وقد شاع وهم خاطىء لدى بعض الناس، أن العروس لا صلاة عليها سبعة أيام منذ اليوم الأول من العرس وهذا خطأ واضح وجهل فاضح، فإن الصلاة لا تسقط عن أحد إلا عن الحائض والنفساء، مدة العذر الشرعي، فليُعلم هذا وليُتنبه له.

٨ - وهل ستنسى الوليمة - كما ذكرنا لك سابقاً - أم أنك تقول: لقد ضيَّفنا المدعوِّين في حفلة العقد، من الحلو والفواكه، ألا يكفي هذا عن الوليمة؟

وأقول لك: في عرف الناس الذين تركوا السنة النبوية يكفي، أما تعليمات وسنة المصطفى ﷺ وسنته، فإليك طرفاً منها:

قال أنس رضي الله عنه: (ما رأيت رسول الله ﷺ أَوْلَمَ على امرأة من نسائه ما أَوْلَمَ على

= إلى قسم شرطة العباسيين وقدمت شكوى ضد أخي زوجها .. وفعلاً تم استدعاء الأخ ولدى التحقيق أنكر ما أسند إليه ولكن بعد التوسع في جميع أدوار التحقيق.. اعترف أمام قاضي التحقيق بأنه وسوس له الشيطان كثيراً خاصة بعد التفرج على أفلام ممنوعة.. قال: وكنت أضع المخدر في كأسين واحدة لوالدتي والثانية لزوجة أخي ونشرب الشاي جميعا. وعندما أعرف أن أمي نامت وتكون زوجة أخي قد ذهبت إلى غرفتها للنوم وأغلقت باب غرفتها من الداخل..أقوم أنا بفتح الباب بمفتاح آخر قد نسخته مسبقاً وكررت هذا الأمر فقط ثلاث مرات ولم أفكر أن أصل إلى هذا الحد..صعق الأخ بهذا الأمر ماذا يفعل .. عاد هارباً إلى الخليج تاركاً وراءه كل شيء وكان عمر أخيه في أثناء التحقيق والمحاكمة أقل من ١٣ عاماً. وذهبت الزوجة إلى بيت أهلها ضائعة حاملة وزر جريمة ليس لها علاقة بها سوى أنها وثقت بأخي زوجها المراهق ..لم يقدم أهل الزوجة ادعاء وكذلك الزوج، والجاني حَدَث، وتم التراجع عن الشكوى من قبل أهل الزوجة من أجل لَمّ الأمر وعدم فضحه في المحاكم .. ولكن نقول ونتساءل: ماذا ستكون النتيجة هل تطلق الزوجة..أم يعود إليها زوجها وينسى الأمر؟ وهل تعود الثقة، وهل من المعقول أن تصل الغريزة الإنسانية إلى هذه الدرجة من الشهوة الحيوانية التي تسيطر على فكر صاحبها؟ ومع من؟! مع زوجة أخيه التي هي بمنزلة أخته وهو مسؤول عنها في غياب أخيه وهو رجل البيت وحاميه.. قد يقول بعضهم: إنها المراهقة !نرد عليهم بالقول: إن ملايين الأسر فيها مراهقون ؟!! ولكن هذا يدل على سوء التربية ورفقة السوء والتفرج على أشرطة ممنوعة !! والسؤال المطروح: ما مصير هذه الزوجة المسكينة الغافلة الآمنة المطمئنة في بيت زوجها .. ينالها الغدر؟! وما هو ذنب الجنين القادم ولمن يقول: أبي؟ للجاني أم للأب الشرعي ؟وكيف تصلح الأمور بين الأخ وأخيه وبينهم وبين أمهم ؟. الله - عز وجل - أعطانا العقل؛ كي يسيطر العقل ويتحكم بالغرائز ونشبعها بالشرع وليس العكس ؟!. اهـ من جريدة تشرين . وأقول إضافة لما قاله المحرر: هذا مصداق قول رسول الله ﷺ: (الحمو الموت) ! . وهذه نتيجة الاختلاط ولو مع المراهقين، ونتيجة الغياب الطويل للزوج عن بيته، وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب (لا يسمح بغياب المجاهدين عن بيوتهم في الجهاد أكثر من أربعة أشهر، فاعتبروا يا أولي الأبصار !!

زينب، فإنه ذبح شاة) رواه البخاري ومسلم، وقال ﷺ: (إنه لابد للعرس من وليمة) رواه أحمد .

وإذا لم يتيسر لك اللحم، فاسمع ماذا كانت وليمته ﷺ على صفية قال أنس رضي الله عنه: (أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاثاً يبني (يتزوج) بصفية، فدعوت المسلمين إلى وليمته، ما كان فيها من خبز ولا لحم، وما كان فيها إلا أن أمَرَ بالأنطاع (الجلود) فألقي عليها التمر والإقط والسمن) رواه الشيخان.

٧- مسؤولية صيانة الأسرة وحمايتها من التصدع والانهيار:

والأسرة - عزيزي الزوج - غاليتي الزوجة - بناءٌ ككلِّ بناءٍ، ومؤسسة قوية، بل هي نواة الأمة الكبرى، لا بدلها بعد الاختيار الموفق لركنيها الزوج والزوجة، من صيانة مستمرة وحماية دائمة من التصدُّع والانهيار، ومعرفة كيفية هذه الصيانة، وطرق هذه الحماية، وقد منّ علينا اللطيف الخبير سبحانه وتعالى، والرسول المعلم المربي (ببيان القواعد الأساسية للصيانة والحماية وجعل من أهمها معرفة حقوق الزوج على زوجته والزوجة على زوجها، وحقوق الأولاد الناشئين من هذه الأسرة عليهما، وحقوقهما عليهم .

قال تعالى :؟ ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾البقرة: ٢٢٨.

وقال تعالى: في الآية الفذة التي تبين بعض حقوق الزوجية، وصفات الزوجات الصالحات، وقوامة الرجل: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْض وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ النساء:٣٤. وقال الله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ١٩، وقال تعالى: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾

النساء:٤، وقال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ الطلاق:٦، ٧.

هذه بعض آيات وردت في التنزيل الحكيم، كقواعد أساسية، وأحكام ربانية، تبيِّنُ واجبات كل من الزوجين وحقوقهما تجاه الآخر، وقد فصلها وبينها قولاً وعملاً الزوج المثالي ألا وهو الرسول المربي المعلم صلوات ربي وسلامه عليه، فهل لك أخي الزوج أختي الزوجة أن تضعا في منهاج حياتكما المستقبلية هذه القواعد موضع العناية والرعاية حتى تستقيم حياتكما الأسرية ويستمر الحب بينكما فياضاً، وتدوم المودة والرحمة في حياتكما لهذه الأسرة حصناً وسياجاً؟

إذن، فلنتعرف على هذه الأحكام الربانية كما بينها وطبقها عملياً الرسول الزوج ﷺ، ولا يغيبَنَّ عن بالكما أيها الزوجان الكريمان، ما أوردته لكما في أول هذا البحث من قولِ الرسول المربي ﷺ: (النساء شقائق الرجال) ومن فعلِهِ الذي جعل المرأة والرجل صِنْوانِ في بنيان الحياة، فأعاد للمرأة بفعله وقوله عزَّتَها وكرامَتَها، بعد أن هدرتها الجاهلية، فصارت بفضل التشريع الربَّاني هي والرجل ركنين في الحياة يكملان بعضهما بعضا [(١)]

ودَعْكُما - عزيزي الزوجان - من الأقوال التي تُرَوَّج هذه الأيام بأن المرأة مهضومة مظلومة، ظلمها الرجل ولم يعطها حقها، وبأنها واقعة تحت تسلط الرجل وحكمه وبأن لابد لها من النضال من أجل استرداد حقوقها، وأنها، وأنها ...

فإن كان هذا الكلام يصدق في وقت ما، فإنه يصدق على المرأة التي كانت خارج نطاق الشرع الإسلامي، وتطبيقه كما في نساء الغرب وأمثالهن .. أما المرأة

(١) - راجع في القسم الثاني من هذا الكتاب؛ (زواج رسول الله ﷺ) وكيف كانت سيرته في أزواجه رضي الله عنهن .

في الشريعة الربانية الإسلامية، فهي والرجل سواء في كل ميادين الحياة قولاً وفعلاً وتشريعاً وتطبيقاً، ولا يُنْقِصُ من قيمة الشريعة سوءُ تطبيق بعض الرجال في بعض العصور والأمصار، فإن الحياة السليمة كانت وفق الشريعة المستقيمة تسير صحيحة قويمة، ولا تزال - والحمد لله - في البيوتات الإسلامية التي تعرف قيمة التنزيل الرباني والتوجيه النبوي، والرجل والمرأة على السواء وفق هذا الدين القويم لكل منهما دور في إعمار الحياة وبنيان الأمة يؤديه الاثنان معاً؛ لتكمل مسيرة العيش الكريم القويم، ومن المفيد بل من اللازم أن يطلع الزوجان على أهم مبادىء هذه المسؤولية التي تخص كلاً منهما تجاه الآخر؛ وأحب أن يفهم الزوجان هنا أن التنزيل الرباني يجب أن يفسر وفق ما فسره الرسول الكريم ﷺ قولاً وعملاً، ووفق ما تقتضيه قواعد اللغة العربية؛ وليس كما يتبادر إلى الذهن في زمننا هذا الذي اختلطت فيه المفاهيم حسب آراء من يكتبون أو يتصدون لشرح النصوص، وهم ليسوا من أهل الإنصاف أو الفهم المستقيم، بل حسب أهوائهم وميولهم يَلْوُون عنق النصوص أحياناً؛ ليطوعوها ويميلوها إلى رأيهم وفهمهم، ولو خالف الفهم الصحيح !.

العلاقة الزوجية تكاملية (من نفس واحدة)

كما أحب أن أوضح أيضاً أن العلاقة بين الزوجين عبر عنها القرآن الكريم بأجمل وألطف تعبير، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الروم: ٢١. وفي قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ وفي قوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (٩٨)، وفي قوله سبحانه ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾النحل:٧٢، وغيرها من الآيات التي تعبر بألطف تعبير، وأجمل عبارة عن هذين (الجزأين) اللذين خلقا من نفس واحدة: (من أنفسكم) وجعل العلاقة الناظمة

لهما: (المودة والرحمة) وقد يذكر الفقهاء والعلماء في تأصيل قواعد الحياة الزوجية عناوين تسمى: (حقوق الزوج على زوجته، وحقوق الزوجة على زوجها) وما يتفرع عن ذلك مما يشعر بالانفصالية والاستقلالية نوعاً ما، وإن كان هذا واقعاً معاشاً، وحقيقة واضحة .

لكني أحب على ضوء فهمي للنصوص القرآنية أن أتجاوز ما قعّده علماؤنا وفقهاؤنا من الحقوق الجزئية إلى (التكاملية) والتَّوَحُدِية التي عبر عنها القرآن الكريم (من نفس واحدة) (وخلق منها زوجها) وأن نشعر جميعاً أن الأمر أعظم وأكبر من شخصيتين مستقلتين تريد كل منهما حقوقاً منفردة عن صاحبها، بل هما جزءان منفصلان عادا ليلتحما (بالزواج) ويكتملا بهذا اللقاء الشرعي، فيعودا إلى الأصل (النفس الواحدة) .. فليست العلاقة بينهما علاقة شريكٍ في متجرٍ بشريكه، أو عامل في معمل مع ربِّ عمله، أو جندي بقائده ولا صانع بمعلمه، إنها علاقة أسمى وأكمل، كما عبر عنها الحق: (من نفس واحدة) فهي جزء منك، لا تسكنُ وتستقرُّ إلا بعودتها من منشئها عند أبويها إلى أصلها (الزوج) .. والرابطُ الذي يُؤَطِّرُ هذا اللقاء، ويمتِّنُ هذا الالتحام بين الجزء العائد، والأصل المستقبل هو المودة والرحمة، ذلك الحب العميق الثابت في القلب والرحمة الشاملة التي تجعل هذين الجزأين (الزوجين) منبتاً خصباً ورحماً لما ينبت منهما من نسل وأولاد.

وعلى ضوء هذا الفهم وأرجو أن نشترك جميعاً - أزواجاً وزوجاتٍ وآباءَ وأمهاتٍ- في العيش في ظله،والعمل على ضوئه؛ لنربي البنين والبنات من أجيالنا المستقبلة التي تحيا هذه العلاقة الفطرية، كما أرادها الخالق سبحانه، فيحيون الحياة السعيدة التي نرجوها لهم في ظل هذه الحقائق القرآنية.

روابط تمتين الحياة الزوجية وصيانتها.

بعد هذا الفهم؛ لا ضير أن نقول: ما هي الروابط المشتركة بين الزوجين والأواصر التي تُمَتِّنُ الاكتمال الحياتي لهما، وتعين على استمرار المودة والرحمة لهما وللأبناء والأحفاد في ظل هذا التوجه الرباني (النفس الواحدة)؟ فأقول:

القوامة للرجل، والطاعة للمرأة:

١ - مما ذكره علماؤنا في قوله تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ النساء:٣٤ أن القوامة هنا هي رئاسة الأسرة، ولابد أن تكون لواحد، حتى يستقيم الأمر، فإما أن تكون للزوج، وهو الذي يتولى الإنفاق ولأن الله فضَّله بمزيد من القوة والعقل، وهذه درجة زائدة على ما عند المرأة، فيما يستويان فيه، وإما أن تكون للمرأة، التي يُنْفَقُ عليها ولا تنفق !! وبما أن الله سبحانه وتعالى بيَّن سببَ إِسْدَاء القِوَامةِ للرجل. وذلك من أجل ما فَضَّلَهُ به، ومن أجل الإنفاق، وهذا لا ينسينا قوله سبحانه: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾البقرة: ٢٢٨. وقوامة الأسرة (أي رئاستها) تستوجب الطاعة من المرؤوسين، وهذه الطاعة هي أساس الانضباط والتوازن في كل مجتمع صغير أو كبير بدءاً من الأسرة وانتهاءً بالدولة، وما أكثر الآيات والأحاديث التي تحض على الطاعة وتوصي بها. ومع ذلك فقد رتب الشارعُ على الطاعةِ انسجامَ الأسرة في الدنيا والسعادة الدائمة في الآخرة، ومن المُسَلَّمِ به أن الإنسان المؤمن يبتغي دائماً في عمله رضى الله سبحانه ومثوبته الأخروية؛ ولذا كان من إرشاد الرسول المعلم ﷺ في هذا الخصوص قوله: فيما رواه ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصَّنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت) وفي رواية (دخلت جنة ربها).

وما رواه الترمذي والحاكم عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: قال النبي ﷺ: (وأي امرأة ماتت، وزوجها عنها راض دخلت الجنة).

لذلك سأهمس في أذنك أيتها الزوجة المؤمنة، قائلاً: يطلبُ غالبُ نساءِ اليوم إرضاء من لا يأخذُ بأيديهن إلى الجنة، فكوني أنت السابقة إلى دخول الجنة من أقصر الطرق وأيسر السبل، الذي يجعل حياتك الزوجية سروراً وحبوراً ويضفي على أسرتك أنساً وسكينة، ويمنح ضميرك راحة وهدوءاً، **بحيث تجعلين رضا زوجك عنك أساس الاستقرار في الأسرة.** وعلى ضوء هذا؛ ولما كان ما يلقاه الأزواج في الجاهلية

من الشقاق والإعراض من زوجاتهم وَجَّهَ النبي ﷺ الخطاب للزوجات المؤمنات ناهياً لمن أراد أن يسجد له قائلاً: (**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها كله، حتى لو سألها نفسها وهي على قَتَبٍ لم تمنعه**) رواه الإمام أحمد والبيهقي. ومعنى وهي على قتب: أي على كرسي الولادة، وقد كانت قوابل (الدايات) العرب تستعين (بالقتب) الذي يوضع على ظهر الجمل في تسهيل عملية الولادة.

ولنتصور العكس فيما لو لم تكن الطاعة؟! كيف يكون حال هذا البيت الذي لا طاعة فيه لا من الزوجة ولا من الولد؟ لمن له حق الطاعة؟ وكم خربت بيوت، وتشتت أُسَرٌ بسبب عدم طاعة الزوجة لزوجها، وفي الواقع أمثلة كثيرة وشواهد على ما نقول.

ولنا أن نتصور كيف يكون حال بيت زوجين، فارقت فيه الزوجة فراش زوجها، غاضبة أو عاصية؟ هل ينام الاثنان في أمان وهدوء وراحة واطمئنان؟ سوف نقول: كلا وألف كلا، فهل يسرُّك أيتها الزوجة العاقلة الفطنة أن تكوني ملعونة من قبل الملائكة؟ (والجواب لا، لا يسرك ولا يسر زوجك الذي أحبك وقدم الكثير من أجلك) فتركْتِ فراش الزوجية من أجل سبب تافه، إذن فاسمعي تحذير الرسول المصطفى ﷺ من ذلك حيث يقول: (**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح**) رواه البخاري ومسلم.

وبالطبع لن تكوني من أمثال هؤلاء الزوجات وأنت المؤمنة الفطنة،والزوجة المطيعة التقية، بل ستقولين: إن قدوتي تلك الزوجة المؤمنة من أصحاب رسول الله ﷺ التي أوصاها زوجها قبل سفره ألا تخرج من بيتها، وكانت تقيم في دار علوية وأبوها في دار سفلية، فمرض أبوها فأرسلت إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: (أطيعي زوجك)، فمات أبوها، فأرسلت إلى النبي ﷺ فقال: (أطيعي زوجك) فأرسل إليها النبي ﷺ: (إن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها) كما رواه الطبراني عن أنس رضي الله عنه وقد تقولين كيف يمرض أبي ويموت ولا أذهب إليه، ما هذا التعسف من الزوج؟! ولكن مهلاً أيتها المؤمنة،

فإن زوجها لم يمنعها من زيارة أبيها، ولا علم له بمرضه وموته، ولكنه أوصاها بعدم الخروج من البيت طيلة سفره، فأطاعت زوجها وامتثلت أمر النبي ﷺ وماذا كانت النتيجة ؟ كانت المغفرة لأبيها على لسان الصادق المصدوق بفضل طاعتها لزوجها، فهل رأيت أختي المؤمنة كيف كانت بركة الطاعة؟!) **ومن الواضح أن شؤم المعصية هو لعنة الملائكة لمن تخرج من بيتها دون إذن !! وهل يعي هذا فتياتنا المؤهلات للزواج؟ وهل تدرِّبهُنَّ أمهاتهن على هذه الآداب التي تحفظ البيوت من الخراب؟** فقد روى البزار عن ابن عباس - رضي الله عنهما - (**أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت يا رسول الله: ماحق الزوج على الزوجة فقال حقه عليها ألا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن فعلت (خرجت بغير إذنه) لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى ترجع**) ونعوذ بالله من لعنة الله وطرده.

هل تخرج الزوجة بلا إذن لمجالس العلم؟ وهذه مسألة تقع كثيراً ونسأل عنها، وهي أن بعض النساء قد يكن ملتزمات لبعض أهل العلم من الرجال والنساء يحضرن مجالسهم العلمية، أو مجلس الذكر والوعظ قبل الزواج أو بعده، وبعضهن يعتبرن أن لهن الحق في الخروج إلى هذه المجالس دون إذن الزوج؛ لأنهن بزعمهن قد أوصاهن أشياخهن أو شيخاتهن بعدم الانقطاع عن المجلس، ولو لم يأذن الزوج، وهذا كلام باطل مردود على صاحبه، ولا يقوله من له أدنى اطلاع على قواعد الشريعة وتوصيات الرسول (للمرأة بطاعة الزوج، وما ذكرناه من الأحاديث، وما نذكره هو الرد الكافي على ذلك، وأن المرأة التي تخرج دون إذن زوجها لأي مجلس كان، أو تنشغل في بيتها بذكرها أو قراءة القرآن ولا تلبي حاجة الزوج، هي عاصية لله سبحانه غير مطيعة له، اللهم إلا أن يأمرها بمعصية، فإنها لا تطيعه، وفي الصفحات الآتية: (حسن المعاشرة الزوجية) فيه تفصيل كاف لما نقول.

لذلك اتَّفِقْ أخي الزوج، مع زوجتك في مسائل الدخول والخروج، فيما إذا لم تكن صاحبة وظيفة تخرج إليها، اتفقا على هذه المسائل، حتى تستقيم لكما الحياة الزوجية، ولا يدخل فيها عليكما منغص أو مفسد، واتفقا أيضاً فيمن يَدْخُلُ بيتكما ومن تدخلين عليه، ومن لا يحب الزوج دخوله على بيتكما من جيران، أو أقارب أيضاً.

ولقد قال علماؤنا: لا ينبغي للزوج منعها من عيادة والديها وزيارتهما؛ لأن ذلك قطيعة رحم، وقد تؤدي إلى مخالفة الزوجة للزوج، وهذا ليس من المعاشرة بالمعروف التي أمر الله سبحانه بها.[١]

وهناك أمر يجب ألا يغيب عن بال الزوجين، وهو أن الزوج، وهو لا يطاع إذا أمر بمعصية؛ لأن الطاعة في المعروف وليس في المنكر، ولها أن تبين له أنها معصية بأدَبٍ ورِفْقٍ وكلامٍ ليِّنٍ، فإذا لم يرتدع امتنعت أيضاً بلطف وأدب مع حزم وصبر، **وبخاصة إذا طلب منها أن يأتيها في الحيض أو في الدبر، فلا تمكنه من ذلك، وإن أمر وغضب؛ (لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق).**

تخلق الزوجة بأخلاق الحور العين :

٢- ومن القواعد التي تعين على تمتين أواصر المحبة بين الزوجين أن تتخَلَّقَ الزوجة بأخلاق الحور العين اللواتي وصفهن الله سبحانه بقوله: ﴿ **إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا** ﴾ الواقعة:٣٧. وقوله تعالى: ﴿ **وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ** ﴾الواقعة: ٢٢ وقوله تعالى: ﴿ **فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌ** ﴾الرحمن: ٥٦. قال أهل اللغة: العَرُوبُ المتحببة إلى زوجها، والحور العين؛ من صفاتهن ما ذكره الله سبحانه وتعالى، كما أنهن مكنونات كاللؤلؤ، مصونات محفوظات لا يطلع عليهن إلا أزواجهن .وأعينهن لا تتطلع إلى غير أزواجهن، فقصرنها على الأزواج، ولذلك أمر الحق سبحانه النساء المؤمنات بهذا، فقال، موجهاً الخطاب لنساء النبي ونساء المؤمنين: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ الأحزاب:٣٣ وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ الأحزاب:٥٩، وقال تعالى: ﴿ **وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنّ** ﴾ النور:٣١.

---

(١) انظر مفصلاً: تحفة العروسين ص١٥٤.

فمملكة المرأة المؤمنة المحتشمة في بيتها، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ الأحزاب: ٣٣ وإذا خرجت المرأة منه لحاجة، فلا تَتَبَرَّجُ تبرج الجاهلية الأولى ولا (المعاصرة) ومن التبرج؛ إبداءُ الزينة وكشف المستور منها، فذلك ليس من خُلُقِها،لأنها إنما تتزين لزوجها لا للناس ولا تبدي ما يحرم عليها كشفه لغير زوجها أو محارمها، فهي تحفظ نفسها وتحصن فرجها إلا على بعلها، وقد مر معنا من صفات المرأة الصالحة (إذا نظر إليها سرته) فهي جميلة أو متجملة، ولذلك نهى النبي ﷺ الأزواج أن يفاجئوا زوجاتهم بعد عودتهم من السفر، بل يرسلون خبراً حتى تستكمل المُغَيَّبَةُ زينتها وهندامها فقال ﷺ فيما رواه البخاري: (أمهلوا؛ حتى تدخلوا ليلاً، لكي تمتشطَ الشَّعِثَةُ، وتَسْتَحِدَّ المُغَيَّبَةُ) والشَّعِثَة: التي لم تمتشط منذ زمن لغياب زوجها، وهي المُغَيَّبَة التي غاب عنها زوجها، وتستحد؛ تزيل الشعر الزائد من جسمها. فإذا أقبل هذا الزوج الغائب المشتاق للقيا زوجته، وجدها نظيفة جميلة، ناعمة متجملة تنتظر لقيا البعل الغائب، فتقضي معه وقتاً طيباً وتمتعه بنفسها ويمتعها بنفسه مراعياً بذلك ما ذكرناه آنفاً من آداب المعاشرة الزوجية، متذكرة بذلك قول النبي ﷺ عندما سئل أي النساء خير؟ فقال: (التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها وماله بما يكره) فهو يُسَرُّ بنظره إليها في هندام جميل وقوام لطيف، وهو أفلا يطلب منه ذلك أيضاً ؟ بلى إنه يطلب منه أن يتزين لها أيضاً، لذلك أخي الزوج، إذا قدمت من عملك وكان يحتاج إلى تغيير ثياب العمل، فعليك بإصلاح هندامك وتحسين قيافتك، وأن تكون لها كما تحب أن تكون لك، فهذا من أواصر دوام المودة والمحبة بينكما ..

حفظ أسرار البيوت وعدم إدخال المخربين والمخربات إليها :

٣ - ومن الآداب الإسلامية في قواعد صيانة الحياة الزوجية، أن تصون المرأة هذا البيت الزوجي عما يؤذيه لأنها سيدة البيت في غياب الزوج وسفره، وفيما لا يطلع عليه غيرها، فلا تأذن بدخوله لمن يكره الزوج، ولمن تعلم أنه سيكون سبباً في إفساد الحياة الزوجية ولو كان من أقاربها فقد أوصى بذلك الرسول المصطفى ﷺ في حجة الوداع، فكان مما قاله: (ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً، فحقكم

عليهن ألا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا في كسوتهن وطعامهن) رواه الترمذي.

وكم خربت بيوت من جراء دخول نساء، أو رجال لا يخشون الله في أعراض الناس وبيوتهم، فيدخلون بالفساد، ويخرجون بالفساد، .. وهذا الأمر يتفق عليه بين الزوجين، وبالاتفاق تتحسم مادة الخلاف .

وما أنقله لك من خبر في الهامش هو بعض مما يجري من دخول أُناس لا يخشون الله ويتسببون في خراب البيوت(١).

(١) ذكرت صحيفة تشرين الدمشقية بعددها الصادر يوم ١٩ /٧ /٢٠٠٤ ما يأتي بعنوان: الجارة دست المخدر في الشاي والزوجة غرست السكين في القلب: لم يكن أحمد يعرف أن لقاءه بوفاء سيقود إلى قتله في يوم من الأيام، كان أول لقاء بينه وبينها في منزل أحد أخوالها، كانت وفاء تبدو طيبة وبشوشة، وتردد لنفسه أنها الفتاة التي يبحث عنها فلماذا لا يطلبها للزواج ؟ تقدم أحمد لخطبة وفاء بعد أن كان قد سأل عنها وعن أسرتها وعلم أنها فتاة عفيفة وعلى خلق، تنتمي لأسرة متوسطة الحال،وهو مهندس وميسور الحال.. باركت الأسرة زواجهما، وتمت مراسم الزواج خلال شهور قليلة، عاشا أسابيع من الهناء بعد أن اتفقا على ألا يكون للمشكلات مكان في حياتهما .. وبعد انقضاء شهر العسل عانت وفاء الوحدة القاتلة بسبب انشغال زوجها في عمله، وخلال ساعات الانتظار الطويلة في المنزل تعرفت على جارة لها مطلَّقة في العمارة نفسها التي تسكن فيها، ولم تكن الجارة سميرة تفارقها ليل نهار، وعرفت سميرة أدق تفاصيل حياتها الزوجية حتى أسرار العلاقة الزوجية . سئم الزوج من كثرة تردد الجارة التي كلما دخل المنزل مساءً وجدها أمامه إلى جوار زوجته، وكلما خرج في طريقه إلى عمله وجدها أمامه، توشك أن تقرع جرس الباب لتجتمع بزوجته ... لقد أصبحت سميرة جزءاً من حياتها، وبدا واضحاً للزوج تأثير الجارة على زوجته، عندما بدأت وفاء تعصي أوامره التي لم تكن ترفضها من قبل، عندها توصل الزوج أحمد إلى نتيجة ليبعد هذه المرأة التي فرضت نفسها على بيته وحياته، فأخبر زوجته بأنه يريد إنجاب طفل، لكن سميرة أوقعت فيما بينهما فحرضت الزوجة على عدم الإنجاب بزعم ألا يمل منها الزوج عندما تنشغل بالطفل واستمعت وفاء لنصيحة جارتها، وتحول المنزل إلى جحيم، بدأ الزوج يطلب من زوجته أن تبعد جارتها عن حياتهما وألا تدخل شقتها، لكن وفاء رفضت وقالت له: لا أستطيع أن أبتعد عنها، فهي صديقتي الوحيدة .. شكا أحمد حاله لأهل زوجته لكنهم أجابوه، بأنها زوجته وله الحق أن يفعل معها ما يريد، وتحدث مع أهله يروي لهم مأساته ورغبته في التخلص من زوجته، حزنت أمه لحاله كثيراً وأشارت عليه بالزواج عليها من إحدى قريباته . تزوج أحمد دون علم وفاء وادعى أنه مسافر في مهمة عمل وعاش أياماً سعيدة مع زوجته الثانية حتى علمت الجارة بزواجه، فقامت بالإسراع في زف خبر زواجه إلى صديقتها وفاء . ملأت الجارة قلب وفاء بالحقد على زوجها والتقى تفكيرهما الشيطاني بالتخلص من الزوج إلى الأبد . واستدرجتاه إلى المنزل الذي لم يعد يأتي إليه بزعم أن وفاء مريضة وتريد رؤيته . قامت الجارة بوضع المخدر في الشاي للزوج . وتناولت وفاء السكين وغرستها في صدر زوجها وكانت طعنة واحدة مسددة بعناية كافية للقضاء عليه، ولم يشعر أحد بما جرى .. ذهبت وفاء وسميرة إلى قسم الشرطة تحرران بلاغاً بأن الزوجة كانت غائبة وعندما عادت وجدت زوجها جثة هامدة .. اتهم أهل الزوج وفاء بقتله بعد أن قدموا بلاغاً رسمياً بذلك =

التعاون على تدبير المعيشة وعدم التبذير والإسراف:

٤- ومن أمهات أسباب صيانة البيت الزوجي أن يحفظ الزوجان مال الأسرة عن التبذير والإسراف، والتقتير والإجحاف، فهو ينفق من سعته على أسرته (زوجه وأولاده) قال الله تعالى: ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا** ﴾ الطلاق: ٧.

وبحسب مسؤوليته أمام الله، فهو راع لأسرته: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والأمير راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) رواه الشيخان واللفظ للبخاري: كتاب النكاح، وقوله ﷺ: (كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت) وهي (الزوجة) راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، كما روى ذلك الشيخان، والنفقة أوجبها الشرع على الزوج بموجب عقد الزواج ولو كانت الزوجة غنية، لأنها حبست نفسها لأجله ولأجل بيته وأولاده، فلها النفقة بالمعروف من الكسوة والطعام والسكنى، وهذا مقدر بكفايتها وكفاية أولادها، وقد قال الرسول المربي ﷺ لهند: (خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف) أي من مال زوجك.

فهو منفق بإيجاب الله عليه، وهي مدبرة أمور البيت، مُصْلِحَةٌ فيه مربِّيَةٌ للأولاد محسنة في تدبيرها لا تكلفه رهقاً، ولا تطلب منه ما لا يطيق؛ حتى لا تتسبب في إحراجه وسعيه لسبل لا يرضاها الشارع الحكيم، وقد أخبر الرسول المعلم ﷺ: (أن

= وبعد تحريات رجال الشرطة وأقوال أهل الزوج والجيران اعترفت الزوجة وفاء بالجريمة، مبررة أنها قتلته انتقاماً لنفسها بعد زواجه بأخرى أن صديقتها سميرة كانت الشاهدة على القتل وحرضتها عليه.. أنكرت سميرة ما أدلت به الزوجة في تحقيقات الشرطة، لكن بعد مثولها أمام النيابة اعترفت بتحريض الزوجة على القتل، لكنها لم تشترك فيه . تعليق المحرر: (ربما لو لم تعرف وفاء جارتها سميرة، ولم ترحب بصداقتها وأطاعت زوجها بالابتعاد عنها لما كانت النهاية مقتل زوجها أو حتى الإقدام على زواجه عليها ..) اهـ من جريدة تشرين . تعليق المؤلف: فليحذر الزوجان مخالفة شريعة الله، وبخاصة الزوجة، فلا تدخل بيتها من يكرهه الزوج، وعلى الزوج أن يختار الجيران الصالحين ويتفقد ما يجري حوله، ويتعاون مع زوجته على اختيار من يزورهم ويزورونه وعلى الزوجة ألا تخفي على زوجها الأمور التي تحدث معها .وليتق الله الزوجان ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ۝٢ **وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾ الطلاق: ٢، ٣ وليملأ فراغ حياتها بما يُشغلها بطاعة الله وطاعته، والله الموفق. أبو يحيى.

أول ما هلك بنو اسرائيل؛ أن امرأة الفقير كانت تكلفه من الثياب أو الصنيع ما تكلف امرأة الغني) أخرجه ابن خزيمة.

لذلك عليكما أيها الزوجان الكريمان، أن تتعاونا في تدبير أمر النفقة والمعيشة، (والتدبير نصف المعيشة) و(ما عال مقتصد) كما في الحديث[1] وبخاصة إذا كانت الزوجة ذات راتب وأرادت أن تشارك في النفقة على البيت تطوعاً وإحساناً فإن فعلت دون مِنَّةٍ ولا أذى،فإنها تزيد عرى المحبة والمودة وثوقاً، وتسهم في تقوية سور البيت الزوجي ورسوخ بنيان الأسرة.

ومن البدهي أن الحب بين الزوجين يُرّخِصُ المال؛ لأن المال جعل وسيلة لقضاء الحاجات، ومن حسن التبعل أن يتشارك الزوجان ويتعاونا في القيام بحوائج البيت وتربية الأسرة، وهكذا تفعل النساء الصالحات، وقد ذكرت كتب السيرة والسنة أن السيدة أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - لما تزوجها الزبير بن العوام ﵁، كانت تقوم بخدمة البيت وإصلاح شؤونه، فكانت تَعْلِفُ فرس الزبير، وتسُوسُه (أي تدبر أموره) وتدُقُّ النوى (عَجَمَةُ التمر وتجعله علفاً) وتستقي الماء (تجلبه من البئر) وكذلك كان نساء الصحابة يفعلن، وكان الرسول ﷺ الزوج أكرم كل الأزواج، فقد قال: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) فكان (يشارك في مهنة أهله، فيحلب شاته، ويرقع ثوبه ويخصف نعله، فإذا حضرت الصلاة ذهب إليها).

فتدبير أمر المنزل عندما يكون قائماً على تعاون الزوجين كُلٌّ فيما يحسن وفيما يمكنه، هو من عناصر ديمومة واستمرار الحياة الزوجية والأسرية القائمة على المودة والرحمة.

---

(١) حديث (التدبير نصف المعيشة) جزء من حديث تمامه: (والتودد نصف العقل، والغم نصف الهرم، وقلة العيال أحد اليسارين) قال في كشف الخفا رواه الديلمي عن أنس، ومرَّ في حديث الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة، قال فيه، رواه البيهقي وضعفه وله شواهد منها ما عند الديلمي: (التدبير نصف المعيشة) وحديث: (ما عال مقتصد) رواه الدارقطني والطبراني عن ابن عباس: و(ما عال من اقتصد) رواه الإمام أحمد عن ابن مسعود كما في الجامع الصغير للسيوطي .

حسن المعاشرة الزوجية:

٥- ومن أهم مقومات الحياة الزوجية السعيدة حسن العشرة لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ النساء:١٩ وقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ البقرة:٢٢٨، وقوله ﷺ: (خياركم خياركم لنسائهم خلقاً) وقوله ﷺ (استوصوا بالنساء خيراً) .

ويدخل تحت هذه القاعدة فروع كثيرة:

أ - فمن العشرة بالمعروف أن يحسن الزوج معاملة شريكة حياته، فيصفح عن تقصيرها إن قصرت وليذْكُر أنها قد تنسى أو تَأْسى (تحزن)، ومن أجل النسيان جعل الله سبحانه شهادة امرأتين برجل فقال تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ البقرة: ٢٨٢، ومن أجل الأسى والحزن كانت العاطفة والرحمة لديها أكثر من الرجل!!

ب - ومن العشرة بالمعروف: أن يصبر الزوج على ما يصدر من إساءة إن حصلت لقوله تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ النساء: ١٩، وقوله ﷺ (لا يَفْرَك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلق رضي منها آخر) رواه مسلم، أي لا يغضب الزوج المؤمن من زوجته المؤمنة لسوء خلق منها، فينظر إلى أخلاقها الحسنة الأخرى.

جـ - ومن العشرة بالمعروف: أن يلاعبها ويمازحها، ويَسْمُرَ معها، كما كان يفعل النبي ﷺ مع نسائه، كما في حديث أم زرع، وكما سابق النبي ﷺ عائشة مرة فسبقها، وسابقته أخرى فسبقته، وفي هذا يقول الحبيب المصطفى ﷺ: (وكل ما يلهو به الرجل المسلم باطل إلا رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله (زوجته) فإنهن من الحق) رواه الترمذي.

د - ومن العشرة بالمعروف: السهر عليها في مرضها، وتعبها، والصبر عليها في أوقات حيضها ونفاسها، فإنها حالات مستمرة تأتيها وتكون أحياناً أشد من المرض.

هـ - ومن المعاشرة بالمعروف: أن يحفظ عرضها ومالها، ولا يؤذيها بسب أهلها أو انتقاصهم أو تحقيرهم، وكذلك تحفظ عرضه وماله كما مر في حديث

المرأة الصالحة: (إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله).

شكوى زوجية طريفة:

ومن حفظ العرض أن تَعُفَّ زوجها ولا تقصر في قضاء حاجته الجنسية، وتتعرض هي له وتتهيأ له، وكذلك هو؛ بألا يهمل حقها أيضاً ولا يتركها فوق ثلاث ليال دون مضاجعة فقد ورد في كتب التفاسير؛ أن امرأة جاءت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي يصوم النهار، ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه، وهو يعمل بطاعة الله - عز وجل - فقال لها: نِعْمَ الزوج زوجك، فجعلت تكرر عليه القول، وهو يكرر عليها الجواب.

فقال له كعب الأسدي: يا أمير المؤمنين، هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إيَّاها عن فراشه، فقال: عمر كما فهمت كلامها فاقض بينهما. فقال كعب: علي بزوجها؛ فأتي به فقال له: إن امرأتك هذه تشكوك. قال: أفي طعام أم شراب؟ قال: لا. فقالت المرأة:

يا أيها القاضي الحكيم أنشدُهُ   يا أيها القاضي الحكيم أنشدُهُ
زهدهُ في مضجعي تعبُّدُه   فاقضي القَضَا كعبٌ ولا تردِّده
نهارُه وليلُه ما يرقدُه   فلستُ في أمرِ النِّساءِ أحمدُه

فقال زوجها:

زهَّدني في فِرَاشِها وفي الحِجَل   أني امرؤٌ أذهلني ما قد نزلْ
فيسورة النَّحلِوفيالسَّبْعِالطِّوَلْ   وفي كِتَاب اللَّهِ تخويفٌ جَلَلْ

فقال كعب:

إنَّ خيرَ القاضِيَيْنِ من عدل   ثم قَضَى بالحق جهراً وفَصَلْ
إن لها حقاً عليك يا رجُل   تصيبُها في أربعٍ لمن عقل
قضيةٌ من ربها عز وجل   فأعطها ذاك ودع عنك العِلَل

ثم قال: إن الله - عز وجل - قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك / ولها يوم وليلة.

فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله ما أدري من أي أمريك أعجب ؟ أمن فهمك أمرهما أم من حكمك بينهما ؟ .. اذهب، فقد وليتك قضاء البصرة. (وانظر القصة في كتاب البدور في أحوال ربات الخدور: ص٦١).

و - ومن معاشرة المرأة لزوجها بالمعروف: أن تتعهد الزوجة المؤمنة أسباب راحة الزوج، ومداومتها على تلك الأسباب ومن المفيد أن نذكر وصية أمامة بنت الحارث لابنتها، حين زفت إلى زوجها، فقالت:

(أي بُنَيَّة، إن الوصية لو كانت تُتْرَكُ لفضْلِ أدبٍ أو لتقدُّم حَسَبٍ، لزويت ذلك عنك ولأبعدته منك، ولكنها تَذْكِرةٌ للغافل ومعونة للعاقل.

أي بُنَيَّة، لو أن المرأة استغنت عن زوج لِغنى أبويها وشِدَّة حاجتِهما إليها،كنت أغنى الناس عن ذلك، ولكن النساء للرجال خُلقن ولَهُنَّ خُلِق الرجال.

أي بُنَيَّة، أما إنَّك قد فارقتِ الحِمى الذي منه خرجْتِ، وخَلَّفْتِ العُشَّ الذي فيه دَرَجْتِ، إلى وكْرٍ لم تعرفيهِ، وقرينٍ لم تألفيهِ، فأصبح بِمُلْكِهِ عليك مليكاً، فكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكاً، واحفظي له خصالاً عشراً تكن لك ذخراً:

أما الأولى والثانية: فالصحْبَةُ بالقناعة، والمعاشَرَةُ بحسْنِ السمعِ والطاعة؛ فإن في القناعة راحةَ القلب وفي حسن المعاشرة رضى الرب.

وأما الثالثة والرابعة: فالمعاهدة لموضع عينيه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشتَمَّ منك إلا أطيب ريح.(١)

---

(١) مما ورد في وصية عامر بن الظرب لما زوَّج ابنته لابن أخيه قال لأمها ﷺ: يا هذه، مري ابنتك فلا تنزلن فلاة إلا ومعها ماء، وأن تكثر استعمال الماء، فلا أطيب منه، وإن الماء جعل للأعلى جلاءً (أي للوجه) وللأسفل نقاءً. (أي فلتبالغ في الاستنجاء وتنظيف المخارج) من كتاب البدور: ص ٤٦.

وأما الخامسة والسادسة: فالتعاهد لوقت طعامه، والتفقد لحين منامه، فإن حرارةَ الجوع مُلْهِبَةٌ وتنغيصُ النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله، والإرعاء على حشمه وعياله، وملاكُ الأمر في المال حسن التقدير وفي العيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشين له سراً، ولا تعصين له أمراً، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره. واتقي مع ذلك كله الفرح إن كان تَرِحاً (حزيناً)، والاكتئاب إذا كان فرِحاً، فإن الأولى من التقصير والثانية من التكدير، وأشد ما تكونين له موافِقَةً أطولَ ما يكونُ لك مرَافَقَةً.

واعلمي يا بنية، أنك لا تقدرين على ذلك **حتى تؤثري رضاه على رضاكِ، وتقدمي هواه على هواكِ مهما أحببت أو كرهت** والله يصنع لك الخير وأستودعك الله).

ز – ومن المعاشرة بالمعروف: قيام الزوجة بأمور البيت على أحسن وجه من الخدمة وتهيئة الطعام والأثاث، وما يتعلق بأمور البيت.

ح – ومن المعاشرة بالمعروف: مقابلة الخلق الكريم بالخلق الكريم، وهذا من الوفاء وحسن الخلق، وألا يقابل أحد الزوجين الإساءة من الآخر إلا بالحسنة.

قصة زواج القاضي شريح:

ومما يذكر في هذا الموضوع قصة زواج القاضي شريح، وهي أنموذج رائع للتأسي والاقتداء:

عن الشعبي قال: لقيني شريح فقال لي: يا شعبي، عليك بنساء بني تميم، فإني رأيت لهن عقولاً، فقلت: وما رأيت من عقولهن؟ قال: أقبلت من جنازة ظهراً فمررت بدورهن، وإذ أنا بعجوز على باب الدار، وإلى جانبها جارية كأحسن ما رأيت من الجواري، فعدلت إليها، واستسقيت، وما بي من عطش، فقالت: أي الشراب أحب إليك؟ قلت: ما تيسر، قالت: ويحكِ، يا جارية، ائْتِه بلبن، فإني أظن الرجل غريباً،

فقلت للعجوز: ومن تكون هذه الجارية منك؟ قالت: هي زينب بنت جرير إحدى نساء بني حنظلة، قلت: هي فارغة أم مشغولة؟ قالت: بل فارغة،

قلت: أتزوجينيها؟ قالت: إن كنت كفاء – ولم تقل كفئا وهي لغة بني تميم – فتركتها ومضيت إلى منزلي؛ لأقيل فيه، فامتنعت مني القائلة، فلما صليت الظهر أخذت بيد إخواني من العرب الأشراف: علقمة بن الأسود والمسيب، ومضيت أريد عمها فاستقبلنا وقال: ما شأنك أبا أمية؟ قلت: زينب ابنة أخيك، قال: ما بها عنك رغبة. فزوجنيها، فلما صارت في حِبَالي ندمت، وقلت أي شيء صنعت بنساء بني تميم؟ وذكرت غلظ قلوبهن فقلت: أطلقها، ثم قلت: لا ولكن أدخل بها، فإن رأيت ما أحب وإلا كان ذاك؛ فلو شهدتني يا شعبي وقد أقبلت نساؤها يهدينها، حتى أدخلت علي، فقلت: إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم ويصلي ركعتين، ويسأل الله من خيرها ويتعوذ من شرها، فتوضأت فإذا هي تتوضأ بوضوئي، وصليت فإذا هي تصلي بصلاتي، فلما قضيت صلاتي أتتني جواريها فأخذن ثيابي، وألبستني ملحفة قد صبغت بالزعفران، فلما خلا البيت دنوت منها، فمددت يدي إلى ناصيتها، فقالت: على رِسْلِكَ يا أبا أمية، (أي على مهلك) كما أنت، ثم قالت:

الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلي على محمد وآله، فإني امرأة غريبة، لا علم لي بأخلاقك، فبيِّنْ لي ما تحبه فآتيه، وما تكره فأجتنبه، فإِنَّهُ قد كان لك منكح في قومك ولي في قومي مثل ذلك، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً، وقد ملكتَ فاصنع ما أمرك الله تعالى به: إما إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولك ولجميع المسلمين.

قال شريح: فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع، فقلت: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلي على محمد وآله، أما بعد: فإنكِ قلتِ كلاماً إن ثَبَتِّ عليه يكنْ ذلك حظّاً لي، وإن تَدَعيه (تتركيه) يكن حجة عليك، أُحِبُّ كذا وكذا وأكره كذا وكذا وما رأيت من حسنة، فابثثيها (فانشريها) وما رأيتِ من سيئة، فاستريها.

قالت: كيف محبتك لزيارة الأهل؟ قلتُ: ما أحبُّ أن يَمَلَّني أصهاري. قالت: فمن تُحبُّ من جيرانك أن يدخلَ دارَك آذن له؟ ومن تكرهه أكرهه؟ قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء.

قال شريح: فبتُّ معها يا شعبي، بأنعمِ ليلةٍ ومكثت معي حولاً (سنة) لا أرى منها إلا ما أحبُّ، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء، وإذا أنا بعجوز في البيت، تأمر وتنهى. قلتُ من هذه ؟ قالوا: فلانة أم حليلتك (حماتك). قلت: مرحباً أهلاً وسهلاً، فلما جلست أقبلت العجوز فقالت: السلام عليك أبا أمية، فقلت: وعليك السلام ومرحباً بك وأهلاً، قالت: كيف رأيتَ زوجتَك ؟ قلتُ :خيرَ زوجة وأوفق قرينة. لقد أدبتِ فأحسنتِ الأدب، وريَّضتِ فأحسنتِ الرياضة، فجزاك الله خيراً، فقالت: يا أبا أمية، إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها في حالتين، قلت: وما هما ؟ قالت: إذا ولدت غلاماً، أو حَظِيَتْ عند زوجها، فإن رابك مريب فعليك بالسَّوط فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من الروعاء المدلَّلة، فقلت: والله لقد أدبت فأحسنت الأدب، وريضت فأحسنت الرياضة، قالت كيف تحب أن يزورك أصهارك؟ قلت: ما شاؤوا، فكانت تأتيني في رأس كل حول فتوصيني بتلك الوصية. فمكثتُ معها عشرين سنة لم أعبْ عليها شيئاً، وكان لي جار من كندة يُفَزِّع امرأته ويضربها فقلت في ذلك:

رَأيـتُ رِجَـالاً يـضْـرِبُـون نِـسَـاءَهُـم ... فشلَّتْ يَمِيني يومَ تضربُ زَينَب
أأَضـرِبُـها مـن غيـرِ ذَنْـبٍ أَتَـتْ به ... فما العدلُ مني ضربُ مَنْ ليس يُذْنِب
فـزَيـنَـبُ شـمـسٌ والـنِّـسَـاءُ كَـواكِـب ... إذا طلعَتْ لم يَبْدُ مِنهنَّ كوكَب[1]

ط - ومن حسن المعاشرة: ألا تصومَ نفلاً إلا أن يأذن لها زوجها، لعلَّ لهُ حاجةً إليها؛ أخرج البزار: عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أن امرأة من خثعم أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، أخبرني، ماحق الزوج على الزوجة، فإني امرأة أيِّمٌ فإن استطعتُ وإلا جلستُ أَيِّماً ؟ قال: (فإن حق الزوج على

(١) البدور في أحوال ربات الخدور (للشيخ محمد أبو اليسر عابدين ط١ ص١٥٨) .

زوجته إن سألها نفسها، وهي على ظهر بعير ألا تمنعه نفسها، ومن حق الزوج على الزوجة ألا تصوم تطوُّعاً إلا بإذنه، فإن فعلت جاعت وعطشت ولا يقبل منها، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء، وملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، حتى ترجع) قالت:لا جرم (حقاً) لا أتزوج أبداً.

ي - ومن حسن المعاشرة: وعظ الزوجة إن قصَّرتْ أو أساءَتْ في أمر من أمور الحياة الزوجية أو الدينية، وخرجت عن الطاعة الشرعية، وهذا الوعظ طبقاً للتنزيل الربَّاني ﴿ **فَعِظُوهُنّ** ﴾ النساء: ٣٤ ويكون بما يناسب حالها من التخويف بالله أو رجاء ما عند الله من مثوبة وهنا تكمن حكمة الزوج وفطنته، وحسن صبره وخلقه، فكم هزت المشاعر كلمة صادقة لطيفة، وكم هذَّبَتْ من خُلُقٍ سيِّءٍ موعظةٌ نابعة بإخلاص من قلبٍ محبٍ لزوجة تشاركه عمره، وقد قال الله سبحانه: ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ الذاريات: ٥٥. وأسلوب الموعظة يتضمن ما ذكرنا وإذا أضيف إليه القصة المناسبة، والمثل المعروف، وبعض شواهد الواقع مع القصد الصالح ينفع بإذن الله لكلا الزوجين إن شذ أحدهما أو أساء، وهذه الموعظة من الزوجة لزوجها أيضاً إذا كانت الزوجة ممن يملك أسلوب الحكيم، والكلمة الطيبة.

هل تُضْرَب الزوجة؟

ك - ومن حسن المعاشرة: عدم الضرب، إلا إذا اضطر إليه الزوج وذلك كما يؤدب ولده دون أن تكون هناك نية الانتقام، ودون أن يكون ضرباً مبرحاً، بل كما قالوا بالسواك ونحوه، وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلا** ﴾ النساء: ٣٤ وقد تقول عزيزي الزوج، وهل يُضْرَبُ في هذا الزمان؟

والجواب؛ وهل كل النساء من ذوات الخلق الحسن اللواتي تنفع معهن الموعظة؟ لكن لا يلجأ إلى الضرب إلا عند الحاجة ولذا قال المربي ﷺ (**ولا تضرب الوجه ولا**

تقبح، ولا تهجر إلا في البيت) رواه أبو داود، كما أوصى بالضرب غير المبرح عملاً بالآية لمن اضطر إليه، فقال: (**ولكم عليهن ألا يُوطِئْنَ فُرُشَكم أحداً تكرهونه، فإن فَعَلْنَ ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح**) رواه مسلم.

وقد قال علماؤنا في شرح حديث البخاري: (لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها آخر اليوم) أي فإن هذا ليس من المروءة وحسن المعاشرة. قال العلماء: إنما يجوز الضرب إن أفاد ضربها في ظنه وإلا فلا، والأولى العفو عن الضرب.

ورغم صراحة الآية بالضرب غير المبرِّح عند اللزوم فقد أوصى الرسول الكريم ﷺ بعدم الضرب، واعتبر من يضرب ليس من خيار الناس فقال ﷺ: (لا تضربوا إماء الله، فجاء عمر رضي الله عنه وقال: ذَئِرَتْ (أي تطاولت) النساء على أزواجهن، فرخص رسول الله ﷺ في ضربهن، أي الضرب غير المبرح، فجاءت عدة نسوة يشتكين أزواجهن، فقال عليه السلام: لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشتكين أزواجهن (من الضرب) ليس أولئك بخياركم) رواه النسائي.

وكما نؤكد ما أكده الرسول الكريم ﷺ على أن من يضرب المرأة هو من شرار الناس وليس من خيارهم،

نقول: إن الضرب وإن كان مباحاً، فهو أيضاً كالطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله وقد روى الحافظ ابن سعد في طبقاته عن القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن ضرب النساء، فقيل: يا رسول الله، إنهن قد فسدن، قال: (**اضربوهن ولا يضرب إلا شراركم**). وروى أيضاً أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ قد ضربها زوجها ضرباً شديداً، فقام رسول الله ﷺ فأنكر ذلك وقال: (**يظل أحدكم يضرب امرأته ضرب العبد ثم يعانقها ولا يستحيي**).

ومن المناسب أن نذكر هنا أن الضرب المبرِّح والمؤلم سائد في المجتمعات الغربية التي أعطت للمرأة كل شيء وبات الرجل هو الذي يطالب بحقوقه، وقد

ذكرت الصحف وتذكر من هذا الشيء الكثير، وتطالب بوقف عنف الزوجات وضربهن لأزواجهن.(١)

(١) وقد نشرت جريدة تشرين الدمشقية تاريخ ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٤ الخبر الآتي: السجن مع وقف التنفيذ لمؤلف كتاب يحرض على ضرب الزوجات: أصدرت محكمة أسبانية حكماً بالسجن والغرامة على مدير مدرسة في جنوب أسبانيا لنشره كتاباً يقدم فيه نصائح للأزواج حول الطرق المفضلة لضرب زوجاتهم دون بقاء آثار على أجسادهن. ورأت المحكمة أن الكتاب بما يتضمنه من نصائح يُعَدُّ تحريضاً على العنف ضد المرأة ولكن المتهم دافع عن نفسه، مؤكداً بأنه يعارض استخدام العنف ضد المرأة و إن ما ورد في كتابه يتعلق بحالة معينة تكون فيها الزوجة متمردة لا تطيع زوجها ولا تقيم وزناً لآرائه وطلباته.بل تهتم بأمور أخرى كالمنزل والعمل وتربية الأبناء وتتركه على آخر القائمة باهتماماتها هذا إن بقي لديها وقت للبند الأخير. ومما جاء في الكتاب أن تأديب الزوجة يجب أن يتم بعصا رفيعة خفيفة تضرب بها المرأة على اليدين والقدمين ضرباً خفيفاً حيث لا يترك ندوباً وآثاراً. وبالطبع أثار الكتاب حالة من الغضب بين صفوف النساء والمدافعين عن حقوق المرأة الذين طالبوا بمعاقبة المؤلف ومصادرة كتبه.. وبالفعل تمت المصادرة وسحبت جميع النسخ من الأسواق وأحيل للقضاء الذي حكمه بالحبس مدة /١٥/ شهراً مع وقف التنفيذ؛ لأن القانون الأسباني يمنح المحكوم ميزة وقف التنفيذ إذا لم تكن له سوابق. وبصدور هذا الحكم احتفلت جماعات الدفاع عن حقوق المرأة لانتصار مبادئهم. لكن الكتَّاب والصحفيين كتبوا: إنه لمن المضحك صدور حكم على رجل ينصح المتزوجين بضرب زوجاتهم ضرباً خفيفاً حيث لا يترك أثراً في حين أن نسبة كبيرة من الأزواج الأسبان يمارسون هواية مصارعة الثيران في منازلهم حيث يتبادل الزوجان دور المصارع .. والثور!؟ وعموماً فإن مسألة ضرب الزوجات منتشرة في كل المجتمعات ففي أمريكا مثلاً لا حاجة لمطالعة الكتب التي تدعو لتهذيب أساليب الضرب والتقليل من آثارها الجسدية أو النفسية ففي حالات كثيرة ليست هي الطرف المضروب دائماً بل الضارب، وتؤدب زوجها بعصا غليظة (لا رفيعة أو خفيفة) كما جاء في كتاب صاحبنا الأسباني ونصائحه! وفي مجتمعاتنا الإسلامية بعامة والعربية بخاصة يأخذون بتعاليم القرآن، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، لكن اختلاط المفاهيم والقيم مؤخراً خلخل هذه القاعدة لدرجة أننا كثيراً ما نجد أسباب التسريح لا تبرره، ودواعي المعروف - شبه مفروضة - على الزوج، فهو مغلوب على أمره لسبب أو لآخر فهي إن أرادت تعاشره بمعروف وهو لا يستطيع أن يسرحها بإحسان، وهنا مركز الخلل . فنقول لهؤلاء أصلح الله حياتكم وجنبكم من ويلات المذلات؛ لأن الزمن لا يرحم أحداً والمجتمع لا يخفى عنه شيء مهما كانت درجة الكتمان . اهـ عن صحيفة تشرين. وانظر في المبحث الآتي (الرابع): الكلام الشرعي عن الضرب .

المبحث الرابع

الأحكام الشرعية المهيئة لقيام الحياة الزوجية والناظمة لنهايتها

ورود وأشواك: قدمنا آنفاً في المبحث السابق (الثالث) كثيراً من القواعد والأحكام الشرعية كآداب وأحكام تنتظم الحياة الزوجية بها، وأسهبنا الكلام عنها، على ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ومن النافع جداً - أيها الزوجان الكريمان - أن تكون هذه القواعد والأحكام ماثلة في الذهن وحاضرة في الواقع الحياتي للزوجين؛ لأن من عرف ماله وما عليه جدير بألا يتجاوز حقه وألا يقصر في حق غيره .. وبالإضافة إلى رعاية هذه الحقوق ووضعها موضع التطبيق في الحياة الزوجية فإن على الزوج مهمات كبرى ومسؤوليات ذات شأنٍ بَيِّنٍ في استمرار الحياة الزوجية إلى طريق الاستقامة والديمومة مع السعادة والهناء (سنذكرها في الفصل اللاحق) وباعتبارنا قدمنا هذه الأحكام مفصلة فلا حاجة لإعادة ذكرها وإنما سنتناول هنا القواعد الشرعية التي تكفل حق الزوجين إذا انتهت الحياة الزوجية بالموت أو الطلاق، وما هي نتائج انتهاء هذه الحياة على الزوجين والأسرة (الأولاد).

١- **أشواك: أبغض الحلال:** قد يكون هناك خلل أساس في بنيان الحياة الزوجية، كعدم التكافؤ بين الزوجين في الأصل والمعشر والمال والثقافة، ومستوى التفكير أو اختلاف في السن، أوفي الطباع، ويصبر كلا الزوجين على مسيرة الحياة الزوجية ثم تسير متعثرة مع الغصص والخلل، فبماذا يعالج الخلل ؟؟

نقول: يعالج الخلل بالدواء الذي عرضه الحق سبحانه بقوله: **﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ**

وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ النساء: ٣٤، ٣٥.

كما نظمت آيات سورة البقرة من الآية (٢٢٥) إلى الآية (٢٣٧) أحكام الطلاق والرضاع وعدة المتوفى عنها زوجها وعدة المطلقة وغير ذلك، وسوف نذكرها تفصيلاً إن شاء الله.

ومن الخير لنا أن نعالج الأخطاء والخلل في الحياة الزوجية بالدواء الذي وصفه الحق سبحانه في قرآنه، فذاك أفضل للزوجين وللأسرتين المتصاهرتين، ألا يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير؟ بلى إنه يعلم.

لذلك عزيزي الزوج: فإن أول طرق العلاج هو: ١- الموعظة الحسنة كما بينا في الفصل السابق، ولا مانع من تكرار الموعظة من وقت لآخر، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً، مسترشدين أيضاً، بقول النبي ﷺ: (لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً إن كره منها خلقاً رضي منها آخر) وأي إنسان لا يقع في الخطأ؟! ولكن **﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** الذاريات: ٥٥.

ذكر الشيخ الطبيب أبو اليسر عابدين المفتي العام للجمهورية السورية الأسبق في كتابه: (البدور في أحوال ربات الخدور): إن رجلاً جاء يشكو خلق زوجته إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فوقف ببابه ينتظره؛ فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو (أي عمر) ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل قائلاً: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالي؟! فخرج سيدنا عمر فرآه مُوَلِّياً (منصرفاً) فناداه: ما حاجتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، جئت أشكو إليك خلق زوجتي واستطالتها عليَّ فسمعت زوجتَك كذلك فرجعت وقلت: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟ فقال سيدنا عمر: يا أخي، إني احتملتها لحقوق لها علي؛ إنها طبَّاخة لطعامي، خبَّازة لخبزي، غسَّالة لثيابي، مرضعة لولدي، ويسكن بها قلبي عن الحرام، فأنا أحتملها

لأجل ذلك، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، وكذلك زوجتي، قال: فاحتملها، فإنها مدة يسيرة ا. هـ ص (٦٧).

فانظر أخي الزوج، إلى حال سيدنا عمر ولطفه العظيم وصبره، فهل لك أن تتأسى به وتصبر؟ ولا تيأس من الموعظة الحسنة لها، فإن رأيت لديها الاستجابة وعادت إلى الخطأ فكرر الموعظة؛ لأن المرأة تنسى كما أسلفنا، وإن لم تجد الاستجابة؛ فقد بيَّن الحق سبحانه في الآية السابقة:

٢ - **العلاج الثاني: وهو الهجر في المضاجع**، وهو اعتزال فراشها فقط دون البيتوتة خارج البيت، فإن أجدى هذا العلاج، فهو مطلوب وإلا فإنه يكرر حسب الحاجة، وأرجو الله سبحانه ألا يحوجكما عزيزي الزوجين، إليه أكثر من مرة كما أرجو ألا يحوجكما إلى:

٣ - **العلاج الثالث: وهو الضرب** وقد قدمنا عن النبي ﷺ أن الذي يضرب ليس من خيار الناس، ولكن الضرب خير من الفراق والطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله سبحانه وتعالى، وعن الضرب ذكر المفسرون في سبب نزول الآية أن سعد بن الربيع رضي الله عنه أحد نقباء الأنصار نَشَزَتْ عليه امرأته حبيبة بنت زيد، فلطمها فانطلق بها أبوها إلى رسول الله ﷺ وشكاه، فقال عليه الصلاة والسلام: (لنقتَصَّنَ منه) فنزلت الآية، فقال ﷺ (أردنا أمراً وأراد الله أمراً والذي أراده الله خير) وذكروا غير ذلك وكلها تدور على القِصاص في ضرب الرجل زوجته فنزلت الآية ..

قال المفتي العام السابق للجمهورية العربية السورية الشيخ الطبيب أبو اليسر عابدين في كتابه الممتع (البدور): إن الله تعالى شرع لنا تأديب المرأة وإلزامها الحدود الشرعية، حيث قال في نص كتابه الكريم لنساء نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**﴾ الأحزاب: ٣٠.

قال القرطبي المفسر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ النساء: ٣٤ أمر الله أن يبدأ الإنسان بالموعظة أولاً ثم بالهجران فإن لم ينجعا، فالضرب، فإنه هو

الذي يصلحها ويحملها على تَوْفِيَةِ حقه، والضرب في هذه الآية هو ضرب الأدب غير المبرح .. فإن المقصود منه الصلاح لا غير، فلا جرم إذا أدى الضرب إلى الهلاك وجب الضمان ..

.. قال عطاء قلت لابن عباس ما الضرب غير المبرح؟ قال: بالسواك ونحوه.[1]

وروي أن ابن عمر رضي الله عنه ضرب امرأته فعُذِلَ في ذلك (لاموه) فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يسأل الرجل فيما ضرب أهله). وإن أجدى الضرب غير المبرح، فهو أهون الضررين، لأن الضرر الثاني الطلاق، والطلاق هذا؛ ليس هو النهاية في انصرام الحياة الزوجية وانتهائها، فإن له مراتب أيضاً؛ فلتعلمها أخي الزوج، أختي الزوجة ؟ وما الذي يحوج الزوج إلى الطلاق بعد هذه العلاجات الثلاث السابقة ؟ فهل هو إلا سوء خُلُقِ زوجته وعدم تفهمها لمعنى الحياة الزوجية؟ وما الذي يجعله يطلقها رغم أنه سيخسر مهرها المقدم والمؤخر غالباً أو بعضه؟

الطلاق مشكلة، أم هو حل لمشكلة ؟

ولتعلم أخي، أن الطلاق حل لمشكلة عدم استمرار الحياة الزوجية، فيجعله بعض الناس مشكلة بحد ذاته؛ لأنهم لا يعرفون كيفية استخدامه!!

فقد جعل الشارع الحكيم بيد الزوج ثلاث طلقات يستخدمها عند اللزوم في حياته الزوجية متفرقة لا مجتمعة.

ففي حال عدم نجاح خطوات العلاج السابقة؛ الوعظ والهجر والضرب، فإن حل المشكلة يكون بالطلاق وذلك بعد مشاورة الناصحين من أقارب أو أصدقاء يستعين بهم في حل مشكلته، وهنا يكون الأمر ذا شعبتين:

الشعبة الأولى: الاتفاق بين الزوجين على إنهاء الحياة الزوجية بالرضى والهدوء دون اللجوء إلى المحاكم وبمشورة محامٍ أو بدونها، وهذا يسمى:

(١) – انظر ما نقلناه عن الصحف في ضرب الزوجات لأزواجهن في البحث السابق بعنوان: (هل تضرب الزوجة؟) في الهامش تحت عنوان: السجن مع وقف التنفيذ.

المخالعة بالتراضي، فيتفق الزوجان على أن يعطي الزوج زوجته قسماً من مهرها أو كل المهر (مقدمه ومؤخره) ويخلعها من عصمته وعقد نكاحه، وقد يتفقان في المخالعة على نفقة الحضانة وسواها حسبما يتم التشاور فيه والاتفاق عليه قبل إبرام مجلس المخالعة ومتى عرض الزوج ما اتفقا عليه على زوجته وقبلت في المجلس فقد بانت منه بـ (طلقة بائنة) وترتب عليها آثارها، وهي: العِدَّةُ في بيت الزوجية كما قال الله تعالى: ﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ** ﴾ البقرة: ٢٢٨. أي تنتظر حتى يأتيها الحيض ثلاث مرات أو أن تضع حملها إن كانت حاملاً. وبعد ذلك تخرج من بيت الزوجية إلى حيث شاءت. وينفذ كل منهما ما اتفقا عليه في المخالعة.

المخالعة بالتقاضي: وقد تتم المخالعة عند القاضي الشرعي بعد أن ترفع الدعوى أمامه ويعين القاضي حَكَمَيْنِ أحدهما من طرف الزوج والآخر من طر ف الزوجة من الأقارب أو الأباعد حسب الحال، ويحكم القاضي بما اتفق عليه الحكمان بعد سماع أقوال الزوجين، ومن له صلة بالموضوع، والخُلْعُ طلاق بائن كما ذكرنا يحسب على الزوجة طلقة واحدة.

وفي حالتي المخالعة بالتراضي أو التقاضي إذا أرادا العودة إلى الحياة الزوجية، فإن لهما ذلك ويحتاج الأمر إلى عقد جديد يسمى فيه المهر ويؤخذ فيه رضا الزوجة.

وقد يكون الخلع بطلب من الزوجة إن رأت أنها لا تستطيع أن تقوم بواجباتها الزوجية قال الله تعالى: ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا** ﴾ البقرة: ٢٢٩.

وواضح من البيان القرآني أن للزوجة أن تخالع زوجها على المال (المهر) الذي قدمه الزوج لها كله أو بعضاً منه، فإن قبل كما مر آنفاً فقد وقعت طلقة واحدة بائنة أيضاً، وعليها العدة وتنفيذ ما اتفقا عليه من حضانة الأولاد إن وجدوا؛ لها أَوْ لَهُ، ويحق لها أيضاً العود إليه إن قَبِلَ بعقد ومهر جديد، وقد وقع أول خُلْعٍ في الإسلام عندما جاءت امرأة ثابت بن قيس إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله؛ ثابت بن قيس، ما أعتب عليه في خُلُقٍ ولا دِينٍ لكن لا أطيقه، فقال رسول الله ﷺ: أتردِّينَ عليه الحديقة؟ قالت نعم.

هذه رواية البخاري، وفي رواية ابن ماجة: أن جميلة بنت سلول (امرأة ثابت بن قيس) أتت النبي ﷺ فقالت: والله ما أعيبُ على ثابتٍ في دِينٍ ولا خُلُقٍ ولكني أكرَهُ الكفرَ في الإسلام، لا أطيقه بُغْضَاً، فقال لها النبي ﷺ: أترِدِّينَ عليه الحديقة؟ قالت: نعم، فأمره رسول الله ﷺ أن يأخذ منها حديقته، ولا يزداد.

قال المفسر القرطبي بعد أن ساق الروايتين: فيقال: إنها كانت تُبْغِضُهُ أشد البغض، وكان يحبُّها أشد الحب، فَفَرَّقَ رسول الله ﷺ بينهما بطريق الخلع فكان أول خلع في الإسلام، ثم ساق القرطبي رواية أخرى عن ابن عباس غير الروايتين المذكورتين قال: روى عكرمة عن ابن عباس فقال: أول خُلْعٍ في الإسلام؛ أختُ عبد الله بن أُبَيّ أتت النبي ﷺ فقالت يا رسول الله، لا يجتمع رأسي ورأسه أبداً إني رفعت جانب الخِباء (الخيمة) فرأيته أقبل في عِدَّةٍ (من الرجال) إذ هو أَشَدُّهُم سواداً وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً، فقال عليه السلام أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم وإن شاء زدته، ففرق بينهما، وهذا الحديث أصل في الخلع، وعليه جمهور الفقهاء ا هـ من القرطبي.

أقول: وكان مهرها (حديقةً نَحَلَها إيّاها ثابت) وانظر إلى الكُرْهِ كيف يُرِي الإنسانَ الآخرَ قبيحاً كريهاً، وقد لا يكون كذلك.

أما الشعبة الثانية: فهي طلاق من طرف الزوج، والأفضل له هنا بعد استنفاد كافة فرص العلاج الثلاث التي ذكرناها حسبما أفادتها الآية الكريمة أن يطلقها مرة واحدة بلفظ: (أنت طالق) ومن السنة ألا تكون حائضاً ولا حاملاً ولا معتدة من طلاق سابق؛ حتى لا تطول مدة العدة عليها. فإن فعل (وطلقها وهي حامل أو حائض) فقد خالف السنة ووقع الطلاق، فإن قال هذه الكلمة: (أنت طالق) أو(سَرَّحْتُكِ) فقد وقع الطلاق مرة واحدة وعليها العدة في بيت زوجها، ولكن الأمر هنا يختلف عن المخالعة، فلهاأن تظهر أمامه بكل زينتها وأن تُغْرِيه بزينتها؛ ليعود عن طلاقها ويراجع نفسه فيما قال ويكون لها توبة وتأديباً ..

فإذا رأى الزوج بعد هذه الكلمة (الطلاق) أن الطلاق آلمها أو آلمه هو، وعمل في تحسين سلوكها وأخلاقها نحوه، فراجع نفسه، وقال لها أو أمام أحد أصدقائه: (راجعت زوجتي إلى عصمتي وعقد نكاحي) أو عاشرها معاشرة الأزواج، ولو بلمس بشهوةٍ أو بتقبيلٍ أو جماعٍ؛ فقد حَلَّتْ له وسمح الشرع بإرجاعها إليه دون عقد أو مهر إذا كان هذا ضمن مدة العدة الشرعية وتحسب لهما (طلقة واحدة).

ويلحق بهذا فيما إذا وكَّل شخصاً آخر بتطليقها طلاقاً رجعياً (أي يمكن له أن يراجعها فيه) فإن له ذلك، سواء كان هذا الشخص (محامياً أو غيرَ محام).

هل للزوجة أن تطلق نفسها؟:

كما أن للزوجة هذا الحق فيما إذا وكلها بطلاق نفسها بعد عقد الزواج، أو ضمن عقد الزواج إذا اشترطت عليه أن يكون تفويض الطلاق إليها، فيقول الوكيل: طلقت فلانة زوجة موكلي طلقة واحدة، أو تقول الزوجة الموكَّلة طلقتُ نفسي من زوجي طلقة واحدة، وفي هاتين الحالتين يحق للزوج أيضاً مراجعتها قولاً أو فعلاً كما ذكرنا أيضاً. ويثبت حق المراجعة للزوج في الطلاق الأول والثاني فقط، أما في الثالث فلا وكذلك إذا كان الطلاق بائناً. وفي حال انتهاء العدة في الأول والثاني دون المراجعة من الزوج، فقد أصبح الطلاق بائناً بينونة صغرى ولا يحق لزوجها الرجوع إليها إلا بعقد ومهر جديد ورضا الزوجة بالرجوع إليه، كأنه يتزوجها للمرة الأولى.

فماذا بقي للزوج من الطلقات؟

بقي له طلقتان؛ بعد أن أوقع الزوج الطلاق مرة واحدة؛ فإذا وجد بعد مراجعة الزوجة وعودتها إلى الحياة أنها عادت إلى ما كانت عليه من سوء الأخلاق، ورأى التأديب بطلقة أخرى، ففعل؛ فإنه يبقى له طلقة واحدة قال الله تعالى: ﴿ **الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ . . . إِن طَلَّقَهَا** ﴾ البقرة: ٢٢٩. الطلقة الثالثة: ﴿ **فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ** ﴾ البقرة: ٢٣٠. فالمرتان الأولى والثانية يحق له إرجاعها إن كان الطلاق رجعياً (كما علمت) أو بعقد إن لم يكن رجعياً، أي بغير لفظ طلقتك أو سرحتك.

أما الثالثة، وهي الأخيرة، فإنه إن طلَّقها ولو بلفظ (طلاق أو سراح) فهذا الطلاق الأخير (الثالث) يسمى (البينونة الكبرى) فإنها لا تحل له، حتى تنتهي عدتها منه، ويتزوجها رجل آخر غيره، ثم إن طلقها هذا الزوج الآخر أو مات عنها وانتهت عدتها، وأرادت أن تعود إلى زوجها الأول أو أراد هو إعادتها، فإنها تحل له من جديد بعقد جديد ومهر جديد ورضاه إن أرادها زوجة ..

ملاحظة مهمة: يثبت المهر المؤخر للمرأة بالطلاق الأول، ويصبح ديناً مستحقاً على الزوج والمقدم غير المقبوض أيضاً. وعلى الزوجة في كل الأحوال العدة الشرعية، كما قال الله تعالى، مفصلاً أحكام الطلاق: ﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ** (من الحمل) **إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ البقرة: ٢٢٨ - ٢٣٠ .

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ﴾ الطلاق: ١، ٢ .

بعض ما قيل وكتب عن الطلاق:

اطلعت على دراسة قامت بها مجلة (الضياء)[1] عن ظاهرة الطلاق في مجتمع الإمارات وكان من نتيجة هذه الدراسة ما يأتي: ١٠٪ من المطلقات دون سن العشرين/ و٤٤٪ سنهنَّ من ٢٠-٢٩ سنة / ٣٠٪ من سن ٣٠إلى ٣٩ سنة / و٩٪من ٤٠ إلى ٤٩ سنة. (يلاحظ أن نسبة الطلاق أكثرها في سن الشباب).

كما أظهرت نتيجة الاستطلاع الذي أجرته المجلة على فئة عشوائية أن ٦٠٪ من الأسر التي تم فيها الطلاق تقيم في مسكن مستقل، و١٠٪ مع أهل الزوج، (لاحظ بعدهما عن الوالدين، واستقلالهما في مسكن منفصل، أيضاً).

وقد استطلعت بعض آراء العلماء والباحثين عن سبب ازدياد هذه الظاهرة، فكانت الإجابات تلتقي في أن الطلاق جعله الإسلام علاجاً لعدم إمكانية استمرار الحياة الزوجية، ولأن ارتفاع نسبة الطلاق دليل على سوء استخدام الحق الشرعي، كما أن عدم تفهم الزوجين لبعضهما بعضا وعدم استيعاب أحدهما للآخر يجر إلى هذه الحال السيئة.

كما نشرت المجلة مقالاً بعنوان: (**الطلاق بين الحكم الشرعي والظلم البشري**) للأخ الصديق الدكتور خلف محمد المنبجي حلل فيه مراحل الطلاق كعلاج لمشكلة عدم استمرار الحياة الزوجية، كما بيناه في بحثنا الآنف الذكر وختمه بما يأتي:

.. ولنعلم جميعاً أن الطلاق عندما جعل بيد الرجل؛ لأن الرجل هو المكلف بالمهر والنفقة، وهو المسؤول مادياً عن المنزل، فناسب بذلك أن يكون الطلاق بيده، لأن الغُرْم بالغنم، وذلك لما يترتب على الطلاق من أمور مادية كثيرة يتحملها الرجل.

ولا ننسى أيضاً أن الطلاق قد يتم بإرادة الزوجين معاً، وباتفاقهما – وهذا لا إشكال فيه – وقد يتم بإرادة الزوج، والزوجة غير الراغبة في الطلاق، وهنا قضى

---

(١) – تصدرها دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دبي، ونشرتها في العدد ٦٣ ربيع الأول ١٤٢١ حزيران٢٠٠٠ .

الشارع الحكيم بصحة الطلاق، ولكن يصير المهر كله للزوجة، ولا يعود للزوج شيء منه ويضاف عليه (متعة) زيادة على المهر وجبراً لخاطر المرأة وحسن فراق من الرجل وتستمر النفقة عليها، حتى تنتهي العدة.

وقد يتم الطلاق بإرادة من الزوجة دون الزوج، وينظر القاضي في الأسباب، فإن كانت موجبات هذا الطلب ظلماً أو نشوزاً من الزوج وتعذر الإصلاح فعلى القاضي أن يحقق رغبتها في الطلاق دون أن تخسر شيئاً من مهرها، وكامل حقوقها الشرعية وهذا يسمى (الطلاق للضرر).

وأما إن كان الموجب لرغبتها في الطلاق أمراً مزاجياً أو كراهية نفسية طارئة، أي ليس ناتجاً عن أي تقصير من حقوقها، فهنا على القاضي أن يقنع الزوج بذلك، فإذا وافق بدون شيء فله ذلك، وإذا أراد أن يسترد شيئاً مما دفع من المهر، فله ذلك ومن حقه ، وهذا يسمى في الفقه الإسلامي (بالخلع) .

ويمكن أن نشير إلى نقطة تتعلق بالطلاق، وهي أن المرأة تستطيع أن تجعل الطلاق بيدها ومن حقها وذلك إذا اشترطته في عقد الزواج، فإذا وافق الزوج على هذا الشرط استوت معه في هذا الحق.

تلك أهم مبادىء الطلاق وخطواته في تشريع الإسلام، وكما هو واضح لكل منصف نرى أن الإسلام ضيَّق مجاري الطلاق، وهو لم يشرعه إلا في حال الضرورة علاجاً لأمر متفاقم وحلاً لمشكلة مستعصية، وكما يقولون: آخر الدواء الكي.

أما أن البشر يظلم بعضهم بعضاً، حيث إن بعض الرجال قد لا يوقع الطلاق دائماً وهو معذور أو مضطر، بل قد يفعل ذلك نكاية بالزوجة ورغبة في الإضرار بها،وكثيراً ممن لا يخافون الله يطلقون زوجاتهم لمجرد الرغبة في الاستمتاع بامرأة جديدة، وقد تكون عنده من الأولى أولاد، فيحصل الضياع .. نعم هذا قد يحدث، ولكن لنعلم أن كل نظام قد يساء استعماله، وكل صاحب سلطة إذا كان سيء الأخلاق ضعيف الوازع

الديني قد يتجاوز حدوده.. فهذا سوء استعمال لهذا الحق من قبل بعض الرجال، والعيب ليس في تشريع هذا النظام (أعني الطلاق) بل العيب في هؤلاء الرجال الذين أساؤوا استعمال هذه القوامة.

ثم هل لو كان الطلاق بيد النساء ألا يكون الأمر كذلك ؟ بل قد يكون الأمر أشد، حيث إن المرأة تثار وتغضب بسرعة؛ لذا لا بد من تطبيق حقيقي لأحكام الطلاق في الإسلام، حيث لو طبقت أحكامه كما شرع الله، لما وصل الأمر إلى هذا الواقع المرير الذي وصلت فيه نسبة الطلاق لدرجة مذهلة.

ونحن بدورنا نناشد الرجال أن يتقوا الله في النساء، وأن يحسنوا إليهن كما أمر الله وأن يعاشروهن بالمعروف، وأن يسلكوا منهج الإسلام إذا كان لابد من الفراق، ونناشد المصلحين من خيار هذه الأمة أن يعينوا على تماسك الأسر ورأب الصدع وإصلاح ذات البين أو تحت أي شعار أو جمعية فإن ذلك من صميم نظام الإسلام.

وأخيراً: الطلاق كَحَلٍّ لمشكلة و إنهاء أزمة خير من أن يعيش الزوجان في حالة تعيسة كل يكره الآخر، أو يخون صاحبه[١]

كما نشرت المجلة في العدد نفسه، وبمناسبة نشرها بحثاً عن ملف الطلاق قصيدة مفيدة ومعبِّرة عن الطلاق للشاعر الحمصي: د. غازي مختار طليمات بعنوان: (أبغض الحلال)[٢]

أُمْـضُـغْ لِـسَـانَـك قبـلَ النُّطـقِ بـالـقَـسَـمِ
وَابْـلَـعْـه قـبـلَ ابْـتِـلَاعِ الـشَّـوكِ وَالـنَّـدمِ
فَـالخَـيـلُ إن رَمَـحَـت رَعـنَـاء، أو جمـحَتْ
لـم يَـثْـنِـهـا غَـيـرُ لَـيِّ الـهَـامِ بـاللُّـجُـمِ

(١) - مجلة الضياء الإماراتية عدد ٦٣ ص٥٩
(٢) - المرجع السابق ص٥٩ .

ومَـا الـطَّـلاقُ الـذي تَـنْـوِي سـوَى لُغُـم

فـكـيـفَ يـأْمَـنُ مَـنْ يسعَـى إلـى لُـغُـمِ ؟

وكَـيـفَ تُـفْـضِـي بـقَـصْـرٍ شِـدْتَ جنَّتَـهُ

إلـى خَـرَائِـبَ مِـنْ خَـاوٍ، ومُـنـهَـدمِ ؟

وكَـيـفَ تَمشِـي، وشَـيْـطَـانُ الـطـَّلاقِ طَـوَى

عَـينَـيكَ خَـلفَ حِـجَـابٍ حَـالِـكِ الـظُّـلَـمِ ؟

فـقـدِّرِ الخَـطْـوَ قـبـلَ الـسَّـيـرِ فِـي زَلَـقٍ

يُـلْـقِـيـكَ إنْ تَـخْـطُ فـي مُـسْـتَـنْـقَـعٍ وَخِـمِ

أفْـرَاخُـك الـزغْـبُ مـا زَالَـتْ تَـرِفُّ عَـلَـى

أدْواحِـك الخُـضْـرِ، تَـشْـدُو أعـذبَ الـنَّغَـمِ

أَصِـخْ إلَـى شَـدْوِهـا الـفِـطْـرِيِّ مُـطَّـرِحـاً

صَـدَى الـنَّـعِـيـبِ مـن الـغُـرْبَـانِ والـرَّخَـمِ

هَـمُّ الـغَـرَابِـيْـبِ تَـرْكُ الـشَّـمْـلِ مُـفْـتَـرِقـاً

وقَـطْـعُ مـا يَـصِـلُ الـرَّحْـمَـنُ مِـنْ رَحِـمِ

وَالـبِـرُّ بـالأُم ظِـلٌّ، لـيـسَ يَـحْـسِـرُه

بِـرٌّ بـزَوجٍ تَجَـافِـيـهـا، ووصْـلُ حَـمِ

أَبَـعْـدَ مـا ذُقْـتُـمَـا فِـي ظِـلِّ ربِّـكُـمَـا

عَـسِـيـلَـةَ الحُـبِّ تُـسْـقِـيـهَـا لَـظَـى الـسَّـقَـمِ؟

أم بـعـد مـا وهـبـت دنـيـاك جنـتُّـهـا

أيْـكـاً، وطـيـراً، وألـوانـاً مـن الـنِّـعـمِ ..

ترمي بها !؟ وهي بَعْضٌ منك واعجباً
من سُخْفِ منهزمٍ في زِيٍّ مُنْتَقِمِ !
وأيُّ رايةِ نَصْرٍ أنتَ ترفعُ إن
يَرْفَعْ صغارُك راياتٍ من الأَلَمِ؟
اليُتْمُ أهونُ من راع سها ولها
عن القطيع، فعاثَ الذِّئبُ بالغَنَم
قال: الطلاقُ حلالٌ قلت: أبغضُ ما
أحلَّ ربُّك في تشريعِه العَمِم
أحلَّه اللهُ للحَمْقَى ومن خَفَروا
بالشُّؤم واللُّؤم ظُلماً أشرفَ الذمَم
أرادها سكناً للرُّوح، لا فتناً
تحطُّ إن شئت، أو تَنْأىَ من السَّأم
لكنما الغُصْن قد يجفو، ويمنعه
ما فيه من بُرْعُمٍ بالقلب مُلْتَحِم

وقد اطلعت في أثناء مراجعة الطباعة على قصيدة بعنوان: (دموع مطلقة) فأحببت أن أنقُل منها معظم أبياتها [١] قال الشاعر:

بالحبِّ تُبنى الدُّور حتى إنَّها
بالحبِّ ترقَى للعلاء مُحَلِّقَة

---

(١) من قصيدة: (دموع مطلقة) للشاعر: عبد المنعم عبد الله حسن / مصر المنشورة في مجلة الوعي الإسلامي العدد (٤٨٠) شعبان ١٤٢٦هـ الموافق أيلول ٢٠٠٥ .

والبيتُ في ظلِّ الشَّريعةَ والهُدى
سَكَنٌ به سُبُلُ الرِّضا مُتَدفِّقَة
ذُو دفَّتَين؛ مودةٌ وتَرَاحمٌ
بهما يجدِّفُ حين يُطْلَق زَورقُه
ولقد تخلى عنهما زوجٌ رأى
أن يقتلَ الحلمَ الجميلَ ويخنُقَة
زوجٌ بلا خُلُقٍ يقودُ زِمَامَه
وبلا ضميرٍ وازعٍ، ما أَحْمَقَة!
جعلَ الحياةَ لظًى يُؤَجِّج دائماً
في البيتِ حتى بالمَشَاكِل أَحْرَقَة
قد عِشْتُ صابرةً وراضيةً
بما قسمَ الإلهُ من العَطَاءِ وَحقَّقه
فإذا قسَا زَوجِي رآني نَسمةً
تحنُو عليهِ رقِيقةً مترفِّقَة
وَإذا مَضَين مَشَاعرٌ أسْخُو بها
وأكونُ دوماً بالمشَاعِرِ مُغْدِقَة
أرعاه في صدقٍ وأرعَى حقَّه
وأودُ أن أحيا الحياةَ مُوفَّقَة
لكِنْ أبَى إلا الشِّقَاقَ وفُرْقَةً
أوراقُنَا أضحَتْ هناك مُفَرَّقَة

بيني وبينك موثقٌ .. قد باعَه

وبكلِّ معنًى للتَّجافِي طَوَّقة

ومضى بنا نحوَ النِّهايةِ مُسْرعاً

لنرى الرِّبَاطَ على شَفِيرِ المَشْنَقَة

هدمَ البِنَاءَ بلفظةٍ مبغُوضةٍ

وأَفَقْتُ .. ألقانِي غدوْتُ مُطَلَّقة

ووجدتُني مَكْسُورةً مجْرُوحةً

ووجدتُنِي فوقَ الطِّريقِ مُمَزَّقة

وتلفَّتَتْ عينَاي أُبصِرُ ما مضَى

فإذا عُيونِي في الوَرَاءِ مُحَدَّقَة

وبِدَاخِلِي كان السؤالُ مُدويّاً

لأرى الإجَابةَ بالتساؤُلِ مُلْصَقَة

أبلفظةٍ صِرْتُ الغَريبةَ بغتةً !؟

بل إنِّي قد صِرْتُ حَقّاً مُطَلَقَة

لكن وجدت مَدَامِعِي دفَّاقَةً

وبها تَسِيلُ مشَاعِري مُترقْرِقَة

* * *

ليتَ المودةَ والتَّراحمَ بيننَا

يا قومَنا .. إن العهودَ مُوَثَّقَة

أوفُــوا بـهـا حــتَّـى يـكـونَ سُـلُـوكُـنـا
أصــداءَ حـقٍّ فــي الحَــيَــاةِ مُـصَـدَّقَـة
لــنـكُـوَن فــي كـل الأُمُــــورِ ضـمَـائـرًا
تحْــيَــا بـــآيــاتِ الــهُــدَى مُـتَـخَـلِّـقَـة.

من أحكام عدة الطلاق:

فإذا أوقع الطلاق بأي صورة كانت - مما ذكرناه آنفاً - فعلى الزوجة أن تعتدَّ وعدة الطلاق هنا، بقاء الزوجة في بيت الزوجية سواء كان الطلاق.

١ - **رجعياً** (أي يحق للزوج فيه مراجعة الزوجة وإعادتها إلى عقد نكاحه بالقول والفعل كما بينا).

٢ - **أو بائناً** (بينونة صغرى)، أي لا يحل له إعادتها إلا بعقد ومهر جديد ورضاها.

٣ - **أو كان الطلاق بائناً (بينونة كبرى)** وهو الثالث المشار إليه بقوله تعالى ﴿**فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ**﴾ البقرة: ٢٣٠. فالعدة في هذه الأحوال الثلاثة واجبة على المرأة.

ومضمون العدة في الطلاق الرجعي سواء كان الطلاق الأول أو الثاني فقط؛ المكوث في البيت وعدم الخروج منه، حتى تنتهي العدة مع جواز زينتها وظهورها أمامه. وهي كما يأتي:

١- **إن كانت من ذوات الأقراء (الحيض)** فعدتها حتى تحيض ثلاث حيضات وتطهر من الثالثة، فإذا طهرت منها فقد انتهت عدتها، ولا يحل له إعادتها إلا بعقد ومهر جديد ورضاها. (وعند الشافعية ثلاثة أطهار).

٢- **إن كانت صغيرة لم تحض بعد أو كبيرة بلغت سن الإياس**، فحتى تمضي ثلاثة أشهر قمرية فتنتهي عدتها، ولا يحل له إعادتها إلا بعقد ومهر جديد ورضاها

قال الله تعالى: ﴿وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ الطلاق: ٤.

٣- **أما في الطلاق البائن** (**بينونة صغرى**) **وهو مادون الثالث** (وهو ما يكون بغير لفظ الطلاق) كلفظ الحرام أو الكنايات الأخرى كأن قال لها: أنت لا تلزمينني مع نية الطلاق أو (اذهبي إلى أهلك) مع نية الطلاق، فإن عدتها أيضاً كعدة المطلقة رجعياً إلا أنها لا تتزين، وتحتجب من زوجها وليس له معاشرتها، ولا تخرج من البيت حتى تنتهي العدة ولها النفقة على زوجها.

٤- **أما في الطلاق البائن بينونة كبرى وهو الثالث،** فكذلك عدتها ولا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره بعده كما بينا ذلك.

٥ - **ولفظ** (**الحرام**) **آكد من لفظ الطلاق** عند بعض الأئمة الفقهاء، فاحذر أخي من ذلك، واحذر من الذين يكثرون الحلف به.

خلاصة: هذا أخي المؤمن، ما يتعلق بالطلاق، وأقول لك: إن هذا حل لمشكلة عدم إمكان استمرار الحياة الزوجية، وعلى هذا الترتيب جعله الشارع الحكيم، **فإياك أن تجعله يميناً تؤكد فيه فعل أمر أو تركه، أو يجري على لسانك كما يجريه الفساق من الناس، فقد قالوا لمن يكثر الحلف بالطلاق: (الطلاق يمين الفُسَّاق) وعلى كل حال إن جرى معك شيء من هذه الأمور فاسأل أهل العلم الذين تثق بهم أو دوائر الإفتاء في بلدك؛ ليعطوك الفتوى والحل المناسب ..**

بقي أن أقول لك: إن هناك ألفاظاً أخرى ذكرها القرآن بها يَنْحَلُّ عقد الزواج كالطلاق ولكن آثارها أصعب منه وهي الظهار والإيلاء.

أما الظهار، فقد كان العرب يستعملونه كثيراً وجاء القرآن؛ لينهى عنه أشد النهي وجعل كفارة من يظاهرها الزوج إعتاق رقبة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فيطعم ستين مسكيناً، وقد أنزل الله سبحانه في هذا الأمر قرآناً

يتلى في أول سورة المجادلة كما ورد في كتب السنن؛ أن أوس بن الصامت ظَاهَرَ من زوجته خولة بنت مالك بن ثعلبة (أي قال لها: أنت علي كظهر أمي) وهذه الكلمة تعني تحريمها عليه، فجاءت زوجته خولة إلى رسول الله تشكو فعل زوجها، فقالت يا رسول الله إنَّ أوسَ بن الصامت تزوجني وأنا شابةٌ مرغوبٌ فيَّ فلما خَلا سني (كبرت) ونَثَرْتُ بطني (ولدت له أولاداً) جعلني كأُمِّهِ عنده، فقال لها رسول الله: ما عندي من أمرك شيء (ليس لديه وحي من الله سبحانه في أمر الظهار) فقالت: اللهم إني أشكو إليك، إنَّ لي صِبْيَةً صغاراً؛ إن ضمَّهم إليه ضاعوا، وإن ضَمَمْتُهم إليَّ جاعوا، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات قد جاءت خولة بنت ثعلبة تشكو إلى رسول الله ﷺ وأنا في كِسْر البيت (زاويته) يخفى عليَّ بعض كلامها فأنزل الله -عز وجل - قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ المجادلة: ١-٤. فقال النبي ﷺ لخولة: ليعتق رقبة، قالت: لا يجد، فقال: فيصوم شهرين متتابعين، قالت يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام (لا يستطيع) قال رسول الله: فليطعم ستين مسكيناً، قالت ما عنده شيء يتصدق به، قال ﷺ سأعينه بعَرَقٍ من تمر (عنقود تمر) قالت خولة: وأنا أعينه بعرق آخر ! قال المصطفى ﷺ: أحسنت فأطعمي ستين مسكيناً، وارجعي إلى ابن عمك.

وواضح من الآيات الكريمة والتفسير النبوي لها أَنَّ مَنْ ظَاهَرَ امرأتَهُ؛ بأن قال لها: (أنتِ عليَّ كظهرِ أمي) لا يجوز له قُرْبُها حتى يكفِّرَ بإعتاق رقبة أو صيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع أطعم ستين مسكيناً (غداءً وعشاءً).

وقد ألحق الفقهاء بهذا القول من قال لزوجته: أنت عليَّ كظهرِ أختي أو ابنتي أو إحدى المحارم حرمة مؤبدة، فعليه الكفارة المذكورة أعلاه.

أما لو قال لها: أنت كأمي أو كأختي، فهناك تفصيل يرجع فيه إلى نيته هل قصد الكرامة لها كأمه (فهو على نيته)؟ أو قصد التحريم، فيقع الطلاق البائن، أَوْ لا قَصْدَ له فيقع الظهار؟ على كل حال؛ **إيَّاكَ أخي المؤمن أن تتلفظ بهذه الألفاظ، واحذر أن تقول لزوجتك: يا أختي أو يابنتي ولو على سبيل المزاح حتى لا تقترب من الظهار أو الطلاق، واسأل عنها إن وقعت منك أهل العلم الموثوقين أو دائرة الإفتاء في بلدك .**

وأما الإيلاء: فهو الحَلْفُ بعدم قربان الزوجة مدة معينة قد تصل إلى أربعة أشهر، والأصل في هذا قوله تعالى: ﴿ **لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ البقرة: ٢٢٦، ٢٢٧.

والإيلاءُ الحَلْفُ وكذا الأَلِيَّة، قال ابن عباس: كان إيلاءُ الجاهلية السَّنَة والسنتين وأكثر من ذلك، يقصدون بذلك إيذاء المرأة عند المساءة، فوقَّت الحقُّ لهم أربعة أشهر فمن آلى (حلف) ألا يقرب زوجته بأقل من ذلك فليس بإيلاء حكمي (تفسير القرطبي).

قال علماؤنا: وكان الإيلاء طلاقاً في الجاهلية فجعله الشرع طلاقاً معلقاً بترك وطء (جماع) الزوجة مدة مخصوصة كأن قال الزوج: (إن لم أقربك أربعة أشهر فأنت طالق بائن) ويتحقق الإيلاء بقوله: (والله لا أقربك أو لا أطؤك وأمثالها) فإن مضت أربعة أشهر ولم يقربها (بالجماع) وقعت عليه طلقةٌ بائنةٌ، وإن قربَها قبل مدة الأربعة أشهر (وهو الفيء يعني الرجوع إلى الزوجة) المذكور بالآية، فعلاً (بأن وطئها)، أو قولاً(إن عجز عن الفعل) بأن قال لها: (فِئْتُ إليك أو رجعت إليك أو راجعتك أو أَبْطَلْتُ يميني) فيكون رجوعاً عن يمينه وانحلت يمينه وعليه كفارة اليمين (كما في كتاب تحفة الفقهاء) للسمرقندي.

وعلى كل حال أخي العاقل، كما بينت لك سابقاً، فإن هذه الأَيْمانُ ليست لمن يريد عيشة سعيدة مع زوجته أو يريد طلاقها، واسأل أهل العلم عنها. إن وقعت فيها ليخلِّصوك من ورطتك.

٢ - أشواك: مصيبة الموت: وإن وقعت مصيبة الموت سواء في الزوج أو في الزوجة، فإن عقد الزوجية ينتهي عند غالب العلماء وتترتب عليه آثارها؛ فإن مات الزوجُ أولاً

فعلى الزوجة العدة الشرعية، والإحداد، ولها الميراث قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ البقرة: ٢٣٤.

العدة الشرعية للوفاة:

١- إن كانت المتوفى عنها زوجها حاملاً فعدَّتُها تنتهي بوضع الحمل قال الله تعالى ﴿ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ الطلاق: ٤.

٢- إن كانت حائلاً غير حامل فعدتها كما في آية البقرة (أربعة أشهر وعشرة أيام من ساعة وفاة الزوج).

والإحداد:

١- ترك الزينة وخلع كل ما يتزين به من ثياب وحلي، ولبس الثياب العادية؛ لأن الزينة للزوج، وقد انتقل إلى رحمة الله وعفوه.

٢ - **عدم الخروج من البيت إلا لحاجة ضرورية** قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ الطلاق: ١. والفاحشة المبينة هي الزنا كما قال أكثر المفسرين.

وقال الإمام الشافعي وغيره: هي البذاء في اللسان والاستطالة بها على من هو ساكن معها في البيت وهو سوء الخلق (تفسير حدائق الروح والريحان).

٣- **عدم إجراء عقد النكاح، أو الزواج فعلاً بالدخول، وعدم التصريح بالخطبة**؛ كما بينت آية البقرة المذكورة أعلاه، أما التعريض بالخطبة؛ كأن يقول: إن فلاناً يرغب بزوجة صالحة أو لعل الله يزوجك برجل صالح، فلا بأس به.

وما سوى هذه الثلاثة من أمور الحياة تبقى على حالها فما كان حلالاً قبل العدة يبقى حلالاً فيها، وما كان قبل العدة حراماً يبقى حراماً فيها.

والعدة في الحقيقة صيانة ووقاية لعرض المرأة وسمعتها وسمعة الزوج أيضاً بين الناس، تحافظ عليه المرأة المسلمة التي قدر الله عليها فراق زوجها، فتربُّصُها هذه المدة في منزل الزوجية، يقصر ألسنة السوء، ويصون دينها وعفتها؛ حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً بزواجها من آخر، أو عودها إلى أهلها أو بقائها مع أولادها. كما أنه براءة لرحمها، وبيان عما إذا كان هناك حمل أو لا.

وأما الميراث، فإن الزوجة هنا ترث زوجها المتوفى عنها فلها (ربع) مال الزوج إن لم يكن للزوج أولاد منها أو من غيرها ولها (الثُّمن) إن كان له ولد منها أو من غيرها قال الله تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ...** ﴾ النساء: ١٢.

ملاحظة مهمة: ومن الدَّيْنِ الذي على الزوج **مهرُ الزوجة المقَّدم** إن كان غير مقبوض ولم يؤدها إياه في حال حياته، فإن كانت قبضته واشترت به أشياء جهازية وضعتها في البيت فهي أحق بها وليست للورثة، هذا إذا لم يكن قد وهبتها لزوجها في حياته.

كما أن لها المهر المؤجل؛ لأنها تستحقه بالطلاق أو الوفاة مهما بلغ فليعلم هذا، فإنه مما تجري فيه الخصومة ونُسْأَلُ عنه.

وإن ماتت الزوجة أولاً فإن الزوج يرثها كما بينت الآية أعلاه ويستحق (نصف) مالها إن لم يكن لها ولد منه أو من غيره، ومالُها يشمل كل ما كانت تملكه في حياتها؛ ومنه المهر المعجل والمؤجل وأثاث البيت الذي اشترته، وكذلك إن كان لها تجارة أو عقار أو أموال منقولة أو غير ذلك، وإن كان لها أولاد فإنه يستحق (الربع) من مالها والباقي يوزع لأولادها ووالديها إن كانوا، فإن لم يكن لها أولاد فلأبويها إن وجدا، فإن مات الأب فلعصوبتها (أقرباؤها الذكور من إخوة أو أعمام). حسب قواعد الميراث الشرعية. قال الله تعالى : ﴿ **وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ...** ﴾ النساء: ١٢.

متفرقات:

١- **هل للزوج أن يغسل زوجته بعد الموت ؟** من العلماء من أجاز ذلك استدلالاً بما فعل سيدنا علي عندما توفيت السيدة فاطمة - رضي الله عنها - ومنهم من قال هذا خاص به، ولا يحق له تغسيلها؛ لأن الزوجية قد انتهت بينهما.

٢- **حضانة الأولاد والوصاية عليهم:** تثبت للزوجة بعد وفاة الزوج إن لم يعترض الأولياء على سلوك الزوجة أو أخلاقها لدى القاضي الشرعي، كما تثبت الحضانة ويثبت لها بعد الخلع إن اتفقا في صيغة المخالعة على ذلك وبعد الطلاق أيضاً، فيما إذا لم تتزوج الزوجة في جميع الأحوال.

٣- **هل هناك لباس كالسواد مثلاً للمعتدة ؟** ليس للمعتدة بالوفاة أن تلبس السواد بل تبقى في ثيابها العادية التي تلبسها في البيت غير ثياب الزينة حتى تنقضي العدة. وما تفعله بعض نساء المسلمين من لبس الأسود أو الفضي الخاص بالحداد فإن ذلك غير مشروع أصلاً فليتنبه لهذا.

٤- **إن كانت الزوجة موظفة** فعليها طلب إجازة مدة العدة والبقاء في البيت، ولو إجازة بغير راتب أو بنصف راتب إن كان لديها ما تنفقه على نفسها وأولادها،وفي حال عدم السماح لها بالإجازة أو ليس عندها ما تنفقه فإنها تذهب لوظيفتها دون زينة (كما لا يجوز لها إن كانت غير معتدة أن تتزين) ودون مخالطة لأحدٍ إلا لضرورة، حتى تنقضي العدة. وكذلك إن كان لها أرض أو بستان وليس هناك من يقوم على شؤونه من سقي أو حصاد أو غيره، فلها أن تذهب للنظر في شؤونه ثم تعود للبيتوتة في بيتها مساءً.

٣- خاتمة الأحزان:

عزيزيَّ الزوجين: ما كنت أريد أن أعكر عليكما صفو حياتكما الهادىء بما ذكرته من أحكام قد تحتاجان إليها في **مصيبة الموت** وأرجو ألا تحتاجا إليها في **أشواك الطلاق** ولكن لابد من ذكر هذا حتى يكون الصواب واضحاً فيتبع، والخطأ معلوماً فيجتنب.

والعلاج في متناول اليد، فيستعمل عند اللزوم، وما ذكرته لكما في هذا الفصل هو باختصار شديد ليكون كخطوط رئيسة في واقع الحياة الأسرية يُعلم ويُفهم ويُعمل به إن مست الحاجة إليه.

وفي كل حال يقول الله سبحانه عقب آية الطلاق: ﴿ **وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ البقرة: ٢٣٧. فهل إنْ طلَّقْتَها - عزيزي الزوج - سوف تجعلها حديثك في السهرات، وفي لقاء أصحابك، مبيناً سوءَ أخلاقها وقُبْحَ فعالها فيما تظن ؟ وكذلك هل سيلوك سيرتها والدتك وأخواتك ؟ وهل إن تخالفتما تفعل هي كذلك، وتجعلك مضغة الأفواه، وعلكة تتسلى بها بين رفيقاتها وأخواتها؟

لا أظن إن كنتما مؤمنين عاقلين تفعلان ذلك بعد أن قرأتما وفهمتما قول الله سبحانه: ﴿ **وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ البقرة: ٢٣٧. وقد سمعتُ حكاية من أهل العلم؛ عن رجل صالح جرى خلاف بينه وبين زوجته، فسأله أصحابُه عما يجري فقال :لا يجوز للمسلم أن يتحدَّثَ عما يجري بينه وبين زوجته فهذا أمر لا يجوز إفشاؤه .. وبعد مدة طلقَّهَا، فسألوه كيف حدث هذا؟ وما هو سبب الطلاق؟ فقال: إنَّ هذه المرأةَ أصبحت امرأةً أجنبية عني ولا يحل لي أن أغتابها أو أفشي سرها!!

فانظر أخي العاقل، إلى هذه الكلمات الرصينة واعجب من أهل زماننا كيف ينشرون الفضائح لأسرهم وجيرانهم ! ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه وأرجو الله سبحانه أن يوفقنا جميعاً للعمل بقوله ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت).

وقبل أن أنتقل بكما - عزيزي الزوجين - إلى البحث الآتي أحب أن تقرأا هذا الخبر، إن كنتما قررتما الطلاق - لا سمح الله - وأحب أن يقرأه أبواكما وأصدقاؤكما أيضاً، وأن تفكرا جدياً في صيانة حياتكما الزوجية بكل ما تستطيعان، وأن تمتثلا قول الله تعالى: ﴿ **وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ البقرة: ٢١٦.

وبعد ذلك ليفكر الزوج كثيراً فيما سيفعله من أبغض الحلال (الطلاق) وما سيجُرُّ على الزوجة من سوء عاقبة، وبخاصة إن كان لا أهل لها، وليفكر والد الزوجة أيضاً كثيراً كيف يتصرف إن كان ممن يعقلون ولهم حمية ومروءة،

وإليكم الخبر (القصة) كما نشرتها جريدة تشرين تحت عنوان: (**اعترافات فتاة ليل**): فاقرأه في الهامش .[1]

تحذير وتنبيه: من المكفرات !!

وقبل أن أنتقل بكما - عزيزي الزوجين - إلى الفصل الآتي (الرابطة القوية) أحذركما أشد التحذير مما يجري على ألسنة كثير من الناس من التلفظ بألفاظ

---

(١) اعترافات فتاة ليل: تقول منى أو (رشا) دخلت عالم الليل وكان عمري ٢٣ عاماً كنت أعيش حياة مستقرة مع زوج مناسب اعتقدت أنه رجل أعمال ناجح لكني اكتشفت أنه نَصَّاب.تزوجني للمتعة فقد استمر زواجنا حوالي سنة ونصف السنة ..كنت لا أراه إلا في المساء فقط وتحديداً على الفراش ..أما مسؤولياته كزوج فقد تنصل منها تماماً .. ضقت ذرعاً بهذه الحياة وطلبت منه الطلاق .. لكي أغلق هذا الفصل الأسود في حياتي لكنه كان يرفض دائماً أن يعطيني حريتي إلى أن جاءت لحظة وطلبت منه أن يطلقني وفوجئت به يرميني بيمين الطلاق .. من فرحتي كدت أعانقه ولكن كتمت الفرحة في صدري عدت إلى بيت أهلي أحمل حقيبة ملابسي لكن أبي رفض أن يستقبلني وقال لي بالحرف الواحد: (حياتنا على قدنا ارجعي لجوزك) ووجدت نفسي في لحظة أعيش في الشارع، اسودت الدنيا في عيني فكرت أين أنام هذه الليلة ولم يكن في جيبي إلا القليل .. تعرفت على سيدتين كبيرتين وذهبت معهما إلى شقة ونمت ليلتي وتغيرت حياتي في اليوم الآتي. أول درس تعلمته من هاتين السيدتين أن أتنازل عن أشياء كثيرة حتى أستطيع أن أحصل على المال .. (أن أتخلى عن خجلي وإذا لزم الأمر عن الأدب أيضاً ..) وعند أول ملهى دخلته معهما بدأت أطبق ما تعلمته حرفياً منهما وأنفذه بالحرف الواحد ولأول مرة منذ سنوات أشعر بأن جيبي مليء بالأموال وأصبحت وجهاً مألوفاً بعد أيام قليلة من معظم الملاهي الليلية ولما دخلت الاحتراف كان يجب أن أختار اسماً حركياً أتعامل به مع الزبائن هذا هو جواز المرور للعمل في هذه المهنة، المهم أطلقت لنفسي اسم (رشا) وأصبحت معروفة بهذا الاسم واعتدت هذه الحياة رغم قسوتها !! مكسبي من الحرام يومياً أكثر من ألف دولار ولأنها أموال حرام سرعان ما كانت تتبخر في الهواء ولا أشعر بها .

تقول رشا: كنت أشعر بأنني أصبحت مدمنة فما أقسى أن يصبح الإنسان رخيصاً أمام نفسه والناس خسرت نفسي كامرأة وأصبح لي ملف في الآداب ومصيراً أسود ينتظرني ..**سامح الله أسرتي كان يهمها أن أرحل بلا عودة فلا أبي يسأل عني ولا أمي تحاول أن تبحث عن ابنتها وكأني لست ابنتهما.. أما زوجي فقد اختفى تماماً بعد أن طلقني.. امرأة مثلي ماذا تفعل غير أن تنحرف وتسقط في دائرة الشيطان!؟**

هذه أول سابقة في حياتي ولست عارفة ماذا يمكن أن يحصل بعد خروجي من السجن ؟!! نعم أنا نادمة وليت السنوات تعود بي إلى الوراء لكنت اخترت طريقاً شريفاً غير الذي سرت فيه وضيعت نفسي ومستقبلي !! ا.هـ من جريدة تشرين .بعددها المؤرخ ٧/١٩/ ٢٠٠٤والخبر لا يحتاج إلى تعليق، وهو برسم الآباء والأمهات والأزواج والزوجات الذين يخشون الله ويخافون سوء الحساب . أبو يحيى

مكفرة، والتي ينطق بها السفهاء، ومن لا خلاق لهم إما في حالة الغضب أو في حالة السخرية مستهينين بذلك بجناب الحق سبحانه أو بجناب الأنبياء، أو مستهينين بالدين وشعائره، ففضلاً عن أنها تحبط العمل الصالح، وتنسفه من أساسه، لمن عمل صالحاً، وتجعل المتلفظ بالكفر مرتداً عن دينه [١]، قد خسر الإيمان والعمل الصالح، فإن هذه الألفاظ كذلك تفسخ عقد زواجه، فلا تحِل امرأته له، ويصبح حراماً عليها حتى يعود (الكافر) منهما إلى حظيرة الإيمان، فيجدِّد إسلامه بتوبته النصوحة،ويعلن الشهادتين من جديد، نادماً على ما فعل، ثم يعقد زواجه من جديد على امرأته.

---

(١) - في الحقيقة، فإن الردة عن الإسلام تحصل بعدة أمور، منها ما يكون ردة في الاعتقاد، ومنها ما يكون ردة في الأقوال والأفعال، ومنها ردة في ترك العبادات، وكل هذه الأمور مكفرة مخرجة للإنسان عن دين الإسلام والعياذ بالله تعالى، تستوجب العودة إلى حظيرة الإسلام بالشهادتين والتوبة النصوح، وتجديد عقد الزواج إن كفر أحد الزوجين، ولنفصل قليلاً . فأما الردة في الاعتقاد: فقد اتفق علماء المسلمين، أن من أشرك بالله أو أنكر وجوده، أو نفى صفة ثابتة من صفاته سبحانه في القرآن أو السنة الصحيحة لا يجهلها أمثاله، أو أثبت لله سبحانه ولداً أو زوجة، أو أنكر البعث والحساب أو الجنة والنار أو الملائكة والعذاب، فهو كافر، وكذا إن استخف بالله تعالى جاداً أو هازلاً فقد كفر . وكذلك يكفر من أنكر القرآن الكريم كله أو بعضه، ولو آية منه .. وكذلك من اعتقد كذب النبي في بعض ما جاء به ومن اعتقد حل شيء مجمع على حرمته كالزنا والخمر والميسر والربا .. وأما ردة الأقوال: فهي كثيرة منها ماأجمع عليه علماء المسلمين أن من سب الله تعالى كفر سواء كان مازحاً أو جاداً أو هازلاً وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ التوبة: ٦٥، ٦٦. وكذلك من سب الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن السب الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، كاللعن والتقبيح ونحوه .. وكذلك من ألحق بالنبي صلى الله عليه وسلم نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به، أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الازدراء أو تصغير شأنه أو العيب له، فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل. وكذلك من سب نبياً متفقاً على نبوته، وكذلك اتفق معظم الفقهاء على أن من سب السيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أو طعن فيها فقد كفر، لأنه نزل في حقها آيات من القرآن الكريم في سورة الأحزاب، فمن طعن بها بعد ذلك فقد كذب صريح القرآن، ومن كذبه فقد كفر . أو كفر الصحابة أو الخلفاء الأربعة ومن أنكر إسلام العشرة، أو إسلام جميع الصحابة، أو كفر الخلفاء الأربعة أو واحداً منهم فقد كفر.

مسألة: هل يكفر من قال لغيره: يا كافر ؟ اختلف العلماء في ذلك، وقد فسر بعض العلماء المعاصرين أن لفظ الكفر الوارد في كثير من الأحاديث، كالحلف بغير الله، والطعن في النسب، والنياحة على الميت، وقتال المؤمن وسبابه، وكل ذلك وما شابهه بأنه مجرد كفر نعمة، لا كفر ردة وإشراك . ومن ردة الأقوال: ردة الاعتقاد، إذا أفصح صاحبها بلسانه فقد صارت من ردة الأقوال، فإذا كتمها فهو منافق متروك أمره إلى الله وحرص بعض علماء الحنابلة والمالكية بأن من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم باليتيم (مستصغراً محتقراً) أو بالقبح يقتل، وكذلك قالوا يقتل من لعن =

وقد عَدَّ معظم الفقهاء ردة أحد الزوجين فسخاً للزواج، (يعني أنه باستطاعتهما العود للحياة الزوجية بعد إيمان وإسلام من ارتد منهما بعقد زواج جديد) عَدَّه بعض الفقهاء طلاقاً بائناً، يحتسب من عدد الطلقات، وعلى قول جمهور الفقهاء (معظمهم) فإن الأمر لا يحسب من عدد الطلقات، بل تعود إليه بعد تجديد إسلامه بعقد زواج جديد، معتبراً فيه كل شروط العقد ..

= العدالة أو الزواج أو لعن معلم الصبيان القرآن أو لعن العرب، وقال بعض الحنفية يكفر منكر الأحاديث المتواترة . وكذلك كل من ضلل الأمة بأقواله . أما كفر الأفعال: فإن مما يوجب كفر المسلم إلقاء المسلم المصحف في محل قذر، ومثله الحديث، وكفر من رضي بالكفر وفرح به أو أهان الإسلام أو عظم الكفر وأهله . وأما ردة الترك: كمن امتنع مثلاً عن أداء الزكاة أو الصلاة جاحداً لهما أو لأحدهما فقد كفر وهل يقتل تارك الصلاة حداً أو كفراً مذهب كثير من العلماء منهم الإمام أحمد والأوزاعي يقتل كفراً كما يقتل المرتد والزنديق، وقال فريق آخر منهم الشافعي ومالك: يقتل حداً (عقوبة) لا كفراً، وقد فصل القول في أحكام الردة والمرتد، وحكم أمواله، وأولاده وزوجته الأستاذ نعمان السامرائي في كتابه القيم: (أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية) نشر دار العربية بيروت .

البحث الخامس

الرابطة القوية (الميثاق الغليظ)

عوامل استمرار المودة والرحمة في الحياة الزوجية:

هذه الرابطة القوية (الزواج) التي بدأت بالعقد (في عالم المعاني) بعد أن تمت أمور الخطبة ثم ظهرت إلى الوجود (في عالم الواقع) كمثل الشجرة المثمرة، بل كالبستان تبقى زاهية خضراء مثمرة، إن تعهدناها بالرعاية والعناية، وتذبل وتخبو وتصفرُّ أوراقها إن أُهْمِلَتْ، وهذه الرابطة (الزواج) سمَّى الله سبحانه عقدها: (ميثاقاً) ووصفه بأنه: (غليظ) أي واثق شديد الوثوق فهو عقد وعهد قوي، لا يجوز توهينه، وانظر إلى موقع هذه الصفة في الآية الكريمة قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ أَرَدْتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا** ﴾ النساء٢٠، ٢١.

وواضح أن الحق سبحانه يوصي بإعطاء المهر بكامله للمطلقة إذا أراد الرجل الزواج بغيرها، وهدد من يأكل منه شيئاً ينتقص به حق الزوجة، كيف يأخذُهُ وقد أفضى إلى هذه الزوجة وكشف سترها؟! وخلا معها، وعاشرها معاشرة الأزواج، وقد وقع هذا بعد أخذ الميثاق الغليظ (عقد الزواج) فكيف يَحِّل الأخذ من المهر دون رضاها؟!.

بعد هذا أقول: على من تقع مسؤولية إنماء رابطة الزواج وصيانتها ورعايتها هل هي على الزوج، أم على الزوجة، أم على كليهما معاً ؟!.

لقد قرأت كثيراً، وسمعت كثيراً من واقع الحياة عن حياة الأزواج السعداء والتعساء، وكم كنت أُسَرُّ وأغتبِطُ، ولا أزال، لسماع سيرة زوجين سعيدين، تزهو حياتهما بالسرور

وترتبط بالمودة والرحمة، ويعلم الله كم يزعجني ويؤلمني اطلاعي على حياة زوجين قد كادت أن تعصف بحياتهما الزوجية الخلافات والشقاق، أو عصفت وهدمت الأسرة، وشتت أفرادها.. **لذلك عزيزي الزوجين**، من أجل دوام المحبة والرحمة، واستمرار المودة والحنان. أكتب هذا الكتاب، وبالأخص هذه الصفحات، وأقول: إن هناك أكثر من عامل، وأكثر من سبب ينمي المودة والرحمة بين الزوجين ويزيد المحبة والعاطفة عمقاً واستمراراً..

وأؤكد أن هذا يتحمله الزوجان ولا يعفى منه واحد منهما، وإن كانت بعض العوامل يتحملها الرجل أكثر، وبخاصة عندما يكون التقصير منه، أو تكون الزوجة في حالة من التعب أو المرض أو كثرة الانشغال بأمور البيت والأولاد.

وإن من أعظم ما يحمله الزوجان هو مسؤولية استمرار الحياة الزوجية وصيانتها من التصدع والانهيار والمحافظة على الأسرة وثمراتها من بنين وبنات قائمة على أصولها مترابطة فيما بينها، ومراقبة الله سبحانه في كل عمل، وكل تصرف وإنه المطلع على كل صغيرة وكبيرة وإن إليه المرجع والمآب وإنه هو الذي يجزي عن العمل إن خيراً فخير، وإن شراً فشر !!

وهذه المراقبة لله سبحانه مصدرها الإيمان بالله واليوم الآخر (العقيدة الإيمانية) والرجاء بما عند الله سبحانه من مثوبة والخوف مما لديه من عقوبة، هذا الرجاء والخوف هو الذي يحمل الزوج على ألا يفرط في حق زوجتة وأولاده. ويستمر في إذكاء روح المودة والرحمة في البيت؛ ليسعد هو وتسعد أسرته، كما أن هذا يَنْهَضُ بالزوجة على ألا تقصر في الطاعة بالمعروف، والسهر على المريض والعناية بالضعيف، والتحمل والتجمُّل، والصبر على الضراء والفقر؛ إن أصاب زوجها ضيق ذات اليد، أو حَنَتْ ظهره السنون، وأضعفت جسمه وأقعدته الأمراض والأسقام ..

والمؤمن الذي يرجو ما عند الله من مثوبة لا يعمل في حياته رجاء مثوبة الناس ومكافأتهم له، ولو كانت زوجته أو أولاده؛ بل يعمل من أجل إرضاء الله .. والمؤمنة

الحرة العفيفة لا تقصر في الواجب، ولا تعرض وتدير ظهرها لزوجها وأولادها إن أَلَمَّتْ بهم عوامل الدهر، أو أقعدهم ضر أو فقر، بل تلزم الصبر والشكر والدعاء وترجو ثواب الله سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ النحل: ٩٧. وبالمقابل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ طه: ١٢٤-١٢٦.

١- من عوامل استمرار الحياة الزوجية (لدى الزوج):

١- أن تكون الكلمة الطيبة هي اللسان السائد بين الزوجين، ومع الأولاد أيضاً وقد قال المعلم المربي ﷺ: (الكلمة الطيبة صدقة) فهلا قلت لزوجتك كل يوم أو كلما احتاج الأمر كلمة طيبة، أأقول لك: ما هي الكلمة الطيبة؟ قل لها: إني أحبك، مثلاً: إني أهوى قوامك اللطيف، قل لها إذا دخلت البيت وشممت رائحة طعام تحبه: يا الله ما هذه الرائحة الطيبة؟ وإذا ذقت منه وأعجبك طعمه قلت: ما شاء الله! ما ألذَّ هذا الطعام؟! وإذا رأيت البيت نظيفاً رتيباً قلت: ما هذه الأناقة وما هذا الجمال؟ سَلِمَتْ يداك. هل هذه الكلمة صعبة؟ أم أن كبرياءَكَ يمنعك من هذا؟

وإذا رأيتها بثوب جميل لبسته من أجلك، أو من أجل ضيفاتها؟ ألا يستدعيك هذا المنظر أن تقول لها: سبحان الخالق، لقد جَمَّلْتِ الثوبَ، ما هذا الجمال ؟! فهل يعجزك بعض هذه الكلمات أن تقولها لها بين يوم وآخر، وعندما تستجد مناسبة؟ وقد قال المعلم المربي ﷺ: إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره وليقل له: إني أحبك، أفلا تكون أولى الأحباب بهذه الكلمة شريكة الحياة؟ وشقيقة الروح أفلا تحبها؟ إذن فلا تبخل بها عليها بين الحين والآخر كلما لزم الأمر أن تقولها .

٢- هل حاولت في أثناء جلوسكما على مائدة الطعام أن تضع لقمة في فمها؟ والحبيب المصطفى ﷺ يقول لنا: (وما تضعه في فيِّ امرأتك صدقة) أم أنك تستحي من هذا؟ وهذا لا يُستحى منه..

٣- هل رأيت في طريق عودتك إلى البيت حاجة تُحِبُّها هي من طعام أو فاكهة،

فحملتها إلى البيت وقلت لها : إني اشتهيت هذا لك ؟! أو رأيتَ ثوباً جميلاً، داخلياً أو خارجياً فأحببته أن يكون على جسدها ففاجأتها به؟

٤- هل قصَّرَتْ يوماً في حسن استقبالك خلافاً لعادتها كلما دخلت أنت إلى البيت،فغضضتَ الطرفَ عن هذا التقصير؟ أو تأخر الطعام فعاونتها في إعداده؟ أو وجدتها متعبة مريضة لم تحضِرْ لك حاجةً وعدتك بها فتجاوزت عن ذلك وآنستها ولاطفتها كأنها فعلت لك ما تريد وزيادة؟

٥- هل كانت تحدثك يوماً ما، فأصغيت إلى حديثها، مستحسناً ما تقول (إن كان حقاً) ومثنياً عليها غير مقاطع لها؟ أم أنك تركتها وقمت إلى التلفزيون، أو تناولت جريدة أو كتاباً، معلِناً في تصرفك هذا أنك لا تود السماع لحديثها؟

٦- هل واسيتها وآنستها في مصيبة وقعت لأسرتها وأسرعت في المشاركة عَدَدْتَ ذلك كأنه واقع في أسرتك وأحب الناس إليك؟ أم أن هذا لا يخصك؟

٧- هل استقبلت أمها وأكرمتها وأثنيت على تصرفها الجميل معك، ولو كان فعلاً بسيطاً وقدرتها أمامها.

٨- هل كانت يوماً مريضة أو في العادة الشهرية - وهي مرض - فقمت ببعض أمور البيت عنها وأحضرت المائدة إلى جانب سريرها واعتنيت بها؟

٩- وهل طلبت منك أن تنظر في أمر الأولاد فتعينها في مراقبتهم في عمل واجباتهم المدرسية أو تشرف على إيصالهم إلى المدرسة أو الروضة أو تعينها في تهيئة الصغار منهم في خروجهم إلى زيارة قريب أو نزهة، أو مكان آخر؟

١٠- وهل استمعت إليها بجد، وهي تستشيرك وتحاورك في أمر تربيتهم، أو حل مشكلة أحدهم ؟

١١- وهل تسامحها إن كانت أمية، وتعلمها إن كانت قليلة العلم، بسيطة التفكير والبداهة والنشاط؟!

١٢- وهل، وهل و...؟

٢- من عوامل استمرار المودة والرحمة في الحياة الزوجية (لدى الزوجة):

١- هل قدمت له يوماً الطعام الذي يحب دون أن يطلبه؟ وتعهدت ذلك في كل مدة وأخرى؟

٢- هل فاجأته يوماً بهدية ولو بسيطة، منديل جيب مثلاً، قلم حبر، قارورة عطر صغيرة، وحرصت على هذا في المناسبات أو بين الحين والآخر؟.

٣- هل شعرت يوماً أو أياماً أنه يريد الخلوة بك ففطنت إلى هذا قبل أن يتصرف تصرفاً يثير حفيظته أو يظهر غضبه، فأسرعت إلى تهيئة الجو المناسب؟

٤- هل حدثكِ يوماً عن حكاية قرأها أو قصة أعجب بها أو ما جرى مع بعض أصدقائه مستملحاً ذلك أو مستنكراً، ففهمتِ المغزى من حكايته وعملتِ الذي يهواه؟ أم أن هذه الحكاية مرت دون أن تشعري لماذا ساقها فأعادها يوماً آخر، فهل أدركتِ لماذا أعادها؟.

٥- إذا كان يحب نوم القيلولة، فهل هيأت الجو المناسب لنومه ودَرَّبْتِ الأولاد على احترام راحة والدهم عندما يقيل نهاراً أو ينام ليلاً؟

٦- سوف تحرصين كل الحرص على هندام أولادك ومظهرهم الجميل النظيف ولكنه يحب لهم في خروجهم معكما إلى زيارة الأسرة أو الأقرباء أو الأصدقاء غير هذا الذي تلبسيه الولد أو البنت فهل لاحظت هذا ؟ أم احتاج الأمر إلى أن تخاصميه بأن هذا هو الأفضل؟

٧- هل اتفقتما كلاكما عزيزيَّ الزوجين، على بعض القواعد والآداب في أمور تربية الأولاد وتدريسهم ونومهم وهندامهم ومصاحبة من يصحبون أم أن ذلك تتركينه للمصادفات؟

٨- هل انتظرت مجيئه يوماً إلى البيت وقد أتعبك الأولاد بخصامهم وصياحهم فاستقبلت الزوج غاضبة ثائرة، قائلة: إما أنا وإما أولادك؟ لم أعد أستطيع تحملهم؟ أم انتظرت إلى ما بعد الغداء ولم تنسَيْ إصلاح هندامك ومظهرك وبعد استراحته وهدوئه فتحت الحديث معه وعالجتما مشكلة الأولاد أو مشكلة أحدهم بهدوء وروية دون انفعال وعصبية؟

٩- هل نسيت أن تنظري في المرآة بين كل مدة وأخرى، وأصلحت هندامك وزينتك، وسرحت شعرك التسريحة التي يحبها زوجك.

١٠- هل أنهيت أعمال البيت، أو هيأت نوم الأولاد في غرفتهم، ثم أعددت الوقت والمكان اللازمين لقضاء سهرة حلوة مع زوجك، في البيت أو في أي مكان آخر تختارانه؟

١١- وهل تصبرين إذا لم يكن هذا الزوج حلمك السابق؟ وحاولت تقريب ما بينك وبينه، ولو على مراحل؟!

١٢- وهل وهل ؟ ...

عزيزي الزوجين: سأسوق لكما فيما يأتي من الصفحات في القسم الثاني - إن شاء الله - بعض قصص الأزواج والزوجات العقلاء الفطناء والصالحين لترجعا إليها كلما وجدتما بعض المنخفضات في مسيرة الحياة الزوجية أو بعض المنحنيات في هذه الطريق من عمركما المديد إن شاء الله.

تجديد الحياة الزوجية:

عزيزي الزوج: هل تريد أن تجدد حياتك الزوجية؟ قد يخطر ببالك أن تتزوج بامرأة أخرى، ولكن هناك عدة عوامل تمنعك من ذلك؛ منها: وفاؤك لزوجتك التي شاطرتك حلو الحياة ومرها ووقفت معك أيام المحن والشدائد صابرة محتسبة، أو شاطرتك أيام الفقر متجملة متعففة، وقد لا يكون هذا ولا ذاك، بل إنك لا تريد التفريط بشمل أسرتك؛ أولادك وبناتك، وخاصة في هذا الزمان الذي شوشت فيه وسائل الإعلام، وشاغبت على تعدد الزوجات، حتى صار لدى الناس اعتقاد ظالم سائد بأن التعدد حرام، وأنه عمل غير أخلاقي، مع غض النظر وعدم اللوم عمن يعاشر امرأة أخرى بالحرام !!

أو أنك لا تجد النفقة الكافية للزواج من ثانية أو لا تستطيع تحقيق العدل بينهما، أو أو؟؟

لذلك فقد نصحت كثيراً من إخواني، أن يجددوا حياتهم الزوجية بأقل من تكاليف الزواج من ثانية، وذلك بأن يشتري حاجات عرس لزوجته وله، ويعد ذكرى زواجه، زواجاً جديداً يقدم فيها هذه الحاجات كهدايا لزوجته، وأفلحت هذه الفكرة لدى من عمل بها من الأصدقاء، وقد جربتها أنا بعد ٣٨ عاماً من زواجنا، مجدداً بهذا عقد زواجنا الأول، ولكن دون مهر جديد، بل ببعض أثاث ولباس جديد، والحمد لله على دوام الألفة والمحبة.

• وقد وجدتُ من وافق رأيه رأيي ولكن بعمل أفضل من عملي، وفي قطر آخر من أقطارنا العربية، فجدد عقد زواجه لشريكة عمره، بأن ذهب إلى المحكمة الشرعية وزاد مهرها المعجل والمؤجل، وعمل حفلة زواج جديدة ودعا فيها أصدقاءه للمشاركة.

ولا تظننَّ هذا الخبر طرفة، أو فكاهة، بل هو أمر واقع قرأته في جريدة محلية، وإليك هذا الخبر كما نشرته جريدة الجماهير الحلبية بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٢ بعنوان:

وفاءً لشريكة عمره ... أرْدني يجدد عقد زواجه.

• في سابقة هي الأولى من نوعها لدى المحاكم الشرعية جدد أردني عقد زواجه بمناسبة ذكرى الأربعين لزفافه. وتقدم الرجل الوفي لزوجته (٦٤)عاماً بالتماس إلى المحكمة الشرعية تحت عنوان: (جزاء المعروف) لتجديد عقد زواجه المبرم بمبلغ مقدم ١٧٠٠ دينار إلى ١٠٠ألف دينار.

ورفضت المحكمة أن يكون المبلغ أكثر من ٢٥ ألفاً حتى لا تسجل سابقة فتشجع الغلاء على المهور الذي لا تقره الشريعة، وعقب جدل اتفق على أن يكون المعجل ٢٥ ألفاً وبدل الأثاث بمبلغ مماثل والمؤجل ٥٠ألفاً. وعقب إتمام العقد اتصل الرجل بأصدقائه ومعارفه وأحيا ذكرى زفافه حسب العقد الجديد، مؤكداً أن هدفه كان تعميق أواصر المحبة والود. ورفض الرجل الإفصاح عن هويته لوسائل الإعلام، لكنه أشار إلى أن موقفه كان إجلالاً لزوجته وتأكيداً لمبدأ العدالة وإيصال رسالة للجميع بضرورة إنصاف الزوجات بمهورهن المتآكلة مع مرور الزمن وارتفاع تكاليف المعيشة جراء ارتفاع الأسعار.

• وقد أخبرني أحد الأصدقاء من بلدتنا (الباب) وهو محام لامع مشهور، ومن أهل إحقاق الحق والإنصاف، بعدما اطلع على هذا الفصل بأنه أيضاً وفاء لزوجته جدد لها مهرها لدى القاضي الشرعي بعد عشرين عاماً من زواجهما وكان مهرها المقدم (عشرة آلاف ليرة سورية) وكذلك مؤخره، فثبته لدى القاضي (بمائتي ألف ليرة سورية) مؤخراً، شكر الله سعيه، وجزاه الله خيراً .

هل تتقاعد الزوجة بعد أن تصبح جدة ؟!

أرادت السيدة المصونة زوجتي الغالية (فاطمة الزهراء) بنت عمي الشيخ محمد سعيد المسعود - رحمه الله - أن تشارك بهذه الباقة العطرة من كلمات المودة والرحمة من خلال تجربتها في الحياة الزوجية فكتبت ما يأتي بهذا العنوان أعلاه:

الوقت مساء، وقد علمت حفيدتها الصغيرة الحلوة أن جدتها قد انتهت من أداء صلاة العشاء والأذكار بعدها، ورتبت ما عليها ترتيبه؛ في نفسها وبيتها .

قرعت الحلوة الصغيرة باب جدتها، وقالت: جدتي جدتي، افتحي لي الباب، ففتحت الجدة، ودخلت الصغيرة، قائلة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، مساء الخير، يا جدتي ! ردت الجدة التحية بأحسن منها، وضمت صغيرتها الحلوة إلى صدرها بحب وعطف وقبلت وجناتها ..

ولكن الصغيرة الذكية، بدت محرجة، وهي تحملق في وجه جدتها باستغراب ودهشة، كأنها رأت شيئاً لم تره من قبل، وخرست الكلمات في لسانها، ولم تنتظر أن تأكل الحلوى التي قدمتها جدتها، وهي عادة تخبىء لها الحلوى ولأخواتها الصغار، فاستأذنت جدتها بالانصراف، وذهبت إلى غرفة والديها ..

لاحظت أمها علامات الاستغراب على وجهها، والكلمات تتعثر في فمها، كما لاحظت رجوعها السريع من غرفة الجدة، فقالت لها:

مالك يا حبيبتي؟! ماذا وراءك؟! أجابت الصغيرة بتلك الكلمات المتلعثمة ..

يا ماما، نانا !! قالت الأم:

ماذا أصاب (النانا)؟ قولي هل حدث شيء؟ قالت الصغيرة (بعد أن بلعت ريقها) ورأت الدهشة في وجه والدتها:

نانا ثوبها حلو جداً (تنفست أمها الصعداء) وتابعت الصغيرة، قائلة: وعلى فمها (...) وعيونها (...) !!

ولم تقل البنت .. ماذا، وعلمت الأم صنيع حماتها من الزينة والتجمل، وضحكت من ابنتها وقبَّلتها.

حكت الأم في الصباح لحماتها ماذا قالت الصغيرة؟ وما رأت من علامات الاستغراب والدهشة في وجهها، قالت الجدة: يا بنيتي، إني أفعل ذلك -كما تعلمين ليلاً - لأن النهار لا يسمح لي بأخذ زينتي التي يطلبها الشرع مني، ويرضاها الزوج، لأن النهار مفتوح أمام الداخلين والخارجين، من الأصهار والأولاد، والزائرات وأصحاب الحاجات، وأنا أستحي بطبعي أن تظهر زينتي الخاصة بزوجي أمام محارمي، وليس لأن ذلك حرام، فأغتنم الفرصة للزينة ليلاً، مع محافظتي على نظافتي في الجسم والثوب نهاراً، أما سمعت مني مراراً قول الحبيب المصطفى: (بأن خير ما يكنز المرء الزوجة الصالحة؛ التي إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله).

وأنت ترين - يا عزيزتي - أن الجمال والتجمل قد استويا مع الطاعة المطلوبة وحفظ النفس والمال، كما أن التزين والتجمل (الذي يسر الزوج الناظر) إعفاف له وكفاية من أن ينظر إلى زوجة الشارع!

قالت الكنة باستغراب: ومن تكون زوجة الشارع هذه؟

فقالت الجدة لها:

هي التي تبدي زينتها ومحاسنها التي أمرها الله بسترها في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ النور: ٣١. فتبديها للرجال من غير محارمها، وتفتتهم

بزينتها الحرام، فيفتتون بها، ولا تقوم غالب الزوجات بجذب أزواجهن بالزينة الحلال كما أمر ديننا الحنيف.

لذلك عندما تقوم المرأة المسلمة - يا بنيتي - بواجبها الشرعي الطبعي تجاه زوجها، تكون قد أطاعت ربها وأطاعت زوجها، وحافظت على استقرار بيتها، وجعلت زوجها دائماً يتوق إليها، ولا ينصرف إلى غيرها من (زوجات الشارع).

* * *

- أكتب هذا، وأنا أرى أن غالب النساء، متى كبر أولادهن، وأصبح لهن أصهار، يتقاعدن عن مهمة عظيمة، وواجب كبير تجاه أزواجهن، إنهن يتقاعدن عن مهمة استمرار إعفاف الزوج وإشباع رغبته إلى المرأة والتي فطر الله الرجل عليها وجعل الرجال والنساء ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ البقرة: ١٨٧. فتترك المرأة الجدة زينتها، والعناية بهندامها وتنشغل بالصغار والكبار من أولادها وأحفادها وأسباطها، وأصهارها وبناتها، مهملة بهذا الانشغال الواجب الأهم عليها من تحقيق استقرار في البيت والزوج والأسرة.

وقد يلجأ الزوج الذي يخاف الله، ولا يجد زوجته المتقاعدة أعطته حقه من الإعفاف والإحصان إلى الزواج بثانية، فتقوم قيامة الأولى وتبرز غيرتها، وتعمل ما يغضب الله، ويجانب العقل، من معاداةِ الزوج وتحريض أولاده وبناته عليه، هذا إذا لم تتعد إلى تجريح سمعته، وتشويه سيرته، وبث البغضاء بينه وبين أولاده واتهامه بظلمهم وظلمها، وهي التي جنت على نفسها، وحيث إنها قصرت في سد حاجته الطبعية (الفطرية) إلى المرأة، وتنتقل من عصيان الزوج إلى عصيان المولى تبارك وتعالى؛ لأنها تسببت في إغضابه، وباتت وزوجها عليها غضبان، ومعلوم حديث رسول الله ﷺ كما في الصحيحين: (إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع) وفي رواية: (حتى تصبح).

كما أنها إذا انصرفت عنه وانشغلت بغيره من الأولاد، وحاجات البيت؛ فإنها تسهل له بانشغالها هذا التوجه إلى الحرام، وما أكثر ما يعرض الحرام بضاعته والعياذ بالله تعالى.

لذلك على المرأة المسلمة أن تعلم علم اليقين أن ما شرعه الله سبحانه في قرآنه وعلى لسان رسوله ﷺ هو الحق الذي يجب أن يتبع، ولا يغرنك كثرة ما يصرف النساء والرجال عن هذا، فقد قال ﷺ: (المرأة لا تؤدي حق الله عليها حتى تؤدي حق زوجها، حتى لو سألها وهي على ظهر قتب لم تمنعه نفسها)(١)

وعلى الزوجة المؤمنة (ولو كانت جدة) أن تختار دائماً ما يحبه زوجها من لباس أو طعام، وأثاث بيت، وهندام.

وألا تجعل الأناقة وحسن الهندام لضيوفها، وتبقى في ثياب المهنة، أو فيما لا يستحسنه الزوج؛ إذا جاء إلى البيت، فإن هذا يحُفِّظهُ(يغضبه) وتعلم كل امرأة فطنة ما يحب زوجها وما يكرهه، والله المستعان.

وهل يتقاعد الزوج أيضاً بعد أن يصبح جداً؟

وبالطبع فإن ما كتبته الزوجة الغالية، حفزني أيضاً، لأن أكتب عن الزوج؛ هل يتقاعد الزوج بعد أن يصبح جداً ؟! وسرعان ما يمسي الزوج جداً !! أو قد يبلغ تلك المرحلة ولما يتجاوز سن الكهولة ..

وسيرفض الرجال مفهوم التقاعد بالطبع؛ لأن التقاعد في مفهوم بلادنا، عدم ممارسة عمل وظيفي، والخلود إلى الراحة والهدوء أو الاشتغال بأعمال أخرى غير مجهدة .. إذا كان التقاعد بعد الستين.

والتقاعد عن الواجبات الزوجية مرفوض طبعاً وغير مقبول شرعاً، إذ إن المسؤولية تجاه الأسرة لا تنفك عنه استناداً إلى القاعدة الشرعية المستنبطة من الحديث الشريف: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) البخاري (كتاب النكاح).

---

(١) رواه الطبراني كما في الترغيب والترهيب للمنذري .

لذلك فليس في الحياة الزوجية تقاعد لا من قبل المرأة، ولا من قبل الرجل؛ وكلٌّ يؤدي واجباته تجاه الآخر وتجاه الأسرة وفق ما بينته أحكام الشريعة الغراء وفصلته، وقد ذكرنا جانباً من هذا خلال الصفحات السابقة.

لكن المريض معذور سواء كان شاباً أو شيخاً رجلاً كان أو امرأة ..

وعليه، فإن حاجة الرجل إلى المرأة وحاجة المرأة إلى الرجل لا تنقضي حتى ينقضي الأجل، وقد يتبادر إلى الذهن لدى كثير من الناس أن الحاجة المقصودة هي الحاجة الجنسية، وهذا جزء من الحقيقة تختلف شدته عند الناس .. وكلما تقدم السن في الزوجين، فإن حاجة أحدهما إلى الآخر تبرز أكثر من ذي قبل، وقد عبر عنها الحق أصدق وأجمل تعبير إذ قال ﴿ **لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾ الروم:٢١. فهذا السكن هو معظم حاجة الزوجين إلى بعضهما، وبخاصة عندما يتفرغان من شواغل الأولاد والبنات الذين يتزوجون ويَبْنُون أسراً مستقلة عن الوالدين .. آنذاك تبرز حاجة كل من الزوجين إلى الآخر أعظم ما تكون، وينطبق الوصف القرآني عليهما ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾ البقرة: ١٨٧. أسبغ ما يكون لباساً ساتراً للعورات، وقاضياً للحاجات، وملبياً لرغبات الزوجين تجاه الهدوء والسكينة، والراحة والطمأنينة. ويأتي النشاط الجنسي تبعاً لتحقق عوامل الرغبة وزوال المعوقات لدى الطرفين؛ كنتيجة لما يشعران به من صحة وعافية، وراحة وسكينة، وهدوء وطمأنينة.

ويصبح تعلق الزوجين ببعضهما، وتعلق الرجل غالباً، أشد في مرحلة ما بعد التفرغ من الشواغل والأولاد (الذي أسميناه التقاعد) ليتحقق السر العظيم المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا . . .** ﴾ الروم: ٢١. هذا السر الذي عبرت عنه فيما سبق (بالتكاملية) والعودة إلى (التوحدية) الذي هو الأصل المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ . . .** ﴾ النساء: ١.

وكما ذكرت الآية السابقة في سورة الروم ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا . . .** ﴾ الروم: ٢١.

فالقرآن عبر هنا بالنفس (الواحدة) وهذا سر من أسرار القرآن في النفس وفي الإنسان ..

ولذلك تجد الرجل السوي يدأب في البحث عن المرأة حتى تعود أموره إلى (النفس الواحدة) بعد الاقتران بها .. ومن تقدم به السن يشعر بهذا أكثر من الشاب الذي قد يكون مشغولاً بحاجات أخرى، وقواه الجسمية في أوجها.

ومثال على ما أقول؛ ما تراه من سؤال الرجل الكبير عن زوجته أول ما يدخل داره أين هي ؟! فيسأل أولاده أو أحفاده، ولا يستقر له حال، ولا يهدأ له بال حتى يراها، ويجلس إليها، وإن كان أحياناً يبادرها بسؤاله عن غيابها بنزق وغضب، إشباعاً لغرور الفوقية عنده مثلاً إلا أنه سرعان ما يهدأ، فقد وجد سكنه وأنس بزوجه، واستقرت عواطفه.

وهذا بالطبع ليس من أجل حاجة جنسية، فقد يكون هو عِنِّيناً أو تكون هي عجوزاً أو مريضة، وإنما يبحث هو عن الرحمة المخبوءة في قالب تلك (النفس الواحدة) التي كان كلاهما أي الزوجان محققين لها، والتي عبر عنها الحق سبحانه بقوله: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الروم: ٢١.

وهي بالأولى تبحث عن هذه (الرحمة والمودة) المخبوءة في قالب زوجها، وتفتقده إذا غاب، وتقلق عليه إذا تأخر وترسل الأحفاد؛ ليعلموا خبره إن سمعت عنه ما يشغل بالها ويشوش خاطرها.

وقد تتقدم بهما السن، وتفضي بهما الحال إلى ألا يتحملا أي إزعاج أو مسؤولية، وتسوء أخلاقهما من أدنى سبب، ويفضي كل منهما إلى الآخر باللوم أو العتاب، وقد يجلسان الساعات الطوال لا ينبسان ببنت شفة (لا يتكلمان) ولكن إذا غابت زوجته دقائق لحاجة ما، فإنه يضجر، ويستعجلها العودة إلى مجلسهما، فماذا يجدان فيه؟

إنه (السكينة، والمودة والرحمة) التي تخيم عليهما، وإن كانا لا يريانها بالبصر، فإنهما يحسانها بالبصيرة.

وبعد: فهل يتقاعد الزوج ؟ وهل تتقاعد الزوجة بعد أن يصبحا جدين؟

الجواب عند القارئ، بعد دخوله سن التقاعد !! والله المستعان وعليه التكلان.

وختاماً: أيها الزوجان الكريمان المتقاعدان:

هناك ملاحظتان، الأولى: لقد أصبحتما الآن في مرحلة من العمر جديدة، وباستطاعتكما أن تجعلاها شهر عسل مستمر حتى تلقيا ربكما، ولكما إن أردتما أن تجعلاها أيام حنظل وعلقم، فبإمكانكما ذلك أيضاً !! باستطاعتكما أن تجعلاها شهر عسل تذوقان فيه حلاوة التمتع بالحياة السعيدة، والسكن الهادئ المطمئن كما بدأتما حياتكما الزوجية، وذلك إن تحملتما بعضكما بعضا، وصبر كل منكما على تقصيرات الآخر، ولم يحاسبه على الصغيرة والكبيرة.

فها هي شريكة حياتك أخي الزوج قد أثقلت ظهرها السنون، وأيبست عودها عوامل الحمل والولادة، وما يتبعها من العناية بالأولاد والبنات والسهر عليهم حتى صاروا رجالاً ونساءً وتزوجوا وافتتحوا بيوتاً، ورفدوا المجتمع والأمة بالبنين والبنات، الصالحين والصالحات إن شاء الله .

فهل ستعدُّ - أخي الزوج - أم البنين الغالية على قلبك سابقاً ولاحقاً، لا تزال بنت العشرين بصحتها وشبابها وفتوتها ونضارتها، وتتأَمَّرُ عليها أنت كأنها في شرخ شبابها ؟ أم ستراعي - بلا شك - ما حملته في حياتها وما تحملته من آلام وشقاء في تربية الأولاد والسهر عليهم وعليك أنت، والعناية بك بعدما كثرت عليك الأسقام، وصار الدواء ملازماً لك كالطعام ؟ ما أظنك إلا أنك ستراعيها، وتحترمها وتعتني بها وتصبر عليها، وتغفر لها تقصيرها، كما كنت تفعل سابقاً وزيادة؛ لأنها تجاوزت الستين، وأنت سبقتها في المجاوزة لهذا السن منذ سنين .

* * *

وأنت أيتها الزوجة المحبة الصابرة الودودة الوفية، هل ستتبرمين من طلبات هذا الزوج وتتأففين من كثرة كلامه، ومن ملاحظاته، وتدقيقاته التي لا تنتهي بنظرك وتقولين في نفسك: ما أكثر ما يدقق، وما أكثر ما يحكي، إنه لا يفوت ملاحظة، ولا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ويسأل عنها ويفتش عليها سائلاً: لماذا صار هذا، ولماذا تُرك ذاك؟

وبالطبع لأنك المحبة له وتسبغين عليه من عواطف المودة والرحمة كما كنت سابقاً تفعلين وزيادة، ستقابلين هذا (النّقّ) بالبسمة الضاحكة، والكلمة الطيبة، والصفح والإعراض عن كل ما تظنينه فضولاً وتدخلاً فيما لا يعنيه ويعدُّه هو ذوقاً وأصولاً وشأناً له يرضيه، سوف تعذرينه بسبب مرضه، أو كثرة متاعبه، أو إرهاقه ومعاناته النفسية التي تؤثر عليه من جراء عدم استطاعته القيام بما كان يقوم به سابقاً من أعمال ومسؤوليات، ونشاط اجتماعي، وهمة في معالجة الأمور، وسوف تكون يدك الحانية عليه وعلى الأولاد، بل عليه؛ أكثر وأشفق، وألطف وأرحم، وإن وجدتما ضجراً فعودا إلى أول هذا الكتاب واقرأا فصوله الأولى من جديد، وأنا متأكد بأنكما إن فعلتما وقرأتما، فسوف يتجدد نشاطكما، وتنسيان متاعبكما وتدعوان لي، ولمن يسر طبع الكتاب ونشره، بالتوفيق والسداد.

الملاحظة الثانية: وهي خاتمة المطاف.

هل كانت حياتكما المديدة، وعيشكما السعيد؛ إن شاء الله، موجهاً في طاعة الله، ودعوة عملية بالحال والمقال إلى عباد الله أمثالكم لسلوك طريق طاعة الله، وتجنب معاصيه ؟ هل كانت هذه الحياة السعيدة التي عشتماها أنتما والبنون والبنات، والأسباط والأحفاد، نموذجاً عملياً لما عليه الأسرة المسلمة التي تتمتع بالحياة الهانئة الطيبة، وبالوقت نفسه دعوة سلوكية لسائر الأزواج والزوجات للسير على طريقكما، وسلوك سبيلكما؟

أليس من شكر الله الذي أنعم علينا بالمودة والرحمة ووفقنا للسكن والطمأنينة، أن نسخر جهودنا وأوقاتنا لتكون نموذجاً يؤتسى به من قبل الآخرين؛ من أزواج وزوجات، وأسر وعوائل، وبنين وبنات؟!

أليس من شكر الله الذي وفقكما وأنتما بعد هذا العمر المديد تتمتعان بالحب العميق، والألفة الدائمة، أن تسخِّرا حياتكما الحاضرة والباقية؛ لتكون نموذجاً عملياً لدعوة الآخرين إلى سلوك ذات السبيل، والسير في النهج نفسه السوي الذي سرتما فيه، وسلكتما حياتكما المطمئنة إليه.

إذن؛ إن كان الأمر يتطلب ذلك، وشكر النعم يستوجب ما هنالك، فعليكما، عزيزي الزوجين؛ ألا يغيب عن بالكما؛ هذا الهدف، وهو أن تكون سعادتكما الزوجية، وحياتكما الأسرية دعوة عملية للناس؛ تقول لهم بلسان الحال، قبل لسان المقال:

ألا إن من أراد السعادة في الدنيا، والجنة في الآخرة ورضوان الله فيهما، والتوفيق والسداد في كليهما، فليبن حياته على تقوى الله، وليتزود فيها بتقوى الله ولتصحبه التقوى في سره وعلنه، وغضبه ورضاه، وفقره وغناه، وصحته وسقمه ولتكن طاعة الله وتلمس مرضاته غايته في سائر شؤون حياته، وتلك سعادة الدنيا الموصلة إلى سعادة الآخرة وبها يتحقق للأزواج والأولاد والأحفاد العيش الهني، والسكن النفسي، والبعد عن أمراض العصر القاتلة، سواء كانت أمراض الجسم أو الأمراض النفسية والعصبية.

ولم لا والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ الطلاق: ٢، ٣. ويقول عز من قائل: ﴿... وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ البقرة: ١٩٧.

المبحث السادس

أخبار الأزواج والزوجات من بطون الكتب والأسفار

تمهيد:

كما وعدتكما سابقاً عزيزيَّ الزوجين، أن أقدم لكما قطوفاً من ثمرات الكتب تستعينان به في بناء حياتكما الزوجية، وهو في الغالب صور من الواقع الذي مضى، نافع - بإذن الله - لمن اتعظ أو وعى.

وهو أيضاً ترميم لجدار الحياة الزوجية إن أصابتها شروخ الزمن، وإصلاح لما وهى من بناء الأسرة إن تداعت عليها النوائب والمحن.

ومن ثمرات الأوراق نقتطف جناها، ومن أزهار الأسفار نجمع ما ينفع، وما أكثر الكتب التي كتبت في العلاقات الزوجية!! ومن أعظمها فائدة ما لامس واقعاً أو عالج مشكلة؛ فكان كالبلسم للجرح، وكالماء للأرض العطشى!

وخير ما نبدأ به كتاب الله سبحانه وما أعظم فائدته، وما أكثر بركته! فنجتني منه الآيات البينات التي تقص علينا أخبار الأزواج والزوجات الصالحات؛ ليكونوا لنا قدوة وأسوة، أما أنباء الأزواج والزوجات المنحرفين، فتكون وقائعهم لنا نذيراً وتحذيراً.

الفصل الأول

أخبار الأزواج في كتاب الله سبحانه وتعالى

١ - أول زوجين آدم وحواء:

ذكر لنا ربنا سبحانه في كتابه الكريم قصص الحياة الزوجية وعوامل صيانتها وحفظها، وعوامل انهيارها وتصدعها.

وأول قصة تذكر هي قصة آدم وحواء، فقد قال الله تعالى: ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ البقرة: ٣٥-٣٨.

ذكر الإمام المفسر المؤرخ ابن كثير، أن الله سبحانه أمر آدم عليه السلام أن يسكن الجنة هو وزوجته وحذره من إبليس: ﴿ **فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى** ﴾ طه ١١٧-١١٩.

وذكر ابن كثير أيضاً أن الله سبحانه لما أخرج إبليس من الجنة وأسكن آدم فيها، وصار يمشي آدم فيها وحيداً، فنام نومة ولمَّا استيقظ وجد حواء قاعدة عند رأسه قد خلقها الله سبحانه من ضلعه، فلما رآها سألها: ما أنت ؟ قالت: امرأة قال:ولم خُلقتِ؟ قالت: لتسكنَ إليَّ، فقالت له الملائكة ينظرون ما مبلغ علمه: ما اسمها يا آدم ؟ قال: حواء، قالوا ولم كانت حواء ؟ قال: لأنها خلقت من شيء حي.

قال ابن كثير: ومصداق هذا قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي**

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ النساء:١. وقال سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ الأعراف: ١٨٩.

وفي الصحيحين (البخاري ومسلم) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: (استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً)[١] و[٢].

وذكر ربنا سبحانه أنهما أكلا من الشجرة، وذلك بعد وسوسة الشيطان لهما وحلفه لهما اليمين بالله أنه ناصح لهما بأكلها؛ حتى يخلدا في الجنة أو يكونا ملكين وما تصور آدم عليه السلام أنَّ أحداً يقسم بالله كاذباً، ولذلك صدقاه في يمينه ونسيا عهد الله لهما ألا يأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عنها، ولا يهمنا معرفة الشجرة ما هي؛ هل هي الحنطة، أم النخلة ؟ أم التينة طالما أن الله سبحانه لم يسمها لنا، ويكفينا أن الله سبحانه نهى عن شجرة بعينها، ولو كان في تعيينها فائدة لذكرها القرآن الكريم.

ولما أكلا منها بدت لهما سوآتهما (عوراتهما) وسقط لباس الجنة عنهما [٣]، فسترا جسمهما بورق الجنة، ولنستعرض قصة آدم وزوجه كما وردت في القرآن الكريم قال الله سبحانه: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا

---

(١) راجع البحث ص٤١ (خصائص الرجل والمرأة) من كتابنا هذا في تفسير هذا الحديث .

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ص١٣ وما بعد .

(٣) فانظر أخي المؤمن (زوجاً أو زوجة) عاقبة المعصية وعقوبتها هو في الدنيا ظهور العورة التي يسوء كشفها العقلاء المؤمنين، ولاحظ كيف يكشف كثير من العقلاء من الرجال والنساء عوراتهم، في الدنيا وما يدرون أن هذه عقوبة معجلة، وفي الآخرة نار تلظى ..

الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ الأعراف: ١٩-٢٥.

وذكر ربنا سبحانه أيضاً هذه القصة مفصلة، فقال جل من قائل، مبيناً عهده إلى آدم بألا يأكل من الشجرة الممنوعة فنسي العهد وأكل منها، ولم يكن له عزم على مخالفة عهد الله سبحانه، بل كان هذا بعد قسم إبليس له أنه ناصح له: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ طه: ١١٥-١٢٦.

وفي هذه القصة عبرة وعظة لبني آدم وبخاصة الزوجين، أن يكونا كأبويهما في الرجوع إلى الطاعة والتوبة والندم وعدم الإصرار على المعصية، إذا نسيا عهد الله سبحانه وأوامره، ولا يكونا كإبليس الذي عصى وغوى، واستكبر فلعن وطرد من رحمة الله سبحانه.

٢ - قصة الزوجين المؤمنين: ابراهيم عليه السلام وسارة.

وقصة الزوجين الكريمين إبراهيم (وزوجته سارة، وهي وإن لم تذكر كلها في القرآن، فقد ذكر بعضها (البشارة بالولد) ذكرها المفسرون كما ذكرها المؤرخون، وخلاصتها كما

ذكرها المفسر المؤرخ ابن كثير - رحمه الله - في تاريخه هأنذا أذكرها بشيء من الإجمال والتصرف؛ كما رواها عن الإمام البخاري والإمام أحمد وغيره، قال: دخل إبراهيم قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة (وكان ملكاً على مصر) فتحدث الناس، وقالوا: دخل إبراهيم الليلة بامرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه الملك الجبار: من هذه معك ؟ قال إبراهيم: أختي، فطلبها منه، فقال لها إبراهيم: (لا تُكَذِّبي قَوْلي فإني قد أخبرته أنك أختي، إنه ما على الأرض مؤمن غيري وغيرك، ويعني خليل الله بهذا أنها أخته في دين الله، وليس على الأرض زوجان مؤمنان غيرهما، فلما دخلت على الملك قام إليها، ومد يده ليتناول يدها، فقامت تتوضأ وتصلي وقالت: اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك، وأحصنت فرجي إلا على زوجي، فلا تسلط عليَّ الكافر! فلما مد الملك يده عليها أُخِذَ (عوقب حتى نكس على رأسه، ثم قام يركض هارباً كالمخنوق) فقالت سارة: اللهم إن يمت يقال: أنا قتلته! فصحا من غطيطه، ثم عاود الكرة مرة ثانية فعاودت دعاءها أيضاً وقالت: اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط عليَّ الكافر، ولما مد يده الثانية أُخِذَ أيضاً فقالت مقولتها الأولى: اللهم إن يمت يقال: أنا قتلته، فصحا وعاود الثالثة والرابعة وهي تدعو أن يخلصها الله سبحانه وتعالى منه، فحينئذ قال الملك لحاشيته وخدمه: ما أرسلتم إليَّ إلا شيطاناً، أرجعوها إلى إبراهيم وأعطوها هاجر خادمة لها، وكان سيدنا إبراهيم عليه السلام من وقت ذهب بها إلى الملك يصلي لله - عز وجل - ويسأله أن يدفع عن أهله كيد الملك الجبار، وأن يرد باس هذا الذي أراد بأهله سوءاً وهكذا فعلت هي أيضاً.

وقد ذكر بعض العلماء أن الله - عز وجل - كشف الحجاب فيما بين إبراهيم عليه السلام وبينها، فلم يرها منذ خرجت من عنده إلى أن رجعت إليه وكان مشاهداً لها وهي عند الملك، وكيف عصمها الله منه، ليكون ذلك أطيب لقلبه وأقر لعينه، وأشد لطمأنينته، فإنه كان يحبها حباً شديداً، وذلك لدينها، ولقرابتها منه (حيث إنها ابنة عمه) وقد أكرم الله سبحانه سارة بإسحاق بعدما أكرم هاجر بإسماعيل، وقد ذكر لنا ربنا سبحانه بشارته لها بإسحاق في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا**

إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ هود: ٦٩-٧٣.

ففي هذه الآيات استغربت سارة أن تلد وهي عجوز، وقد استغرب هذه البشارة سيدنا إبراهيم نفسه، إذ قال سبحانه: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ الحجر ٥١-٥٦.

أما الآيات الآتية فتصف لنا حالة (سارة) وهيئتها عندما بُشِّرَ الزوجان بالغلام العليم من قبل الملائكة الذين أتوه بهيئة ضيوف من البشر وقرَّبَ إليهم العجل السمين: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ الذاريات: ٢٧-٣٠.

وعند أهل الكتاب أن عمر إبراهيم كان مائة سنة، وعمر سارة كان تسعين سنة (قصص الأنبياء ص١٤٣-١٤٤) وتوفيت سارة ولها من العمر /١٢٧/سنة وتوفي إبراهيم عليه السلام وله من العمر مائتا سنة ومات في حبرون، وهو البلد المعروف اليوم بالخليل في فلسطين في المربعة التي بناها سليمان عليه السلام. (قصص الأنبياء ١٦٣) وهذا منقول بالتواتر كما قال ابن كثير.

إبراهيم وهاجر:

وأما هاجر التي وهبها له الملك الجبار، فقد ولدت له إسماعيل عليه السلام، بعد ما عاد من مصر إلى فلسطين، فأمره الله سبحانه (لحكمة أرادها وظهرت فيما بعد، بعمران مكة وما حولها وبماء البيت الحرام) أن يُسْكِنَ هاجر في الوادي غير ذي الزرع

في بطاح مكة. فلما وصل إليه ومعه هاجر ورضيعها إسماعيل، تركهما هناك وعاد أدراجه إلى فلسطين فلحقته هاجر وهي تقول: إلى من تتركنا؟ فلم يجبها، فكررت السؤال، وهو لا يلتفت إليها، مغالباً أحزانه ودموعه على فراقها وفراق ولده ممتثلاً أمر ربه، ثم قالت له: آلله أمرك بهذا؟ فأجابها: نعم، فقالت: إذن لا يضيعنا! ثم عادت إلى وليدها الرضيع، وبعد أن نفد الماء والزاد الذي تركه لهما إبراهيم عليه السلام، قامت تبحث عن ماء، ولا إنس هناك ولا طير، وسعت بين الصفا والمروة جاهدة في البحث والنظر فيما حولها حتى جاء جبريل فهمز بجناحه تحت رجلي إسماعيل فنبعت زمزم، ثم أكرمهما الله سبحانه بقبيلة جرهم العربية التي سكنت عندهما، وأنست هي وابنها بهم، وعمرت مكة بعد ذلك.

فانظر أخي المؤمن، أختي المؤمنة، إلى بركة الطاعة وامتثال أمر الله وطاعة الزوج كم هي عظيمة آثارها مفيدة ثمارها!!

٣- الزوجتان الخائنتان (امرأة نوح، وامرأة لوط).

ذكر الله سبحانه امرأة لوط في أكثر من موضع من القرآن، وذلك عند ذكره لفعال قوم لوط المنكرة من فعل الفاحشة في ناديهم وهي إتيانهم الرجال شهوة دون النساء وعدم استحيائهم من الله ومن الناس، وذكر سبحانه أن امرأة لوط كانت على دين قومها وهلكت مع الهالكين منهم. أما امرأة نوح، فقد ذكرت في آية واحدة.

قال سبحانه، بعدما وصف أسى سيدنا لوط وحزنه على ضيوفه (وهم الملائكة الذين جاؤوه بصورة شباب حسان الوجوه) قال فيما قصه علينا ربنا جل جلاله: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ هود: ٨٠-٨٣.

أما في موضع آخر فإن الحق سبحانه يصفها بأنها من الغابرين، ولنستمع إلى الحوار بين نبي الله إبراهيم والملائكة الكرام قال سبحانه حاكياً على لسان إبراهيم خليله عليه السلام: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الحجر: ٥٧-٦٠.

وذكر أيضاً دعاء سيدنا لوط للحق سبحانه أن ينجيه وأهله مما يعمل قومه من الخبائث، فاستجاب الله دعاءه قال سبحانه: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ﴾ الشعراء: ١٦٩-١٧٢.

وكذلك في قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ النمل: ٥٦-٥٨.

وها هو يصف الحق سبحانه وتعالى توبيخ لوط لقومه ومعاندتهم له ثم مجيء الرسل إلى إبراهيم عليه السلام وإخبارهم بإهلاك قوم لوط: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ العنكبوت: ٣٢، ٣٣. وأما ما ورد في القرآن من ذكر امرأة نوح وامرأة لوط، فهي هذه الآية في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ التحريم: ١٠.

فما هي خيانة المرأتين لزوجيهما النبيين الصالحين نوح ولوط عليهما السلام،

قال ابن كثير: (خانتاهما في الدين فلم يتبعاهما فيه، وليس المراد أنهما كانتا على فاحشة حاشا وكلا، فإن الله لا يُقدِّرُ على نبي قط أن تبغي امرأته، كما قال ابن عباس

وغيره من أئمة السلف والخلف: (ما بغت امرأة نبي قط) ومن قال خلاف هذا، فقد أخطأ خطأ كبيراً. (قصص الأنبياء ص ١٧٤) .

فانظري أختي المؤمنة، جزاء المرأة الخائنة لدينها وزوجها، فإن هاتين المرأتين رغم كونهما زوجتي نبيين كريمين، لم ينفعهما ذلك، ولم يدفع عنهما عقوبة الله سبحانه للخائنين في الدنيا والآخرة. وكما تكون بركة الطاعة عاجلة في الدنيا والآخرة، فإن جزاء المعصية أيضاً تلحق العاصي في العاجلة قبل الآجلة.

٤- الزوجة الصالحة امرأة فرعون :

وكما في قصة هاتين المرأتين عبرة كبيرة وعظة بالغة؛ وهي ألاَّ تغتر زوجة بصلاح زوجها وتترك طاعة الله وطاعة زوجها اعتماداً على صلاحه وتقواه، وعلى أن الله لا يؤاخذها إن هي خالفت وعصت ربها معتمدة على تقوى زوجها، فها هي امرأة نوح وامرأة لوط عبرة لمن يعتبر ، وبالمقابل كذلك؛ فإن آسيةَ امرأة فرعون حجةٌ على الأزواج الفاسقين وأسوة للنساء الصالحات اللائي يتحملن ويصبرن على أذى الأزواج الفاسقين قال الله تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ التحريم: ١١.

فقد جعل الله سبحانه حالها مثلاً لحال المؤمنات، ترغيباً لهن في الثبات على الطاعة والتمسك بالدين والصبر في الشدة، وأن صلة الكفار وصَوْلتهم لا تضرهم كما لم تضر امرأة فرعون، وقد كانت تحت أكفر الكافرين، وصارت بإيمانها بالله سبحانه في أعلى غرف الجنان .. وأنها آمنت لمَّا غلب موسى عليه السلام السحرة، فلما تبين لفرعون إسلامها، طلب منها أن ترجع عن إيمانها، فأبت، فأوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وربطها، وألقاها في الشمس، وأراها الله بيتها في الجنة، ونسيت ما هي فيه من العذاب .. ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا . . .** ﴾ الطلاق:٢، ٣.

أخرج البيهقي عن سلمان قال: (كانت امرأة فرعون تُعَذَّبُ في الشمس، فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة). تفسير حدائق الروح والريحان.

٥- يوسف عليه السلام وامرأة العزيز:

وهي قصة العفة والفضيلة لشاب في ريعان شبابه، واكتمال فتوته، وجمال جسمه، محفوف بالمغريات، وموجباتِ الصبوة إلى النساء، عزف عن المغريات، وأعرض عن الشهوات، واستمسك بمبادىء الخلق والفضيلة، وعانى الصعوبات والمشقات في سبيلها. ومع كرم الأصل وطيب المنبت، وشرف الأرومة، فقد تعرض لسلسلة من المصاعب والمصائب، منذ بدء فتوته إلى اكتمال رجولته، فصبر لها، وصمد للمغريات حتى نال شرف قوله سبحانه: ﴿**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ يوسف: ٢٤.

ولنستمع إلى القصص القرآني يحكي لنا طهارة هذا الشاب الكريم وثباته على مبدأ آبائه الكرام أمام مغريات الملك والنساء؛ وكيف لم تحفظ هذه الزوجة - التي راودته عن نفسه وهو في بيتها - كرامة زوجها وقدسية هذا الرباط العظيم، رباط الزوجية، قال سبحانه: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُون**﴾ يوسف: ٢٣.

قال القرطبي المفسر: وفي الخبر أنها قالت له: يا يوسف ما أحسن صورة وجهك؟! قال: في الرحم صورني ربي.

قالت: يا يوسف، ما أحسن شعرك! قال: هو أول شيء يبلى مني في قبري. قالت: يا يوسف، ما أحسن عينيك! قال: بهما أنظر إلى ربي.

قالت: يا يوسف، ارفع بصرك، وانظر في وجهي، قال: إني أخاف العمى في آخرتي.

قالت: يا يوسف، أدنو منك وتتباعد مني! قال: أريد بذلك القرب من ربي.

قالت: يا يوسف، القَيْطُون (المخدع) فرشته لك فادخل معي، قال: القيطون لا يسترني من ربي.

قالت: يا يوسف، فراش الحرير قد فرشته لك، قم فاقض حاجتي، قال: إذن، يذهب من الجنة نصيبي. إلى غير ذلك من كلامها وهو يراجعها؛ إلى أن همَّ بها قال: واختلف العلماء في همه؛ ولا خلاف أن همها كان المعصية، أما يوسف فهمَّ بها ﴿**لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ**﴾ يوسف: ٢٤.

ولكن لما رأى البرهان ما همَّ، وهذا لوجوب العصمة للأنبياء قال سبحانه: **كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ يوسف: ٢٤.

وقال قوم؛ جرى من يوسف هَمٌّ، ولكن ذلك الهمّ حَرَكَةُ طبع من غير تصميم للعقد على الفعل، وما كان من هذا القبيل لا يؤاخذ به العبد، وقد يخطر بقلب المرء وهو صائم شرب الماء البارد وتناول الطعام اللذيذ، فإن لم يأكل ولم يشرب، ولم يصمم عزمه على الأكل والشرب لا يؤاخذ بما هجس في النفس، والبرهان: (برهان ربه) صرفه عن هذا الهم حتى لم يصر عزماً. قال القرطبي: ذلك البرهان آية من آيات الله أراها الله ليوسف حتى قوي إيمانه وامتنع عن المعصية، وقال ابن كثير: وأكثر أقوال المفسرين هاهنا مُتَلَقَّى عن أهل الكتاب، فالإعراض عنه أولى بنا. والذي يجب أن يعتقد؛ أن الله تعالى عصمه وبرأه، ونزهه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها.

قال الله تعالى: ﴿**وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**﴾ يوسف: ٢٥-٢٩.

قال ابن كثير: هرب منها، طالباً الباب؛ ليخرج منه فراراً منها، فاتبعته في أثره ووجدا زوجها لدى الباب، فبادرته بالكلام وحرضته على يوسف، قالت: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يوسف: ٢٥ فاتهمته وهي المتهمة، وبرأت عرضها ونزهت ساحتها، فلهذا قال يوسف عليه السلام: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ يوسف:٢٦ فاحتاج إلى أن يقول الحق عند الحاجة ..

وشهد شاهد من أهلها ! فمن هو هذا الشاهد؟ قيل: طفل صغير في المهد، وقيل: بل رجل قريب لزوجها. وقيل: قريب لها(ابن عمها) فقال إن كان قميصه قُدَّ (شُقَّ) من قُبُل (من الأمام) فصدقت وهو من الكاذبين؛ لأنه يكون قد راودها فدافعته، حتى قدت مقدم قميصه.

وإن كان قميصه قُدَّ من دُبُرٍ (من الخلف) فكذبت وهو من الصادقين؛ لأنه يكون قد هرب منها فاتبعته وتعلقت فيه، فانشق قميصه لذلك؛ وكذلك كان. ولهذا قال الله تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ يوسف:٢٨ فهذا الذي جرى من مكركن، أنت راودته عن نفسه، ثم اتهمته بالباطل. ثم أضرب بعلها عن هذا صفحاً فقال: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾يوسف:٢٩ فلا تذكره لأحد، لأن كتمان هذه الأمور الأليق والأحسن. وأمرها بالاستغفار لذنبها الذي صدر منها. ولهذا عذرها زوجها من بعض الوجوه؛ لأنها رأت مالا صبر لها على مثله؛ إلا أنه (أي يوسف) عفيف نزيه بريء العرض سليم الناصية (قصص الأنبياء ابن كثير ٢٠٣).

قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ

﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يوسف: ٣٠-٣٤.

قال العلامة الشيخ عبد الحميد طهماز - حفظه الله - في تفسيره: وتعطينا الآيات صورة لما يحدث في المجتمعات الغنية المترفة المنحلة البعيدة عن الإيمان بالله تعالى، فالانهماك في السرف والترف قد جمد مشاعرهم البشرية، وأضعف الإحساس الفطري الطبعيّ بغيرتهم على أعراضهم وشرفهم، وهذا ما نشاهده في العصر الحاضر في المجتمعات المادية الغربية من تبلد في المشاعر يصل في كثير من الحالات إلى حد الدياثة، وبعدما جمعت امرأة العزيز أمثالها من النسوة اللواتي لُمْنَهَا في حب يوسف، لأنه لا يليق بمقامها - حسب رأيهن - أن تحب عبدها، فلومهن غير متجه إلى تقبيح الزنا، فكأنهن لا يرين به شَيْنَاً ولا قُبْحَاً، وإنما لومهن متجه إلى كونها لم تُرَاعِ في اختيارها ما يناسبها في مكانتها الاجتماعية المرموقة: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ يوسف: ٣١. علمت بلومهن لها، وما يتحدثن به عنها: ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ يوسف: ٣١. تدعوهن إلى وليمة في قصرها، وهيأت مجلساً للطعام يتكئن فيه، كما هو حال المتكبرين المترفين: ﴿وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ يوسف: ٣١. لتقطيع ما يقدم لهن من طعام وفاكهة، وهذا يدل على أن المصريين القدماء قطعوا شوطاً كبيراً في التمدن.

وبعد أن أمرت بتقديم الطعام إليهن، وانشغلن بتقطيعه وتناوله، أمرت يوسف أن يظهر أمامهن: ﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ يوسف: ٣١. وما كان (يستطيع مخالفة أمرها، فلا يزال يعيش في قصرها، ويبدو أن زوجها لم يفكر في إبعاد يوسف عنها: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ يوسف: ٣١. عظمنه لحسنه وجماله، فدهشن وتحيرن: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ يوسف: ٣١. أي جرحن أيديهن وسالت دماؤهن، فما أحسسن بألم الجراح لفرط دهشتهن وحيرتهن وانشغالهن بجماله عليه السلام...

.. وحولتهن رؤية يوسف من العَذْلِ (اللوم) إلى العَزْرِ (النصر والتأييد) وأحست امرأة العزيز بشيء من الزهو، والانتصار وقالت وهي تشير إلى يوسف بإشارة التضخيم

﴿فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ يوسف: ٣٢. أي في حبه وعشقه، ثم اعترفت لهن بكل صراحة، قائلة: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ يوسف: ٣٢. أي عصم نفسه عنها رغم كثرة المراودة وقوتها ورغم اكتمال شبابه ورجولته.

وبعد أن تراجعن عن لومهن وعذلهن لها، لم تجد غضاضة أن تصارحهن بأنها مازالت عاشقة له، مشغوفة به، مصممة على أن تنال مرادها منه ولو بالتهديد والوعيد ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ يوسف: ٣٢.

ويدل قولها هذا على أن الفضيحة لم تؤثر على مكانتها، ولم تضعف سلطانها وتسلطها، فالمجتمعات التي استشرى فيها الفساد والاستبداد لا تؤثر فيها الفضائح، بسبب إدمانها عليها وكثرتها فيها ..

..لقد عرفت البشرية وواقعها المعاصر كثيراً من أمثال هذا المجتمع المنحل الهابط الذي تتحكم بمصير أبنائه حفنة من الرجال الضعفاء المنحلين، الذي سيطرت عليهم شهواتهم ونزواتهم، فأسلموا أمورهم إلى نسائهم وخليلاتهم، حتى أصبحن الحاكمات الحقيقيات لهذه المجتمعات، وأصبحت أكبر الشؤون وأخطرها تدار من مخادعهن، وأماكن لهوهن وفجورهن.[1]

وهذا يفسر لنا بقاء يوسف في قصرها، رغم الفضيحة التي حدثت.

إن من المتوقع في مثل هذه الأحوال أن يبادر عزيز مصر إلى إبعاد يوسف عن زوجته، بعدما رأى من شدة تعلقها وشغفها به، ولكنه لا يملك قرار الإبعاد؛ لأنه بيدها لا بيده فهي الحاكمة الحقيقية، وهي صاحبة القرار.

---

(١) حدثني من أثق به أن أحدَ الأغنياء صادر أحدُ الوزراء في الحكم السابق قصرَه ووضع يده عليه ظلماً وعدواناً، ولم يستطع تخليصه منه رغم مراجعاته الكثيرة إلا بواسطة إحدى النساء اللواتي كان هذا الوزير يخادنها ويعاشرها، فعن طريقها وبأمرها رد إليه قصره !

ولم تستطع هذه المرأة بكل سلطانها وجمالها وأنوثتها أن تنتصر على نبي الله يوسف عليه السلام، الذي لا يزال يعيش قرباً منها في قصرها وتحت أمرها وسلطانها، وانضم إليها جميع من تعرف من المترفات، يعرضن معها كل ما يمكن من أسباب الفتنة والإغراء، وأسباب الوعيد والتهديد.

وما كان عليه السلام صخرة صماء، لا إحساس لها ولا شعور، بل كان قلباً إنسانياً كريماً رحيماً، ينبض بأعلى المشاعر وأرفعها، ولهذا اتجه إلى الله يدعوه، وهو واقف بينهن، وهن يراودنه عن نفسه، ويتبارين في عرض مفاتنهن وجمالهن عليه، قال: ﴿**رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾ يوسف: ٣٣. فاختار عليه السلام أخف الضررين وأهون الشرين، فالسجن فيه إضرار ببدنه ونفسه، وما يدعونه إليه فيه إضرار بدينه وخلقه، وهو أشد ضرراً وأعظم خطراً من الأول والسجن بلاء، لا ينبغي لأحد أن يتمناه، ولكنه عليه السلام آثره على ما يدعونه إليه ..

﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ**﴾ يوسف: ٣٤. بتثبيته ومعونته سبحانه ﴿ .**إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ يوسف: ٣٤. ﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ...**﴾ يوسف:٣٥. الدالة على براءة يوسف وأمانته وعفته ﴿ ...**لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ**﴾ يوسف:٣٥. دون إدانة ولا محاكمة، ولهذا لم يحددوا مدة معينة لسجنه، فالحين وقت غير محدد، وكم في السجون من أبرياء هم ضحايا الفساد والاستبداد)[1] وأدخل سيدنا يوسف عليه السلام السجن فعلاً ولبث فيه بضع سنين، عليه السلام بعد أن خرج من محنته الكبرى في قصر العزيز تقياً نقياً، ليواجه محنة أخرى، ضيق السجن وظلمته ووحشته، والشعور بالظلم والاضطهاد، وهو سجن آخر، للنفس يزيدها هماً وألماً وحسرة .. وكان في السجن يُعَبِّرُ للسجناء رؤاهم، وأحلامهم، وكان أيضاً يحسن إليهم في معاملته، يواسيهم ويساعدهم، فهو من المحسنين حقاً، أحسن في طاعة الله تعالى وعبادته، وأحسن في معاملته مع الناس، في سعة القصور، وفي ضيق السجون، بقي عليه السلام محافظاً على جوهره الأصيل

---

(١) تفسير سورة يوسف للشيخ العلامة عبد الحميد طهماز، ط: دار القلم (١٤١٠-١٩٩٠) ص٦٤ بتصرف بسيط.

المضيء، ثابتاً في مقام الإحسان رغم ما طرأ على حياته من تغيير وتبديل.[1]

وفي أثناء بقاء يوسف عليه السلام، أرسل الملك إليه، وهو في السجن؛ ليخرجه منه ويفسر له رؤياه بين يديه ولكن يوسف عليه السلام أبى الخروج حتى تظهر براءته للناس، وتشتهر بينهم، وحتى يعلم من في القصر وغيره أنه لم يخن العزيز في امرأته وطلب التحقيق في هذا الأمر، وقال لرسول الملك: ﴿ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ يوسف ٥٠، فالرب هنا هو «الملك».

(ونجح عليه السلام في تحقيق مراده، وبادر الملك إلى التحقيق وباشره بنفسه، وظهرت نتيجة التحقيق براءة يوسف وعفته وأمانته وأنه سجن ظلماً، فأمر الملك بإحضار النسوة وسألهن سؤال المتهم لهن: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ﴾ يوسف: ٥١. وفوجئن بالتهمة الموجهة إليهن - فلم يستطعن إنكارها- رغم مالهن من مكانة ووجاهة وسلطان، فقد وجهت إليهن من الملك، ولكنهن أعرضن بذكاء ودهاء عن الاعتراف والفضيحة إلى الشهادة ببراءة يوسف: ﴿ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ﴾ يوسف: ٥١. أي تنزه الله الذي خلق مثل يوسف عن كل نقص ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾ في أي أمر من الأمور. وهكذا ظهرت براءة يوسف عليه السلام، وأجمع النسوة على ذلك، ولم تجد امراة العزيز بداً من الاعتراف ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ أي ظهر وثبت بعد خفاء ﴿ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ وإن يوسف لمن الصادقين في قوله ﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾ يوسف: ٢٦.

ولما علم يوسف بظهور براءته وشهادة النسوة على ذلك واعتراف امراة العزيز قال: ﴿ ذَلِكَ ﴾ يوسف: ٥٢. أي بقائي في السجن ومطالبتي بالتحقيق: ﴿ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ يوسف: ٥٢. أي ليعلم العزيز أني لم أخنه في غيابه مطلقاً، فما أدخلت السجن إلا ظلماً: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ فلو كنت خائناً ما نصرني ربي، وأظهر براءتي، لأنه سبحانه لا يوفق الخائنين ولا يسددهم، ولابد أن يأتي يوم يظهر الله تعالى فيه الحق، ويبطل مكر الخائن ويفضحه.

---

(١) تفسير سورة يوسف، طهماز ص٦٦ .

ثم أظهر تواضعه عليه السلام وافتقاره إلى الله، وفضله عليه بعصمته عن السوء والفاحشة بقوله ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يوسف: ٥٣.[١]

وقال ابن كثير قيل إن هذا الكلام: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ يوسف: ٥٣. إنه من كلام يوسف، وقيل من كلام زليخا (امرأة العزيز) وكونه من كلام زليخا أظهر وأنسب وأقوى ..

ثم قال: وقيل إنه لما مات (زوج زليخا) زَوَّجَهُ (الملك) امرأته زليخا فوجدها عذراء؛ لأن زوجها كان لا يأتي النساء، فولدت ليوسف عليه السلام صبيين .. واستوثق ليوسف ملك مصر، وعمل فيها بالعدل فأحبه الرجال والنساء، ونَسَبَ ابن كثير هذا القول إلى أهل الكتاب ثم ذكر بعد ذلك قولاً مشابهاً لم ينسبه لأحد وإنما ذكره بقوله: ويقال: إن قطفير زوج زليخا كان قد مات، فولاه الملك مكانه، وزوجه امرأته زليخا فكان وزير صدق)[٢].

(وبهذا انتهت محنة يوسف عليه السلام، وانتقل من ظلمة السجن إلى نور الحرية، فعلا نجمه وذاع صيته وانتشر خبره، بينما أفل نجم العزيز وزوجته فلم يعد لهما أي ذكر، وعلم الناس فضل العفة والأمانة والصدق، وعلموا أيضاً قبح الخيانة الزوجية والاحتيال والكذب)[٣].

٦- زوجة أيوب عليه السلام:

وأيوب عليه السلام من الأنبياء الصالحين الذين ذكرهم الحق سبحانه، وأثنى عليهم، فقال الله تعالى في سورة الأنبياء ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ الأنبياء: ٨٣، ٨٤. وقال: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ

(١) تفسير سورة يوسف للشيخ طهماز ص٧٧ .

(٢) قصص الأنبياء ابن كثير ص٢١٠ .

(٣) تفسير سورة يوسف للشيخ طهماز ص٧٧ .

أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ص: ٤١-٤٤.

قال في الظلال: وقصة ابتلاء أيوب وصبره ذائعة مشهورة؛ وهي تضرب مثلاً للابتلاء والصبر، ولكنها مشوبة بإسرائيليات تطغى عليها.

والحد المأمون في هذه القصة هو أن أيوب عليه السلام كان كما جاء في القرآن عبداً صالحاً أَوَّاباً ابتلاه الله فصبر صبراً جميلاً، ويبدو أن ابتلاءه كان بذهاب المال والأهل والصحة جميعاً، ولكنه ظل على صلته بربه وثقته به، ورضاه بما قسم له .

وكان الشيطان يوسوس لخلصائه القلائل الذين بقوا على وفائهم له، ومنهم زوجته بأن الله لو كان يحب أيوب ما ابتلاه، وكانوا يحدثونه بهذا، فيؤذيه في نفسه أشد مما يؤذيه الضر والبلاء، فلما حدثته امرأته ببعض هذه الوسوسة حلف لئن شفاه الله ليضربنها عدداً عيَّنه، قيل: مائة (سوط) .

وعندئذ توجه إلى ربه بالشكوى مما يلقى من إيذاء الشيطان، ومداخلة نفوس خلصائه، ووقع هذا الإيذاء في نفسه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ ص:٤١. وعرف ربه منه صدقه وصبره، ونفوره من محاولات الشيطان وتأذِّيه به فأدركه برحمته، وأنهى ابتلاءه ورد عليه عافيته ..

.. ثم قال: فأما قَسَمُهُ ليضربن زوجته، فرحمة من الله به وبزوجه التي قامت على رعايته وصبرت على بلائه وبلائها به، أمره الله أن يأخذ مجموعة من العيدان ﴿ضِغْثًا﴾ ص: ٤٤. بالعدد الذي حدده، فيضربها ضربة واحدة تجزىء عن يمينه، فلا يحنث فيها ..) [1]

وذكر في: (قصص القرآن للنجار) ملاحظتين على قصة أيوب، وهذه خلاصتهما:

الأولى: حول ما ذكره المفسرون من قصة بلاء أيوب، وأنه أصابه مرض نفر الناس

---

(١) الظلال ج٢٣ص ١٠٢

منه، وهذا مردود؛ لأنه ينافي عصمة الأنبياء، لأنهم منزهون عن الأمراض المنفرة، وأن الذين ذكروا هذا اعتمدوا على ما جاء عن أهل الكتاب.

والثانية: إن القرآن الكريم ذكر أن الله سبحانه أمر أيوب أن يأخذ بيده ضغثاً، فيضرب به زوجته، وبذلك لا يكون حانثاً في يمينه، فما هي هذه الحادثة ؟.

والجواب عند تفسير البيضاوي الذي روى أن زوجته ذهبت لحاجة فأبطأت فحلف إن برئ ليضربنها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك، وهي رخصة باقية في الحدود.

وعن الألوسي: أن امرأته: (رحمة) ذهبت لحاجة فأبطأت، وأبلغت أيوب عن الشيطان أن يقول كلمة محظورة فيبرأ، وأشارت عليه بذلك .. فحلف ليضربنها إن برئ مائة ضربة، فأمره الله بأخذ الضغث: (وهو الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان) [1]. اهـ.

قال ابن كثير عن رخصة الله سبحانه له بضرب زوجته: هذه رخصة من الله تعالى لعبده ورسوله أيوب فيما كان من حلفه ليضربن امرأته مائة سوط، فقيل: حلفه ذلك لبيعها ضفائرها (وشرائها بثمنها طعاماً لزوجها، كما ذكره قبل ذلك) وقيل: لأنه عارضها الشيطان في صورة طيبة يصف لها دواء لأيوب، فأتته فأخبرته فعرف أنه الشيطان، فحلف ليضربنها مائة سوط، فلما عافاه الله - عز وجل - أفتاه أن يأخذ ضغثاً .. وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأطاعه، ولاسيما في حق امرأته الصابرة المحتسبة، المكابدة الصديقة البارة رضي الله عنها اهـ وكان ابن كثير قد ذكر أنه لما ابتلي أيوب بالمرض، وانقطع الناس عنه، ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته، كانت ترعى له حقه، وتعرف قديم إحسانه إليها وشفقته عليها، فكانت تتردد إليه فتصلح من شأنه، وتعينه على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته، **وضعفت حالها وقل مالها حتى كانت تخدم الناس بالأجر؛ لتطعمه وتقوم بأوده - رضي الله عنها وأرضاها - وهي صابرة**

(١) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٣٥١.

معه على ما حل بها من فراق المال والولد، وما يختص بها من المصيبة بالزوج، وضيق ذات اليد، وخدمة الناس، بعد السعادة والنعمة والخدمة والحرمة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.[1] ا.هـ

وقد ذكرت ما قاله محققو المفسرين والمؤرخين، وما ردوا به على قصة سيدنا أيوب، وخصصت بالذكر قصة زوجته التي صبرت على البلاء، رغم ذهاب المال والولد، وصبرت أيضاً على الزوج المريض سنين طويلة؛ ليتأسى بذلك الأزواج والزوجات، ويصبروا ويصبرن على قضاء الله وقدره، حتى لا يحرم أحد الأجر الجزيل الذي أعده الله سبحانه للصابرين والصابرات: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾الزمر:١٠.

كما أن قصة هذين الزوجين (سيدنا أيوب وامرأته) فيها الأسوة والقدوة لمن أصابه الضر من مرض أو فقد مال ليصبر ويحتسب، ويقوم الصحيح بالعناية بالمريض، إذ إن حياتنا هذه اختبار وابتلاء من الله لنا: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ الملك:٢. وكما قال سبحانه أيضاً ﴿**وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**﴾ الأنبياء: ٣٥. أي ابتلاءً، والحمد لله على كل حال.

٧- قصة زواج موسى عليه السلام

وهي من القَصَص الذي قصه ربنا سبحانه علينا في القرآن، وفيها يظهر أثر التوكل على الله سبحانه والالتجاء إليه في المهمات، وكيف أن الله سبحانه يجعل للمتقين المتوكلين فرجاً ومخرجاً، وقد قدمنا في فصل سابق (انظر ص٢٦) موجز هذه القصة، ونضيف هنا بعض العبر المأخوذة منها والنافعة للأزواج والزوجات، والآباء والأحماء بإذن الله تعالى.

قال ابن كثير: لما جلس موسى عليه السلام في الظل وقال: ﴿**رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾ الأنبياء: ٢٤. سمعته المرأتان، فيما قيل، فذهبتا إلى أبيهما، فيقال: إنه استنكر سرعة رجوعهما، فأخبرتاه بما كان من أمر موسى عليه السلام فأمر إحداهما،

(١) قصص الأنبياء ابن كثير ص٢٢٥.

أن تذهب إليه فتدعوه: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ القصص:٢٥. فصرحت له بهذا أي الإجزاء بالأجر؛ لئلا يوهم كلامها ريبة، وهذا من تمام حيائها وصيانتها: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ وأخبره خبره، وما كان من أمره في خروجه من بلاد مصر فراراً من فرعونها قال له ذلك الشيخ ﴿لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي خرجت من سلطانهم فلست في دولتهم .. ولما أضافه وأكرم مثواه وقص عليه ما كان من أمره بَشَّرَهُ الشيخ الكبير[1] بأنه قد نجا، فعند ذلك قالت إحدى البنتين لأبيها ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ القصص: ٢٦. لرعي غنمك ثم مدحته بأنه قوي أمين ..

.. قال لها أبوها: وما عِلْمُكِ بهذا؟ فقالت: إنه رفع صخرة لا يطيق رفعها إلا عشرة، وإنه لما جئت معه تقدمت أمامه، فقال كوني من ورائي، فإذا اختلف الطريق، فاحذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق ..

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ القصص: ٢٧. وذكر ابن كثير حديثاً؛ أن رسول الله ﷺ قال: (إن موسى عليه السلام آجر نفسه بعفة فرجه وشبع بطنه) ولما رضي موسى عليه السلام بزواجه على إيجار نفسه راعياً لغنم صهره (الشيخ الكبير) فقد وفى بذمته عندما قال له: ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ القصص: ٢٨ ... ومع هذا، فلم يقض موسى عليه السلام إلا أكمل الأجلين وأتمهما، وهو العشر سنين كوامل تامة ..

ويعضد هذا ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس أنه قال لما سأله سعيد بن جبير: أي الأجلين قضى موسى فقال: ﷺ قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول

(١) ذكر ابن كثير وغيره من المفسرين أقوالاً عدة فيمن هو هذا الشيخ الكبير، فقيل هو شعيب عليه السلام، وهو المشهور، وقيل: إن اسمه شعيب ولكن ليس بالنبي صاحب مدين، وقيل إنه ابن أخي شعيب، وقيل: ابن عمه، وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب، وقيل: رجل اسمه (يثرون) كاهن مدين، أي كبيرها وعالمها...إلخ قصص القرآن لابن كثير ص٢٥٥ وقصص القرآن للنجار ص١٦٩.

الله إذا قال فعل)، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ القصص: ٢٩. فسار بأهله من عند صهره (الشيخ الكبير) وقد اشتاق إلى أهله في مصر، فقصد زيارتهم في صورة مُخْتَفٍ، وذلك في ليلة مظلمة باردة، وتاهوا في طريقهم فلم يهتدوا إلى سلوك الدرب المألوف .. واشتد الظلام والبرد، وبينما هو كذلك إذ أبصر عن بعد ناراً تأجج في جانب الطور الغربي منه عن يمينه، فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً، وكأنه والله أعلم رآها دونهم، لأن هذه النار هي نور في الحقيقة ولا تصلح رؤيتها لكل أحد.[1]

فانظر أيها الزوج الوفي، وأيتها الزوجة الوفية كيف قاسى نبي الله موسى في الغربة والبعد عن الأهل والأحبة، وآجر نفسه ليعفها، ويكسب لقمة الحلال، وكيف كانت هذه الزوجة المخلصة مطواعة لزوجها،وكم قاست معه في السفر بين الوديان والجبال والبرد والتعب، حتى أكرمه الله بالنبوة، وأكرمها الله بأن تكون زوجة نبي، وأم أولاده!..

وقال في قصص الأنبياء: ولما جاء موسى إلى الشيخ وكلمه وطمأنه، قالت إحدى بنات الشيخ - وهي التي دعت موسى -: يا أبت استأجره لرعي ماشيتنا؛ ليكفينا مؤونة هذا العمل إن خير من استأجرت القوي الأمين .

ويذكر أصحاب التفسير أن أباها سألها عن أمانته وقوته من أين علمتهما؟ ونص عبارة المفسر الطبري: [فأحفظته الغيرة (أي غضب بسبب غيرته على بنته) أن قال: وما يدريكِ ما قوته وأمانته ؟ فقالت: أما قوته، فما رأيت منه حين سقى لنا، لم أر رجلاً أبداً أقوى في السقي منه، وأما أمانته؛ فإنه نظر حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أني امرأة صوب رأسه، فلم يرفعه، ولم ينظر إلي حتى بلغته رسالتك.

ثم قال: امشي خلفي وانعتي (صفي) لي الطريق ولم يفعل ذلك إلا وهو أمين، فَسُرِّيَ عن أبيها ،وصدَّقها ،وظن به الذي قالت.

---

(١) قصص القرآن لابن كثير ص٢٥٤ وما بعدها بتصرف بسيط واختصار .

نشط الشيخ لرأي ابنته وطلب من موسى أن يخدمه برعي غنمه ثماني سنوات في نظير أن يزوجه بإحدى ابنتيه، وأشار إليها، وأنه إذا أجمل معه يتم عشر سنوات، فقبل موسى على أنه بالخيار في أي الأجلين، وتمت الصفقة بينهما على ذلك، ومن ذلك الوقت صار موسى صهراً لذلك الشيخ وراعياً لغنمه ..

.. وأكثر المفسرين على أن اسم ابنة الشيخ زوج موسى (صفورة)[(١)].

وذكر الفخر الرازي في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ** ﴾ قال عمر بن الخطاب: (فقام يمشي والجارية أمامه، فهبت الريح، فكشفت عنها فقال موسى عليه السلام: إني من عنصر إبراهيم (فكوني من خلفي؛ حتى لا ترفع الريح ثيابك فأرى مالا يحل لي، فلما دخل على شعيب فإذا الطعام موضوع، فقال شعيب: تناول يا فتى، فقال موسى عليه السلام: أعوذ بالله، فقال شعيب: ولم؟ قال: لأنا من أهل بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهباً، فقال شعيب: ولكن من عادتي وعادة آبائي إطعام الضيف، فجلس موسى عليه السلام فأكل، وإنما كره أكل الطعام؛ خشية أن يكون ذلك أجرة له على عمله ..) [(٢)]

ومن الخير لنا أن نعيش قصة زواج سيدنا موسى عليه السلام (مع ظلال القرآن) قال رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ فقد كان موسى في حاجة إلى الأمن، كما كان في حاجة إلى الطعام والشراب ولكن حاجة نفسه إلى الأمن أشد من حاجة جسمه إلى الزاد، ومن ثم أبرز السياق في مشهد اللقاء قول الشيخ الوقور: ﴿ **لا تَخَفْ** ﴾ فجعلها أول لفظ يعقب به على قصصه؛ ليلقي في قلبه الطمأنينة ويشعره بالأمان ثم بَيَّنَ وعلَّلَ: ﴿ **نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ فلا سلطان لهم على مدين، ولا يصلون لمن فيها بأذى ولا ضرر.

ثم نسمع في المشهد صوت الأنوثة المستقيمة السليمة : ﴿ **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ** ﴾ القصص: ٢٦ . إنها وأختها تعانيان من رعي الغنم، ومن مزاحمة الرجال على الماء، ومن الاحتكاك الذي لا بد منه للمرأة التي تزاول أعمال الرجال،

---

(١) قصص الأنبياء ص ١٦٨.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٢ج٢٤٢ص.

وهي تتأذى وأختها من هذا كله، وتريد أن تكون امرأة تأوي إلى بيت، امرأة عفيفة مستورة، لا تحتك بالرجال الغرباء في المرعى والمسقى. المرأة العفيفة الروح، النظيفة القلب، السليمة الفطرة، لا تستريح لمزاحمة الرجال، ولا للتبذل الناشىء من هذه المزاحمة.

وهاهو ذا شاب غريب طريد، وهو في الوقت ذاته قوي أمين. رأت من قوته ما يهابها الرعاء، فيفسحون له الطريق، وهو يسقي لهما وهو غريب.

والغريب ضعيف مهما اشتد، ورأت من أمانته ما يجعله عف اللسان والنظر حين توجهت لدعوته، فهي تشير على أبيها باستئجاره؛ ليكفيها هي وأختها مؤنة العمل والاحتكاك والتبذل، وهو قوي على العمل أمين على المال؛ فالأمين على العرض هكذا أمين على ما سواه، وهي لا تتلعثم في هذه الإشارة ولا تضطرب، ولا تخشى سوء الظن والتهمة، فهي بريئة النفس، نظيفة الحس، ومن ثم لا تخشى شيئاً، ولا تتمتم ولا تجمجم، وهي تعرض اقتراحها على أبيها ..

.. واستجاب الشيخ لاقتراح ابنته، ولعله أحس من نفس الفتاة ونفس موسى ثقة متبادلة، وميلاً فطرياً سليماً صالحاً لبناء أسرة، والقوة والأمانة حين تجتمعان في رجل لاشك تهفو إليه طبيعة الفتاة السليمة التي لم تفسد ولم تتلوث ولم تنحرف عن فطرة الله، فجمع الرجل بين الفتاتين وهو يعرض على موسى أن يزوجه إحدى ابنتيه في مقابل أن يخدمه ويرعى ماشيته ثماني سنين، فإن زادها إلى عشر فهو تفضل منه لا يلزم به.

.. وهكذا في بساطة وصراحة عرض الرجل إحدى ابنتيه،وهي التي وقع التجاوب والثقة بين قلبها وقلب الفتى، عرضها في غير تحرج ولا التواء، فهو يعرض نكاحاً لا يخجل منه. يعرض بناء أسرة وإقامة بيت، وليس في هذا ما يخجل، ولا ما يدعو على التحرج والتردد. والإيماء من بعيد، والتصنع والتكلف مما يشاهد في البيئة التي تنحرف عن سوء الفطرة ..

.. ولقد كان الآباء يعرضون بناتهم على الرجال على عهد رسول الله ﷺ، بل كانت النساء تعرض نفسها على النبي ﷺ، أو من يرغب في تزويجهن منهم. كان يتم هذا في صراحة ونظافة وأدب جميل، لا تخدش معه كرامة ولا حياء ..

عرض عمر رضي الله عنه ابنته حفصة على أبي بكر، فسكت وعلى عثمان فاعتذر، فلما أخبر النبي ﷺ بهذا طيَّب خاطره عسى أن يجعل الله لها نصيباً، فيمن هو خير منهما. ثم تزوجها رسول الله ﷺ.[١]

وعرضت امرأة نفسها على رسول الله ﷺ فاعتذر لها، فألقت ولاية أمرها إليه يزوجها ممن يشاء، فزوجها رجلاً لا يملك إلا سورتين من القرآن، علمها إياها، فكان هذا صداقها.

وبمثل هذه البساطة والوضاءة سار المجتمع الإسلامي يبني بيوته ويقيم كيانه..

.. وهكذا صنع الشيخ الكبير - صاحب موسى - فعرض على موسى ذلك العرض واعداً إياه ألا يشق عليه ولا يتعبه في العمل، راجياً بمشيئة الله أن يجد موسى من الصالحين في معاملته ووفائه، وهو أدب جميل في التحدث عن النفس وفي جانب الله، فهو لا يزكي نفسه، ولا يجزم بأنه من الصالحين، ولكن يرجو أن يكون كذلك، ويكل الأمر في هذا لمشيئة الله.

وقبل موسى العرض، وأمضى العقد (عقد الزواج) في وضوح ودقة، وأشهد الله: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ القصص: ٢٨. إن مواضع العقد وشروط التعاقد لا مجال للغموض فيها، ولا اللعثمة ولا الحياء، ومن ثم يقر موسى العرض، ويبرم العقد، على ما عرض الشيخ من الشروط، ثم يقرر هذا ويوضحه ﴿أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ سواء قضيت ثماني سنوات أو أتممت عشراً، فلا عدوان في تكاليف العمل، ولا عدوان في تتميم العشر، فالزيادة على الثمانية اختيار ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ فهو الشهيد الموكل بالعدل بين المتعاقدين، وكفى بالله وكيلاً.[٢]

---

(١) انظر ذلك في قصة زواج حفصة في الفصل الثاني الآتي.

(٢) ظلال القرآن ج٢٠ص٥٨.

الفصل الثاني

زهرات من بساتين رسول الله ﷺ

والكتب التي تحدثت عن الأزواج والزوجات، عن أخبارهم، وطرائفهم، وحياتهم وما يجري فيها من نافع طيب، أو من خصام ضار، وعن قواعد صيانة الحياة الزوجية، وأسس التعامل بين الزوجين، عن حقوق الأزواج والزوجات وواجباتهم، عن أدب العلاقات الزوجية، وحسن استثمارها، ووسائل دوام الحب بين الزوجين، وغير ذلك كثير، كثير، في القديم والحديث ..

وسنقطف من رياض هذه الكتب زهرات، أو طاقات زهر، نقدمها لأحبتنا الأزواج والزوجات، هدايا ووصايا، لعلهم يجدون فيها ما نحب لهم من زاد؛ في سفر الحياة الزوجية، أو يجدون دواءً لعلاج صَدْعٍ فيها لم يَكْبُرْ، أو بلسماً لجرح لم يتعمق بعد .. أو دعماً لمسيرة المودة والرحمة التي نتمناها لهم ..

وذلك إضافة لما سطرناه وكتبناه، ونقلناه وقدمناه في المباحث السابقة، وما يليها من قصص القرآن .. والله المسؤول أن ينفع ويرفع، ويشفي ويعافي؛ كل من قرأها أو اطلع عليها، فيدعون لنا دعوة صالحة، ولا ينسوننا من كلمة طيبة ...

وبساتين رسول الله ﷺ فيها الكثير النافع، ومن بساتينه ﷺ يقتطف كل الصالحين لحياتهم الزوجية، وغيرها ..

الزوج المثالي، والزوجات الطاهرات:

وسأبدأ بقصص زواج خير الأزواج؛ الزوج المثالي، ألا وهو الحبيب المصطفى ﷺ، فهو الأسوة الحسنة والقدوة العليا في كل شؤون الحياة، وأهم هذه الشؤون الدنيوية؛ زواجه ﷺ من نسائه الطاهرات:

بعض الحقائق عن زواج رسول الله ﷺ:

وقبل أن أتكلم عن زواج الرسول الكريم ﷺ بزوجاته أحب أن أذكر بعض الحقائق:

أولاً:

١- إن الزوجة الأولى والمرأة الأولى التي كانت في حياة رسول الله ﷺ هي السيدة الطاهرة خديجة بنت خويلد، ولم يتزوج عليها امرأة حتى توفيت، وهذا يشير بوضوح إلى وفاء الرسول الكريم ﷺ لزوجته التي شاركته أصعب سنوات حياته وأشقها عليه، فأكرمها بأن لم يتزوج عليها حتى توفيت. ومواقفها في نصر الدعوة وتأييد النبي ﷺ معروفة مذكورة، وقد أعطت لرسول الله ﷺ كل ما تملك من حب ومال وجاه، وما تستطيع أن تقدمه امرأة لرجل حتى لقيت الله سبحانه، وهي التي أقرأها جبريل من ربها السلام وبشرها: ((ببيت في الجنة من قصب (اللؤلؤ المجوف) لا نصب (تعب) فيه ولا صخب)) (ضوضاء) .

٢- إن أزواجه من نسائه بعدها كن كلهن أرامل؛ إلا السيدة عائشة - رضي الله عنهن - وكان قصده من الزواج بعامة؛ تأليف القبائل العربية من أجل الدعوة، وخفض شوكة معاداتهم للإسلام، وهذا واضح من سيرته الشريفة ﷺ.

٣- ولم يكن زواجه من هؤلاء النسوة بقصد المتعة الجسدية - كما يحلو لبعض المستشرقين - وأعداء الإسلام أن يصفوه به. فإن الذي يبغي متعة الجسد إنما هو من يكون في عز شبابه، وقد تزوج ﷺ في عنفوان شبابه سيدة تكبره بخمسة عشر عاماً؛ ولما توفيت كان عمره (ثلاثة وخمسين عاماً، فأين المتعة وأين الشهوة؟!).

٤- إن أفعال النبي ﷺ كلها بأمر من ربه ووحي، ولا ينطق عن الهوى، ولا يفعل فعلاً ليس فيه رضى ربه وطاعته.

٥- وسوف ترى ذلك في قصة زواج كل واحدة من زوجاته الطاهرات رضي الله عنهن أجمعين. [1]

(١) من كتاب سيرة خير البشر لمحمد حبش باختصار .

ثانياً: (ومن نظر في حياة الرسول ﷺ عرف جيداً أن زواجه بهذا العدد الكبير من النساء في أواخر عمره لم يكن لأجل أنه وجد بغتة في نفسه قوة عارمة من الشبق لا يصبر معها إلا بمثل هذا العدد الكبير من النساء، بل كانت هناك أغراض أخرى أجل وأعظم .. فاتجاه الرسول ﷺ إلى مصاهرة أبي بكر وعمر بزواجه بعائشة وحفصة، وكذلك تزويجه ابنته فاطمة بعلي رضي الله عنه، وابنتيه رقية وأم كلثوم بعثمان رضي الله عنه يشير إلى أنه يبغي من وراء ذلك توثيق الصلات بالرجال الأربعة الذين عرف بلاءهم وفداءهم للإسلام في الأزمات التي مرت به وشاء الله أن يجتازها بسلام.

وكان من تقاليد العرب الاحترام للمصاهرة، فقد كان الصهر عندهم باباً من أبواب التقرب بين القبائل المختلفة، وكانوا يرون معاداة الأصهار ومحاربتهم سُبَّةً وعاراً على أنفسهم، فأراد رسول الله ﷺ بزواجه بعدةٍ من أمهات المؤمنين أن يكسر سَوْرَة عداء القبائل العربية للإسلام ..

كانت أم سلمة من بني مخزوم، قبيلة أبي جهل وخالد بن الوليد، فلما تزوجها رسول الله ﷺ لم يقف خالد مع المسلمين موقفه الشديد الذي كان يوم أحد، بل أسلم بعد مدة غير طويلة طائعاً راغباً، وكذلك أبو سفيان لم يواجه رسول الله ﷺ بأي محاربة بعد زواجه بابنته أم حبيبة.

وكذلك لا نرى من قبيلتي بني المصطلق وبني النضير أيَّ استفزاز وعداء بعد زواجه بجويرية وصفية، بل كانت جويرية أعظم النساء بركة على قومها، فقد أطلق الصحابة أسْرَ مائة بيت من قومها، حين تزوجها رسول الله ﷺ، وقالوا أصهار رسول الله ﷺ. ولا يخفى ما لهذا المنِّ من الأثر البالغ في النفوس.

وأكبر من ذلك وأعظم أن النبي ﷺ كان مأموراً بتزكية وتثقيف قوم لم يكونوا يعرفون شيئاً من آداب الثقافة والحضارة، والتقيد بلوازم المدنية، والإسهام في بناء المجتمع وتعزيزه.

والمبادىء التي كانت أسساً لبناء المجتمع الإسلامي، لم تكن تسمح للرجال أن

يختلطوا بالنساء، فلم يكن يمكن تربيتهن وتعليمهن مباشرة، ولم تكن الحاجة إلى هذه التربية والتعليم للنساء أقل من الرجال، بل كانت أشد وأقوى.

وإذن، فلم يكن للنبي ﷺ سبيل إلا أن يختار من النساء؛ الأعمار والمواهب ما يكفي لهذا الغرض، فيزكيهن ويربيهن، ويعلمهن الشرائع والأحكام، ويثقفهن بثقافة الإسلام؛ حتى يعدَّهن لتربية البدويات والحضريات، العجائز والشابات، فيكفين مؤونة التبليغ للنساء.

وقد كان لأمهات المؤمنين فضل كبير في نقل أحواله ﷺ المنزلية للناس، خصوصاً من طالت حياتهن كعائشة، فإنها روت كثيراً من أفعاله وأقواله. وكان هناك نكاح واحد لنقض تقليد جاهلي متأصل، وهي قاعدة التبني، كما سنرى في زواج زينب بنت جحش، .. ولهدم هذه القاعدة المتأصلة الجازمة لا يمكن هدمها، أو تعديلها لمجرد القول، بل لابد له من الفعل، كما في عمرة الحديبية)[١]

ثالثاً: كانت زوجات الرسول ﷺ معلمات النساء، فكن ينقلن ما يفهمن من القرآن والسنة إلى الأخريات بحكم عيشهن معه ﷺ، وكان الرسول ﷺ يهتم بتعليم زوجاته؛ لكي ينقلن عنه إلى النساء الأخريات وإلى الأجيال القادمة أيضاً، فكان ما يقوله وما يشاهدنه ينتقل بواسطة أمنا صفية - رضي الله عنها - إلى أهالي خيبر، وبواسطة أمنا ميمونة - رضي الله عنها - إلى بني عامر بن صعصعة، وبواسطة أمنا أم سلمة - رضي الله عنها - إلى بني مخزوم، وعن طريق أمنا أم حبيبة - رضي الله عنها - إلى بني أمية، وعن طريق أمنا جويرية - رضي الله عنها - إلى بني المصطلق.

فهؤلاء الزوجات الطاهرات لم يكنَّ يُقَصِّرْنَ في وظيفة الإرشاد والتبليغ عن رسول الله ﷺ إلى قبائلهن وأقاربهن، وكانت هذه القبائل تفتخر بمصاهرتها مع الرسول ﷺ[٢].

(١) من الرحيق المختوم للمباركفوري باختصار وتصرف بسيط.

(٢) من كتاب النور الخالد (محمد ﷺ) مفخرة الإنسانية، تأليف محمد فتح الله كولن، ط١ إستانبول ج٢ ص ١٠٢ .

١ - قصة زواج الصادق الأمين بالسيدة الطاهرة خديجة بنت خويلد:

تروي لنا كتب السيرة أن السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها بعد ما أرسلت سيدنا محمداً ﷺ في تجارة لها إلى الشام مع غلامها ميسرة، رأت فيما يرى النائم: (أن شمساً عظيمة تهبط من سماء مكة؛ لتستقر في دارها، فتملأ جوانب الدار نوراً، وينتشر ذلك النور، ويفيض من دارها؛ ليغمر كل ما حولها بضياء مبهر، يبهر النفوس قبل أن يبهر الأبصار).

وكانت قبل هذه الرؤيا مع صويحباتها في أحد أعياد الجاهلية عند الكعبة، فرآهن يهودي هناك فقال لهن ﷺ: يا معشر نساء قريش، إنه يوشك أن يظهر في مكة نبي، قد اقترب وجوده، فمن استطاعت أن تكون له فراشاً (زوجة) فلتفعل، ولما حدثها غلامها ميسرة عن أخلاق سيدنا محمد ﷺ التي رآها في سفره معه إلى الشام تاجراً، وعن إظلال الغمام له في شمس النهار، وما قاله له نسطورا الراهب في بصرى عنه، قويت رغبة السيدة خديجة بأن تكون زوجة الصادق الأمين، فذهبت إلى ابن عمها (ورقة بن نوفل) وقصت عليه رؤياها التي رأت في المنام، وحكت له ما حدثها ميسرة عنه من إظلال الغمام، وعن صدقه وأمانته وعظيم أخلاقه، فقال ورقة بن نوفل لخديجة:

لئن كان هذا الذي تقولين حقاً يا خديجة، فإن محمداً نبي هذه الأمة، ولقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر، وهذا زمان ظهوره.

فرغبت السيدة خديجة أشد الرغبة في أن تكون زوجة كريمة، وخادمة أمينة لهذا النبي المنتظر.

فهل تعرض نفسها عليه؟ أم ترسل دسيساً (وسيطاً) بينها وبينه، وكان أكابر الملأ من قومها من التجار يطلبون زواجها فتأبى ! وقررت ألا يفوتها هذا الخير، فأرسلت صديقتها: (نفيسة بنت أميَّة) دسيساً إلى ذلك الشاب الكريم محمد ﷺ لتدبر لها أمر الخطبة.

جاءت نفيسة إلى الشاب الحيي الكريم، وقالت له:

- يا محمد: ما يمنعك من الزواج؟ فقال لها:

- ما بيدي ما أتزوج به، فقالت نفيسة:

- فإن كُفِيتَ ذلك! ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة، ألا تجيب ؟! فقال الحبيب الكريم ﷺ.

- ومن هي؟! قالت نفيسة:

- خديجة بنت خويلد، فقال الرسول الكريم:

- وكيف لي بذلك؟! قالت:

- عليَّ هذا الأمر، فأنا أدبره لك، وحدثت نفيسة خديجة عن قبوله بالزواج منها، فأرسلت خديجة إليه، وقالت له:

- يا بن عم: إني قد رغبت فيك لقرابتك، وسِطَتِكَ (شرفك) في قومك، وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك.

وخرج الشاب الحيي الكريم محمد ﷺ من عند خديجة، وقد قوي عزمه على الزواج، وفي طريق عودته، قالت له بعض نساء الحي:

فوالله يا محمد، ما في قريش امرأة، وإن كانت خديجة، إلا تراك كفئا لها (مناسباً). وقال بعض أهل مكة لخديجة:

لا تزهدي خديج، في محمد   نجم يضيء كإضاء الفرقد

* * *

عرض الرسول الكريم المهذب، أمر الزواج على أعمامه، وكلمهم في أمر خطبة خديجة من ولي أمرها، فَسُرَّ أعمامه بذلك، وخرجوا معه إلى منزل خديجة يتقدمهم رؤساء قريش.

اجتمع أقرباء خديجة في منزلها، وعلى رأسهم عمها عمرو بن أسد، فقال حمزة ابن عبد المطلب، عم النبي ﷺ لأخيه أبي طالب، وكان من أكبر الأعمام، قم على وليها عمرو، فاخطبها منه، فقام أبو طالب (خطيباً) والقوم ينصتون إليه، فقال:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعلنا حضنة بيته، وسُوَّاس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس.

أما بعد: فإن محمداً ممن لا يوزن به فتىً من قريش إلا رجح به شرفاً ونبلاً، وفضلاً وعقلاً، وإن كان في المال قُلٌّ (قليل) فإن المال ظل زائل وأمر حائل، وعارية مسترجعة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخَطْبٌ جليل، وقد خَطَبَ إليكم رغبة في كريمتكم خديجة.

فقام ورقة بن نوفل، وكان أكبر القوم سناً، فقال مجيباً لأبي طالب:

الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضَّلنا على ما عددت، فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله، لا تنكر العرب فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم، وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم، فاشهدوا علي يا معشر قريش: أني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على أربع مئة دينار، ثم جلس ورقة، فقال أبو طالب:

قد أحببت أن يشركك في رأيها عمها (عمرو بن أسد)! فقال عمرو: هو الفحل لا يجدع أنفه، اشهدوا يا معشر قريش، أني أنكحت (زوجت) محمداً بن عبد الله خديجة بنت خويلد على ما ذكر ورقة من المهر، وتم قبول أبي طالب نيابة عن ابن أخيه بهذا الزواج وتمت الفرحة والسرور، وقال أبو طالب: الحمد الله الذي أذهب عنا الكرب ودفع عنا الغموم.

أُعْلِنَ الزواج واكتمل البشر، وظللت السعادة واليسر ذينك الزوجين الكريمين، وقامت السيدة خديجة الطاهرة بحقوق زوجها الكريم حق القيام، فكانت الزوجة الوفية، والصديقة المخلصة، والخادمة الأمينة، والأم الكريمة التي سهرت على حياة زوجها وأولادها، فكانت نعم العون ونعم الزوجة الصالحة، ونعم الأم المربية وقد كان عمرها حين زواجها من الرسول الكريم أربعين عاماً، وكان عمره خمسة وعشرين عاماً.

فضلها وسلام الله عليها مع جبريل: تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها -: ما غِرّت على امرأة، ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها، قالت وتزوجني بعدها بثلاث سنين، وأمره ربه - عز وجل -، أو جبريل عليه السلام أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب. رواه البخاري، وروى أيضاً عنها أنها قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاءً، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها من ربها السلام، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب) رواه البخاري.

ورزق الله سبحانه رسوله منها الأولاد، فولدت له (القاسم وعبد الله ورقية، وزينب وأم كلثوم، وفاطمة) وماتت في حياته (بعد النبوة بعشر سنين في رمضان ودفنت في مكة في الحجون (مقبرة مكة في المعلاة) اهـ [1]

٢- قصة زواج الرسول الكريم ﷺ من سودة بنت زمعة:

توفيت السيدة الكريمة خديجة، وبقي رسول الله ﷺ بلا زوج، وبقيت بناته الطاهرات بلا أم، والأنبياء في طبائعهم بشر يَهْوُونَ من الكمالات ما يهوى البشر ويحتاجون ما يحتاج البشر: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ الكهف: ١١٠.

وقد أكرمهم الله بالوحي؛ ليقتدي بهم الناس ..

فهل يبقى رسول الله بلا زوج يسكن إليها، وبلا امرأة تسد الحاجة البشرية التي جبلها الله في الناس؟! وإن كان لا توجد امرأة تسد الخلة التي سدتها خديجة أفلا امرأة تَسُدُّ بعضها؟!

(١) من السيرة النبوية الميسرة للأطفال للمؤلف، وطبقات ابن سعد، وابن هشام، والروض الأنف للسهيلي.

وأحسَّتْ بعض المسلمات من أزواج أصحاب الرسول الكريم بهذا الذي يحسه رسول الله ﷺ من فَقْدِ خديجة، فجاءت تلك المرأة المؤمنة (خولة بنت حكيم) السُّلَمِيَّة امرأة صاحبه القديم عثمان بن مظعون رضي الله عنها، إليه وقالت:

- يا رسول الله، كأني أراك قد دخلتك خَلَّةٌ لفقد خديجة؟! فقال ﷺ:

- أجل؛ كانت أم العيال وربة البيت، فقالت خولة:

- أفلا أخطب عليك؟ قال ﷺ:

- بلى؛ فإنكن معاشر النساء أرفق بذلك.

* * *

فمن تكون تلك المرأة المحظية برسول الله ﷺ؟! وأعملت خولة بنت حكيم عقلها، وجالت بفكرها بين نساء المسلمات؛ لتختار المرأة التي تناسب رسول الله ﷺ، ووقع في خاطرها امرأتان، **الأولى:** امرأةٌ أَيِّمٌ ذات سِنٍ، من المسلمات الأوليات المهاجرات إلى الحبشة هي وزوجها، أسلمت بمكة قديماً، وبايعت الرسول ﷺ وقد تأيَّمت (ترملت) منذ زمن ليس ببعيد، فهي تصلح مؤنسة وسكناً لرسول الله ﷺ.. إنها سودة بنت زمعة ابن قيس العبشمية (القرشية) لقد قدمت هي وزوجها السكران بن عمرو من الحبشة وما لبث أن توفي عنها زوجها، وأصبحت أيماً..

والثانية: ابنة صديقه وأخيه الحميم أبي بكر الصديق، ولكنها لا تزال طفلة لم تتجاوز عامها السادس.

وكان قرار خولة بنت حكيم حكيماً! تخطب له المرأتين سودة يتزوجها حالاً، وعائشة تخطبها له من أبيها؛ لتكون زوجته مآلاً، بعد بلوغها سن الزواج .. وهكذا فعلت خولة..

وهل كانت سودة تتمنى ما تمنت خديجة من قبل أن تكون زوجة لرسول الله ﷺ بعد تأيمها؟!

لقد قالت بعض نساء الحي قديماً للرسول الكريم ﷺ: (فوالله يا محمد، ما في قريش امرأة وإن كانت خديجة، إلا تراك كفئاً لها) ولماذا لا تتمنى المرأة الصالحة الرجل الصالح؟! إن هذا من خصال الفطرة ..

رؤيا عجيبة للسيدة سودة:

وقدر الله سبحانه لسودة، أن ترى في منامها قبل وفاة زوجها رؤيا استغربتها، قصتها على زوجها، قالت له: رأيت في المنام كأن النبي ﷺ أقبل يمشي حتى وطىء على عنقي، فقال لها زوجها :

وأبيك (قَسَمٌ) لئن صدقت الرؤيا لأموتَنَّ، وليتزوجنَّك رسول الله ﷺ! وأدهشها تأويل زوجها لرؤياها، فقالت باستغراب وحياء: حِجْراً وسِتْراً (أي كأنها تستبعد هذا الخبر، وهذا التأويل، وتنفي عن نفسها هذه الفاجعة).

رؤيا أخرى أعجب من الأولى:

ولكن أقدار الله سبحانه تسوق عباده إلى قضائه وإرادته .. وشغل فكرها تعبير زوجها لرؤياها، وأخذت من نفسها شغلاً، فرأت في المنام ليلة أخرى أعجب من الأولى..

رأت أن قمراً انقض عليها من السماء، وهي مضطجعة .. ودهشت إن لم تكن فزعت من الرؤيا، فقصتها على زوجها، فقال لها معبراً بصدق رؤياها:

- وأبيك لئن صدقت رؤياك، لم ألبث يسيراً حتى أموت وتزوجين من بعدي !!

وصدقت الرؤيا ولم يلبث زوجها الصحابي الجليل السكران بن عمرو رضي الله عنه المهاجر إلى الحبشة معها أن اشتكى (مَرِضَ) من يومه وبعد أيام قلائل توفي إلى رحمة الله ورضوانه .. وأَحَلَّتْ سودة - رضي الله عنها - من عدتها وقامت (خولة بنت حكيم) بدورها في خطبة النساء، فأرسل رسول الله إلى سودة، قائلاً:

مُرِي رجلاً من قومك يزوجك، ففعلت - رضي الله عنها - وأرسلت إلى ابن عمها؛

(حاطب بن عمرو بن عبد شمس) فتولى أمر عقد زواجها، وكان هذا في رمضان سنة عشر من النبوة قبل الهجرة، وبعد وفاة خديجة رضي الله عنها.

سودة تجعل يومها لعائشة:

وهاجرت بعد النبي ﷺ إلى المدينة، وعاشت مع رسول الله ﷺ أكرم عيشة وأهنأها، ولما تزوج رسول الله ﷺ عائشة بنت أبي بكر، وكانت سودة قد أَسَنَّتْ وكبرتْ وعلمت حب رسول الله ﷺ لعائشة، فأرادت التقرب إلى رسول الله ﷺ بتقديم يومها الذي يصيبها من رسول الله لعائشة، فقالت: يا رسول الله يومي الذي يصيبني لعائشة، وأنت منه في حل، فقبل النبي ﷺ ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ النساء: ١٢٨.

ولكن رسول الله ﷺ ما أراد لها أن تبقى زوجة بلا زوج، وهي التي تبرعت لعائشة بليلتها من رسول الله ﷺ فرأى أن يتحلل منها، وتكون حرة في نفسها، فأرسل إليها بطلاقها؛ حتى تكون أميرة نفسها، وقال لها اعتَدِّي ولكنها - رضي الله عنها - أرادت غير ذلك، فقالت لرسول الله ﷺ:

- أنشدك بالذي أنزل عليك كتابه واصطفاك على خلقه لم طلقتني؟ لموجدة وجدتها فيَّ (أَلِغَضَبٍ عليَّ؟) قال: لا، قالت: فإني أنشدك بمثل الأولى، إمَّا راجعتني (إلى عصمتك زوجة لك) وقد كَبُرتُ ولا حاجة لي في الرجال، ولكني أحب أن أُبْعَثَ في نسائك يوم القيامة (زوجة لك) فراجعها النبي ﷺ إلى عصمته زوجة، فقالت حينئذ:

- فإني قد جعلت يومي وليلتي لعائشة حِبَّةَ رسول الله ﷺ.

وعرفت السيدة عائشة لها تقديرها، فكانت تقول: ما من امرأة أحب إلي أن أكون في مسلاخها (جلدها) من سودة بنت زمعة.

وكانت سودة - رضي الله عنها - تؤانس النبي ﷺ وتضحكه ببعض الأمور من الفكاهات تبتغي بذلك سروره ومرضاته.

ولما حج رسول الله ﷺ حجة الوداع، وكان معه نساؤه، قال لهن: (هذه الحجة ثم ظهور الحصر) أي تكفي حجة الإسلام، ولتبقى كل واحدة في بيتها، فالتزمت - رضي الله عنها - وصية النبي ﷺ ولم تحج بعدها، وكانت تقول لمن ينشطها للحج والعمرة: حججت واعتمرت، فأنا أقر في بيتي كما أمرني الله - عز وجل - لا أحج بعدها أبداً.

وبقيت بعد وفاة رسول الله ﷺ تتعبد، وتتصدق بما يأتيها من نصيبها من أرض خيبر، ولقد أرسل إليها سيدنا عمر رضي الله عنه بغرارة (كيس يوضع فيه التمر) من دراهم، فقالت ما هذه؟ قالوا: دراهم، قالت: (في الغرارة مثل التمر؟!) يا جارية، أعطني قناعي، ففرقتها كلها صدقة لله على الفقراء والمساكين.

وتوفيت - رضي الله عنها - في المدينة المنورة في شوال سنة ٥٤ هـ في خلافة معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه رحمها الله ورضي عنها (طبقات ابن سعد) ج ٨ ترجمة السيدة سودة بنت زمعة.

٣ - قصة زواج السيدة عائشة رضي الله عنها:

قال ابن سعد في الطبقات: لما ماتت خديجة - رضي الله عنها - حزن عليها النبي حزناً شديداً، فبعث الله جبريل فأتاه بعائشة في مهد، فقال: يا رسول الله، هذه تُذْهِب بعض حزنك، وإن في هذه خلفاً من خديجة. ثم ردها، فكان رسول الله ﷺ يختلف إلى بيت أبي بكر، ويقول: يا أم رومان استوصي بعائشة خيراً واحفظيني فيها.

فكان لعائشة بذلك منزلة عند أهلها، ولا يشعرون بأمر الله فيها.

وأتاهم رسول الله ﷺ يوماً في بعض ما كان يأتيهم، وكان لا يخطئه يوماً واحداً أن يأتي إلى بيت أبي بكر منذ أسلم إلى أن هاجر، فوجد عائشة متسترة بباب دار أبي بكر تبكي بكاءً حزيناً، فسألها فشكَتْ (من) أمها، وذكرت أنها تولع بها (تغري بها) أباها، فدمعت عينا رسول الله ﷺ، ودخل على أم رومان، فقال:

- يا أم رومان، ألم أوصك بعائشة، أن تحفظيني فيها؟ فقالت أمها:

يا رسول الله، إنها بَلَّغَتِ الصديق عني وأغضبته علينا ! فقال النبي ﷺ:

- وإن فعلت، فقالت أم رومان:

- لا جرم، لا سُؤْتُهَا أبداً[١] وروى أيضاً في طبقاته (أن رسول الله ﷺ وَجَدَ (حَزِنَ) على خديجة حتى خشي عليه، حتى تزوج عائشة) [٢] ج٨ص٦٠

إذن لقد كان اللطيف الخبير يهيئ لحبيبه المصطفى زوجة تخلفه في خديجة بعد موتها، فكانت عائشة هي التي تذهب بعض حزنه عليها !

الرسول الكريم ﷺ يراها زوجة له في منامه:

وإن كانت خديجة - رضي الله عنها - رأت في منامها ما يُعَبَّرُ لها بأنها ستكون زوجة للمصطفى ﷺ وكذلك سودة - رضي الله عنها - رأت في منامها.

فماذا عن عائشة؟ إن الأمر يختلف هنا، فلقد كان الرائي هذه المرة في المنام هو رسول الله ﷺ فقد رأى في منامه، مرتين أنها زوجته، وكان جبريل قد أتاه بها، وهي صغيرة في مهد قائلاً له: إن في هذه خلفاً لخديجة.

فماذا رأى رسول الله ﷺ في منامه؟ تحدِّث بذلك السيدة عائشة كما يروي ابن سعد في طبقاته عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: (أُرِيتُك في المنام مرتين) أرى رجلاً يحملك في سَرَقَةِ حرير (قماش من حرير) فيقول: هذه امرأتك فاكشف عنها فإذا هي أنت، فأقول: إن يك هذا من عند الله يُمْضِهِ.[٣]

وقد كانت (خولة بنت حكيم) زوجة (عثمان بن مظعون) - رضي الله عنها - قالت لرسول الله ﷺ بعد وفاة خديجة؛ يا رسول الله، كأني أراك قد دخلتك خَلَّةٌ لفقد خديجة، فقال: (أجل كانت أم العيال، وربة البيت)، فقالت:

---

(١) طبقات ابن سعد ج٨ص ٧٨.

(٢) نفس المصدر ج٨ ص٦٠.

(٣) الطبقات لابن سعد ج٨ ص٦٤.

أفلا أخطب عليك؟ فقال: بلى، فإنكن معاشر النساء أرفق بذلك.

وخطبت له - كما ذكرنا - سودة بنت زمعة، فتزوجها وبنى بها في مكة المكرمة قبل الهجرة، وعائشة بنت صديقه وصاحبه أبي بكر تزوجها (عقد عليها) في مكة، وهي بنت ست سنين، وبنى بها في المدينة بعد الهجرة بنت تسع سنين بعد بلوغها مبلغ النساء، (والنساء في بلاد الحجاز، والبلاد الحارة يبلغن مبكرات) ووافقت خطبة خولة لعائشة، ما كان رسول الله ﷺ رآه في منامه أنها امرأته، وما كان أخبره به جبريل أنها ستكون خلفاً لخديجة، تُذْهِبُ بعض حزن الزوج الوفي عليها.

وقد استشكل سيدنا أبو بكر خطبة أخيه وصديقه وخليله رسول الله ﷺ لها لما خطبها، فقال له:

إي رسول الله، أيتزوج الرجل ابنة أخيه؟ فقال ﷺ:

إنك أخي في ديني. فزوجه أبو بكر إياها، على متاع بيت قيمته خمسون، فأتتها حاضنتها وهي تلعب مع الصبيان، فأخذت بيدها فانطلقت بها إلى البيت، فأصلحتها (هيأتها للعرس) وأخذت معها حجاباً فأدخلتها على رسول الله ﷺ.

ولنستمع إلى السيدة عائشة تحدثنا عن زواجها، وحظوتها لدى هذا الزوج الكريم (قالت: تزوجني رسول الله ﷺ، وأنا بنت ست سنين وأدخلت عليه، وأنا بنت تسع سنين، وكنت ألعب على المرجوحة، ولي جُمَّة (شعر رأسها مجتمع على بعضه) فأتيت وأنا ألعب عليها (على المرجوحة) فأُخِذْتُ فهُيِّئْتُ، ثم أُدْخِلْتُ على رسول الله ﷺ، وأُرِيَ صورتي في حريرة.

وكنت ألعب بالبنات (بلُعَبِ البنات) مع صواحبي، فإذا جاء النبي ﷺ وهن بين أيدينا يقول لنا: مكانكن (أي ابقين تلعبن).

أقول: وأكثر من ذلك، كانت صواحبها إذا رأين رسول الله ﷺ يتفرقن، ويذهبن عنها، تقول السيدة عائشة: فكان رسول الله ﷺ يُسَرِّ بُهُنَّ إليَّ فيلعبن معي.

قالت: ودخل علي مرة (وأنا ألعب بالبنات فقال ما هذا يا عائشة ؟ فقلت: خيل سليمان فضحك ﷺ.

السيدة عائشة فضلت على نساء النبي ﷺ بعشر:

وكانت - رضي الله عنها - تفخر بزواجها من رسول الله ﷺ وتقول: فُضِّلْتُ على نساء النبي ﷺ بعشر، فقيل لها: ما هن يا أم المؤمنين؟ قالت:

١- لم ينكح بكراً قط غيري.

٢- ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري.

٣- وأنزل الله - عز وجل - براءتي من السماء.

٤- وجاءه جبريل بصورتي من السماء في حريرة، وقال: تزوجها فإنها امرأتك.

٥- وكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد، ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيري.

٦- وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه، ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري.

٧- وكان ينزل عليه الوحي وهو معي، ولم يكن ينزل عليه، وهو مع أحد نسائه غيري.

٨- وقبض الله نفسه بين سحري ونحري.

٩- ومات في الليلة التي كان يدور علي فيها.

١٠- ودفن في بيتي.(١)

وقالت مرة: أُعْطِيتُ خلالاً ما أُعْطِيَتْها امرأة؛ ملكني رسول الله ﷺ وأنا بنت سبع سنين، وأتاه الملك بصورتي في كفه فنظر إليها، وبنى بي لتسع سنين، ورأيت جبريل، ولم تره امرأة غيري، وكنت أحب نسائه إليه، وكان أبي أحب أصحابه إليه، ومرض رسول الله ﷺ في بيتي فمرضته فقبض، ولم يشهده غيري والملائكة.

ويزيد هذه الصفات الكريمة التي أعطيتها السيدة الكريمة أن رسول الله ﷺ قال عنها:

---

(١) - الطبقات لابن سعد ج ٨ ص٦٤

(لقد أريتها في الجنة ليهوَّن بذلك عليَّ موتي، كأني أرى كَفَّيها) [١]

وإذا أضفنا إلى هذه الخلال الكريمة خلة أخرى، أكرم بها وأنعم، وهي أن جبريل أقرأها السلام، وهذا ما حدثت به التابعي الجليل مسروق قال: قالت لي عائشة: لقد رأيت جبريل واقفاً في حجرتي هذه على فرس ورسول الله ﷺ يناجيه، فلما دخل قلت: يا رسول الله، من هذا الذي رأيتك تناجيه ؟ قال: وهل رأيته؟ قلت: نعم، قال: فبمن شبهته؟ قالت: قلت: بدحية الكلبي قال: لقد رأيت خيراً كثيراً، ذاك جبريل، قالت فما لبثت إلا يسيراً حتى قال: يا عائشة، هذا جبريل يقرأ عليك السلام، قلت وعليه السلام ورحمة الله جزاه الله من دخيل خيراً.[٢]

حياة الزوجات الشريفات قدوة صالحة للأزواج والزوجات:

وكانت السيدة عائشة - رضي الله عنها - من العاقلات الفطنات؛ ورغم أن المرأة يحصل منها أحياناً ما يحصل من الغيرة والخصال التي يعدها بعض الناس جهلاً أو تقصيراً، وهذا ما كان يحدث من بعض نساء النبي ﷺ، فإن ذلك كله فيه حكمة بالغة، وسر عظيم، وقد ظهر هذا ونقل، وسوف نراه في عرضنا لسير الزوجات الكريمات - رضي الله عنهن - والسر في ذلك والحكمة: أن نرى حلم النبي ﷺ وتواضعه ورحمته وأنه فعلاً أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما وصفه ربه سبحانه، كما تتجلى لنا أيضاً العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة، وكيف يعالجها الإنسان كزوج، أو كزوجة مقتدين في ذلك كله بخير الأزواج سيدنا رسول الله ﷺ.

فمن ذلك أن زوجاته الشريفات كانت تتنابهن الغيرة التي هي من فطرة المرأة وجِبِلَّتِها، وكُنَّ تظهر منهن أفعال يغضب منها رسول الله ﷺ، وكن يطلبن النفقة التي لم تتيسر للنبي ﷺ في بعض الأحيان، وكنَّ وكنَّ و...

وفيما يأتي من العرض نرى، كيف تمت معالجة الرسول الكريم ﷺ لهذه الأمور، وكيف كانت تجري الحياة العائلية في بيوت أزواجه الشريفات:

---

(١) طبقات ابن سعد ج٨ص ٦٦.

(٢) الطبقات لابن سعد ج٨ ص٦٨.

روى ابن سعد في طبقاته عن عروة بن الزبير يحدث عن خالته السيدة عائشة قالت: أتاني النبي ﷺ فقال: إني سأعرض عليك أمراً، فلا عليك أن تعجلي به حتى تشاوري أبويك. فقلت: وما هذا الأمر ؟ قالت: فتلا علي سول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب: ٢٩.

قالت السيدة عائشة: في أي ذلك تأمرني أن أشاور أبوي؟! بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة.

قالت: فَسُرَّ بذلك النبي ﷺ وأعجبه، وقال: سأعرض على صواحبك ما عرضت عليك. قالت: فلا تخبرهن بالذي اخترت، فلم يفعل، كان يقول لهن: ما قال لعائشة، ثم يقول: قد اختارت عائشة الله ورسوله والدار الآخرة [(١)].

وذكر ابن سعد أيضاً فيما رواه عروة بن الزبير عنها قال: قالت لي عائشة: يا ابن أختي قال لي رسول الله ﷺ: ما يخفى علي حين تغضبين، ولاحين ترضين، فقلت: بم تعرف ذاك بأبي أنت وأمي؟ قال: أما حين ترضين فتقولين حين تحلفين؛ لا ورب محمد، وأما حين تغضبين، فتقولين: لا ورب إبراهيم، فقلت: صدقت يا رسول الله، إنما أهجر اسمك.

إرشادها للزوجات عن حسن التبعل للزوج:

روى ابن سعد عن بكرة بنت عقبة أنها دخلت على عائشة، فسألتها عن الحِنَّاء، فقالت: شجرة طيبة وماء طهور، وسألتها عن الحفاف (أي حف الشعر الزائد، فقالت إن كان لك زوج، فاستطعت أن تنزعي مقلتيك، فتصنعينهما أحسن مما هي، فافعلي !. [(٢)]

---

(١) ابن سعد ج٨ص٦٩.

(٢) ابن سعد ج٨ ص٧٢.

غيرتها على النساء المؤمنات:

دخلت عليها حفصة بنت أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر، وعليها خمار رقيق يشف عن جيبها (الجيب فتحة الثوب مما يلي الرقبة) فشقته عائشة عليها، وقالت أما تعلمين ما أنزل الله في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾النور: ٣٠،٣١. ثم دعت بخمار آخر، فكستها .[١]

حسن تدبيرها للبيت:

دخل عليها داخل، فرآها تخيط نقبة لها فقال: يا أم المؤمنين أليس قد أكثر الله الخير؟ (أي فلماذا ترقعين هذا الثوب) قالت: دعنا منك، لا جديد لمن لا خَلَقَ له (أي من ليس عنده عتيق ماله جديد)[٢].

مؤانسة الرسول الكريم لها:

قالت عائشة: خرجنا مع النبي ﷺ، حتى إذا كنا بالقاحة (مكان قريب من المدينة) سال على وجهي من رأسي صفرة، مما جعلت في رأسي من الطيب حين خرجت، فقال النبي ﷺ: (إن لونك الآن يا شقيراء لحسن) أقول: (وهذا الطيب مما له لون، ولا رائحة له) [٣]

---

(١) ابن سعد ج٨ ص٧

(٢) ابن سعد ج٨ ص٧٢

(٣) ابن سعد ج٨ ص٧٢

وأسرى رسول الله ﷺ ليلة، ثم قال لعائشة عندما جاء إليها: (لأنت أحب إليَّ من زبد بتمر) [١] ومعلوم أن الزبدة مع التمر من أطيب الطعام.

ونختم سيرتها - رضي الله عنها - بهذه الحكاية الجميلة التي تبين منزلتها عند رسول الله (روى البخاري في صحيحه عن هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه) قال: كان الناس يتحرون بهداياهم (أي النبي ﷺ) يوم عائشة، قالت عائشة فاجتمع صواحبي (زوجات النبي ﷺ) إلى أم سلمة، فقلن: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث ما كان، أو حيث ما دار، قالت: فذكرت ذلك (أم سلمة) للنبي ﷺ، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إليَّ ذكرت له ذاك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: (يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها).[٢]

وفاتها - رضي الله عنها -: وتوفيت في ليلة ١٧ رمضان عام ٥٨ هجرية، ودفنت في البقيع، ومن المعلوم أنها كانت من أعلم علماء الصحابة، فقد روي لها من الأحاديث (٢٢١٠) حديثاً - رحمها الله ورضي عنها - وقد ألفت في سيرتها الكتب، ومناقبها مشهورة مبثوثة في كتب السيرة والتراجم (راجع أخبارها في طبقات ابن سعد مفصلة ج٨ من ص ٥٨ حتى ص٨١).

٤- زواج النبي ﷺ من حفصة الصوامة القوامة:

ولدت - رضي الله عنها - قبل البعثة النبوية بخمس سنين، وكانت قريش تبني البيت الحرام، ووالدها الفاروق عمر بن الخطاب، وأمها زينب بنت مظعون الجمحية، أخت عثمان بن مظعون رضي الله عنهم.

وكانت قد تزوجت من خنيس بن حذافة السهمي، فكانت عنده وهاجرت معه إلى

(١) ابن سعد ج٨ ص٧٩.
(٢) البخاري ج ٥ ص ٣٠.

المدينة، وبقي الزوجان المسلمان في المدينة (خنيس وحفصة) إلى أن توفي عنها بعد قدوم النبي ﷺ منتصراً من بدر.

عمر بن الخطاب يعرض ابنته على أبي بكر وعثمان: وكشأن الأب الشفوق العاقل يخطب لابنه الفتاة المؤمنة، فإن الفاروق رضي الله عنه صار يخطب لابنته الرجل المؤمن، فمن يرى أفضل من إخوانه الذين هاجروا معه، ولنستمع إليه يحدثنا عن ذلك قال - رضي الله عنه - فأتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة وقلت:

- إن شئت أنكحتك حفصة (وقد كانت توفيت زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ لما كان الرسول الكريم (في بدر) فقال عثمان:

- سأنظر في أمري. قال عمر فمكثت ليالي، ثم لقيني عثمان، فقال:

- قد بدا لي ألا أتزوج في يومي هذا. قال عمر فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت:

- إن شئت زوجتك حفصة، قال عمر: فَصَمَتَ أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئاً، فكنت عليه أَوْجَد مني على عثمان (أي غضبت منه غضباً مكبوتاً أكثر مني غضباً على عثمان) فمكثت ليالي، ثم خطبها رسول الله (فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر، فقال:

- لعلك وجدت (غضبت) عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك بشيء، قال عمر: نعم، قال أبو بكر: إنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت إلا أني قد كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها.

وقد عرض سيدنا عمر هذا الأمر على رسول الله ﷺ فقال له الرسول الحبيب ﷺ: (قد زوَّج الله عثمان خيراً من ابنتك، وزوَّج ابنتك خيراً من عثمان، زَوِّجْني حفصة، وأُزَوِجُهُ أم كلثوم أختها).

فتزوج رسول الله ﷺ حفصة وزوَّجَ عثمان أمَّ كلثوم رضي الله عنهم أجمعين.

جبريل: راجع حفصة، فإنها صوامة قوامة: وصارت هذه السيدة الكريمة في عداد أزواج النبي ﷺ من أمهات المؤمنين الكريمات، وصار وصفها عند أهل السماء (الصوّامة القوّامة) بعد أن عرف هذا الوصف في صفوف المؤمنين والمؤمنات.

وحظيت عند رسول الله ﷺ بما حظيت به عائشة - رضي الله عنهما - بل وكانتا لا تفترقان في مجالسهما وعبادتهما وحسن إصغائهما للرسول الكريم ﷺ وكانت تخص الرسول الكريم ببعض تحفها وهداياها، مما كان يشب غيرة الزوجات الأخريات.

ولما همَّ رسول الله ﷺ بطلاق نسائه لمَّا طَلَبْنَ منه التوسع في النفقة، وكان ممّن هَمَّ بطلاقها حفصة، جاءها رسول الله ﷺ مبشراً، وقال لها: إن جبريل عليه السلام أتاني، فقال أَرْجِعْ حفصة، فإنها صوّامة قوّامة، وهي زوجتك في الجنة.

وقد كان الرسول الكريم ﷺ يضع عندها صحائف القرآن التي كان كتاب الوحي يكتبونها، ولما توفي الرسول الكريم ﷺ وجمع سيدنا أبو بكر القرآن بمشورة عمر - رضي الله عنهما - كانت صحف القرآن عندها فاستأذنها أبو بكر رضي الله عنه، أخذها منها بعد أن نسخت نسخة كاملة منه ثم أعاده إليها، وكذلك فعل سيدنا عثمان رضي الله عنه عندما جمع القرآن الجمع الأخير وكتبته اللجنة التي شكلها، أخذه منها ثم أعاده إليها.

وفاتها: وتوفيت - رحمها الله - في شعبان سنة ٤٥ هجرية في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وهي يومئذ ابنة ستين سنة، ودفنت مع أزواج رسول الله ﷺ في البقيع. رضي الله عنها وأرضاها. (طبقات ابن سعد ج٨، وعلوم القرآن للصف الحادي عشر شرعي).

٥- زواج النبي ﷺ من أم سلمة المخزومية (ذات الهجرتين):

واسمها هند بنت أبي أمية (سهيل بن المغيرة المخزومي) كان يقال لأبيها: زاد الركب؛ لأنه كان إذا سافر معه قوم لا يسمح لأحد أن يأخذ زاده معه، فهو يكفي كل من معه من المسافرين.

تزوجها أبو سلمة (عبد الله) بن عبد الأسد المخزومي وهاجرت معه إلى الحبشة في الهجرة الأولى والثانية، وكان زوجها (أبو سلمة) أصيب يوم أحد، في يده وبعد أن برئ الجرح أرسله رسول الله ﷺ في سرية مجاهداً وغاب عن المدينة تسعاً وعشرين ليلة ثم رجع، والجرح منتقض، فمات منه سنة أربع للهجرة في الثامن من جمادى الآخرة.

وكانت سمعت رسول الله ﷺ قال لها: (إذا أصابتك مصيبة فقولي: (اللهم أعطني أجر مصيبتي، واخلفني خيراً منها) قالت: فقلتها يوم توفي أبو سلمة، ثم قلت: ومن لي مثل أبي سلمة؟ فجعل الله لي الخلف خيراً من أبي سلمة.

حديث زوجين: قالت أم سلمة لأبي سلمة، بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها، وهو من أهل الجنة، وهي من أهل الجنة، ثم لم تتزوج بعده إلا جمع الله بينهما في الجنة، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقي الرجل بعدها، فتعال أعاهدك ألا تزوج بعدي ولا أتزوج بعدك. قال أبو سلمة: أتطيعينني ؟ قلت: ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك. قال: فإذا مت فتزوجي. ثم قال: اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني لا يحزنها ولا يؤذيها.

فلما مات أبو سلمة قلت (في نفسي): من هذا الفتى الذي هو خير لي من أبي سلمة؟ (ولكن القدر قد خبأ لها هذا الذي هو خير). تقول أم سلمة: قال رسول الله ﷺ: إذا حُضِرْتُمْ (أي حضر أحدكم الموت) فقولوا خيراً، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، وبقيت هذه الكلمات في أذهان المؤمنين والمؤمنات، لا يقولون عند موتاهم إلا خيراً.

وعندما مات أبو سلمة أرادت هذه السيدة الكريمة الفطنة أن يكون هذا القول (الخير) من كلمات رسول الله ﷺ فجاءت، قائلة: يا رسول الله، إن أبا سلمة قد مات، فكيف أقول؟ قال: قولي: اللهم اغفر لي وله، وأعقبني منه عقبى حسنة. قالت: فقلت كما قال رسول الله ﷺ فأعقبني الله خيراً منه؛ رسولَ الله ﷺ. وكانت تقول في نفسها وبلسانها: (ومن خير من أبي سلمة)؟

عزاء الرسول الكريم ﷺ لها في وفاة زوجها:

وجاء رسول الله ﷺ يعزيها، فقال: (اللهم عَزِّ حزنها واجبر مصيبتها وأَبْدِلْها خيراً منها).

وانقضت العدة الشرعية لأيِّم العرب، فخطبها أبو بكر الصديق فردَّته، ثم خطبها عمر الفاروق فردَّته، فبعث إليها رسول الله ﷺ خاطباً يخطبها له فقالت: مرحباً برسول الله ﷺ ، وبرسوله، أَخْبِرْ رسولَ الله ﷺ أني امرأة غَيْرى، وأني مُصْبِية (وفي رواية عندي أيتام) وأنه ليس أحد من أوليائي شاهد (حاضر) فبعث إليها رسول الله ﷺ: (أما قولك: إني مصبية، فإن الله سيكفيك صبيانك (وفي رواية فالأطفال إلى الله ورسوله).

وأما قولك: إنك غيرى، فسأدعو الله أن يذهب غيرتك،

وأما الأولياء، فليس أحد منهم شاهد أو غائب إلا سيرضاني.

ورضيت الزوجة المؤمنة بما قاله رسول الله ﷺ ولم تكن لترد عليه خطبته إعراضاً عنه وكرهاً، حاشاها من ذلك، ولكن خشيت ألا تقوم بحقه بسبب ما ذكرته من تلك الخصال، وفي رواية قالت أيضاً: أنا كبيرة (في السن) فقال لها الرسول الكريم ﷺ (وأما ما ذكرت من كبر السن، فأنا أكبر منك) ولما اطمأنت إلى ما قاله الرسول الحبيب ﷺ، وغلب على ظنها أنها ستقوم بحقه، قالت لابنها عمر: يا عمر، قم فَزَوِّجْ رسول الله ﷺ. (أي أجر عقد الزواج معه).

فقال ﷺ بعد العقد: أما إني لا أنقصك مما أعطيت أختك فلانة؛ (أي مهراً) رَحَيَين وجرَّتين ووسادة من أَدَم (جلد) حشوها ليف.

وهكذا تم الزواج والجهاز الذي ذكره الرسول الكريم ﷺ بهذه البساطة، وعلى هذا الجهاز (الملوكي!).

أما طعام العرس، فتصفه لنا العروس أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: تزوجني

رسول الله ﷺ فانتقلني، فأدخلني بيت زينب بنت خزيمة أم المساكين بعد أن ماتت؛ فإذا جَرَّة فاطَّلَعْتُ فيها، فإذا فيها شيء من شعير، وإذا رحى وبُرْمة (قِدْر الطبخ) وقِدْر فنظرت، فإذا فيها كَعْبٌ من إِهالة (دهن) فأخذت ذلك الشعير فطحنته، ثم عصدته في البرمة، وأخذت الكعب من الإهالة فأدمته به، فكان ذلك طعام رسول الله ﷺ وطعام أهله ليلة عرسه.

قال ابن سعد فيما رواه عن عبد الله بن حنطب: دخلت أيم العرب (أم سلمة) على سيد المسلمين أول العشاء عروساً وقامت من آخر الليل تطحن.

أقول: هذه الزوجة قدوة للزوجات المؤمنات اللاتي دخل الإيمان إلى قلوبهن، وارتضين الله رباً والإسلام ديناً، ومحمداً نبياً ورسولاً، كيف كان صدقها مع نفسها ومع ربها، وكيف خافت ألا تقوم بحق رسول الله ﷺ لما خطبها، ولما بنى بها، فانظر صنيعها ليلة العرس وتواضعها، وهي بنت زاد الركب أبي أمية بن المغيرة المخزومي، ولذلك حظيت عند رسول الله ﷺ ونزلت من نفسه منزلة تُسامِي منزلة عائشة - رضي الله عنها - فقد قال ﷺ فيما رواه ابن سعد (إن لعائشة مني شعبة ما نزلها مني أحد، فلما تزوج أم سلمة سئل رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله، ما فعلت الشعبة؟ فسكت رسول الله ﷺ، فعُرِف أن أم سلمة نزلت عنده).

وهذا ما دعا نساء النبي ﷺ أن يَغِرْنَ منها (والغيرة من جِبِلَّة النساء) وهاهي السيدة عائشة الصديقة - رضي الله عنها - تحدث عن نفسها، قالت: لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة حزنت حزناً شديداً لما ذكروا لنا من جمالها، قالت: فتلطفت لها حتى رأيتها، فرأيتها والله أضعاف ما وصفت لي من الحسن والجمال، فذكرت ذلك لحفصة، فقالت: لا والله إن هذه إلا الغيرة (أي ليست هي كما وصفت، ولكنك غرت منها) ما هي كما يقولون، فتلطفت لها حفصة حتى رأتها، قالت: قد رأيتها، ولا والله ما هي كما تقولين ولا قريب، وإنها لجميلة، قالت عائشة: فرأيتها بعدَ فكانت لعمري - كما قالت حفصة -، ولكني كنت غيرى).

فهل كانت لها هذه الحظوة عند النبي ﷺ لجمالها، (وقد علمنا ما قالت حفصة وعائشة رضي الله عنهما) أم لسابقتها في الإسلام وهجرتها الهجرتين (إلى الحبشة والمدينة) وصبرها على تحمل الأذى في سبيل الله؟ ولقد كانت هجرتها إلى المدينة امتحاناً لإيمانها وصبرها في سبيل الله، فقد ذكر ابن هشام في السيرة وغيره أن أبا سلمة (زوجها) كان من أول المهاجرين إلى المدينة هو وزوجته وابنه قبل بيعة العقبة الكبرى، فلما أجمع على الخروج قال له أصهاره (أهل زوجته): هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه (زوجته) علام نتركك تسير بها في البلاد؟ فأخذوا منه زوجته، وغضب آل أبي سلمة لرجلهم، فقالوا: لا نترك ابننا معها، وتجاذبوا الطفل بينهم، فخلعوا يده، وذهبوا به، وانطلق أبو سلمة وحده إلى المدينة وأرجع قوم أبو سلمة ابنها سلمة معهم، وكانت أم سلمة بعد ذهاب زوجها وأخذ ابنها تخرج كل صباح إلى الأبطح تبكي حتى تمسي، ومضى على ذلك سنة، زوجها في مكان (في المدينة) وابنها عند قوم أبيه وهي وحدها، فَرَقَّ لها أحد ذويها، وقال: ألا تخرجون هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وولدها، فقالوا لها: الحقي بزوجك إن شئت، فاسترجعت ابنها، وخرجت تريد المدينة، وليس معها أحد من خلق الله، حتى إذا كانت بالتنعيم لقيها عثمان بن طلحة، وبعد أن عرف حالها، قاد جملها حتى قدم بها المدينة، فلما نظر قباء قال: زوجك بهذه القرية، فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة.

ومما يزيدها حظوة عند رسول الله ﷺ رأيُها الحصيف الذي كانت تتمتع به، وبُعْدُ رأيها حتى إنها أشارت على النبي ﷺ لما صالح المشركين في الحديبية وأمر المسلمين بالذبح والحلق والتحلل من العمرة أشارت عليه لما تأخر المسلمون في امتثال أمر النبي ﷺ أن يذبح ويحلق هو، فإذا رأوه فعل فعلوا مثله، وكذلك كان، وكان هذا ببركتها رضي الله عنها.

وفاتها: وتوفيت سنة ٥٩ هجرية وعمرها ٤٨ سنة، ودفنت مع أزواج النبي ﷺ في البقيع.

* * *

٦- النجاشي ملك الحبشة يزوج الرسول ﷺ رملة بنت أبي سفيان، ويؤدي مهرها عنه:

وهذه مأثرة عظيمة، وخصلة شريفة، يقدم عليها رسول الله ﷺ، ليجبر خاطر امرأة مهاجرة، تنصر زوجها في الحبشة، وليخضد شوكة عداوة أبيها ومقاومته للإسلام، وليفتح بهذا الزواج باباً كبيراً أوصده المشركون ضد الدعوة الإسلامية، فيدخل الناس في دين الله أفواجاً.

وككل زيجات النبي ﷺ تنطوي وراءها حكم عظيمة، وفوائد للدعوة الإسلامية لا تقدر، فقد كان زواج رملة بنت أبي سفيان من النبي ﷺ، جبراً لخاطرها - رضي الله عنها - وإبراداً لنار العداوة في قلب أبيها للإسلام حتى جاء بعد عام واحد مسلماً طائعاً معترفاً برسالة الرسول ﷺ، وذلك في فتح مكة.

والقصة من أولها: إن عبيد الله بن جحش الأسدي تزوج رملة، فولدت له حبيبة وكنيت بها أمها، فصار يقال لها: أم حبيبة، وهاجر الهجرة الأولى مع زوجته رملة إلى الحبشة ومعهما ابنتهما حبيبة، وهناك رواية أخرى تقول: إنها ولدتها في الحبشة، ولقي المهاجرون المسلمون لدى ملك الحبشة كل إكرام ولطف، فحرك هذا الإكرام لدى عبيد الله جمرات قد انطفأت، فاشتعلت من جديد في قلبه، إذ كان قبل الإسلام يدين بالنصرانية، ومنها عرف أن هذا النبي هو الذي بَشَّرَ به عيسى عليه السلام، وكان ملك الحبشة على النصرانية الحقة، وإذا بعبد الله يعود إليها مرة ثانية مرتداً عن دينه.

ولنسمع إلى زوجته تحدثنا: قالت: رأيت في النوم زوجي (عبيد الله) بأسوأ صورة وأشوهه، ففزعت، فقلت: تغيرت والله حاله، فإذا هو يقول في الصباح يا أم حبيبة، إني نظرت في الدين، فلم أر ديناً خير من النصرانية، وكنت قد دِنْتُ بها، ثم دخلت في دين محمد، ثم قد رجعت إلى النصرانية فقلتُ: والله ما خيرٌ لك. وأخبرته بالرؤيا التي رأيت، فلم يحفل بها، وأكب على الخمر حتى مات.

قالت، وفي يوم آخر أُرَى في النوم كأن آتياً يقول: يا أم المؤمنين، ففزعت، فأولتها؛ أن رسول الله ﷺ يتزوجني، وما هي إلا شهور انقضت بعدها عدتي، وما شعرت إلا

برسول النجاشي على بابي يستأذن، فإذا بجارية يقال لها: (أبرهة) كانت موكلة بخدمة ثيابه ودُهْنِه (طيبه) فدخلت عليَّ، فقالت: إن الملك يقول لك، إن رسول الله ﷺ كتبَ إليَّ أن أزوجك منه، قالت أم حبيبة: بشرك الله بالخير. قالت أبرهة: يقول لك الملك وكلي (أحداً من أقربائك) يزوجك. فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته (بعقد النكاح).

وهذه البشارة الحسنة، وهي أنها ستتزوج رسول الله ﷺ لابد لها من مكافأة لمن أتى بهذا الخبر السار، فأعطت أم حبيبة لأبرهة سوارين، وخَدَمَتَيْنِ كانتا في رجليها (خلخال) وخواتيم فضة كانت في أصابع رجليها، سروراً بما بشرتها به.

النجاشي يتولى خطبة النكاح والعقد:

وفي المساء أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب، ومن هناك من المسلمين فحضروا، وقام النجاشي خطيباً، فقال: (الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم.

أما بعد: فإن رسول الله ﷺ كتب إليَّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وقد أصدقتها أربع مئة دينار. ثم سكب الدنانير بين يدي القوم، ثم قام خالد بن سعيد، فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه وأستنصره، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد: فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله رسول الله، ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد بن العاص، فقبضها.

ولما أراد المسلمون الانصراف من المجلس بعد عقد الزواج قال النجاشي، فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا، أن يؤكل طعام على التزويج، فدعا النجاشي بطعام، فأكلوا ثم تفرقوا.

قالت أم حبيبة: فلما وصل إليَّ المال (مال المهر) الذي (قبضه سعيد من النجاشي) أرسلت إلى أبرهة التي بشرتني، فقلت لها: إني كنت أعطيتك ما أعطيتك يومئذ (من الخواتيم والخلخال) ولا مال بيدي، فهذه خمسون مثقالاً، فخذيها فاستعيني بها. فأبت أبرهة أن تأخذها، ثم أخرجت حُقّاً (وعاء توضع فيه الأشياء الثمينة) فيه كل ما أعطيتها من الخواتيم والخلخال فردته علي، وقالت: عزم عليَّ الملك ألا أرزأك شيئاً (ألا آخذ منك) وقد اتبعت دين محمد رسول الله ﷺ وأسلمت لله، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر، ثم جاءتني في اليوم الآتي بجملة أنواع من العطور، عود وورس، وعنبر وزَباد كثير، (وَقَدِمَتْ بذلك كله لما عادت من الحبشة إلى النبي ﷺ) ثم قالت أبرهة: حاجتي إليك أن تقرئي رسول الله ﷺ مني السلام وتعلميه أني قد اتَّبَعْتُ دينه.

وكانت أبرهة تتردد على السيدة أم حبيبة وتتلطف بها وهي التي جهزتها لما قدمت إلى رسول الله ﷺ وكانت توصيها وتقول لها لا تنسي حاجتي إليك (السلام على رسول الله ﷺ).

قالت: فلما قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته كيف كانت خطبة النجاشي وكيف تم عقد الزواج، وما فعلت أبرهة، فتبسم رسول الله ﷺ، وأقرأته منها السلام، فقال: وعليها السلام ورحمة الله وبركاته.

أبو سفيان يبارك الزواج:

كان هذا الزواج سنة سبع من الهجرة وكان عمر السيدة أم حبيبة سبعة وثلاثين عاماً، ثم جهز النجاشي أم المؤمنين وأرسلها إلى النبي ﷺ مع شرحبيل بن حسنة رضي الله عنهم أجمعين.

وكان من أثر هذا الزواج وبركته أن أنزل الله سبحانه قوله﴿ **عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (٧) الممتحنة: ٧.

قال ابن عباس: نزلت حين تزوج النبي ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان – رضي الله عنهم أجمعين – ولما سمع أبو سفيان بزواج ابنته من رسول الله ﷺ قال موافقاً ومثنياً على هذا الزواج الكريم: هو الفحل لا يقرع أنفه. وهذه كلمة تعظيم وثناء تقولها العرب لأهل الشرف والمجد والبطولة.

من مواقفها المشرفة وسيرتها: وكانت هذه السيدة الكريمة من أفاضل أمهات المؤمنين اللواتي كن القدوة للمسلمات في الثبات والصبر على دينهن وتحمل الشدائد في سبيل الله، وكانت حياتها كلها اتباعاً لدين الله وتمسكاً بهذا الإسلام، حتى في أصعب الظروف، وكان لها مواقف عظيمة تدل على مدى ثباتها على إسلامها وشدة تعلقها بأحكام هذا الإسلام، وقوة تمسكها به وسعيها لإرضاء الله سبحانه ورسوله ﷺ ذلك الزوج العظيم الكريم.

فمن هذه المواقف المشرفة:

١- لما جاء أبوها (أبو سفيان) بعد صلح الحديبية عام ثمان للهجرة يريد رسول الله ﷺ ليزيد في مدة الهدنة بين المسلمين والمشركين ولمَّا يُسْلِمْ بعد، فدخل على ابنته أم حبيبة، ولما أراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ طوت الفراش، وأزاحته عنه فقال لها: يا بُنَيَّة أرغبت بهذا الفراش عني (أي أنه لا يصلح لي تريدين أن تحضري خيراً منه) أم رغبت بي عنه (أي أني لا يحق لي الجلوس عليه).

فقالت – رضي الله عنها –: بل هو فراش رسول الله، وأنت امرؤ نجس مشرك.

فقال لها: يا بنية، لقد أصابك بعدي شر. وما أصابها والحمد لله إلا الخير بزواجها برسول الله ﷺ، وصيانتها وحفظها لفراش رسول الله ﷺ من أن يجلس عليه مشرك، ولو كان أباها.

وكذلك موقفها، وهي في الهجرة في الحبشة، أن ثبتت على إسلامها ودينها رغم تنصر زوجها، والملك آنذاك كان يدين دين النصرانية.

ومن مواقفها التي تثبت صدق وشدة تمسكها بأحكام الشريعة، أنه لما توفي أبوها بعد أن أسلم - رضي الله عنهم أجمعين - وقد أبلى البلاء الحسن في الجهاد في بلاد الشام، طلبت طيباً وطيبت ذراعيها وعارضيها، ثم قالت: إني كنت عن هذا لغنية (أي لا أحتاج إلى الطيب وأنا أرملة) لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحِدَّ على ميت فوق ثلاثة أيام إلا على زوج، فإنها تُحِدُّ عليه أربعة أشهر وعشراً) والحداد ترك الزينة.

ومن مواقفها الكريمة: ما ترويه السيدة عائشة قالت: (دعتني أم حبيبة زوج النبي ﷺ عند موتها، فقالت: قد كان ما يكون بيننا وبين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك. فقلت غفر الله لك ذلك كله وتجاوز، وحللك من ذلك، فقالت أم حبيبة: سررتني سرك الله، وأرسلت إلى أم سلمة، فقالت لها مثل ذلك.

وفاتها: توفيت - رحمها الله - إلى رحمة الله ورضوانه سنة أربع وأربعين في خلافة أخيها معاوية (وكان عمرها (أربعاً وسبعين سنة)، ودفنت في البقيع بجانب أزواج النبي ﷺ رضي الله عنها وأرضاها. (أخبار أم حبيبة في طبقات ابن سعد ج٨ والسيرة النبوية لابن هشام).

٧- زينب بنت جحش: زوَّجَكُنَّ أهلُكُنَّ وزوجني الله:

ولنبدأ قصة زواج زينب من أولها، فقد كانت زينب بنت جحش ابنة عمة رسول الله ﷺ وأمها أميمة بنت عبد المطلب، وكانت ممن هاجر إلى المدينة قبل هجرة النبي ﷺ، وروى ابن كثير في تفسيره أن النبي ﷺ خطبها لزيد بن حارثة، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ: (بلى فانكحيه) قالت: يا رسول الله أؤامر نفسي، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله ﷺ: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا** ﴾ الأحزاب: ٣٦.

وذكر السيوطي في تفسير الجلالين أنه نزل فيها، وفي أخيها عبد الله بن جحش، أنهما كرها خطبتها لزيد بن حارثة، فنزلت الآية، فأجابت رسول الله ﷺ وقبلت الزواج من زيد، ويذكر ابن سعد في ترجمتها أنها قالت: يا رسول الله، لا أرضاه لنفسي، وأنا أَيِّمٌ من قريش؛ قال: فإني قد رضيته لك، فتزوجها زيد.

قال السيوطي في تفسيره: ثم وقع بصر النبي ﷺ على زينب بعد حين (بعد زواجها من زيد بن حارثة) فوقع في نفسه حبها، وفي نفس زيد كراهيتها ثم قال زيد للنبي ﷺ : أريد فراقها، فقال ﷺ: (أمسك عليك زوجك كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ الأحزاب: ٣٧. بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ الأحزاب: ٣٧ بالإعتاق، وهو زيد بن حارثة وكان من سبي في الجاهلية اشتراه [1] رسول الله ﷺ قبل البعثة وأعتقه وتبناه: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ زينب بنت جحش ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ الأحزاب: ٣٧ في أمر طلاقها ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيه﴾ الأحزاب: ٣٧ مظهره من محبتها، وأن لو فارقها زيد تزوجتها ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ الأحزاب: ٣٧. أن يقولوا تزوج زوجة ابنه ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ في كل شيء، وتَزَوَّجْها ولا عليك من قول الناس، ثم طلَّقَها زيد وانقضت عدتها ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا﴾ الأحزاب: ٣٧.

وقد تبع السيوطي - رحمه الله - في تفسيره الآنف الذكر كثير من المفسرين، وكذلك رواية ابن سعد في ذلك، ولكن شارح الجلالين الإمام الصاوي[2]: لم يرتضِ

(١) قال المفسر الصاوي معلقاً على قول السيوطي: (اشتراه؛ فيه تسمُّح بل الذي في السِّيَر أن خديجة اشترته ثم وهبته للنبي ﷺ. وروى أن عمه لقيه بمكة فعرفه وضمه إلى صدره، وقال لمن أنت ؟ قال: لمحمد بن عبد الله فأتوه (في سيرة ابن هشام وشرحها للسهيلي) أتاه هو وأبوه وعرضوا عليه أن يرده عليهم، فاختار زيد البقاء عند رسول الله ﷺ، عندئذ تبناه رسول الله ﷺ وصار يدعى زيد بن محمد .

(٢) الإمام المفسر المحدث العلامة فخر المتأخرين، العالم المدقق الأصولي، اللغوي البارع الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المالكي الخَلْوَتي المولود ١١٧٥ هـ المتوفى ١٢٤١ هـ صاحب الشرح البديع على تفسير الجلالين رحمه الله تعالى.

هذا التفسير فقال عند قول السيوطي: ثم وقع بصر النبي ﷺ عليها: هذا بناء على معنى أن قوله تعالى ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ الأحزاب: ٣٧. هو حبها، الذي درج عليه المفسر تبعاً لغيره، وهذا التفسير غير لائق بمنصب النبوة لاسيما بجنابه الشريف، وأيضاً يبعد أن النبي ﷺ يخفى عليه حالها مع كونها بنت عمته وفي حجره. وقال الصاوي عند قول السيوطي (من محبتها): هذا القول مردود، لما تقدم أنه ينزه عنه رسول الله ﷺ، والصواب أن يقول: إن الذي أخفاه في نفسه هو، ما أخبره الله به، من أنها ستصير إحدى زوجاته بعد طلاق زيد لها؛ لما روى علي بن الحسين - رضي الله عنهما - أن رسول الله كان قد أوحى الله إليه، أن زيداً يطلق زينب وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها، فلما شكى زيد للنبي ﷺ خلق زينب وأنها لا تطيعه، وأعلمه بأنه يريد طلاقها قال له رسول الله ﷺ على جهة الأدب والوصية: اتق الله في قولك، وأمسك عليك زوجك، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، وخشي رسول الله أن يلحقه قول الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو متبناه، فعاتبه الله على الكتم لأجل هذا العذر.

والحكمة في تزوج رسول الله ﷺ بزينب إبطال عادة التبني والتفرقة بين ولد الصلب وولد التبني، من حيث إن ولد الصلب يحرم التزوج بزوجته، وولد التبني لا يحرم. [1] **ا.هـ. وهذا هو الحق والصواب كما ذكره الصاوي، وسار عليه المحققون من العلماء.**

(وحادث زواج رسول الله ﷺ من زينب - رضي الله عنها - بعد طلاقها من زيد، الأمر الذي كانت له ضجة عظيمة في حينه، والذي ما يزال يتخذه بعض أعداء الإسلام تكأة للطعن على رسول الله ﷺ حتى اليوم، ويلفقون حوله الأساطير..[2]) (.. وهذا الذي أخفاه رسول الله ﷺ في نفسه، وهو يعلم أن الله مبديه، هو ما ألهمه الله أن يفعله، ولم يكن أمراً صريحاً من الله، وإلا ما تردد فيه ولا أخره، ولا حاول تأجيله، ولجهر به في حينه، مهما كانت العواقب التي يتوقعها من إعلانه، ولكنه (كان أمام إلهام يجده في

(١) تفسير الصاوي على الجلالين ج٣ ص٢٦٢ طبعة البابي الحلبي ١٩٤١.

(٢) في ظلال القرآن ج٢٢ ص٥٩٢ دار إحياء التراث العربي /١٣٩١هـ-١٩٧١ / بيروت طبعة سابعة.

نفسه، ويتوجس في الوقت ذاته من مواجهته، ومواجهة الناس به، حتى أذن الله بكونه، فطلق زيد زوجته في النهاية، وهو لا يفكر لا هو ولا زينب، فيما سيكون بعد، لأن العرف السائد كان يعد زينب مطلقة ابن محمد لا تحل له، حتى بعد إبطال عادة التبني في ذاتها. ولم يكن قد نزل بعد إحلال مطلقات الأدعياء، إنما كان حادث زواج النبي ﷺ بها فيما بعد هو الذي قرر هذه القاعدة، بعدما قوبل هذا القرار بالدهشة والمفاجأة والاستنكار. **وفي هذا ما يهدم كل الروايات التي رويت عن هذا الحادث؛ والتي تشبث بها أعداء الإسلام قديماً وحديثاً، وصاغوا حولها الأساطير والمفتريات.** .

(..ولم تمر المسألة سهلة، فلقد فوجىء المجتمع الإسلامي كله، كما انطلقت ألسنة المنافقين تقول: تزوج حليلة ابنه!

ولما كانت المسألة مسألة تقرير مبدأ جديد، فقد مضى القرآن يؤكدها، ويزيل عنصر الغرابة فيها، ويردها إلى أصولها البسيطة المنطقية التاريخية: ﴿**مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا**﴾الأحزاب: ٣٨. فقد فرض الله له أن يتزوج زينب ويبطل عادة العرب في تحريم أزواج الأدعياء. وإذن فلا حرج في هذا الأمر، وليس النبي ﷺ فيه بدعاً من الرسل .)[١]

لقد كان هذا الزواج لنقض تقليد جاهلي متأصل، وهي قاعدة التبني، وكانت العادات عند العرب تقضي بأن المتبنى له جميع الحقوق والحرمات التي للابن الحقيقي، وقد تأصلت في القلوب والنفوس.

ولهدم تلك القاعدة أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن ينكح ابنة عمته زينب، زوجة زيد، ولم يكن بينهما توافق في الأصل، ولم تكن في نفسها راضية عن هذا الزواج لولا رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ لا يريد من زيد طلاقها حتى لا يقع تحت ألسنتهم ودعاياتهم الضالة.

---

(١) في ظلال القرآن ج٢٢ ص٥٩٦

(وأخيراً طلقها زيد، وتزوجها رسول الله ﷺ في أيام فرض الحصار على بني قريظة بعد أن انقضت عدتها، وكان الله قد أوجب هذا الزواج على رسوله، ولم يترك له خياراً ولا مجالاً، حتى تولى الله ذلك النكاح بنفسه.

فقال تعالى: ﴿ ... فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾الأحزاب: ٣٧.

وذلك ليهدم قاعدة التبني فعلاً، كما هدمها قولاً بقوله سبحانه: ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾الأحزاب: ٥. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ الأحزاب: ٤٠. وكم من التقاليد المتأصلة الجائرة لا يمكن هدمها أو تعديلها لمجرد القول بل لا بد له من مقارنة فعل صاحب الدعوة) (١)

وهذا الزواج والأمر الإلهي به أشد ما نزل على الرسول ﷺ من الوحي، وإنما عوتب ﷺ على إخفاء ما أعلمه الله به أنها ستكون زوجة له.

قالت عائشة - رضي الله عنها -: لو كتم النبي ﷺ شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ الأحزاب: ٣٧ وما نزل على رسول الله ﷺ آية أشد عليه من هذه الآية). (٢)

---

(١) الرحيق المختوم في السيرة النبوية للمباركفوري ص٥٣٦ مكة ط١ ١٤٠٠هـ

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان ج٢٣ ص٢٨ ط١ / ١٤٢١ بيروت .

وقد تم زواج الرسول ﷺ في هذه الظروف التي ذكرناها، وبتلك الأحوال التي لابست هذا الزواج ليتم أمر الله سبحانه ويقضي ربنا ما يشاء على عبيده وأعظمهم امتثالاً واتباعاً لأوامر الله سبحانه الأنبياء ثم أتباعهم ..

كيف تمت الخطبة والزواج ؟: ولنستمع إلى السيدة زينب تحدثنا بهذا بعد انقضاء عدتها، قالت: فبينا رسول الله ﷺ جالس يتحدث مع عائشة إلى أن أخذت رسول الله ﷺ غشية (وهي التي تنتابه عند الوحي) فسري عنه، وهو يبتسم، ويقول: (من يذهب إلى زينب ويبشرها أن الله زوجنيها من السماء ؟) وتلا رسول الله ﷺ: ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً** ﴾ الأحزاب: ٣٧.

قالت عائشة: فأخذني ما قرب وما بعد (أي من الغيرة) لما يبلغنا من جمالها، وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها، ما صُنِعَ لها، زَوَّجَها الله من السماء. وقلت: هي تفخر علينا بهذا. فخرجت سلمى خادمة رسول الله ﷺ تشتد إلى زينب تبشرها بذلك، فأعطتها أوضاحاً عليها (زينة من الفضة).

تقول زينب - رضي الله عنها -: لما جاءني الرسول بتزويج رسول الله ﷺ إياي جعلت لله علي صوم شهرين، وسجدت لله شكراً.

ولما نزل قوله تعالى في الآية السابقة : ﴿ **فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا** ﴾ الأحزاب: ٣٧. قال المفسرون: فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن ولا عقد، ولا صداق (مهر) وهذا من خصوصياته (التي لم يشاركه فيها أحد بالإجماع.

وكان تزوجه بها سنة خمس من الهجرة، وهي أول من مات من زوجاته بعده، بعشر سنين وعمرها ثلاث وخمسون سنة وكان عمرها لما تزوجها النبي ﷺ خمسة وثلاثين عاماً وكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات.

وكانت تقول للنبي ﷺ : جدي وجدك واحد؛ عبد المطلب وليس من نسائك من هي كذلك غيري، وقد أنكحنيك الله، والسفير جبريل.[1]

زيد يخطبها لرسول الله ﷺ: ولما انقضت عدتها قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة رضي الله عنه : (ما أجد أحداً آمن عندي، أوثق في نفسي منك، ائت إلى زينب، فاخطبها عليَّ، فانطلق زيد فأتاها وهي تخمِّر عجينها، قال زيد: فلما رأيتها عظمت في صدري فلم أستطع أن أنظر إليها، حين عرفت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فوليتها ظهري وقلت: يا زينب، أبشري إن رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا صانعة شيئاً حتى أُؤَامر ربي، فقامت إلى مسجدها (أي تستخير الله سبحانه) ونزل القرآن ﴿ **فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا** ﴾ الأحزاب: ٣٧. فجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن.[2]

وليمة العرس: تحدثنا كتب السيرة أن النبي ﷺ أولم في زواجه على زينب بشاة، كما أن أم سليم أرسلت له ﷺ حيساً مع ابنها أنس، ولنستمع إلى أنس يحدثنا عن هاتين الوليمتين:

١ - قال أنس رضي الله عنه : قالت أم سليم: يا أنس، إن رسول الله ﷺ أصبح اليوم عروساً، وما رأى عنده من غداء، فهلم تلك العُكَّة (وعاء السمن) فناولتها، فعملت له حسياً من عجوة (نوع من التمر) في تَوْر من فخار (وعاء) قدر ما يكفيه وصاحبته، وقالت: اذهب به إليه قال أنس: فدخلت عليه، وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب، فقال ﷺ: ضَعْهُ، فوضعته بينه وبين الجدار، فقال لي: ادع أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، وذكر ناساً من أصحابه سمَّاهم، فجعلتُ أعجَبُ من كثرة من أمرني أن أدعوه، وقلة الطعام؛ إنما هو طعام يسير وكرهت أن أعصيه، فدعوتهم، فقال: انظر من كان في المسجد فادْعُهُ، فجعلت آتي الرجل وهو يصلي أو هو نائم، فأقول: أجب رسول الله ﷺ فإنه أصبح اليوم عروساً، حتى امتلأ البيت. فقال لي رسول الله ﷺ: هل بقي في المسجد أحد؟ قلت: لا، فقال: فانظر من كان في الطريق فادْعُهم. قال: فدعوت حتى

---

(١) تفسير الصاوي على الجلالين ج٣ ص٢٦٢.

(٢) طبقات ابن سعد ج٨ص ١٠٤.

امتلأت الحجرة فقال: هل بقي من أحد؟ قلت لا يا رسول الله ﷺ قال: هَلُمَّ التَوْرَ، فوضعته بين يديه، فوضع أصابعه الثلاث فيه (أي في التور) وغمزه (ضغط بأصابعه عليه) وقال للناس: كلوا بسم الله. قال أنس: فجعلت أنظر التمر يربو (يكثر) أو إلى السمن كأنه عيون تنبع حتى أكل كل من في البيت، ومن في الحجرة، وبقي في التور قَدْرُ ما جئتُ به، فوضعته عند زوجته، ثم خرجت إلى أمي لأعجِّبَها مما رأيت، فقالت: لا تعجب، لو شاء الله أن يأكل منه أهل المدينة كلهم لأكلوا.

قال ثابت البناني - رحمه الله - (وهو من أكابر التابعين الذين صحبوا أنساً رضي الله عنه) فقلت لأنس كم تراهم بلغوا؟ قال أنس: أحداً وسبعين رجلاً. وأنا أشك في اثنين وسبعين.(١)

أقول: وأنا أعجب أيضاً من كثرة الآكلين من طعام اثنين، فهذه بركة رسول الله ﷺ ومعجزة له، ولكن أعجب من ضيق الحجرة كيف اتسعت لأكثر من خمسين أو سبعين رجلاً !! وهذه معجزة أخرى!

٢ - روى ابن سعد في طبقاته أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: ما أولم رسول الله ﷺ على شيء من نسائه ما أولم على زينب، أولم بشاة.(٢)

قال الصاوي في تفسيره: فذبح النبي ﷺ شاة وأطعم الناس خبزاً ولحماً حتى تركوه، ولم يولم النبي ﷺ على أحد من نسائه، كما أولم على زينب.(٣)

من كرامة زينب نزول الحجاب: وذكر ابن سعد عن أنس قال: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش أطعمنا عليها اللحم والخبز حتى امتد النهار، وخرج الناس وبقي رهط (جماعة) يتحدثون في البيت، وخرج رسول الله ﷺ، وتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه ليسلم عليهن، فقلن: يا رسول الله كيف وجدت أهلك؟

---

(١) الطبقات لابن سعد ج٨ ص١٠٥.

(٢) الطبقات لابن سعد ج٨ ص١٠٧.

(٣) تفسير الصاوي على الجلالين ج٣ ص٢٦٢والطبقات لابن سعد ج٨ص١٠٧.

قال أنس: فما أدري، أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أُخْبِر ؟، فانطلق حتى دخل البيت، فذهبت، فقال بالباب بيني وبينه (أي أغلقه عليَّ) ونزل الحجاب، ووُعِظَ القوم بما وُعِظوا به. (بالآيات التي في سورة الأحزاب الآية ٥٢ وما بعدها)

يقول أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانت زينب بنت جحش تفخر على نساء النبي ﷺ تقول: إن الله أنكحني من السماء. وفيها نزلت آية الحجاب، قال أنس فكان القوم في بيت النبي ﷺ ثم قام فجاء والقوم كما هم، ثم جاء والقوم كما هم، فرئي ذلك في وجهه (أي الغضب) فنزلت آية الحجاب، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾الأحزاب: ٥٣.

عائشة تصف زينب وتثني عليها:

قالت – رضي الله عنها –: يرحم الله زينب بنت جحش، لقد نالت في هذه الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف؛ إن الله زوجها نبيه ﷺ في الدنيا ونطق به القرآن، وإنَّ رسول الله ﷺ قال لنا ونحن حوله: (أسرعكن لحوقاً بي أطولكن باعاً) فبشَّرَها رسول الله ﷺ بسرعة لحوقها به، وهي زوجته في الجنة. قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد النبي ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة – يرحمها الله – ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد بطول اليد، الصدقة.

قالت عائشة :وكانت زينبُ امرأة صَنَاعَ اليد، فكانت تدبغ وتخرز (الجلود) وتتصدق في سبيل الله.

ولما توفيت زينب قالت عائشة – رضي الله عنهما –: ذهبت حميدة فقيدة، مفزع اليتامى والأرامل.

ويروي لنا عروة بن الزبير عن خالته عائشة أنها لما توفيت زينب جعلت تبكي وتذكر زينب وتترحم عليها، وقالت: كانت امرأة صالحة. قال لها عروة: يا خالة أيُّ نساء رسول الله ﷺ آثر عنده؟ فقالت: لقد كانت زينب بنت جحش وأم سلمة لهما عنده مكان، وكانتا أحب نسائه إليه فيما أحسب بعدي.[1]

إنفاقها وصدقاتها: كما ذكرنا آنفاً أنها كانت امرأة ذات صنعة وتتصدق بما تصنع، وأرسل لها عمر بن الخطاب رضي الله عنه العطاء (المخصص من الغنائم لأمهات المؤمنين) فلما أدخل عليها قالت: غفر الله لعمر، غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني، وقالت: صُبُّوه (للمال) واطرحوا عليه ثوباً، ثم قالت (لامرأة كانت عندها) أدخلي يدك فاقبضي قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان وبني فلان، من أهل رحمها وأيتامها، (ومازالت توزع المال) حتى بقيت بقية تحت الثوب، فقالت لها المرأة: غفر الله لك يا أم المؤمنين، والله لقد كان لنا في هذا حق، فقالت: فلكم ما تحت الثوب، قالت: فوجدنا تحته خمسة وثمانين درهماً. ثم رفعت يدها إلى السماء، فقالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا. فماتت من عامها، فكانت أول أزواج النبي ﷺ لحوقاً به. ولما بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما صنعت بالمال قال: هذه امرأة يراد بها خير، فوقف على بابها وأرسل بالسلام، وقال: قد بلغني ما فرَّقت فأرسل إليها بألف درهم، فسلكت بها طريق ذلك المال.

وفاتها: توفيت - رضي الله عنها - سنة عشرين هجرية وعمرها ثلاث وخمسون سنة وصلى عليها عمر رضي الله عنه ودفنت في البقيع بجانب أزواج النبي ﷺ رضي الله عنها. (أخبارها في طبقات ابن سعد والسيرة النبوية).

٨- زينب بنت خزيمة أم المساكين:

كانت في الجاهلية تسمى (أم المساكين) وهي زينب بن خزيمة بن الحارث الهلالية - رضي الله عنها - وكان زوجها الأول الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف فطلقها، فتزوجها عبيدة بن الحارث، فقتل عنها يوم بدر شهيداً رضي الله عنها.

---

(١) - الطبقات لابن سعد ج٨ ص١١٤.

فخطبها رسول الله ﷺ فجعلت أمرها إليه، فتزوجها، وأصدقها (مهراً) اثنتي عشرة أوقية (من فضة) ونشاً (أي نصفاً)، وكان زواجه منها في شهر رمضان في السنة الثالثة من الهجرة، فمكثت عنده ثمانية أشهر، وتوفيت في آخر ربيع الآخر من السنة الرابعة، وصلى عليها رسول الله ﷺ ودفنها في البقيع. (كما في طبقات ابن سعد).

وتذكر كتب السيرة أنها كانت متزوجة من عبد الله بن جحش فاستشهد في أحد، فتزوجها رسول الله ﷺ سنة أربع وماتت بعد الزواج بشهرين أو ثلاثة، رضي الله عنها. (الرحيق المختوم).

٩- جويرية بنت الحارث الزوجة التي كانت بركة على قومها :

هذه الزوجة التي كانت بركة على قومها، لما تزوجها رسول الله ﷺ وكان ذلك بعد غزوة المريسيع، وكان قومها من بني المصطلق وقعوا في الأسر بعد الغزوة، فلما سمع الصحابة الكرام أن رسول الله ﷺ قد تزوجها، وبلغهم الخبر قالوا: أصهار رسول الله ﷺ يُسْتَرَقُّون ! فأعتقوا مَنْ كان في أيديهم من الأسرى الذين وقعوا في السبي من بني المصطلق، وبلغ عدد من أعتقوا مائة أهل بيت!

قالت السيدة عائشة: فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها ..

فما قصة زواجها؟ ومن هي في قومها؟

هي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار من بني المصطلق الخزاعيين، وكان أبوها الحارث رئيس بني المصطلق، وكان قد سار في قومه، ومن ألب معه من العرب يريدون حرب رسول الله ﷺ، وكانت منازلهم بين مكة والمدينة عند (قديد) فلما تأكد رسول الله ﷺ من سيرهم ومرادهم جهز جيشاً وسار إليهم في شعبان سنة ست للهجرة وأغار عليهم، وهم على ماء يسمى (المريسيع) وانتصر عليهم وسبى ذراريهم وأموالهم، وكان من جملة السبي جويرية بنت الحارث سيد القوم، وقد قعت في سهم ثابت بن

قيس فكاتبها فأدى عنها رسول الله ﷺ وتزوجها فأعتق المسلمون بسبب هذا التزويج مائة أهل بيت من بني المصطلق قد أسلموا، وقالوا أصهار رسول الله ﷺ. (الرحيق المختوم).

ولنستمع إلى السيدة عائشة تحدثنا عن قصة زواجها؛ قالت، وقعت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، وكانت تحت ابن عم لها يقال له: صفوان بن مالك بن خزيمة، ذو الشِّفر، فقتل عنها، فكاتبها ثابت بن قيس على نفسها (أجرى معها عقد مكاتبة، وهو أن تدفع له مالاً تفدي بها نفسها) عملاً بقوله تعالى:

﴿ ... فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ... ﴾

النور: ٣٣، على تسع أواق (من فضة) قالت عائشة: وكانت امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه. فبينا النبي ﷺ عندي، إذ دخلت عليه جويرية تسأله (أن يعينها) في كتابتها فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهت دخولها على النبي ﷺ، وعرفت أنه سيرى منها مثل الذي رأيت، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه، وقد أصابني من الأمر ما قد علمت فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبني على تسع أواق، فأعِنِّي في فكاكي، فقال ﷺ: أَوَخَيْرٌ من ذلك ؟ فقالت: ما هو ؟ فقال: أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك قالت: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: قد فعلتُ، وخرج الخبر، فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ يُستَرَقُّون فأَعْتَقُوا ما كان في أيديهم من سبي من بني المصطلق، فبلغ عتقهم مائة أهل بيت بتزوجه إياها، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها، وذلك مُنْصَرفُهُ من غزوة المريسيع (طبقات ابن سعد).

ويروي ابن سعد أيضاً رواية أخرى أن أباها الحارث جاء إلى النبي ﷺ فقال: إن ابنتي لا يسبى مثلها، فأنا أكرم من ذاك، فخل سبيلها، فقال ﷺ: أرأيت إن خيرناها أليس قد أحسنا ؟ قال أبوها: بلى وأديت ما عليك، فأتاها أبوها، فقال: إن هذا الرجل قد خَيَّرَكِ فلا تفضحينا، فقالت: فإني قد اخترت رسول الله ﷺ قال: والله قد فضَحْتِنا.

وهكذا كانت خطة رسول الله ﷺ بزواجه من نساء العرب، كما قدمنا في أول بحث أزواجه، استمالة القلوب المعادية، ونشر العلم والإسلام في صفوف النساء كما في الرجال.

وقد كان اسمها (برَّة) فسماها رسول الله ﷺ (جويرية) وضرب عليها الحجاب، وكان يقسم لها كما يقسم لنسائه.

ونشأت نشأة العبادة والذكر والتقوى في بيت رسول الله ﷺ بعد أن أسعدها الله سبحانه باختيارها لرسول الله ﷺ بالإسلام والإيمان كباقي زوجات النبي ﷺ، وكانت لا تبارح مصلاها بعد صلاة الصبح إلى ارتفاع الضحى تذكر الله سبحانه وتسبح وتحمد الله كما تعلمت من رسول الله ﷺ.

وخرج رسول الله ﷺ مرة من عندها حين صلى الفجر فجلس حتى ارتفع الضحى، ثم جاء وهي في مصلاها، فقالت: مازلت بعدك يا رسول الله، دائبة (مستمرة في ذكر الله وتسبيحه) فقال لها النبي ﷺ: لقد قلت بعدك كلمات لو وُزِنَّ لرجحنَ بما قلتِ؛ قلتُ: (سبحان الله عدد ما خلق، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته).

وكان لها مع الذكر محبة لصوم النفل أيضاً، فدخل عليها رسول الله ﷺ يوم جمعة وهي صائمة، فقال لها: أصمت أمسِ (الخميس)؟ قالت: لا. قال: أفتريدين أن تصومي غداً (السبت)؟ قالت: لا. قال: فأفطري. وهذا من هديه (في صيام النفل ألا يفرد يوم الجمعة بصوم دون يوم قبله أو بعده).

وقد استمرت حياتها الكريمة لدى رسول الله ﷺ إلى ما بعد وفاته، حيث أكرمها الله سبحانه، وأكرم قومها ببركتها، بالإسلام والإيمان وحب الرسول ﷺ.

وفاتها: وتوفيت في المدينة المنورة في شهر ربيع الأول سنة (٥٠) من الهجرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصلى عليها واليه على المدينة مروان بن الحكم، ودفنت في البقيع مع أزواج الرسول ﷺ.

وعاشت مع رسول الله ﷺ ما يزيد عن أربع سنين، إذ تزوجها الرسول الكريم ﷺ وهي بنت عشرين سنة، وتوفيت وهي ابنة خمس وستين سنة رضي الله عنها.[1]

١٠ - صفية بنت حيي بن أخطب التي رأت القمر وقع في حجرها:

وهذه المرأة أيضاً أكرمها الله سبحانه بالإسلام بعد أن كانت عند طاغوت من طواغيت الكفر (اليهود) وهو (سلَّام بن مشكم) ثم فارقها، فتزوجها كنانة بن أبي الحقيق النضري الذي قتل عنها في معركة خيبر، وأبوها طاغوت كبير أيضاً من طواغيت يهود (حُيَيّ بن أخطب). فاستنقذها الله سبحانه بالإسلام وبالزواج من رسول الله ﷺ.

ولنستمع إلى قصة زواجها كما رواها ابن سعد في الطبقات قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر وغنَّمه الله أموالهم، سبى صفية بنت حيي، وبنت عم لها من (حصن القَمُوص) فأمر بلالاً أن يذهب بهما إلى رحله، فكان لرسول الله ﷺ صَفِيٌّ من كل غنيمة (أي يختار من الغنائم ما يستحقه بنص القرآن) فكانت صفية مما اصطفى يوم خيبر، وعرض عليها رسول الله ﷺ أن يعتقها إن اختارت الله ورسوله، فقالت: أختار الله ورسوله، وأسلمت وأعتقها وتزوجها وجعل عتقها مهرها، ورأى رسول الله ﷺ بوجهها أثر خضرة قريباً من عينها فقال: ما هذا؟ قالت: **يا رسول الله، رأيت في المنام قمراً أقبل من يثرب حتى وقع في حجري، فذكرت ذلك لزوجي كنانة، فقال: تحبين أن تكوني تحت هذا الملك الذي يأتي من المدينة؟ فضرب وجهي ..**

(وبقي رسول الله ﷺ ما يزيد على شهر في خيبر، ولم يخرج منها حتى انتهت عدة صفية بحيضة) فخرج رسول الله ﷺ من خيبر ولم يعرِّس بها، وأناخ رسول الله ﷺ البعير لصفية لتركب ووضع رجله لتضع قدمها على فخذه وتركب، فلم تفعل، ووضعت ركبتها على فخذه، وسترها رسول الله ﷺ وحملها وراءه، وجعل رداءه على ظهرها

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ ص (١١٦- ١٢٠)

ووجها، وجعلها بمنزلة نسائه، فلما صار إلى منزل يقال له: (تبار) على ستة أميال من خيبر مال (إليه) يريد أن يعرِّس بها فأبت عليه، فوجَدَ (غضب في نفسه) من ذلك، فلما كان بالصهباء، وهي على بريد من خيبر (أبعد من الأول) قال رسول الله ﷺ لأم سُلَيْم: ((عليكُنَّ صاحبتكن)) فأصلحت أم سُليم وأم سِنان حال العروس ومشَّطتها وعطَّرتها (ثم دخل عليها رسول الله ﷺ وقضى ليلته تلك عندها) [١].

تقول أم سليم، فسألتها عما رأت من رسول الله ﷺ، فذكرت أنه سُرَّ بها، ولم ينم تلك الليلة، ولم يزل يتحدث معها، وقال لها: (ما حملك على الذي صنعت حين أردت أن أنزل المنزل الأول فأدخل بك ؟ فقالت: خشيت عليك قرب يهود، فزادها ذلك عند رسول الله ﷺ).

وليمة العرس: ولما أصبح رسول الله ﷺ أَوْلَم وليمة العرس، وكانت الوليمة – كما تحدثنا أم سُليم – الحَيْسُ (وهو التمر مع السمن) ومعه الإقط وجعلوا المائدةَ الأنطاعَ (الجلود) التي كانت معهم، فتغدى القوم يومئذ، ثم راح رسول الله ﷺ فنزل (القصيبة) على طريق العودة إلى المدينة.

تقول أم سليم: فُحِصت الأرض أفاحيص، (جعلت حُفراً كالقدور) ثم مد عليها الأنطاع ثم جعل فيها السمن والإقط والتمر.

ويقول ابنها أنس بن مالك: لما أصبح رسول الله ﷺ (بعد تعريسه بصفية) قال: من كان عنده فضل زاد فليأتنا به، قال أنس: فجعل الرجل يأتي بفضل السويق (القمح المحمص) والتمر والسمن حتى جمعوا من ذلك سواداً، فجعلوا حيساً يأكلون منه ويشربون من (ماء مطر نزل في الليل) إلى جنبهم، فكانت تلك وليمة رسول الله على صفية.

---

(١) – طبقات ابن سعد ج ٨ ص١٢٣.

وكان أبو أيوب الأنصاري حارساً على باب النبي ﷺ ليلته تلك، فلما أصبح رسول الله ﷺ كبَّر ومع أبي أيوب السيف، فقال: يا رسول الله، كانت جارية حديثة عهد بعرس، وكنت قتلت أباها وأخاها وزوجها، فلم آمنها عليك، فضحك رسول الله ﷺ وقال له خيراً.

مؤانسة الرسول الكريم ﷺ لها: لما دخلت صفية على النبي ﷺ قال لها: لم يزل أبوك من أشدِّ يهود لي عداوة حتى قتله الله، فقالت: يا رسول الله، إن الله يقول في كتابه العزيز: ﴿ ...وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى... ﴾ الأنعام: ١٦٤، فقال لها رسول الله ﷺ: إختاري، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك، فقالت: يا رسول الله، لقد هويت الإسلام، وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك ومالي في اليهودية أرب

(رغبة) ومالي فيها والد ولا أخ، وخيرتني الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي.

نساء المسلمين ينظرن إليها: تقول أم سنان الأسلمية (وكانت مع أم سليم فيمن أصلح عروسه صفية لرسول الله ﷺ): لما نزلنا المدينة لم ندخل منازلنا حتى دخلنا مع صفية منزلها، وسمع بها نساء المهاجرين والأنصار فدخلن عليها متنكرات، فرأيت أربعة من أزواج النبي ﷺ متنقبات، زينب بنت جحش، وحفصة وعائشة وجويرية، ينظرن إليها، فأسمع زينب تقول لجويرية: يا بنت الحارث، ما أرى هذه الجارية إلا ستغلبنا على عهد رسول الله ﷺ، فقالت جويرية: كلا إنها من نساء قلَّ ما يحظين عند الأزواج !!

وكان عمرها - رضي الله عنها - حين تزوجها رسول الله ﷺ سبع عشرة سنة. وظلت على منزلتها عند رسول الله ﷺ وظل رسول الله ﷺ أثيراً ومكرماً عندها، وقد اجتمع نساؤه في مرض وفاته ﷺ فقالت صفية:

(والله يا نبي الله، لوددت أن الذي بك (من الوجع) بي، فغمزها الزوجات الأخريات وأبصرهن رسول الله ﷺ فقال لهن: مضمضن (أفواهكن) فقلن: من أي شيء يا نبي الله؟ قال: من تغامزكن بصاحبتكن، والله إنها لصادقة.

وكانت - رضي الله عنها - من الذين كانوا يمدوّن عثمان ﷺ عندما حصر من قِبَل الثائرين من جماعة ابن سبأ، ومنعها الذين تجمعوا حول الدار من الدخول عليه وضربوا بغلتها، فعادت، ثم نصبت خشباً من منزلها إلى منزل عثمان ﷺ تنقل إليه الماء والطعام.

وفاتها: توفيت - رضي الله عنها - سنة (٥٢) هجرية في خلافة معاوية بن أبي سفيان، ودفنت في البقيع وعمرها تجاوز ستين عاماً رضي الله عنها وأرضاها. (أخبارها في طبقات ابن سعد، والسيرة النبوية لابن هشام، والرحيق المختوم).

١١ - ريحانة بنت زيد النضرية التي اختارت الله ورسوله:

هي ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة من بني النضير، وكانت متزوجة رجلاً من بني قريظة يقال له الحكم .

ولما حارب رسول الله ﷺ بني قريظة كانت، فيمن وقع عليهم السبي (الأسر) وكانت عند زوجها، وهو محب لها ومكرم، فلما قتل، قالت ريحانة: لا أستخلف بعده أبداً، وكانت ذات جمال، فلما عُرِض السَّبْيُ على رسول الله ﷺ قالت: كنت فيمن عرض عليه فأمر بي فعزلت، وكان يكون له صفي من كل غنيمة، قالت: فلما عزلت خار الله لي فأرسلني رسول الله ﷺ إلى منزل أم المنذر سلمى بنت قيس أياماً .. ثم دخل عليَّ رسول الله ﷺ فتحييت منه حياءً فدعاني فأجلسني بين يديه فقال: (إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله لنفسه).

فقلت: إني أختار الله ورسوله، فلما أسلمتُ، أعتقني رسول الله ﷺ وتزوجني، وأصدقني (مهراً) اثنتي عشرة أوقية ونشاً، كما كان يصدق نساءه، وأعرس بي في بيت أم المنذر، وكان يقسم لي كما كان يقسم لنسائه، وضرب عليَّ الحجاب.

قال ابن سعد: وكان رسول الله ﷺ معجباً بها، وكانت لا تسأله إلا أعطاها ذلك، وقيل لها: لو كنت سألت رسول الله بني قريظة لأعتقهم، وكانت تقول: لم يَخْلُ بي حتى فرَّق السبيَ، ولقد كان يخلو بها ويستكثر منها، فلم تزل عنده حتى ماتت لما رجع من حجة الوداع، فدفنها في البقيع، وكان زواجه منها في المحرم، سنة ست من الهجرة.

وهناك رواية في طبقات ابن سعد تقول: إنها خيرها بين أن يعتقها ويتزوجها، وبين أن تبقى (أمَةً) ملك اليمين؟ فقالت: يا رسول الله، أكون في ملكك أخفُّ عليَّ وعليك. فكانت في ملكه حتى ماتت. والراجح أنها اختارت الزواج من رسول الله ﷺ بعد إسلامها وعتقها. رضي الله عنها وأرضاها. (طبقات ابن سعد، الرحيق المختوم).

١٢ - ميمونة بنت الحارث الهلالية آخر أزواج رسول الله ﷺ:

هي ميمونة بنت الحارث بن حَزْن الهلالية، أخت أم الفضل زوجة العباس عم النبي ﷺ خطبها رسول الله ﷺ بعدما توفي زوجها (أبو رهم بن عبد العزى) من عمه العباس، وكان يلي أمرها.

كان هذا في شوال بعدما تجهز رسول الله ﷺ لأداء عمرة القضاء (التي صدَّه عنها المشركون بعد الحديبية) وذلك عام سبع من الهجرة وكانت جعلت أمرها إلى العباس بعد وفاة زوجها، فعقد عليها قبل أن يحرم من ميقات العمرة في ذي الحليفة، ثم بنى بها بعد أن خرج من مكة وأنهى عمرته هو والمسلمون الذين معه.

وكان من شروط صلح الحديبية ألا يعتمر المسلمون عامهم ذاك، بل يأتوا في العام القادم ولمدة ثلاثة أيام فقط ، فلما أنهى رسول الله ﷺ هو والمسلمون الذين كانوا معه مناسك العمرة ، طلب منهم المشركون مغادرة مكة، فطلب منهم رسول الله ﷺ البقاء أياما أخرى ويبني بزوجته ميمونة ويولم لهم وليمة العرس فأبوا عليه، فغادر هو وأصحابه الكرام خارج مكة إلى مكان يقال له: (سَرِف) وهو على طريق المدينة المنورة بعد مكة بحوالي (٢٠ كم) ويسمى الآن (النورية) فبنى بها هناك، وأقام ثلاثة أيام، ثم ارتحل هو والأصحاب الكرام إلى المدينة المنورة.

وكان اسمها برَّة فسماها رسول الله ﷺ (ميمونة) وكانت تحدِّث أنها اغتسلت مع رسول الله ﷺ من إناء واحد فيه أثر لعجين، وقالت: اغتسلت من جفنة (إناء يوضع فيه الماء) ففَضَلَتْ فضلة، فجاء النبي ﷺ فاغتسل منها، فقلت: إني قد اغتسلت منها، فقال: ليس على الماء جنابة.

وحدثت عن تواضع رسول الله ﷺ وحلمه أنه كان مرة في ليلتها، قالت: خرج ذات ليلة من عندي، فأغلقت دونه الباب، فجاء يستفتح الباب، فأبيت أن أفتح له فقال: أقسمت إلا فتحته لي، فقلت له: تذهب إلى أزواجك في ليلتي هذه؟ قال: (ما فعلت ولكن وجدت حَقْناً من بولي). فعليك الصلاة والسلام يا سيدي، يا رسول الله ما أحلمك وما ألطفك!

قالت عنها عائشة - رضي الله عنها -: أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم.

ودخل عليها أحد أقاربها، فوجدت منه ريح شراب، فقالت: لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدونك، لا تدخل بيتي أبداً.

وعاشت بعد رسول الله ﷺ وكانت آخر أزواجه وفاة، وكان لها يوم توفيت ثمانون سنة في خلافة يزيد بن معاوية عام (٦١) هـ وماتت في مكة فحملها عبد الله بن عباس ودفنها بسرف، في موضع زواجها برسول الله ﷺ، وقبرها في سرف معروف اليوم عليه جدار على يمين الطريق القادم إلى مكة رحمها الله ورضي عنها.

عدد زوجات النبي ﷺ:

فهذه عِدَّةُ زوجات النبي ﷺ التي ذكرناهن آنفاً، وقد مات منهن ثلاث في حياته وهن: خديجة قبل الهجرة، وزينب وريحانة بعد الهجرة، وقبض رسول الله ﷺ عن تسع منهن وكن في عصمته، وهنَّ: عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وأم حبيبة، وزينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، وصفية بنت حيي النضرية، رضي الله عنهن جمع.

أما مارية القبطية أم إبراهيم:

فإنها كانت سريَّة (أَمَةً) أهداها له المقوقس ملك مصر، ومعها أختها سيرين فأعطاها لحسان بن ثابت، وقد ولدت مارية لسيدنا رسول الله ﷺ ابنه إبراهيم. وتوفي في حياة رسول الله ﷺ ولما يكمل عمره السنتين، وقد أسكنها رسول الله ﷺ

أول ما قدمت من مصر في بيت لحارثة بن النعمان، وكانت جارة لأزواج النبي ﷺ.

تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها -: ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية، وذلك أنها كانت جميلة من النساء جعْدة، وأعجب بها رسول الله ﷺ ، وكان أنزلها أول ما قُدم بها في بيت لحارثة بن النعمان، فكانت جارتنا فكان رسول الله ﷺ عامة النهار والليل عندها حتى فزعنا لها، فجزعت (خافت) فحولها إلى العالية، فكان يختلف إليها هنا (يتردد عليها في العالية، وهي من ضواحي المدينة) فكان ذلك أشد علينا، ثم رزقه الله منها الولد وحرمنا منه.(١)

وكانت هي التي حرَّمها رسول الله على نفسه، كما يروي القاسم بن محمد قال: خلا رسول الله ﷺ بجاريته مارية في بيت حفصة، فخرج النبي ﷺ وهي قاعدة على بابه، فقالت: يا رسول الله أفي بيتي وفي يومي؟

فقال النبي ﷺ: هي عليَّ حرام فأمسكي عني، قالت: لا أقبل دون أن تحلف لي، فقال: والله لا أَمَسُّها أبداً، فأنزل الله قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ① قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾ التحريم: ١، ٢.

وفاتها: وتوفيت مارية - رضي الله عنها - في المحرم سنة ١٦هـ وصلى عليها سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنها - مع المسلمين، ودفنت في البقيع بجانب أزواج النبي ﷺ.

وعقد رسول الله ﷺ زواجه على:

فاطمة بنت الضحاك الكلابية، ولم يدخل بها، فارقها قبل الدخول عندما طلبت منه اللحوق بقومها.

(١) - ابن سعد ج٨ ص٢١٢.

وكذلك أسماء بنت النعمان الكندية، التي استعاذت منه عندما دخل عليها، ففارقها أيضاً ولحقت بأهلها.

وتذكر كتب التفسير والسيرة أيضاً أن أم شريك، غُزَيَّة بنت جابر بن حكيم الدوسية، وهبت نفسها للنبي ﷺ، ولم يقبلها رسول الله ﷺ فلم تتزوج حتى ماتت.

منازل نساء النبي ﷺ:

وكانت منازلهن بجانب المسجد، إذا تزوج واحدة بنى لها حجرة بجانب حجرات من سبقها من الطرف الشرقي للمسجد النبوي.

حياة النبي ﷺ مع أزواجه:

وواضح من خلال استعراض حياتهن مع النبي ﷺ أنه كان مثال التواضع، والعطف والرحمة واللين، يشمل ذلك كله حلم عظيم منه عليهن، وعلى غيرتهن، وعلى ما كن يفعلنه معه، مما تفعله الزوجات، وكان يحلم عليهن ويضحك من صنيعهن، ويقسم أيضاً لهن أيامهن معه، ويزور كل واحدة في ليلتها، وكان يغتسل أحياناً غسلاً واحداً من الجميع والغالب يغتسل لكل مرة، ليبين لنا الجواز، وكانت ترتفع أصواتهن عليه، ويحلم، وكن يقاطعنه أحياناً، ويوصدنَ الباب دونه، إذا غضبن.

ولما طلبن منه زيادة النفقة، ونزلت الآيات، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾الأحزاب: ٢٩. فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة رضي الله عنهن جمع.

وكما أسلفنا من الحكمة في تعدد زوجاته ﷺ، ومنها نقل أخبار حياته البشرية العادية للناس، وما يجري بين الزوج والزوجة؛ ليمكن للناس الاقتداء بها، فكان يجري مع أزواج رسول الله ﷺ ما يجري بين عامة الناس.

فهذه حياته الحياة البسيطة غير المعقدة، والتي هي في حقيقتها تواضع ورحمة، وصفح وعفو، وبساطة، والإنفاق مما رزق الله وقدَّر، وعدم التطلع إلى ما هو غير موجود، حياة أقرب ما تكون إلى الفقر وقلة ذات اليد، رغم ما أفاء الله عليه من الغنائم والأنفال؛ ليستطيع أن يقتدي بها الغني والفقير، والكبير والصغير، والأمير والأجير، وإن المقصود هو رضوان الله سبحانه، وعبادته، وعدم التبسط في الدنيا؛ حتى لا يحرم من نعيم الآخرة.

الفصل الثالث

قطوف من رياض الكتب عن الأزواج والزوجات

الحب هدية من الله للعروسين:

١- من كتاب (أضواء نحو بيت سعيد) للأستاذ محمد كامل الشريجي: اخترنا هذه القطوف:

كيف يبنى الحب وينمو في بيت الزوجية؟ إن أول ما يبارك الله للزوجين يغرس فيهما نبتة الحب كغرس نبتة حب الأمومة والأبوة، وهو أشبه بالسماد للنبات ليقوى فيثمر وينمو.

وقد غرس الله هذه الغرسة؛ ليعيش الزوجان بها حياة جديدة وجميلة، وكان لابد من هذه الغرسة؛ ليعيش الزوجان بها حياة جديدة وجميلة، وكان لابد من هذه الغرسة الإلهية بعد غربة وفراق طويل بين الزوجين اللذين جمع بينهما القدر في الوقت الذي أذن الله به وإلى هذا أشارت الآية: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾الروم: ٢١.

وهذه النبتة والهدية تقع بعد ليلة الزفاف وليس بمجرد عقد الزواج بينهما لتحقيق الغاية من الزواج، ولولا هذه الهدية من الله الدالة على حكمته البليغة لكان من العسير جداً أن يأتلف جسمان ويتقبلا التعايش والاندماج رغم تفاوتهما أحياناً أفكاراً ومشاعر وتربية.

وإذا ما لاحظنا عدم نمو هذه النبتة أو غيابها، فالعلة هي التقصير في رعاية هذه النبتة، ومن سوء تدبير في تعهدها وسقايتها سواء كان ذلك من قِبَل الزوج أو الزوجة أو أهلهما، كما يقصر الفلاح في سقاية النبتة وفي رعايتها بعد غرسها فتذبل، وقد تموت فيخسر ما غرس وما بنى، فالله سبحانه قال بشأن الزوج والزوجة: ﴿ **لَكُم مِّنْ**

أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ الروم: ٢١، فهي مقدرة وعليك أن تبحث عنها بوسائلك، فلا شأن لك في تغيير أو تبديل، لأن الله منذ الأزل خلقها لك. أما من حيث غرس هذا الحب، فقوله سبحانه (جعل) لا بلفظ (خلق) فهو أوجد لك النبتة وعليك رعايتها، فانتبه إلى الفرق بينهما.

الحب وقنواته:

صحيح إن حقيقة الحب هو معنى وجداني غير ملموس، ولا محسوس محله القلب ومكامنه المشاعر والنفس والوجدان ولكن لهذا الحب الوجداني قنوات محسوسة وملموسة يعبر كل من الزوجين بطريقتهما عن مشاعر الحب المتمكن في قلبيهما. وموضوعنا هذا هو أن نتعرف على بعض من هذه القنوات، وصولاً للغاية العظمى من الزواج (وهو الحب الذي يغمر أفراد الأسرة جميعاً؛ لتكون الخلية النقية لبناء المجتمع الإنساني والإسلامي) ولتتجنب الأسرة بسبب هذا الحب كل شوائب العلاقات الأسرية، ويؤتي الزواج ثمره بعد حين بإذن ربه). ا.هـ ص٢١ -٢٢ ثم قال:

قنوات هذا الحب:

١- **الحرص على تبادل عبارات الحب في كل يوم من أيام الزواج**، ولذلك طرق شتى تناسب الحال والمقال؛ كلمة رقيقة، هدية على غير انتظار ..

ولقد أشار إلى كل منها أدب الإسلام في تبادل الحب في العلاقات الزوجية في قوله ﷺ: (تهادوا تحابوا) وفي دعوته إلى أن يصرح الصديق لصديقه إذا لقيه وألفته نفسه وروحه، فيقول له: (إني أحبك) والزوجة أولى بأن يقول لها الزوج: إني أحبك، ويكررها لها، وقد يرى بعض المتعصبين غضاضة من هذا التصريح، فلا حق لهم في ذلك مادام التوجيه النبوي قد دعانا إليه.

وقد يتذرع بعضهم، فيقول لا داعي لهذا، فالزواج معناه الحب، وردُّنا: بأن ذلك لا يكفي لدوام المحبة، بل لابد من التصريح بالحب، فالكلمات تستطيع إحياء مشاعر

الحب والإبقاء عليه قوياً ثم إن إظهار مشاعر الحب والإبقاء عليه قوياً، خير من كتمانها في النفس ..

ولعل أبلغ ما عرف من تبادل كلمات الحب العظيمة بين الزوج والزوجة هو ما جرى بين الرسول الكريم ﷺ وبين زوجته السيدة عائشة - رضي الله عنها - فقد قال لها: (أنتِ أحلى عندي من تمر وعليه زبدة) فأجابته بكل رقة وحنان: (وأنتَ أحلى عندي من عسل وعليه زبدة).

وبصراحة نقول: إن تجنب مثل هذا الغزل بين الزوج والزوجة معاند للفطرة ومخالف لأدب النبوة في الحب وضد طبائع الأشياء ومن خالف ذلك، فهو في شباك التكلف والتصنع، وهذا مما لا يحبه الله، ومن أشد العجب أن نصرح بالألفاظ النابية ونقذف بها بعضنا دون خجل، ولا نحاول كبتها كما نكبت الألفاظ الناعمة والأصوات الرقيقة.

٢- **مراجعة الزوجين لأحوال أُسرةٍ سعيدة جادين في التعرف على أسباب سعادتها** ووسائل نمو الحب فيها والتلاؤم الحاصل فيها، ويقتديان بها فلا بأس بذلك، فالتعلم مفيد والحكمة ضالة المؤمن أين وجدها التقطها بل هو أحق بها؛ فالخبرة والقدوة حتى في هذا لا تنكر، فمن محاسنها أنها تُقَصِّرُ عليك المدة وتجنِّبُكَ الأخطاء والفشل وتوصلك بسرعة إلى السعادة الزوجية وأسرارها، فالأسوة الحسنة بأمثال هذه الأسر دليل على رجاحة العقل وجودة الفكر وحسن الاختيار.

٣- **العلاقة الجنسية هي الوسيلة المهمة من وسائل التواصل والتعبير**، وهذا لا يعني أن الجنس هو أهم نواحي هذه الحياة عند الزوجين، بل إنما يعبران عن التواصل الروحي والجسدي، وهي إحدى وسائل التعبير عن الحب وهي أول إحساس يعرفه الإنسان منذ باكر طفولته، يبعث عنده الشعور بالطمأنينة والراحة والقرب، والعلاقة الجنسية في الشريعة عبادة يثاب الإنسان عليها، وما كان لها هذه الأهمية إلا لأنها وسيلة من وسائل التعبير عن الحب والرضا وهما قوام السعادة في الحياة الزوجية، وعلى الزوجين أن يوفِّقا بين التزاماتهما في الأعمال، وبين خلوة كل منهما

مع شريك حياته، ولا وجود لأي شيء في الدنيا يبرر الامتناع عن مثل هذه المخادنة والتقليل من أهميتها بحجة الانشغال بالعبادة وشؤون الدنيا.

والمخادنة الجنسية التي نتكلم عن أهميتها وعن آثارها في جو السعادة الزوجية هي التي أحلها الله ونظمها على وجه فيه كل الطهارة والحب والوداد، فالعلاقة الجنسية هي وثيقة الصلة بمشاعر الحب والحنان بين الزوجين، وإن مِثّلَ هذه القناة في نمو الحب وبنائه، تجعل في الزواج حياة متجددة نامية على الدوام، وإذا أُهْمِلَتْ وكانت النظرة إليها مغلوطة أو سطحية أصبحت الحياة الزوجية بلا روائح زكية، ولا عطور شجية، ولا قطرات ندية، ولا لمسات ناعمة، ولا همسات خفية.

٤ - ومن الأهمية بمكانٍ في بناء الحب ونموه؛ هو التبادل الدائم لعبارات التقدير والاحترام بين الزوجين في المحادثة والنداء وحين اليقظة في الصباح والعودة إلى النوم في المساء وفي كل ما يشعر أن كليهما له قيمة عند الآخر كأن ينادي كل منهما على الآخر باللقب والاسم الذي يحبه وفيه معنى الاحترام والتقدير كأن يقوم له إذا دخل وكان غائباً ؛ويبادر بإجلاسه في المكان اللائق ولو كان هذا في بيته، فالمعول على الشعور بالاهتمام والاحترام، ولا تبدأ بالطعام قبل حضوره، أو يبارك لها إذا لبست ثوباً جديداً ويصبِّح عليها في وقت الصباح وتهتم به إذا كان قادماً من سفر .. وهكذا فهي أحق بذلك وهو أحق أيضاً بهذا من إظهار اللباقة والذوق والكلام الحسن للآخرين ومن الأصدقاء والغرباء. فمثلاً لا تسمع الزوجة من زوجها: (هنيئاً) إذا شربت ولا كلمة (رحمكِ الله) إذا عطست وهكذا فالاستهانة بذلك غلط ووحدة الحال والأهل لا يمنع من ذلك الاحترام المتبادل مطلوب .

فالتجربةُ لزواجٍ ناجح أثبتَتْ أن ذلك أمر مهم وضروري في ديمومة الحياة الزوجية المصحوبة بالاحترام (فحب بلا احترام لا يدوم).

٥- إشعار كل منهما بأنه مستمتع تماماً بإنجازات أعمال كل منهما مع الآخر، سواء كان عملاً تؤديه الزوجة في تدبير منزلها وتربية أولادها، أو عملاً يؤديه

الزوج في أعماله المكتبية، ومثل ذلك في لباس ترتديه أو وجبة طعام تحضرها ولا يبخل الزوج بالتعبير عن اعتزازه بأعمالها وبهجته بها وبحركاتها وأعمالها اليومية وهذا ما يسمى (بالوعي الدائم) لكل من الزوجين، وهو بالنسبة لبعض النساء الحب ذاته، فالشعور بالإعجاب بها وبما تؤديه هو أغلى ثمن يدفعه الزوج لكسب قلب زوجته، والسيطرة على مشاعر الحب والاحترام المكنونة فيها، فقد ذكرت لي سيدة أنها تكون متعبة من تربية أولادها وأعمالها المنزلية، فإذا جاء زوجها من عمله ودعا لها بالعافية وقدَّر لها أعمالها وشكرها ذهب عنها ثقل تعبها وعادت العافية إلى بدنها وأدخل بذلك السرور على نفسها، ثم قالت: وينعكس ذلك حين يتجاهل أو لا يقدر ذلك، فحُبٌّ بلا تبادل الاحترام والتقدير لا يدوم، فالألفة الزائدة التي تنشأ عن مراعاة ما ذكرناه قناة مهمة إلى نمو الحب وإذكائه وهو في الوقت نفسه تربية للأولاد وتعليمهم على ذلك ويسود في جو الأسرة بشكل عام (جو الاحترام المتبادل والحب والحنان) وهو كسب حقيقي للقلوب، والسيطرة على مشاعر الحب المكنونة، فيخرجها من أكنانها ويستحوذ على قلبها، فالنفس بالفطرة تحب من يعجب بها ويقدرها، ومن يجرب يربح ولا يخسر وينتصر ولا ينهزم.

٦- **بأن يتقبل الطرفان بصدر رحب طلبات كل منهما للآخر**؛ لأن الطلبات والعمل على تأمينها هي جزء لا يتجزأ من كل علاقة زوجية سعيدة، وكذلك طريقة تقبلنا لها وصبرنا عليها كلها أُسُسٌ في بناء الحب وقوة العلاقة بين الزوجين، ويَشْعُرَان أنَّ مصير كل منهما مرتبط بالآخر، وهذا يفوق في شدته وتأثيره من التلاحم الجسدي بين الزوجين، وإن استعداد كل من الزوجين لتنفيذ هذه المشورة الزوجية في بناء أسس الحب ونموه لدليل على الوعي الدائم للزوجين المتحابين اللذين يشتركان معاً وفق الظروف المتاحة على الكشف عن دخائل النفس، وما تنطوي عليه من مكنون الحب والتضحية وارتباط المصير، وهذا أمر متيسر لكل من أراد في بيته زواجاً سعيداً.

أهم قناة لكشف الحب: هناك مقولة في الزواج السعيد تقول: إن الزوجين السعيدين يَشْعُرانِ أنهما لبعضهما في ساعات المرض والشدة والأزمات، ويُخْلِصَان في رعاية

مصالح بعضهما ويحرصان على رفاهية بعضهما بعضاً، فالشدائد المؤلمة والمحرجة هي أكثر أهمية في الكشف عن دخائل النفس واستعدادها لاستمرار هذا الحب أو ضعفه أو التضحية أو وحدة المصير .. وتحضرني قصة ذلك الرجل الصالح والمحب لزوجته، فقد مرضت زوجته وطال مرضها واستطلق بطنها وصبر عليها وكان يزيل النفايات من تحتها ولم يُمَكِّنْ أمها وأختها في ذلك؛ خوفاً من مِنَّتِهِمَا عليها إذا شُفِيت، ثم قال: لن أتزوج وإن طال مرضها؛ لئلا أجمع بذلك عليها مرضين مرضاً حسياً ومرضاً معنوياً.

ولم يستطع الخيال أن يحيط بمقدار هذا الحب والحنان والمشاعر العظيمة التي تفجرت عند زوجته نحوه، وبالأخص حينما علمت مقدار كرامتها عنده، فهو يحرِصُ ألا يكون لأحدٍ عليها مِنَّة في حال ضعفها حتى ولا أمها ولا أختها، ولازال بها بهذا العطاء من التضحيات و المشاعر، حتى شفيت وعافاها الله.

وحدث أن الزوج بعد مدة مَرِضَ وأقعدَه مرضُه عن الخروج لقضاء حاجته، فعاملته بالمثل في الطيب وفي دوافع الحب والرضا والصبر. فنمى الحب بينهما بعد ذلك واستمر وظلل الأسرة والأولاد، فكان يسمى بحق بالزواج السعيد.

اختبار مقدار الحب: وإن تقدير مشاعر الرضا والغضب والحزن والفرح والشدة والرخاء عند كل من الزوجين لبعضهما هو المحك الصحيح لمقدار الحب والإخلاص ووحدة المصير عند كل منهما، تَصوَّرْ مثلاً أن زوجاً لا يجلس إلى جانب زوجته في أثناء ولادتها، وتشعر الزوجة أن جلَّ اهتمامه أن يُبَلَّغَ بالهاتف بالنهاية، وهو جالس في مقهى أو عند رفاقه، أو زوجاً آخر ليس له من اهتمامه بزوجته إذا مرضت إلا أن يعطيها أجر المداواة ويدعها تذهب إلى الطبيب وإحضار الدواء دون أن يكون إلى جانبها يتعرف من الطبيب على مقدار مرضها وأسباب آلامها.

وأشد من هذا وذاك ذلك الزوج الذي لم يقدر مشاعر الحزن والأسى عند زوجته بوفاة أمها، فيغازلها ويطلب منها المخادنة الزوجية، وهي لازالت في حزنها الشرعي فتحس من أعماقها بعدم تقدير مشاعرها، حتى في أشد حالات تأثرها وحزنها، فهو

ضحية شهواته وفدائي في سبيل قضاء حاجاته، وأصحاب الطباع الغليظة يرون في هذا تسلية وتخفيفاً، وهذه هي من الأعذار التي هي أقبح من الذنوب.

ما قيل هذا في حق الزوج يقال أيضاً في حال تصرفات الزوجة وتجاهلها لمشاعر زوجها حين الشدائد والمناسبات المهمة. أليس في كل هذا تحريك لمشاعر الكراهية والأنانية وحب الذات وعدم الاهتمام وإضعاف لدوافع الحب والتضحية والالتزام في دوام الحياة الزوجية وإسعادها .

ولا أنسى أن أنوه بأن من أشد عوامل إضعاف الحب بين الزوجين حديث كل منهما عن عيوب الآخر والتنقيب عن الجوانب السيئة والسلبية، رغم الاعتقاد بأن الكمال ليس محتماً ولابد من الخطأ، فلذلك على كل منهما والحالة هذه أن يحاول الاستمتاع بالنواحي الإيجابية لكل منهما بدلاً من النظر إلى السلبيات، فيبدو من خلال النظر إلى وجوه الأسرة بأنها عابسة ومقطبة ويخيم عليها التشاؤم، فيضعف الحب ويفقد الود وينعدم الحنان.

إن مثل هذه النماذج في الحياة الزوجية على النحو الذي ذكرنا يحوِّل الزوجين ويجعلهما يتعايشان وكأنهما كتلتان من رصاص، وفي صدريهما يسمعان صوتاً يهتف طالباً إنهاء ذلك الوجود وتصبح الحياة الزوجية بينهما تقليدية وتعايشاً جسدياً واستمراراً للحياة دون بهجة وسرور ودون معنى للحياة الكريمة السعيدة، وقد يؤدي مثل ذلك ومع تكرار لهذه التصرفات وتجاهل مشاعر الآخرين وحقوقهما إلى أن يخطو الزوجان الخطوة الأخيرة النهائية إلى الفراق أو الصبر مع البغض الشديد وذلك أشبه بشعور تداعي سقوط البيت، وهما يتأهبان لذلك فعليهما والحالة هذه وقد فقدا السيطرة على نفسيهما في إدارة الحياة الزوجية إلى شاطىء السلام التريث قليلاً قبل هذه الخطوة النهائية لعل هنالك أملاً يرد الروح إلى ذلك الزواج الذي يوشك على السقوط. ا.هـ من كتاب: أضواء نحو بيت سعيد .للأستاذ محمد كامل الشربجي.

المرأة المتبرجة وأثرها السيء في الأمة

٢- ومن كتاب (المرأة المتبرجة وأثرها السيء في الأمة) للأستاذ عبد الله التليدي ننقل بعض الفصول التي تناسب بحثنا. وقد أجاد الكاتب في البحث ونقل صوراً من واقع المرأة الغربية وفجورها، وأثر ذلك في خراب الأسر والمجتمعات الغربية، ونقل عن كثير من دعاة الإصلاح هناك صيحاتهم وتحذيراتهم من خطر هذا التبرج والإباحية التي وصلت إلى المرأة هناك، وذكر أيضاً واقع معظم المجتمعات الإسلامية التي تأثرت بسفور النساء وتبرجهن جراء تقليد المجتمعات الغربية.

ثم ذكر الآداب الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية الداعية إلى صيانة المرأة وحجابها، ومنع اختلاطها بالرجال، والتحذير من الأخطار التي وقعت فيها المرأة الغربية، ثم المرأة المسلمة ..

لا يلزم المرأة ما يلزم الرجل من الواجبات: ثم عقد في فصل خاص أن المرأة المسلمة لا يلزمها ما يلزم الرجال من الواجبات، وذلك تخفيف من الله عنها وصيانة لها، فقال: (وظيفة المرأة - كما تقرر القول في هذا الكتاب - هي العمل في بيتها، تربية للرجال وصنعاً للأبطال، ولذلك لم يكلفها الشرع بالواجبات الإجتماعية، كما فعل مع الرجل، وأيضا حتى يقل وجودها وحضورها في مجامع الرجال، منعاً للفتنة ووقاية للجنسين معاً، فهذه صلاة الجمعة قد أمر الله بها وجعلها فرض عين على كل بالغ من الرجال .. ومع كل هذا، فقد رخص للنساء في التخلف عنها، ولم يلزمهن بالجمعة وأحكامها كما ألزم الرجل ..

... ومثل الجمعة الجماعة، التي جعلت من أهم شعائر الدين الظاهرة المتكررة خمس مرات كل يوم، ورغب الله فيها وأوعد بالعذاب على تركها، جعل كل ذلك خاصاً بالرجل دون المرأة، وذلك لأن المرأة أقرب ما تكون من ربها، وإذا كانت في بيتها، فبقدر بعدها عن الرجال ومجامعهم تكون قريبة من الله ورضاه.

وهذا الجهاد الذي جعله الله تعالى فرضاً على الرجال مهما كلفهم من متاعب ومشاق ومصاعب وتضحيات، وجاء فيه من الترغيبات والبشائر ما يحمل المسلم على التطلع إليه والفوز بثوابه واقتحام ميادينه ..

لكن الشرع لم يوجبه عليهن، ولم يسمح بخروجهن للجهاد، لما قد يؤدي بروزهن واحتكاكهن بالرجل من شر وضرر، وجعل لهن في الحج والعمرة غنىً عن الجهاد ..

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (قلت: يا رسول الله، ﷺ! هل على النساء جهاد؟ قال: نعم، عليهن جهاد لا قتال فيه، الحج والعمرة، وفي رواية: استأذنت النبي ﷺ في الجهاد، فقال: جهادكن الحج والعمرة) رواه أحمد والبخاري.

.. كذلك أعفاها الشرع من **الكسب والسعي في الأرض**، للإنفاق على البيت، وجعل مسؤولية ذلك على الرجل الزوج، فهو القوَّام على المرأة،والعامل للكسب خارج البيت،وهو المكلف بنفقات البيت، وليس شيء من هذا واجباً على المرأة) [(١)]

تحذير المرأة من خروجها من بيتها: كما حذر النبي ﷺ من خروجها، وبين أن أفضل مكان لها بيتها، وإن رخص لها في الذهاب إلى المسجد بشروطه، لكنه جعل صلاتها في بيتها أفضل من الصلاة في المسجد، فقد روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان) وفي رواية (وأقرب ما تكون من ربها إذا هي في قعر بيتها) ومعنى استشرفها الشيطان: زينها في نظر الرجال.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن المرأة تقبل في صورة شيطان، إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه، فليعمد إلى امرأته فليواقعها، فإن ذلك يرد ما في نفسه) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود والترمذي.

وأخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها

---

(١) - المرأة المتبرجة لعبد الله التليدي ص١٠٩- ١١١ ط بيروت دار ابن حزم ١٤١١هـ- ١٩٩٠ م .

في بيتها) وفي رواية للطبراني عن أم سلمة: (وصلاتها في حجرتها خير من صلاتها في دارها، وصلاتها في دارها خير من صلاتها في مسجد قومها) وفي رواية للإمام أحمد عنها أيضاً عن رسول الله ﷺ قال: (خير مساجد النساء قعر بيوتهن).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (النساء عورة، وإن المرأة لتخرج من بيتها، وما بها بأس فيستشرفها الشيطان، فيقول: إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبته، وإن المرأة لتلبس ثيابها، فيقال: أين تريدين، فتقول أعود مريضاً وأشهد جنازة وأصلي في مسجد، وما عبدت المرأة ربها مثل أن تعبده في بيتها) رواه الطبراني في الكبير.

لذلك أيتها الأخت المسلمة، يا من تبغين رضا الله سبحانه عنك، وقد علمت ما في الخروج من فتنة وشر، فالزمي آداب الإسلام، واعلمي أن جنة المرأة بيتها، وهو حصنها الحصين ومحل راحتها واستقرارها، واستقرار زوجها وأولادها، وهو خير حجاب وصيانة لها.

خروج المرأة من البيت والعمل في البيت: وقد أذن الرسول الكريم ﷺ بخروجها من البيت للضرورة، كقضاء الحاجة، كما كان النساء زمن الرسالة قبل أن تتخذ الكُنُفُ في البيوت. وأذن لهن بالخروج ليلاً للصلوات، وكذلك للعيدين، ولمداواة الجرحى وخدمة الأزواج إذا لزم الأمر. وللحج والعمرة، وللعرس المنضبط، ولتعلم أحكام دينهن، وكل ذلك مع الحجاب والصيانة والستر ..

وكذلك شرع للمرأة العمل داخل البيت والقيام بمساعدة الزوج في داره وبستانه وشؤون أعماله، بعيداً عن مخالطة الرجال، وعن الفتنة ..

وإليكِ بعضاً من الأحاديث - أختي المسلمة - في هذا الشأن:

أ - بشأن الخروج للمساجد: روى البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد، إذا استأذنَّكم) وفي رواية (إذا استأذنَّكم نساؤكم بالليل إلى المسجد، فأذنوا لهن) ولما صار بعض الفساد وسرى بين

الناس بعد زمن النبوة قالت السيدة عائشة - رضي الله عنها -: (ولو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء، لمنعهن المسجد، كما مُنعت نساء بني إسرائيل) رواه البخاري.

وبين لهن الرسول الكريم ﷺ إذا خرجن إلى المسجد أن يخرجن غير مستعطرات ولا متزينات بل (تفلات) برائحة ثياب البيت، وأن يمشين بجانب الطريق، ولا يزاحمن الرجال، فقد روى الإمام أحمد وأبو داود عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، ولكن ليخرجن، وهن تفلات).

واختلط النساء بالرجال مرة في خروجهن من المسجد، فقال ﷺ: (استأخرن، فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافة الطريق) قال أبو سعيد راوي الحديث؛ فكانت المرأة تلتصق بالجدار، حتى إن ثوبها ليعلق بالجدار من لصوقها به .

ب - **النهي عن خروجهن للأسواق:** ويكفينا في هذا قول سيدنا علي، وقد رأى نساء الكوفة يخرجن للأسواق، فقال: (أما تغارون) ألا تستحيون أن يخرج نساؤكم ؟ فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العلوج، والعلوج: كفار الأعاجم، فماذا يقول سيدنا علي لرجال اليوم ونسائه؟!!

ح - **الخروج لتعلم العلم:** وفي هذا ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري (قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، وفي رواية، قال النساء: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله، فقال: اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا، فاجتمعن، فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله، ثم قال: ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجاباً من النار، فقالت امرأة منهن يا رسول الله: واثنين، واثنين، واثنين ؟ ثم قال: (واثنين، واثنين، واثنين) رواه البخاري.

وروى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: خرج رسول الله ﷺ ومعه بلال فظن أنه لم يسمع النساء، فوعظهن وأمرهن بالصدقة، فجعلت المرأة تلقي القرط والخاتم، وبلال يأخذ بطرف ثوبه.

وروى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (نعم النساء، نساء الأنصار، لا يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين).

وفي رواية للبخاري عن أنس ﵁ قال: جاءت أم سُلَيم إلى رسول الله ﷺ فقالت له وعائشة عنده: يا رسول الله، المرأة ترى في المنام، فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه؟ فقالت عائشة: يا أم سُليم، فضحت النساء، تربت يمينك، فقال النبي ﷺ لعائشة: (بل أنت تربت يمينك، نعم فلتغتسل يا أم سليم، إذا رأت ذلك) ومثله عن عائشة.

والأحاديث في خروج المرأة المسلمة لطلب العلم وسؤال الرسول المعلم ﷺ كثيرة في هذا الباب؛ لأن تعلم المرأة دينها وما يحل لها وما يحرم عليها فرض، فإن لم تجد زوجاً أو أباً أو ولياً يعلمها، فلها الخروج ضمن آداب الشرع للتعلم.

إما إذا عريت عن آداب الإسلام من عدم الحشمة والتبرج، فإنها في خروجها آثمة وعاصية لله، مهما كان هذا العلم الذي تخرج لتعلمه ..

عمل المرأة داخل البيت وخارجه: المرأة بصفتها أنثى، لم يكلفها الله بالعمل خارج البيت، لتتكسب به ولتنفق على نفسها وتعول أولادها، بل هذا مما كلف به الرجل، وهو عمله الأساس، فهو صاحب القوامة والإمارة، وهو العامل الكاسب، والمكلف بالإنفاق [1] على أفراد العائلة، من أب وأم وزوجة وأولاد ... وعلى الزوجة من الأشغال المنزلية، وتكاليف البيت، مالا يقل عبئاً عن عمل الرجل خارج البيت، فوظيفتها الطبيعية والأصلية، مكانها البيت، لأن وضعها الفطري يتطلب منها أن تكون كذلك، فعليها إعداد الطعام، وإصلاح الفراش والغطاء، وغسل الثياب، وتنظيف المنزل، وغسل الأواني، والعجن والخبز، يضاف إلى ذلك مشقة الحمل والولادة والإرضاع، والتربية والتعليم والقيام بشؤون الأطفال ... فهل يبقى لها مع هذه الأعمال والمتاعب، فراغ وراحة للعمل خارج البيت؟ كلا.

---

(١) فهذه الأمور التي ذكرناها لا خلاف فيها بين المسلمين، لتضافر النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية على ذلك.

وعلى الرغم من أن الله تعالى جعل عملها الطبعيّ الأصلي، في بيتها، وكلف الرجل بالنفقة عليها، فلم ينهها عن التكسب والعمل، إذا احتاجت إليه، تحت ظروف ضرورية، كما إذا كان بالزوج مرض ألزمه الفراش، وليس له مساعد يقوم بشؤون الأسرة، أو كانت هناك امرأة لا قائم لها .. في هذه الأحوال وغيرها من الضرورات، قد يسمح الشرع لها بالعمل خارج البيت، وبقدر الحاجة والضرورة، على أن تتأدب بأدب الشرع، سواء في مظهرها، أو أسلوب معاملتها للرجال، أو في البعد عن الاختلاط بالرجال.

وفي السنة المحمدية، أمثلة لعمل المرأة داخل البيت وخارجه لحاجة، وإلى الأزواج بعضاً منها: فعن أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها - قالت: تزوجني الزبير (وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء، غير ناضح وغير فرسه، قالت: فكنت أخدم الزبير خدمة البيت، فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤونته وأسوسه، وفي رواية :وأحتش لها، وأدق النوى لناضحه، وأعلفه، وأسقي الماء، وأخرز غَرْبه، وأعجن، ولم أكن أحسن الخبز وكان تخبز لي جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق، قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، وهي على ثلثي فرسخ قالت: فجئت يوماً، والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه، فدعاني، ثم قال: (أخ، أخ) ليحملني خلفه، قالت: فاستحييت وذكرت الزبير وغيرته .. حتى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم، فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني. (١)

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: طُلقت خالتي، فأرادت أن تَجُدَّ نخلها، فزجرها رجل أن تخرج (لأنها معتدَّة)، فأتت النبي ﷺ فقال: (بلى، فجدّي نخلك، فإنك عسى أن تصَّدقي أو تفعلي معروفاً) .(٢)

---

(١) ورواه البخاري (ج ١١ص٢٣٤ ،٢٣٦)، ومسلم (ج ١٤ص١٦٤ ،١٦٦)، وأحمد (ج٦ ص٣٤٧) قال الحافظ: (والذي يظهر أن القصة كانت قبل نزول الحجاب ومشروعيته .. وهذه الواقعة وأمثالها كانت في حالة الضرورة، فلا يَطَّرِدُ الحكم في غيرها، من لم يكن في مثل حالهم، وقوله غَربَه: أي دلوه، ناضح: الجمل الذي يستقى عليه .

(٢) رواه أحمد (ج٣ص٣٢١) ومسلم (ج١٠ ص١٠٨)، وأبو داود (رقم :٢٢٩٧) وابن ماجة رقم: ٢٠٣٤)، وغيرهم . قوله تَجُد: أي تجني نخلها .

وعن رائطة امرأة ابن مسعود - رضي الله عنهما - وكانت امرأةً صَنَاعَ اليد، فكانت تنفق عليه وعلى ولده، من صنعتها، قالت: فقلت لعبد الله بن مسعود: لقد شغلتني أنت وولدك عن الصدقة، فما أستطيع أن أتصدق معكم بشيء، فقال لها عبد الله: والله ما أحب إن لم يكن في ذلك أجر أن تفعلي. فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني امرأة ذات صنعة أبيع منها، وليس لي ولأولادي ولا لزوجي نفقة غيرها، وقد شغلوني عن الصدقة، فما أستطيع أن أتصدق بشيء، فهل لي من أجر فيما أنفقت؟ قال: فقال لها رسول الله ﷺ: أنفقي عليهم، فإن لك ذلك أجر ما أنفقت عليهم).(١)

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: (أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً) فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً، قالت: فكانت أطولهن يداً زينب؛ لأنها تعمل بيدها وتَصَّدَّق.(٢)

وعن علي رضي الله عنه: إن فاطمة اشتكت ما تلقى من الرحى في يدها، وأتى النبي ﷺ سبي، فانطلقت فلم تجده، ولقيت عائشة ... الحديث (٣) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة، فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته، فقال: (من ابتلي من هذه البنات بشيء، كن له ستراً من النار)(٤).

---

(١) ويقال لها: ريطة، وهي غير زينب امرأته الوارد عنها حديث في الصدقة عليه وعلى أولاده أيضاً، وهو في الصحيحين.

والحديث رواه أحمد (ج٣ص٥٠٣) من طريقين، أحدهما سنده حسن . وقولها: (صَناع اليد): أي حاذقة في صنعة يدها.

(٢) رواه مسلم (ج١٦ ص٨) وكان طول يدها كثرة صدقتها . وما جاء في (الزكاة) من صحيح البخاري) مما يدل على أن أسرعهن لحوقاً به سودة، وَهْمٌ كما نبه عليه الحافظ.

(٣) رواه البخاري (ج٨ ص٧٤- ٧٥) وفي الدعوات، ومسلم (ج١٧ص٤٦،٤٥) مطولاً .

(٤) رواه البخاري (ج٤ ص٣٤،٣٣،٢٦) ورواه مسلم(ج١٦ص١٧٩) والترمذي (رقم :١٧٦١ بتهذيبي)وأحمد(ج٦ص٢٦،٨٨ ٦،٢٥٣) والرواية الثانية عند مسلم . وفي هذا الحديث فضل عظيم لمن يعول البنات، وينفق عليهن، وأن ذلك من موجبات الجنة.

وفي رواية: جاءت مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: (إن الله قد أوجب لها بها الجنة) أو (أعتقها بها من النار).[1]

فيؤخذ من هذا الأحاديث الشريفة أمور، وهي كالآتي:

أولاً: خدمة المرأة لزوجها، وقيامها بشؤون البيت وما يتصل به، وذلك كما في حديث أسماء مع الزبير - رضي الله عنهما - وحديث الإمام علي في طحن فاطمة رضي الله عنهما.

ثانياً: تشغيل المرأة في بيتها في صنعة وعمل يدوي، كالخياطة والغزل وحياكة ونسيج وغيرها. يؤخذ هذا من حديث عائشة بشأن زينب، ومن حديث رائطة زوجة ابن مسعود.[2]

ثالثاً: مشروعية عمل المرأة خارج البيت، إذا كان هناك ضرورة، كمساعدة الزوج في بعض أعماله، كما في حديث أسماء ونقلها النوى من أرض زوجها، أو كانت ثيِّبةً فاقدة لمن يقوم بشؤون البيت، كما في حديث جابر في قصة خالته، أو تكون ذات بنات، ولا تجد من يعولهن، فلها أن تتكسب لهن ولو بالتسول، كما في حديث عائشة مع المسكينة.

ويجدر بنا أن نلفت النظر إلى أن ما ذكرناه من العمل خارج البيت، إنما يكون حالة الضرورة والحاجة الملحة، ولا يكون مطرداً دائماً لكل امرأة وفي كل عمل، ولو مع الاختلاط وعدم التقيد بقوانين الشرع، كما هو الحال في وضع المرأة المعاصرة، التي

---

(١) رواه البخاري (ج٤ ص٢٦،٣٣،٣٤) ورواه مسلم (ج١٦ص١٧٩)والترمذي (رقم :١٧٦١ بتهذيبي)وأحمد(ج٦ص ٨٨،٢٦٦،٢٥٣) والرواية الثانية عند مسلم . وفي هذا الحديث فضل عظيم لمن يعول البنات، وينفق عليهن، وان ذلك من موجبات الجنة .

(٢) ويؤخذ من هذا الحديث أن الزوج إذا كان قليل ذات اليد عاطلاً، والمرأة ثرية لها أن تنفق عليه، وإن كان ذلك خلاف المشروع؛ لأنه حالة ضرورة .

شاركت الرجل في كل أعماله ومظاهره، حتى أصبحت رجلة، فإن مثل هذا لا يقره الشرع، بل هو ضلال وانحراف، وسبب من أسباب شيوع الفتنة وخراب البيوت وانحلال الأسر، بل نقول تكراراً: إن عمل المرأة، هو خلاف فطرتها، وجناية على أنوثتها،

وبذكرنا للحالات الطبعية التي تعتري المرأة، في مدد حياتها يتضح الصواب:

أولاً: الحيض: فعموم النساء يستمر فيهن الحيض، مدة تتراوح بين ثلاثة أيام وسبعة، حسب العادة الشهرية، وتضطر المرأة هذه المدة، لأن تأخذ راحتها، ألا تكلف بأي عمل، لما يطرأ عليها من تغيرات، وحتى لا يتحول الحيض إلى نزيف- دم استحاضة - وبعد مدة الحيض يستحسن أن تأخذ المرأة نقاهة لمدة خمسة أيام، على الأقل، لتعوض جسمها ما خسره من القوة والغذاء والدم، فصار مجموع الأيام التي يحظر فيها عمل المرأة، حفاظاً على صحتها وحياتها، ما يقارب خمسة عشر يوماً، كل شهر، علماً بأنه يجب أن تعد نفسها للحيض الدوري القادم. وفي أثناء الحيض يضطرب حال المرأة، وتطرأ عليها تغيرات من سوء الهضم وقلة الشهية، وغير هذا، وتصاب بآلام في البطن والظهر، وصداع في الرأس، وضعف في التفكير، وانفعال وتغير في النفس والأخلاق، مما يضعها في أجواء تفقدها أهلية العمل خارج المنزل.

ثانياً: الحمل: وهو وظيفة مهمة من وظائف جسم المرأة، يبدأ منذ استقرار النطفة في الرحم، وينتهي بالولادة، في مدة تستغرق عند غالب النساء تسعة أشهر، وتعرض المرأة فيها لأحوال وأوضاع مضطربة، ففي الأشهر الثلاثة الأولى أيام الوحام، يضعف جسمها، ويتغير لونها وتقل شهيتها، وتتعرض لغثيان وتقيؤ وضيق تنفس وخفقان في القلب وانحراف في المزاج وكسل وخمول. وقد تستمر هذه الأعراض حتى الوضع، علماً بأن المرأة في هذه المدة، معرضة للإسقاط لأي صدمة أو إزعاج أو مشقة. أما في الأشهر الأخيرة من الحمل، فتتعرض لآلام الحمل المتزايدة كل وقت، وتشتد وطأتها في المدة الأخيرة، حتى لا تقوى المرأة على القليل من الحركة.

ثالثاً: الولادة والنفاس: لابد بعد تمام الحمل من تلك العملية الشاقة المؤلمة الخطيرة التي تتحملها المرأة وتصبر على شدتها وآلامها، وفيها ينزف الكثير من دمها عند ولادتها، وبعد الوضع تدخل المرأة دور النفاس، الذي هو استمرار نزيف دم النفاس، ويستمر هذا الدور - عند غالب النساء - حتى الأربعين أو الستين يوماً، تقضي المرأة هذه المدة في فراشها، وهي على خطر جسيم، حتى ينقطع الدم. وبعد هذا لابد من أيام أخر تستريح فيها.

رابعاً: الرضاعة والحضانة: يولد المولود عاجزاً عن كل شيء، فتكون أمه هي يده ورجله، وهي فمه وأنفه وسمعه وبصره، وهي حسه وحركته، تحضنه وتؤويه وتربيه، تحمله بذراعيها وتضمه إلى صدرها وتلقمه ثدييها في جوار قلبها النابض بالحب والحنان، وتناغيه بصوتها العذب، وتشعر بالسعادة لسعادته، وبالشقاوة لشقاوته .وتستغرق مدة الرضاعة هذه عامين، يشاركها فيها رضيعها غذاءها من دمها، ويفقدها الكثير من جمالها ونضارتها.

هذا بالإضافة إلى ما تقوم به الأم في البيت، من أعمال، لتوفر فيه الحياة السعيدة والجو المناسب لزوجها وأولادها، فأنَّى للأم المرهقة بالعمل خارج البيت والانشغال بتكاليفه وتبعاته ومواعيده ومسؤولياته، أن تقوم بذلك؟!

وإذا تخطت ذلك ورمت نفسها في العمل، أفلا يكون عملها كارثة عليها وعلى زوجها وعلى البيت والطفولة وعلى المجتمع والأسرة؟!

وبالجملة، فالجسم الذي يحيض ويحمل ويلد وينفس ويرضع ويحضن، لا يملك الوقت والكفاءة، لأن يشارك الرجل في جميع أعماله، بل هذا يعد مستحيلاً في حق المرأة، إلا أن تنقلب رجلاً، وهذا أشد استحالة، لأن الله خلقها أنثى كما خلق الرجل رجلاً ذكراً. ثم إن الحياة خارج البيت مليئة بالمتاعب والمصاعب والمشكلات والأهوال والمخاطر، وفيها من الأعباء والأعمال ما تنوء بحملها الجبال، ويحتاج إلى الشدة وقوة المعارضة، مع هدوء الأعصاب والعدل في الحكم، مع القدرة على التنفيذ والعزيمة الماضية ... وهذه صفات تغلب في الرجال وتناسبهم.

بينما الحياة البيتية تحتاج إلى رقة القلب وصفاء في النفس وحسن في المنظر وعذوبة في الحديث وأناقة ونعومة، وهذه صفات تغلب في النساء وتناسبهن.(١)

كيف تساعدين زوجك في النجاح؟

٣- ومن كتاب (**ادفعي زوجك نحو النجاح**) اخترنا هذه الفقرات:

كيف تساعدين زوجك على أن يكون صاحب همة عالية؟

١- لابد أولاً أيها الزوجة المخلصة، أن تكوني صاحبة همة عالية، فإذا كنت أنت كذلك فأبشري، أما إذا كنت ممن تتكاسل وتقوم لأداء عملها بفتور وخمول، فسوف يتسرب هذا الشعور إلى زوجك، فتفتر همته وتقل عزيمته.

وقد كانت أزواج رسول الله ﷺ صاحبات همم عالية، وهذه زينب بنت جحش يدخل عليها زوجها النبي ﷺ المسجد، فيجد حبلاً ممدوداً بين ساريتين، فيقول: لمن هذا الحبل؟ قالوا: إنه لزينب، إن فترت عن الصلاة تعلقت به، فقال ﷺ: (حلوه، عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا).

٢- الاستيقاظ المبكر، فإن البركة في البكور، وإن الخمول والكسل، والنوم حتى وقت متأخر يفوت على الإنسان خيراً كثيراً، وكان رسول الله ﷺ يوقظ ابنته الزهراء ويقول لها: (يا بنية، قومي، فاشهدي رزق ربك، ولا تكوني من الغافلين، فإن الله يقسم أرزاق الناس مابين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس) رواه البيهقي .

فإذا استيقظت الزوجة باكراً، وأيقظت زوجها، وبدأا حياتهما بذكر الله تعالى والصلاة، بارك الله لهما في يومهما وكتب لهما النجاح والفلاح.

٣- عليك أن تبثي في زوجك الهمة العالية، عن طريق الثناء عليه والمدح والتشجيع، والتحذير من الغرور، ومحاولة التصنع بالهمة العالية إن لم تكن موجودة لديه، فلتكن لديك، وسوف تسري إليه إن شاء الله.

---

(١) - هذا الفصل من باب (خطر التبرج والاختلاط) ص١٣٣-١٤٠ .

ساعدي زوجك على فعل الخير:

١- اذكري له قصص العظماء والناجحين، مما تحفظينه أو تقرئينه من الكتب أو المجلات، أو استحسنت تدوينه في مجموعة لديك مثلاً،

٢- افعلي الخير أنت أمامه من التصدق على الفقراء، أو من يطلبون مساعدتك، لتذكريه بذلك عملياً.

٣- اذكري له أهل الخير والهمة العالية والمعروف؛ ليصحبهم، ولا مانع أن تزوريهم معه.

ساعدي زوجك على تقبل النقد والملاحظات:

١- بأن تتقبلي أنت هذا النقد والملاحظة، واطلبي منه أن يوجه لك هذا، ليكون تمريناً عملياً منه أن يطلب منك ذلك فيما بعد.

٢- ضعي ملاحظاته موضع الاهتمام، وتقبلي منه هذا النقد، فهو أقرب الناس إليك، وقد يكون مبالغاً مثلاً في نقدك ولكنه قد يكون محقاً أيضاً.

٣- اعتبري أن من يوجه الملاحظة والنقد، لك أو لزوجك، إنما يهدي إليكم العيوب، وليس عدواً، وضعي أنت وهو هذه الملاحظات موضع البحث والتقدير، ثم تلافيها.

عقبات في طريق نجاح الزوج، يمكن التغلب عليها:

١- **عمل الزوجة خارج البيت:** ألا فلتعلمي أن الأصل في عمل الزوجة أن يكون داخل بيتها في إدارة شؤون بيتها وتربية أولادها وتهيئة السكن النفسي للزوج والأولاد.

وإذا اضطرت للعمل وبرضى زوجها، فلتحاول التوفيق بين عمل البيت والعمل خارجه ولا يكون هذا على حساب الأولاد والزوج. ولا تغرنك الدعوات التي تنادي بعمل المرأة وخروجها من مملكة بيتها، فإن ذلك من أحابيل الشيطان.

٢- **الإسراف والهدر والتبذير:** من أعظم معوقات النجاح، وأسرع الطرق لخراب البيوت، وكثير من النساء يتخذن قاعدة لديهن بالإسراف وتبذير مال الزوج؛ حتى لا

يتزوج عليها، أو ترهقه بشراء ما يجِدُّ من أمور الموضة في اللباس والأثاث، وأدوات المطبخ، وهذا باب عظيم من أبواب المقت والغضب الإلهي قال تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ الأعراف: ٣١. وقال ﷺ (والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على الذين من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم) رواه البخاري ومسلم.

والإسراف ينتج عنه ضياع المال، وتبدل الحال، وعقاب الله للمسرفين، واللجوء إلى الحرام من أجل سد المتطلبات التي لا يقدر الزوج عليها.

٣- **النكد وسوء الخلق**: إذا قارن حياة الزوجة، واتسمت به، فإنه يقتل طموح الزوج، ويهدد حياة الأسرة بالانهيار تقول إحدى الكاتبات الغربيات: (قد تتمتع الزوجة بكل فضيلة .. لكن هذه الفضائل تصبح لا وزن لها إذا كانت الزوجة سيئة الطبع، حادة المزاج، محبة للنكد ... وكثيرون من الأزواج تتبدد طاقاتهم، وآمالهم في النجاح؛ لأن زوجاتهم قد أذهبن آمالهم، وقتلن طموحاتهم نتيجة الانتقاد المستمر، والإلحاح بالمطالب، وإبداء العجب من أن أزواجهن لا يكسبون مثلما يكسب غيرهم، ولا يحققون في الحياة ما حقق جيرانهم وأصدقاؤهم).

والنكد درجات، أدناها عبوس الزوجة أمام زوجها، والانفعال المستمر، ومنها معايرة الزوج بضيق ذات يده (الفقر) وهكذا.

٤- **ومن المعوقات (فراغ الزوجة)**: لأن من لا يملأ وقته بالعمل النافع، فسيملؤه بالعمل الضار، أو المشكلات مع الزوج، ومع الجيران على الأقل.

كيف تقضي الزوجة أوقات فراغها ؟

من المفيد الاستفادة من الوقت بالنسبة للزوجة بما يأتي:

أ – العناية بالأطفال، إن وجدوا، وتنظيفهم، وتهذيبهم وتعليمهم الآداب اللازمة، وهذا يستغرق وقتاً كبيراً.

ب - تلاوة القرآن أو سماعه، إن لم تكن قارئة، فمن أشرطة التسجيل،

حـ - تنظيم الوقت بزيارة الأقارب والأرحام مع الزوج، وبخاصة الصالحين منهم .

د - مساعدة الزوج في أعماله إن أحسنت ذلك .

ذ - قراءة الكتب النافعة، من السيرة النبوية وسيرة أصحابه وعظماء الإسلام، وكتب تربية الأولاد.

هـ - حضور مجالس العلم، والاستماع إلى المفيد منها في وسائل الإعلام .

٥- **ومن العقبات: رفض الزوجة السفر مع زوجها:** وبخاصة إذا ضُيِّقَ عليه رزقه في بلده، وهذا ليس من الإنصاف قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ النساء: ١٠٠.

لذلك، فإن مسألة السفر لاكتساب الرزق أمر مشروع، ومهما كانت الزوجة مخلصة ومحبة لزوجها، وخصوصاً بعدما عرفت قوة العلاقة الزوجية وأهميتها وصدق زوجها في تحسين الحال، فإنه ليس من الإنصاف أن تتركه وحده يسافر وتبقى بحجة أنها لا تستطيع أن تفارق أهلها وبلدها.

٦- **ومن معوقات نجاح الزوج:** ألا تساعد الزوجة زوجها إذا كان يتخذ من بيته مقراً لعمله، فكثير من الأزواج لا يجدون القدرة على اتخاذ مقر للعمل خارج البيت، كالمحامي والمهندس، أو العامل في صنعة، في أوائل أمرهم، فعلى الزوجة أن تساعد زوجها في تهيئة الجو المناسب لعمله وتعدُّه كأنه خارج المنزل، فتهيئ الجو المناسب، وتحجز الأولاد عنه، وألا تعطي مواعيد للزيارات في وقت عمل زوجها، وألا تتدخل في شؤونه في أثناء العمل، وتحترم مواعيد الطعام والراحة، وغيرها. ولتعلم الزوجة المؤمنة، أن التدخل المستمر في عمل الزوج كفرض الآراء والمقترحات التي لا يطلبها الزوج إنما هي مشكلات ومعاول لهدم الحياة الزوجية، فإياك، وإياها، ورحم الله امرأ عرف حده، فوقف عنده، وقال ﷺ : (ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه).

٧- **ومن المعوقات: تعكير الصفو وقت الراحة:** لذا عليك أيتها الزوجة المؤمنة:

أ - إحسان استقبال الزوج عندما يدخل البيت.

ب - تهيئة البيت قبل مجيئه من الهندام والأثاث والطعام.

حـ - تأخير عرض مشكلات الأولاد وغيرها حتى يستريح، ثم تعرض وتناقش بهدوء ورَوِيَّة.

د - عدم تعكير صفو منامه في الليل أو النهار.

هـ - عدم مقاطعته عندما يتحدث في قضية أو أمر ما، والصبر عليه حتى يفرغ من حديثه.

وصايا وفوائد في طريق النجاح:

١- **كوني متفائلة، وبشري ولا تنفري**، واذكري قول السيدة خديجة - رضي الله عنها- لسيدنا رسول الله ﷺ عندما فاجأه الوحي في غار حراء وجاءها يرجف فؤاده، فقالت له: (كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ وتكسب المعدوم، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق)، أي ومن كانت هذه خصاله وأفعاله، فإن الله لا يخزيه. فلتكن هذه السيدة لك قدوة.

٢- **شاركي زوجك في تحمل أعباء الحياة** وفي آماله وطموحاته، وقوِّي عزيمته، واصرفي اليأس عنه، فقد قالوا: (وراء كل رجل عظيم امرأة).

٣- **اجعلي بيتك جنة يأوي إليها** لا ناراً يهرب منها.

٤- **كوني واقعية في التعامل مع الأحداث**، وليست الحياة كلها نجاحات وليست مفروشة بالورد واعلمي قوله تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾الحديد:٢٢.

٥- **راجعي حياتك**، وأعمالك وتصرفاتك وأقوالك، واستبدلي بالتعاون مع زوجك بسيئها الحسن. والله ولي التوفيق. (١)

---

(١) من كتاب ادفعي زوجك نحو النجاح تأليف عادل فتحي عبد الله بتصرف واختصار .

كيف تجعل زوجتك تحبك؟

٤- ومن كتاب (كيف تجعل زوجتك تحبك؟) تأليف عادل فتحي عبد الله قطفنا هذه الزهرات (الوصايا) آملين أن يأخذ بها الأزواج إن كانوا مقصرين:

١ - **تزين لزوجتك كما تحب أن تتزين هي لك**، واذكر فيه قصة ذلك الرجل الذي اشتكت زوجته لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب: (تطلب الطلاق منه، فلما رآه سيدنا عمر رثَّ الثياب، أشعث الشعر غير آبه لنظافته، أمر أصحابه أن يغيروا هيئته وثيابه ويتنظف ثم جاء به فأنكرته زوجته، ولما عرفت أنه زوجها سرت به، وفهمت أن أمير المؤمنين كان سبب إصلاح هيئته وحاله. فقال أمير المؤمنين آنذاك: (والله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزين لكم). وقد قال ﷺ: (من كانت له جُمَّة (الشعر الطويل) فليكرمها) رواه مالك في الموطأ. وكان يهتم بشعره وبنظافته، وبتسريحه، ويتطيب، وكان عرقه الذي يتصبب منه أطيب من الطيب.

٢ - **ملاطفة الزوجة وممازحتها**: وذكر شيئاً من ملاطفته لعائشة - رضي الله عنها- وتسابقه معها وسبقها له، ثم سبقه لها، وطلب مؤانسة الرجل زوجته بقوله ﷺ (كل شيء يلهو به ابن آدم، فهو باطل إلا ثلاثاً: رميه عن قوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، فإنهن من الحق) رواه الطبراني في الكبير.

٣ - **رفقاً بالقوارير**، والتمس العذر لزوجتك إذا تأخرت عليك في تلبية طلباتك.

٤ - **أشبع رغبتها في الحديث إليك**: وعلى الزوج أن يكون صبوراً، وأن يتقبل كلام زوجته، وربما ثرثرتها أحياناً .. فإن حاجة المرأة للكلام كحاجتها للطعام والشراب، وكان نساء النبي ﷺ يجلسن إليه ويتحدثن، وحديث عائشة - رضي الله عنها- عن أم زرع في إحدى جلسات السمر، شاهد على ذلك. فلا تقم وتتركها كأنك غير راضٍ عن حديثها ..

٥ - **أحسن مناداتها بأحب أسمائها**: وقد كان النبي ﷺ ينادي عائشة بقوله: (يا عائش، ويا حميراء).

٦ - **تجنب الانفعال، والإثارات النفسية** ... والزواج حياة (وِعِشْرَةُ عُمْرٍ) ولابد أن يتعرض فيه الزوجان لما يثير انفعالاتهما، وخصوصاً الزوج .. وقد يفعل الزوج أمراً في وقت الغضب، ثم يندم عليه حين لا ينفع الندم. وليتذكر قوله سبحانه وتعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ آل عمران: ١٣٤. فلنتعلم الحلم والصبر وكظم الغيظ؛ لأن الغضب يهدم الأسرة.

٧ - **أشعر زوجتك بالأمان:** وهذا أهم أسباب السعادة الزوجية .. وهناك من يتهدد زوجته عند كل صغيرة وكبيرة، ويكثر من كلمة الطلاق، فكيف تشعر الزوجة بالأمان مع التهديد، بالضرب، أو الضرب فعلاً، أو الطلاق أو التهديد به ؟ وقد قال علماؤنا: (الطلاق يمين الفساق) وهو أبغض الحلال إلى الله.

٨ - **استعن بالمفاجآت السارة:** .. وإنما تكون المفاجأة السارة أكثر وقعاً، وأفضل أثراً حين تحضر لها ما تحب من غير أن تطلبه هي. ولا يوجد شيء محبب إلى النفس أكثر من أن تهدي لأحد شيئاً يحبه، والأكثر من ذلك حباً له، أن تفاجئه بهذا الشيء .. قال ﷺ: (تهادوا تحابوا).

٩ - **دخول البيت بالبشر والابتسام:** قال الله تعالى: ﴿ ... **تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ**﴾ إبراهيم: ٢٣، وقال سبحانه: ﴿**فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ النور: ٦١، وقال ﷺ: (إذا دخلت على أهلك فسلم يكن سلامك بركة عليك وعلى أهل بيتك) الترمذي، وقال ﷺ: (تبسمك في وجه أخيك صدقة).

١٠ - **تلطف في كلامك وعباراتك:** إن طريقتك في الكلام مهمة جداً، وإن هناك عبارات كثيرة تكسب بها قلب زوجتك مثل: (من فضلك افعلي كذا، أو أكون شاكراً لو فعلت كذا، لقد تعبتِ كثيراً هذا اليوم في تحضيرك للطعام، سلمتْ يداكِ كم هو لذيذ، ما شاء الله، ما أجملك هذا اليوم ! .. ما أجمل هذا الثوب! ... إلخ).

١١ - **ليكن حديثك فيما يسر زوجتك:** ومفتاح المحبة للناس أن تحدثهم عما يحبون،

فماذا تحب زوجتك أن تتحدث عنه ؟ وبالتأكيد أنت تعرف ما يسرها من الأحاديث، فتحدث إليها حسب اهتماماتها، ربما يسبب لها السعادة، ولاتكن أنانياً تتحدث عما يسرك فحسب.

١٢ - **امتدحها أمام أهلك وأهلها:** ولا تذكر عيوبها أمامهم أو أمام الغرباء، ولو أخطأَتْ وأذنبَتْ .. وليحفظ لزوجته ودها وحبها له، وحبه لها، فإن ذلك من تمام العشرة بالمعروف التي أمر الله تعالى بها: ﴿... وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ النساء: ١٩.

١٣ - **جامل زوجتك فيما ليس فيها:** فأثن على عملها، وطبخها وترتيبها ولو لم يكن كذلك، فإن هذا ليس كذباً، فقد روى الإمام مسلم عن أم كلثوم أم عقبة قالت: ما سمعت رسول الله رخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: (الرجل يقول القول يريد به الإصلاح، والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها) ومنه ما قلناه آنفاً. أو أن يقول لها: (أحبك) ولو لم يكن كذلك، وإنك أجمل امرأة رأيتها، ولو لم يكن كذلك. وقد قال عمر (لامرأة سألها زوجها أتحبينني قالت: لا، فقال لها عمر: لم قلت ذلك؟ فقالت: استحلفني فكرهت أن أكذب، قال عمر: (بلى فلتكذب إحداكن ولتجمل، فليس كل البيوت تبنى على الحب، بل معاشرة على الأَحْسابِ والإسلام) ويقصد (بذلك، أن تتجمل المرأة لزوجها في الكلام ولتقل: إني أحبك، من قبيل المجاملة، ولعل النفوس تتغير).

١٤ - **تخلص من الملل والروتين اليومي:** بالقيام ببعض الزيارات مع زوجتك لأرحامها أو أرحامك، وبممارسة نشاط جديد على البيت، كالمطالعة، أو بعض الأشغال النافعة للمنزل، من خياطة أو تطريز، أو بالرحلات القصيرة (النزهات). وبأداء العبادات، من القرآن والصلاة، وتقديم الصدقات للمحتاجين، وبالمطالعة وانتقاء بعض الأبحاث النافعة منها وجمعها في مجموع وهكذا ..

١٥ - **تقبل عيوب زوجتك:** فقد تطلع على عيوب لم تعهدها ولم تعرفها من قبل، وهي قد تتطلع كذلك، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ ...**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن**

كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ النساء: ١٩. وقال ﷺ: (لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر) رواه مسلم.

[أقول: والمرأة التي ليس فيها عيب هي الحورية في الجنة إن شاء الله، فقد تكره أنت نسيانها لحاجتك، وتحمدها من جهة صنع الطعام، وقد تكره عدم تزينها إلا بتذكيرك لها، وتحمد لها طاعتك وعدم إطالة لسانها عليك، وقد تكره نومها عندما تريد أن تكون يقظة، وتحمد محافظتها على صلاتها، وقد، وقد .. فاصبر واحتمل، فأنت أيضاً لست بمعصوم عن الخطأ .]

١٦ - **احترس من الأخطاء الصغيرة:** فهي تتجمع لتصبح كبيرة (فقد يختلف الزوجان وتحدث بينهما بعض المشكلات بسبب أمور تافهة لكن عدم حل هذه المشكلات، وتركها معلقة يجعلها تتراكم فوق بعضها، ويصبح حلها عسيراً ..)

١٧ - **عاونها في شؤون المنزل:** وذلك بين الحين والآخر، وكلما اقتضى الأمر، فقد كان رسول الله ﷺ (في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة) رواه البخاري.

وتجب الإعانة خصوصاً إذا كانت الزوجة مرهقة أو مريضة.

١٨ - **راع شعورها وحاجتها الجنسية:** والخطأ الذي يقع فيه بعض الأزواج أن يظن أن على الزوجة تلبية رغبته الجنسية، وأنه ليس عليه أن يراعي الآداب التي ينبغي اتباعها عند الجماع ..

قال الإمام أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين: (ثم إذا قضى وطره، فليتمهل على أهله حتى تقضي هي أيضاً نهمتها، فإن إنزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها، ثم القعود عنها إيذاء لها، والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر بينهما، مهما كان الزوج سابقاً إلى الإنزال ..) ولا ينبغي أن يقع الزوج على زوجته كما تقع البهيمة،ولكن ليجعل بينهما رسولاً كالقبلة والمداعبات المختلفة.

(أقول: وعدم ذلك يسبب خلافات بين الزوجين قد لا تفصح الزوجة عنها ومردها إلى هذا الذي ذكرناه).

١٩ - **تشاور مع زوجتك في شؤون المنزل والأمور الأخرى:** فقد يكون لديها الرأي الأفضل والمشورة الأمثل، ومعلوم كيف أشارت أم سلمة - رضي الله عنها - على رسول الله ﷺ يوم الحديبية لما أمر الصحابة بالحلق والتحلل من العمرة فتأخروا، فأشارت عليه بأن يحلق أولاً ويذبح، فإذا رأوه فعل ذلك فعلوا مثلما فعل، وكان رأيها يمناً وبركة على المسلمين، أما ما ورد: (شاوروهن وخالفوهن) فهو ليس بحديث.

٢٠ - **أحسن الظن بزوجتك ولاتكن شكاكاً:** وبخاصة إذا كانت زوجتك مسلمة ملتزمة بآداب الإسلام، وأخذتها لدينها، فقد نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخونهم أو يطلب عثرتهم) رواه مسلم.

ولقد رأينا كيف تدخل الشيطان، فأوحى لأزواج بظنون وأوهام وشكوك، فاتبعها هؤلاء الأزواج واتهموا زوجاتهم بتهم هن منها براء، وتسبب ذلك في خراب بيوت مسلمة).

٢١ - **أحسن الظن بزوجتك.**

٢٢ - **أشعر زوجتك بأنها الزوجة المثالية (المناسبة لك).**

٢٣ - **ساعدها على تنمية مواهبها، ولو في لعب الأطفال !.**

٢٤ - **عليك أن تراعي جسمها ونفسيتها حال الحيض والنفاس.**

٢٥ - **أطفالها أطفالك، فهل يعد عيباً عنايتك معها بالأطفال وهم فلذات كبدك؟!**

٢٦ - **أهلها أهلك الذين ربّوا لك هذه المرأة التي حرصت عليها،** وإكرامهم إكرام لها وصلة رحم لك ولها قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ محمد: ٢٢.

٢٧ - **مشاركة الزوجة في الطعام والجلوس على المائدة يشعرها باهتمامك بها ومحبتك لها.**

٢٨ - **إذا حدثتك بحديث، فهل تفشي سرها؟** والحبيب المصطفى (يقول: إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها) رواه مسلم.

٢٩ - **وهل إذا تزوجت أكثر من امرأة ستحرص على العدل** بدل أن تأتي يوم القيامة وشقك مائل (مشلول) ؟ فهل لك بخير الأزواج قدوة في العدل ؟

٣٠ - **هل تريد أن تجعلها خير زوجة؟** فكن أنت خير زوج !!

٣١ - **أنتما تتعاونان في كافة أمور البيت** وشؤون الحياة الزوجية، فهل تتعاونان على طاعة الله ؟! وتكونان ممن دعا لهما رسول الله ﷺ بقوله: (رحم الله رجلاً قام من الليل فأيقظ أهله، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء) رواه أبو داود والنسائي أم أنك إن مسحت وجهك بالماء تضربها ؟ ! لا تفرِّطا في دعوة رسول الله ﷺ .

٣٢ - **هل جلستك المفضلة في المقهى؟** أو مع أصدقائك تلعبان الورق وتقتلان الوقت ؟ أم بين أولادك وزوجتك تتعاونان على البر والتقوى ؟! (إن لزوجك عليك حقاً وإن لأولادك عليك حقاً).

٣٣ - **قد تخطىء الزوجة معك وتخطىء معها**، فهل كلما اختلفتما عَدَدْتَ عليها أخطاءها؟ وعَدَّتْ عليك أخطاءك، أم ستتسيان الماضي وأخطاءه؟ وهذا هو الحق والصواب.

٣٤ - **وإذا اختلفتما، فهل ستنشران أسباب الخلاف** ووقائعه على الأصدقاء والأعداء، والجيران والأقارب والأباعد، ثم بعد تصالحكما، وتراضيكما تندم على ما فعلت وتندم هي على ما فعلت ؟! إذن لا تسمحا لأحد بالتدخل في حياتكما الزوجية، وحلا مشكلاتكما بهدوء وروية، ولا تتركا مجالاً لاستفحال الخلاف ..

٣٥ - **إذا مرضت أنت، فإنها لا تنام من أجلك**، ومن أجل أطفالك المرضى أيضاً، فهل إذا مرضت هي تطلب أنت من أهلها مداواتها أو ترسلها إلى الطبيبة وحدها، ما أظنك تفعل، أشعرها باهتمامك بصحتها وكن بجانبها تحفظ لك الوداد، ويزداد الحب بينكما.

٣٦ - **لا تنقل مشكلات عملك وهموم وظيفتك إلى بيتك**، واجعل بيتك روضة للحب والحنان، وابتسم ولو كان قلبك حزيناً.

٣٧ - **قد تغيب عنها في سفر أو عمل**، فهل ستتركها بلا نفقة؟ أو تترك أولادك أيضاً، أم أنك ستوفر لهم ما يكفيهم، وسوف تسأل عنهم، وتكلمهم عبر الهاتف بين الحين والآخر، ليدوم الاهتمام، وليدوم معه الحب والمودة.

٣٨ - **في نفسك أشياء تريدها**، وطلبات تهوى تحقيقها، أوضح ما تريد، وقله بعبارة واضحة، فقد تكون العبارة واضحة لديك غير واضحة لديها ! ولا تتسرع في النتائج، واصبر حتى يتحقق لك المطلوب.

٣٩ - **الغيرة من طبائع النساء**، حتى أزواج الرسول ﷺ كانت الغيرة تلازمهن، لذلك اصبر على غيرتها وعالجها بالهدوء والتحمل، والإعراض لأن الحبيب المصطفى ﷺ قال: (إن الغَيْرَى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه) رواه الطبراني.

٤٠ - **كن بجانبها عند المصائب والأحزان**، وبخاصة إن أصيبت بأهلها من أب أو أم، وكن كريماً في عشرتها، وصبرها عند المصيبة وأظهر مشاركتك في حزنها، وهكذا شأن الأزواج المحبين والمؤمنين المتقين: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر).

٤١ - **هل إذا اختلفتما وصار بينكما مشكلات أو خطأ تكون أنت المحق دائماً، وهي المخطئة** ؟ راجع نفسك قد تكون أنت المخطئ، إذن كن كما قال الله تعال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** ﴾ النساء: ١٣٥.

٤٢ - **حافظ على زوجتك من عيون شياطين الجن والإنس**، وكن غيوراً عليها، وبخاصة عند خروجكما من البيت، وليكن قوله تعالى :﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ**

أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ النور: ٣١، منهاجاً ودستوراً.

وقوله ﷺ: (أيما امرأة استعطرت فخرجت على قوم ليجدوا ريحها، فهي كذا وكذا.. يعني: زانية) رواه أبو داود. فزينتها وريحها لك، وحجابها لمن لا يحل لها من الأجانب.

٤٣ - **لا تحوجها لأن تطلب منك المال لحاجتها** وحاجات البيت، بل اجعل في يدها مالاً خاصاً غير مصروف الأولاد والمنزل، فقد تستحي أو تأنف أن تطلب منك، فأكرمها واجعل لها ما يسد الحاجة، أو يفي عند الطوارىء.

٤٤ - **وأخيراً:** ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ فصلت: ٣٤. فكيف بزوجتك وشريكة عمرك. أهـ بتصرف واختصار من كتاب (كيف تجعل زوجتك تحبك؟).

المرأة المثالية في أعين الرجال:

٥- وهذا عنوان كتاب قال مؤلفه محمد عثمان الخشت في مقدمته:

(سوف تظل المرأة المثالية ضالة الرجال في كل زمان ومكان، يجد في البحث عنها، وينشد الطرق التي توصله إليها، فهي التي تجعله في وفاق مع نفسه، ومع الحياة، ومع الكون كله، إنها وطن الرجل الأم، إليها يرجع دائماً، وبدونها يضيع ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الروم: ٢١. ونحن إذ نعيش عصراً حلت فيه سيكولوجية مضطربة متوترة محل السكينة والتوازن الداخلي، وتخلت فيه جميع ألوان الأصالة والجوهر عن مكانها إلى جميع المظاهر السطحية، فإن ظمأ الرجل الكياني إلى المرأة الأصيلة ظمأ واسع الأرجاء أكثر من أي وقت مضى.

إن الرجل في عصرنا هذا أشد ما يكون تطلعاً وحاجة إلى المرأة تلهمه وتعيد صياغته النفسية من جديد !. ولكن من هي تلك المرأة التي يمكنها أن تمنحه، حباً وحناناً وعبقرية ونجاحاً، وتواؤماً مع الحياة ؟! إنها المرأة المثالية .. تلك المرأة المقصودة من هذا الكتاب، الذي أردنا أن يكون الحديث فيه عن المرأة بدءاً من الرجل، أي من وجهة نظره:

١- كيف يراها؟

٢- ماذا يغريه فيها؟

٣- ماذا ينفره منها؟

٤- ما هي معايير جاذبيتها ومقاييس جمالها الجسدي والروحي ؟)

وفي الفصل الذي يليه بعنوان: (المرأة المثالية كما يراها الرسول ﷺ)؛ ذكر العناصر الآتية:

١- **النظرة التكاملية إلى المرأة التي عبر عنها الرسول الكريم ﷺ** بقوله (ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة: التي إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته).

وفي الفصل بعده: المعنون: (بسيكولوجية المرأة المثالية (نفسيتها) وأخلاقياتها) كانت العناصر المثالية هي الآتية:

١ - **المرأة لا تنسى أنها أنثى** (والأنوثة تعني الرقة والجاذبية والجمال).

٢ - **تراعي الأولويات**، فلا تهتم بشيء مثل اهتمامها بزوجها، ثم أولادها .. ومن بعدهم.

٣ - **منطقية في طلباتها**، كما قال الشاعر:

إنك إِنْ كلَّفتِني ما لَمْ أُطِقْ   سَاءكِ ما سرَّك منِّي مِنْ خُلُقْ

ويشهد لهذا أن السيدة فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - رآها زوجها سيدنا علي رضي الله عنه وقد اصفر لونها.

فقال لها: ما بك يا فاطمة ؟

قالت: منذ ثلاث لا نجد شيئاً في البيت، قال لها: ولماذا لم تخبريني؟ فأجابت: ليلة الزفاف قال لي أبي رسول الله ﷺ:

(يا فاطمة إذا جاءك علي بشيء، فكليه وإلا فلا تسأليه).

٤ - **لا تختلق النكد** .. وتشير بعض الدراسات إلى أن معظم الرجال الذين يبحثون عن زوجة أخرى بسبب ما تختلقه الزوجة الأولى من نكد، وما تفتعله من صدام مع الزوج.

٥ - **تحافظ على صورتها الحلوة والجميلة**، لذلك لا تستغرب عندما تجد زوجة جميلة يهملها زوجها ويتطلع إلى غيرها، بينما تجد زوجة أخرى قليلة الجمال ولكنها تملك قلب زوجها، وعواطفه، بحفاظها على أناقتها، وحرصها على نظافتها وبهاء زينتها وملبسها.

٦ - **تتحلى باللباقة** .. وهي بكل بساطة: الكلمة المناسبة .. الفعل الملائم ..ردود الفعل الذكية. وبعبارة أخرى تلبس لكل حالة لبوسها.

٧ - **تحرص على تحصيل خبرات جديدة:** وذلك بالتعلم المستمر وإضافة خبرات جديدة إلى خبراتها السابقة، وتتعلم من كل تجربة .

٨ - **مستقلة الشخصية عن أمها:** وبتعبير آخر قد فُطِمَتْ عن أمها، وتبنت حياة جديدة مستقلة عن كل أحد سوى زوجها الذي يمثل نصفها الآخر .

أقول: (وإن معظم مشكلات الزوجات مع أزواجهن في بعض بلداتنا السورية؛ هي أن المرأة لم تفطم عن أمها، وتشاور أمها في الكبيرة والصغيرة، كأنها لا تزال في بيت أمها، وهذا ما يكرهه الأزواج ويوصل إلى الطلاق).

٩ - **تجيد معاملة أهل الزوج**، وتكرمهم وتستطيع كظم غيظها، وتلتمس الأعذار لمن تتعامل معهم، وتضع نفسها في موضع حماتها.

١٠- **تعلم أن النظافة أبقى لها من الجمال:** وفي شريعة الإسلام (الطهور شطر الإيمان) لذلك كان الغسل والوضوء من أهم أسباب النظافة.

١١- **لا تفرط في الزينة ومجاراة خطوط الموضة:** لأن اتباع الموضة شعور بالنقص، فتحاول بتمسكها بها إكمال نقصها.

١٢- **أمينة مخلصة:** فهي مخلصة لزوجها ولو كانت لا تحبه، لأن رباط العلاقة الزوجية رباط وثيق سماه الله سبحانه: ﴿ . . .وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾النساء: ٢١. وهي حافظة لغيبة الزوج وحضوره، فلا تخونه في نفسها وماله.

١٣- **غير مسرفة في الاختلاط بالجيران،** ولا تدخل أحداً دارها إلا بإذن زوجها (وانظر ما ذكرناه عن تلك التي أدخلت جارتها إليها، دون رضا زوجها في بحث روابط تمتين الحياة الزوجية).

١٤- **تعيش الحاضر فقط:** ومن الخطأ القتَّال أن تعترف له بعلاقتها - إن كانت لها علاقات سابقة مع غيره- ثم تاب الله عليها، فإنها تهدم حياتها بيدها إن حكت له عما مضى، ولو في أثناء المباسطة، ولن ينسى الرجل ذلك إن غضب منها، فإذا ابتليت بذلك ثم سترها الله، فحذار حذار من إعادته وحكايته، ولو كان زوجها أحب الناس إليها قال النبي ﷺ: (إذا ابتليتم بالمعاصي فاستتروا) وليس كل الرجال مثل ذلك الرجل الذي حكى عنه إمام جامع الورد (راجع قصته في فصل آداب ليلة العرس).

١٥- **لا تعد المال أصدق تعبير عن الحب** .. فقد يكون أحد الوسائل وليس كلها، وإن مع العسر يسراً.

١٦- **ليست مسرفة في طعامها وشرابها:** وغالب الرجال لا ينظرون بعين الاحترام إلى المرأة الأكول المسرفة في طعامها وشرابها ..

١٧- **ليست مهملة:،** وتقدر الأمور بقدرها، فلا تقلب الحسن سيئاً ولا السيئ حسناً.

١٨- **لا تحفظ النقائص،** وتستر المحاسن، بل وتغض النظر عن عيوب زوجها، وتحاول ما أمكنها إصلاح عيوبها.

١٩- **تبتعد عن الجدال والشجار،** ولا تعيِّر زوجها بغيره من الناس، ولا تكثر الشكوى والتذمر من ضيق العيش، أو سوء أخلاق الأولاد، ولا تجابه زوجها حال غضبه،

قال الشاعر:

خُـذِي العَفْو منِّي تَستَدِيمي مَودَّتي
ولا تَنْطُقِي في سَوْرتي حينَ أَغْضَبُ
ولا تَنْقُرِينـي نَقْـرِكِ الـدفَّ مـرَّةً
فـإنَّـك لا تـدريـنَ كَيـفَ المغَـيَّب
ولا تُكْثِري الشَّكْوى فتذهَبُ بالقوى
ويَـأْبـاكِ قَلْبـي والـقُلُـوبُ تَقَلَّـبُ
فإنِّي رَأيتُ الحُبَّ في القَلْبِ والأَذَى
إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

٢٠- **لا تدفع زوجها إلى الثورة والغضب والتهور**، فإذا غضب وثار روعت، وولولت، وانتحبت، وراحت تؤكد بالأيمان المغلظة أنها لم تقصد إلى شيء من هذا، ولم أتوقع حدوث ما حدث.

٢١- **ليست خداعة**، فلا تخدع غيرها ولا نفسها ولا منَّانة، فتذكر فضائلها على زوجها وتمن عليه، ولا أنَّانة (متمارضة) كثيرة الشكوى من الأمراض والعلل، ولا ثرثارة، كثيرة الكلام، ولا براقة همها الزينة والتأنق الزائد، ولا حدَّاقة متطلعة إلى المغريات أو إلى ما يملكه الناس الآخرون من مال وأثاث ودور ورياش.

٢٢- **ولا تضع نفسها مواضع التهم**، قال الله تعالى: ﴿ **فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا** ﴾ الأحزاب: ٣٢.

٢٣- **ولا تُفْشي سراً** قال الله تعالى: ﴿ ... **فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّه..** ﴾ النساء: ٣٤.

٢٤- **لا تضيع حق زوجها بحجة أداء حق الله**، كما قالت تلك المرأة:

ولِـلَّـهِ مِـنِّـي جانِـبٌ لا أُضَيِّعُه   ولِلَّهْوِ مِنِّـي وَالبَطَالَـةِ جَانِبُ

٢٥- **تعبر عن مشاعرها** وتعطي لزوجها فرصة التعبير عن مشاعره، فتجيد الإصغاء إليه إذا تكلم، وإذا وجدت فرصة منه لسماع كلامها تحدثت.

٢٦- **ترضى بما قسم الله لها من رزق** ونفقة عند زوجها إن قُدِر عليه رزقه، ولا تتطلَّع إلى ما ليس عنده.

٢٧- **لا تجعل للغيرة عليها سلطاناً**، فتفسد حياتها وتنهيها بالطلاق. كما قال الحكيم لابنته: إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق.

٢٨- **لا تترك أولادها للخدم، ولا للشوارع**، بل تحسن تربية أولادها بنفسها، كما قال الشاعر:

الأُم مَدْرسَةٌ إِذَا أَعْدَدتَها   أعددْتَ شَعْباً طيِّبَ الأَعْرَاقِ

٢٩- **ليست لحوحاً**، ولا نزاعة للسيطرة، ولا متكبرة، نظيفة مرتبة، وذات إناقة وترتيب.

٣٠- **صبورة شكورة**، حريصة على بيتها وسمعة زوجها وسمعتها.

٣١- **صفاتها، الحنان، والوفاء**، والحب والوداد، والأمانة والصدق.

* * *

... وتحدث كتاب المرأة المثالية عن مقاييس الجمال في أعين الرجال، وهي تختلف من رجل إلى آخر، وأعظم جمال يحصل عليه الإنسان هو جمال الخُلُق، فإن وجد وسكن الرجل إلى المرأة، فإن الله هو الذي يجعل الحب والمودة والرحمة بينهما.

ومن طرائف ما يذكر، ما ذكره صاحب العقد الفريد: إن خالد بن صفوان رأى جماعة مجتمعين على امرأة تدل على النساء وتخطب، فأتاها خالد، فقال لها: ابغني امرأة (أي اخطبي لي امرأة) قالت: صفها لي: قال: أريدها بكراً كثيب، أو ثيباً كبكر، حلوة من قريب فخمة من بعيد، كانت في نعمة، فأصابتها فاقة (فقر) فمعها أدب النعمة وذل الحاجة، فإذا اجتمعنا كنا كأهل دنيا، وإذا افترقنا كنا كأهل الآخرة. فقالت: قد أصبتها لك (وجدتها) قال: أين: وأين هي؟ قالت: في الرفيق الأعلى من الجنة، فاعمل لها.

وذكر الكاتب الأسلوب الأمثل في حل الخلافات الزوجية بأن:

١ - تحدد الزوجة مع زوجها أي وجهة نظر مختلفة معه، هل هي خلاف، أم اختلاف في وجهات النظر؟ وفرق بعيد بين اختلاف وجهات النظر والخلاف.

٢ - فإذا كان خلافاً، فإنها تتفق مع زوجها على مناقشة الخلاف دون غيره وبهدوء وروية في ساعة يتمكن فيها الاثنان من إبداء وجهة نظرهما دون غضب أو انفعال.

٣ - تتكلم عن نفسها لا عن غيرها، ولا عنه بصفة أنه متهم.

٤ - ولابد بعد أن يسمع الاثنان الرأي الآخر أن تحدث المصالحة، ويزول الخلاف، ثم بعد ذلك، يقضيان ساعة ممتعة بعد أن أفضى كل منهما إلى الآخر بما في نفسه، وهذا الحديث إن أخذ وجهة الكلام الهادىء والعتاب، فقد زال الخلاف كما قال الشاعر:

إِذا ذَهَبَ العِتَابُ فليسَ الودُّ يَبْقَى   ويَبْقَى الودُّ ما بَقِيَ العِتَابُ

فالمحب يعاتب، والعدو يباغض ويقاطع، وينفث سمومه وعداوته.

ومن الأخطاء القاتلة التي تقع فيها النساء:

١- ألا تبوح الزوجة بحقيقة مشاعرها تجاه زوجها، وتسكت على غضب أو حقد، بل عليها الصدق والصراحة في المواجهة، حتى يزول ما في قلبها وتصفُوَ النفس مما علق فيها.

٢- ألا تتلفظ بألفاظ فيها جرح لشخصية زوجها، من الكلام البذيء أو العنيف .

٣- ألا تشرك غيرها من أم أو أب، أو أخت؛ ليحل المشكلات بينهما طالما أنه باستطاعتها أن تجلس مع زوجها أو تتكلم ما تريد.

٤- ألا يتشاجر الوالدان أمام الأطفال.

وفي خاتمة البحث يسأل المؤلف:

ماذا تفعل المرأة المثالية عندما يهجرها زوجها؟.

والجواب في الحديث الآتي: (تضع يدها في يده، وتقول له: لا تغمض لي عين حتى تكون راضياً) كما ورد في الحديث. ا.هـ (من كتاب الزوجة المثالية بتصرف واختصار).

الموضة في التصور الإسلامي:

٦- ومن هذا الكتاب الممتع النافع لمؤلفته الزهراء فاطمة بنت عبد الله اخترنا هذه الكلمات، ولا غنى للمرأة المسلمة عن مطالعته، والاستفادة من أبحاثه، قالت المؤلفة:

(والموضة أمر مخطط له من قبل الحركة الصهيونية العالمية فهي اليد التي تنفذ لتحطيم البناء الإسلامي والديني عموماً، ماعدا الديانة اليهودية، وذلك من جهتين: أحدهما مادية، والأخرى معنوية.

... وقد يظن بعضهم، أنني أخلط ما بين الموضة والتبرج والاختلاط، ولكن الحقيقة أن هذه الأمور تعد عدة أوجه لعملة واحدة، فاتباع الموضة تبرج، وما ترتديه المتبرجات عموماً يخضع لخطوط الموضة، والموضة والتبرج يؤديان إلى الاختلاط بطبيعتهما .. وهكذا.

.. إن الأمر تجاوز حده وذلك؛ بظهور أدباء ونقاد وعلماء يروجون للانحلال واتباع الموضات وهم صنيعة أعداء الإسلام، يخدمون أفكارهم، ويروجون لمبادئهم، وفي المقابل يُدّعَمون مادياً ومعنوياً، فيصبحون من كبار المشاهير بين يوم وليلة، وتغدق عليهم الجوائز العالمية والمحلية والألقاب العظيمة، مما يفتن بهم شبابنا، فيعتقدون أن هذه الشخصيات مصلحة بناءة، فتنقاد لهم عقول شبابنا، فيقعون في المصيدة التي أعدها لهم أعداء الله وأعداؤهم ... (ص٧)

وفي فصل: (أهداف الموضة) ذكرت المؤلفة أن الهدف الأول من إنشاء الموضة تحطيم الإنسان مادياً ومعنوياً عن طريق استنزاف أمواله، وإضاعة وقته فيما يضر ولا يفيد، فعن طريق الموضة يقوم المخططون لها بالتحايل لجمع أكبر قدر ممكن من أموال هؤلاء البلهاء المخدوعين الذين لا يميزون ما يضرهم وما ينفعهم ...

وإن الحركة الصهيونية والرأسمالية الصليبية تعمل جاهدة لتحقيق إفقار الشعوب وإذلالها، ومن وسائلها :

١- **ترويج تجارة الشهوات والغرائز الجنسية**، وتعود أرباحها لها.

٢- **ترويج تعاطي المخدرات والمسكرات**، وأن تعود أرباحها لها أيضاً .

٣- **أن تملك زمام التصنيع والاختراع**، والتسويق والتصدير، لتمتص دماء الشعوب، كما تحاول إعاقة تصنيع العالم الإسلامي؛ ليبقى سوقاً لمنتجاتها وصناعاتها ومخترعاتها.

٤- **ترويج الأزياء ووسائل الزينة وأدوات التجميل في العالم**، وتكون المعامل المنتجة لها في يدها، فصار لكل عام زي، ولكل فصل موضة في الملبس والزينة والشعر، والمساحيق والطلاءات .. وللصباح زي، وللمساء زي، وللظهر زي .. وهذا تشجيع على التبرج لإفساد الأخلاق، واستنزاف المال الذي في يد الشعوب، وحصره بيدهم. (ص٢٠).

وقد تضمن هذا الكتاب القيم النافع في فصوله: حقيقة الموضة ونشأتها والمستفيدون منها وأهدافها، وأضرارها على الأسرة والمجتمع، اقتصادياً واجتماعياً، وحكم الإسلام فيها والأدلة الشرعية على حرمة اتباعها.

كما ذكرت الكاتبة، في فصل: الأدلة على حرمتها، أنها إسراف وتبذير، وعبودية لغير الله، وتؤدي إلى هدم حقوق الزوج وهضمها، وإلى تشبه الرجال بالنساء وبالعكس، كما هي تغيير لخلق الله، وإلى الاختلاط المحرم، ومخالفة لسنن الفطرة، وتقليداً لأعداء الله.

وقد ذكرت في فصل: هضم حق الزوج، قصصاً عن بعض النساء المتعلمات، والمعلمات اللاتي كن يرفضن معاشرة أزواجهن إلا بعد تأمين ما يطلبن من ثياب وزينة وعقود جديدة، تذكرها كتب الموضة.

وذكرت في خاتمة الكتاب قولها: (ويعد تطبيق الموضة تنفيذاً للمخطط الإجرامي الذي يستهدف انحلال المرأة؛ لينحل على أثرها المجتمع بأسره، إذ إن الموضة تجعل

المرأة تمثل بأزيائها عدة شخصيات، فمرة تكون خليعة، ومرة تكون لا مبالية، ومرة تتشبه بالرجال، ومرة تقلد الوحوش والبهائم. ومرة رجعية، ومرة فوضوية... إلخ ..

جميع هذه الشخصيات مرفوضة شرعاً بالدرجة الأولى، ومزرية بالمرأة من ناحية أخرى، ثم إن في ذلك عبودية وتبعية لأعداء الله، بل إن فيها تقليداً لهم، وهو تقليد أعمى وزائف، إذ إن الأجانب لا يهتمون بالموضات التي يصدرونها إلينا، ولكنهم يوهموننا بأنهم يطبقونها، وذلك عن طريق مجلاتهم الخاصة بالأزياء وغيرها ..)

وعلى كل حال، فالكتاب جدير بالمرأة والرجل، الزوجان أن يقرأاه؛ ليعرفا الطرق والوسائل التي يستعبدنا فيها أعداء الله. ويسيطرون على العقول والجيوب والأجسام، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الطب والحياة الزوجية:

٧- ومن كتاب (**الطب والحياة الزوجية**) وهو رسالة أعدت لنيل إجازة في الطب للطبيب عبدو ناقو ورفاقه، اخترنا لكما هذه النقول:

ضع علاقتك الزوجية في الميزان: يمكن أن نرتب خمس مجموعات من العلاقات الزوجية بشكل صاعد نحو السعادة والرضى:

١- **الطباع المتنافرة:** وتصرفات كل من الزوجين خلاف رغبات الآخر، فينتج عنها النزاع ولو من أجل قضية تافهة.

٢- **المسلوب الحيوية:** بعد عقد الزواج (الكتاب) وبداية الزواج يكون هناك تعاون، ثم تنشأ المشكلات فيختفي التعاون، وتنشأ النفرة والعزلة، وتظهر هذه العزلة أكثر كما ينشأ الأطفال، فتخمل الحياة الزوجية أكثر، وإن حاول الزوجان أن يضفيا عليها علامات الرضى من الجوانب الأخرى .

٣- **الانسجام السلبي:** ويشبه نمط المسلوب الحيوية، غير أنه منذ مدة العقد وشهر العسل تكون الحيوية في العلاقة الزوجية مسلوبة، فيواجه الزوجان خيبة أمل وندم بعد الزواج. ويتعاملان على مستوى منخفض من العلاقات الزوجية، لكن لو

تدخل بينهما حكيم مصلح، فبإمكانهما أن يعدلا من أسلوبهما في الحياة، ويرتقيا درجة.

٤- **الحيوي:** عاطفة عميقة متبادلة بين الزوجين، فهما يصرفان وقتاً كثيراً مع بعضهما فيه مزيد من الرغبة والإحساس بالحاجة والارتياح عند اللقاء، ولما كانت العاطفة بينهما قوية، فهما يحلان المشكلات التي تحدث بينهما بنفسهما، ودون عرضها على أحد.

٥- **التام:** كعلاقة (الحيوي) غير أن الرابطة التي تربط الزوجين تجعل كُلّا منهما ينجز حاجات وطلبات الآخر الجنسية وغيرها في كل نواحي الحياة. **ملاحظة:** قد يرتقي النمط الحيوي إلى التام.

العلاقة الجنسية (المباضعة) في ظروف بدنية خاصة:

أ - **في أثناء الحيض والنفاس:** قال الله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾البقرة: ٢٢٢، لذلك فإن توارد الدم إلى الأعضاء الجنسية يزيد في التهيج؛ فقد يحصل نزيف شديد، أو يعود الدم إلى التدفق، في أثناء المباضعة، بعد أن يكون قد خف أو كاد أن ينقطع. كما أنه يسهل تسلخ الأنسجة المهبلية وتعرضها للإنتان، وبخاصة إذا كان أحد الزوجين يحمل جراثيم فإنها تجد الخصوبة لنموها، وقد تسبب المباضعة صعوبة العلاج. وتضخم الأعضاء الجنسية في أثناء الحيض قد يسبب آلاماً شديدة، فإذا تكررت هذه الآلام فقد تُزْمِنُ. كما أنه من الممكن حدوث اضطرابات عامة في الجسم كالصداع وعسر الهضم. وكما أن الله سبحانه حرَّم الجماع في أثناء الحيض، فإن الذوق السليم يأبى، وينفر من الجماع والدماء تسيل وتنشر رائحتها المنفرة .

ب – في أثناء المرض: تتبع القواعد الآتية:

١- **تمنع الملامسة في كل الأمراض التي قد تحدث فيها العدوى بين الزوجين إلا إذا** اتخذت الاحتياطات الصحية الملائمة، إذا حدث تلامس، فيجب معالجة الزوجين معاً.

٢- **يمنع الاتصال الجنسي تماماً،** إذا كانت أعضاء الذكورة أو الأنوثة مصابة بأمراض حادة مع ملاحظة أنه قد ينقلب الالتهاب الخفيف إلى أشد.

٣- **في حال التهاب الأعضاء الجنسية المزمن** الذي يسبب عسراً في الجماع، يجب الاعتدال في العلاقة، والسعي نحو العلاج الجذري.

٤- **عند الرجل المصاب بتصلب الشرايين** بسبب ارتفاع ضغط الدم، المرافق الجماع، فإن العواقب قد تكون قاتلة.

٥- **في الأمراض النفسية والعصبية،** فإن الجماع يستطيع أن يقدم نفعاً كبيراً في العلاج.

جـ - **في أثناء الحمل:** قد يظن الزوج، إذا رأى فتوراً في رغبتها الجنسية أن هناك صارفاً صرفها عنه، والحقيقة أن هناك صارفا فطريا لحكمة أودعها الله في الأشهر الأخيرة في الحمل، وخاصة الأسابيع الأربعة الأخيرة، أما الأسبوع الأخير وأسابيع ما بعد الولادة، فإن الصارف يكون أشد.

وإذا كان الصارف مرضياً من الناحية الجسمية أو النفسية فإنه يحتاج للعلاج.

وعلى الرجل أن يعذر زوجته في هذا الحال، وإذا اضطرت في الأسابيع الأخيرة للحمل، فليتجنب الشدة والعنف، وليتحلَّ بالهدوء واللطافة، كما أن الجماع في الأيام الأخيرة للحمل والأولى بعد الولادة يؤهب المرأة لحدوث حمى النفاس، عدا الأمراض التي ذكرناها في الحيض والنفاس، وقد يسبب الإسقاط في النساء اللواتي يشتكين من الإسقاط المتكرر.

كما أورد الكاتب فصولاً لعلاج الحامل، والعناية بها، وتحدث عن الاضطرابات الأساسية في وظيفة المرأة الجنسية، وكذلك عند الرجل، وتحدث عن الشذوذات الجنسية عند الجنسين وأسبابها، مما يرجع إليه في هذه الأمور للأطباء.

التفاهم في الحياة الزوجية:

٨- ومن كتاب (**التفاهم في الحياة الزوجية**) للدكتور مأمون مبيض، اخترنا هذا البحث قال :

ومن أجل علاقة زوجية جيدة وسليمة يجب على الزوجين أن يقفا على أرضية صلبة ومتينة من الفهم والفكر السليم، وعليهما كذلك أن يبديا نوعاً من المرونة والقدرة على التكيف مع المتغيرات، والقابلية للتغيير المطلوب حسب الظروف والتبدلات .

.. ويبدو أن الصورة السائدة في المجتمعات اليوم، لا تتفق مع التعاليم الصحيحة للدين الحنيف، والتي عاشها الكثيرون من الرعيل الأول، وتعاليم الدين لا تتفق مع كثير مما هو في المجتمعات المختلفة عن طبيعة المرأة والرجل ودور كل منهما، فالصورة الصحيحة إنما هي صورة متكافئة، بعيدة عن النمطية والدور المفروض، بغض النظر عن الظروف والملابسات، إنها صورة حيوية، تقوم على الفهم والاحترام المتبادل لإمكانيات الجنسين، وتكاملهما، بحيث يشترك الاثنان في كثير من الواجبات والاهتمامات، واتخاذ القرارات المهمة في حينها ا هـ (ص١٢) .

ثم قال تحت عنوان: الزواج **كعقد اجتماعي:**

ليس الزواج مجرد التقاء طرفين للاستمتاع بعضهما، وإنما يتضمن الزواج تعهداً وتصميماً والتزاماً بهذه الرابطة من اللحظة الأولى، وعلى أنها علاقة مدى الحياة وحتى الممات، وليس في الزواج مكان لمبدأ التجريب، لنرى هل ننجح أم لا ؟! ولا يصح أن يدخل الإنسان في عقد الزواج على نية الطلاق، وهذه كلها من جملة الأسباب الكثيرة التي يعارض فيها الإنسان الأشكال الأخرى من العلاقة بين الرجل والمرأة عن طريق الزواج.

وتذكر الأبحاث نتائج سلبية كثيرة لعيش الرجل والمرأة معاً عن طريق غير الزواج، ونذكر منها بالإضافة إلى الحرمة الدينية الشرعية والأخلاقية:

١- **الاعتباطية والتردد في إقامة علاقة دائمة.**

٢- **معظم هذه الحالات تنتهي بالانفصال** بعكس ما يدعي الناس أن أمامهم فرصة للتعارف.

٣- **اختلاف دوافع الجنسين**؛ حيث يميل الرجل للبحث عن المتعة، بينما تسعى المرأة للعلاقة الدائمة.

٤- **تكون المرأة عادة ضحية** هذا النوع من العلاقات أكثر من الرجل.

٥- **قد تصل الآثار السلبية** وآلام الانفصال في مثل هذه العلاقات إلى نتائج الطلاق نفسها بين الزوجين. ا.هـ ص١٦ وقد ذكر المؤلف في مقدمة الكتاب، أنه من خلال معالجة كثير من الأزواج والزوجات المعالجة النفسية، سواء كانوا عرباً أو أجانب مسلمين وغير مسلمين، تجمعت لديه خلال مدة عشرين عاماً من المعالجة كثير من الملاحظات والأفكار في طبيعة العلاقة الزوجية، وطرق تنمية هذه العلاقة، ووسائل الحفاظ على الود والتفاهم بين الزوجين .ص٧ من الكتاب للدكتور مأمون مبيض.

الزواج الإسلامي المبكر

٩ - ومن كتاب (**الزواج الإسلامي المبكر**) للأستاذ الشيخ محمد علي الصابوني اخترنا من بحث: (معالجة الشقاق بين الزوجين) ما يأتي قال:

لفتة قرآنية لطيفة: وقبل أن نتحدث عن موضوع التأديب، بالضرب والتأنيب، الذي يتخذه أعداء الإسلام سلاحاً، للإساءة إلى التشريع الإسلامي، نتحدث عن لفتة قرآنية بديعة، لفت القرآن أنظارنا إليها، بتشريعه الفريد الخالد، حيث ورد النظم الكريم في الآيات السابقة: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا** ﴾ النسا: ٣٤.

ولو قال مثلاً: بما فضلهم عليهن، أو قال: بتفضيلهم عليهن، لكان أخصر وأوجز، فلماذا وردت الآية بهذه الصيغة، مع أنها أطول، والبلاغة، كما يقولون الإيجاز؟

والجواب: إن الله سبحانه وتعالى نبه إلى أن المرأة من الرجل، بمنزلة الجسد الواحد . فكأنهما روحان حلا في جسد واحد، وينبغي أن يحرص أحدهما على الآخر، حرصه على نفسه وعلى أعضائه، المرأة من الرجل، والرجل من المرأة، بمنزلة الأعضاء من جسم الإنسان، فإذا كان الرجل بمنزلة الرأس، فالمرأة بمنزلة القلب والبدن، ولا ينبغي لعضو أن يتكبر على عضو، لأن كل واحد يؤدي وظيفته في الحياة، فالجسم مكون من أعضاء، فيه الأذن، والعين والقلب، واليد، والرجل، وغيرها من الأعضاء، فالأذن لا تغني عن العين، واليد لا تغني عن القدم، ولا عار على شخص أن يكون قلبه أفضل من معدته، ورأسه أشرف من يده، فالكل يؤدي دوره بانتظام، ولا غنى لواحد عن الآخر، ولهذا السر الدقيق جاء النظم الكريم: ﴿ **بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ .

(كلمة حول القوامة والتأديب):

قضت سنة الله الكونية، وظروف الحياة الاجتماعية، أن يكون في الأسرة قيِّم، يدير شؤونها، ويتعهد أحوالها،ويتولى مصالحها، وينفق من ماله عليها، لتؤدي رسالتها على أكمل الوجوه، وأفضل الطرق، حتى تكون الأسرة النواة الأولى، لبناء المجتمع الإنساني الذي ينشده الإسلام، إذ في صلاح الأسرة صلاح المجتمع، وفي فساد الأسرة و خرابها، دمار المجتمع وخرابه.

ولما كان الرجل أقدر على تحمل هذه المسؤولية من المرأة، بما وهبه الله من العقل، وقوة العزيمة والإرادة، وبما كلفه من السعي والإنفاق على المرأة والأولاد، كان هو الأحق بهذه القوامة، التي هي في الحقيقة درجة (مسؤولية وتكليف) لا درجة (تفضيل وتشريف)، إذ هي إسهام في تحمل الأعباء، وليست للسيطرة والاستيلاء، إذ لابد لكل أمر مهم من رئيس يتولى شؤون التدبير والقيادة، وقد جعل الله للرجال حق القيام على النساء بالتأديب والتدبير والحفظ والصيانة.

ولعل أخبث ما يتخذه أعداء الإسلام، ذريعة للطعن في دين الله، زعمهم أن الإسلام، أهان المرأة، حين سمح للرجل أن يضربها، ويقولون: كيف يسمح الله بضرب

النساء، وكيف يحوي كتابه المقدس هذا النص: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ النساء: ٣٤. أفليس هذا اعتداء على كرامة المرأة !!

والجواب: نعم لقد سمح القرآن بضرب المرأة، ولكن متى يكون الضرب ؟ ولمن يكون ؟

إن هذا الأمر علاج، العلاج إنما يحتاج إليه عند الضرورة، فالمرأة إذا أساءت عشرة زوجها، وركبت رأسها، وسارت وراء الشيطان وبقيادته، لا تكف ولا ترعوي عن غيها وضلالها، فماذا يصنع الرجل في مثل هذا الحالة ؟ أيهجرها، أم يطلقها، أم يتركها تصنع ما تشاء ؟

لقد أرشد القرآن الكريم إلى الدواء، أرشد إلى اتخاذ الطرق الحكيمة في معالجة هذا النشوز والعصيان، فأمر بالصبر والأناة، ثم بالوعظ والإرشاد، ثم بالهجر في المضاجع، فإذا لم تنفع كل هذه الوسائل، فلابد أن نستعمل آخر الأدوية، وكما يقولون في الأمثال: (آخر الدواء الكي).

فالضرب بالسواك وما أشبهه، أقل ضرراً من إيقاع الطلاق عليها، لأن الطلاق هدم لكيان الأسرة، وتمزيق لشملها، وإذا قيس الضرر الأخف بالضرر الأعظم، كان ارتكاب الأخف حسناً وجميلاً، وكما قيل: (وعند ذكر العمى يستحسن العور).

فالضرب ليس إهانة للمرأة -كما يظنون - وإنما هو طريق من العلاج، ينفع في بعض الحالات مع بعض النفوس الشاذة والمتمردة، التي لا تفهم بالحسنى، ولا ينفع معها الجميل، كما قال الشاعر:

العَبْدُ يُقرَعُ بالعَصَا والحُرُّ تكْفِيهِ الإشَارَة

وإن من النساء، بل من الرجال من لا يقيمه إلا التأديب، ومن أجل ذلك وضعت العقوبات، وفتحت السجون.

يقول السيد رشيد رضا في تفسيره المنار: (وأما الضرب فاشترطوا فيه أن يكون غير مبرح، والتبريح: الإيذاء الشديد، وقد روي عن ابن عباس في تفسيره بالضرب بالسواك ونحوه، أي كالضرب باليد، أو بقصبة صغيرة ونحوها. ثم قال: يستكبر بعض مقلدة الإفرنج، في آدابهم منا مشروعية ضرب المرأة الناشز، ولا يستكبرون أن تنشز وتترفع عليه، فتجعله وهو رئيس لبيت مرؤوساً بل محتقراً، وتصر على نشوزها حتى لا تلين لوعظه ونصحه، ولا تبالي بإعراضه وهجره ولا أدري بم يعالجون هؤلاء النواشز؟ وبم يشيرون على أزواجهن أن يعاملوهن به؟ إن مشروعية ضرب النساء ليست بالأمر المستنكر، في العقل أو الفطرة، فيحتاج إلى التأويل، فهو أمر يحتاج إليه في حال (فساد البيئة) وغلبة الأخلاق الفاسدة، وإنما يباح إذا رأى الرجل أن رجوع المرأة عن نشوزها يتوقف عليه، وإذا صلحت البيئة، وصار النساء يعقلن النصيحة، ويستجبن للوعظ، أو يزدجرن بالهجر، فيجب الاستغناء عن الضرب، فلكل حال حكم يناسبها في الشرع، ونحن مأمورون على كل حال بالرفق بالنساء)[1].

أقول: إن أمر الضرب في شريعة الله، ليس إلا طريقاً من طرق الإصلاح، لكسر الغطرسة والكبرياء، وإخراج الشيطان الخناس ﴿**الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ**﴾ الناس: ٥، ٦. من رأس تلك المرأة الغاوية، التي لم ترعوِ عن غطرستها وضلالها، بجميع تلك الوسائل السابقة، من النصح والإرشاد، والتحذير و التذكير، والهجر في الفراش والمنام، وقد كره بعض السلف الضرب، كما روي عن عطاء أنه قال: لا يضرب زوجه، وإن أمرها ونهاها فلم تطعه، ولكن يغضب عليها، لقوله ﷺ: (ولن يضرب خياركم).

ومع ذلك، فهو علاج في بعض الحالات الشاذة :﴿ ...**فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**﴾ النساء: ٧٨.

---

(١) تفسير المنار ج٥ص٧٤ بشيء من التصرف والاختصار .

كما اخترنا من ذات الكتاب القصيدة الجميلة: **(فرحة الزواج)** لشاعر طيبة الأخ الكريم الأستاذ محمد ضياء الدين الصابوني نثبتها فيما يأتي:

يـا بُـلـبـلاً غَـــرِّدْ بـكـل مَـطَـافِ
فلقد ملكتَ من الغِنَاء شِغَافِي
إني طربتُ وهاجَنِي لحنُ الهوى.
لمـا هَـــزَزْتَ مـسَـــرَّةً أعـطَـافِـي
إنَّ الـــزَّواجَ سَـعــادةٌ وحَـصَـانَـةٌ
وبــه كـمــالُ الـدِّيـنِ والإعْـفَــافِ
فِـيِّـهِ الـسُّـمـوُّ وراحــةٌ نفسيَّةٌ
تَقْضِي اللَّيالِي حُلوةَ الأَطْيافِ
جـعـلَ الـكـريمُ مـــودةً ومحـبـةً
بـين القـلـوبِ لحكـمـةِ الإيْــلافِ
حسنُ اختَيارِ الزوجِ بنتُ أصالةٍ
ويـزيـنُـهـا خُـلُـقٌ كــريمٌ ضَــافِ
فـخـرُ الـفـتـاةِ بخُلقها وبدينها
ولـبـاسُ ثـوبِ فضيلةٍ وعـفَـافِ
لا بـالـتـبـرجِ أو بـعَـرْضِ مفاتنٍ
تُغري الشَّبابَ بهِزَّة الأَعطَافِ
فاظفرْ بذات الدِّينِ خيرَ حليلةٍ
كـنــز ثـمـين بـل مَـعِـينٌ صـافِ
لا يخدعنَّك من الفتاةِ جمالُها
واحرصْ على الأخلاقِ لا الأَرْدافِ
إيـــاكَ أن تـغـترَّ فيمن أصلُها
من منبت السوءِ الحقيرِ الجافي

وانـظـرْ إلـيـهـا فـهـو أحَـرى إنمـا
مـن دون مـفـسـدةٍ ولا إسْـفـافِ
هـي سنةٌ محمودةٌ فاستمسِكُوا
فـي هـديـه ذاك الـدواءُ الشَّـافي
مـن يمنـهـا قـلُّ الـصـداق ويسـره
لا سـلـعـةٌ تـلـقَـى عـلـى الأكـتَـافِ
أسلافُكم نهجوا شريعةَ ((أحمد))
هـيـا اقـتـدوا فـي سـيـرة الأسْـلاف
ولـتـعـلـنُـوا هــذا الـنـكـاحَ بـفـرحـةٍ
فـالخـيـرُ فـي الأفـراحِ يـومَ زفـافِ
أَوْلِـمْ ! ولـو بـالـشـاة تِـلْـكُـمْ سُـنـةٌ
قـد جـاء فيـهـا سـيـدُ الأحـنَـافِ
عـقـلُ الـفـتـاةِ جـمـالُـهـا
وجمالُه في عقله، والرفقُ والإنصَافِ
وكـمـالُـهـا بـعـفـافِـهـا وحـجـابِـهـا
أومَـا رأيـتَ الـدرَّ فـي الأَصْـدافِ؟
أوما قـرأتُمْ ((جعل منها زوجَها))
قد جاء ذاك بسورةِ ((الأعـرافِ))
ومـحـاسـنُ الإسـلامِ فـي آدابِـه
والحـقُّ مثل الشمسِ ليس بخافِ
خـيـر الـرجـال أَبَـرُّهـم لـنسَـائـه
هـي روضـةٌ أنـتَ الـظـلالُ الصَّافِي
يـا أمـة ((الـقـرآن)) هـذا نهجُكم
لا تـركـنُـوا أبـداً إلـى سَـفْـسَـافِ

إنــي لأغـبِـطُـكـم عـلـى آدابِـكـم
وأهــنِّـئُ الــزَّوجــيِن يــوم زفَــافِ
هـذي نصيحةُ مخلصٍ فـي حبِّكم
والـلـهُ ((لـلـعـرسَـانِ)) أعـظـمُ كافِي
صلَّى المليكُ على الحبيبِ (محمدٍ)
فخرِ العَوَالمِ، ذي البيانِ الشَّافي

الطلاق في المجتمع الإسلامي

١٠ - ومما كتبه الأخ **الدكتور إبراهيم العنزاوي** في بحث الطلاق اخترنا هذه الفقرة:

البناء والهدم متناقضان، ولا يحتاجان إلى عبقرية لمعرفة الفك والتركيب، فالبناء يبدأ من الأساس ثم يعد نحو الأعلى، والهدم أو النقض يبدأ من الأعلى ثم ينزل، والعدو برع في تفكيكنا، ودورنا الآن إعادة كل لبنة إلى مكانها، وعندنا تجربة عمرها أربعة عشر قرناً، ولا حاجة لنا لأن نسأل من أين نبدأ؟ أو لنبذل جهداً في إقناع الناس بفكرنا، ولكن تنقصنا إرادة التغيير، وتبدأ انطلاقة التصحيح من أدمغتنا التي حشيت مادة مغشوشة وملعونة.

صحح ما في الأدمغة يتصحح السلوك بنفسه، ويتغير التاريخ تلقائياً، وهذا منهج النبوة:

١- ومن أولويات العمل ربط الناس بالمنهج «القرآن الكريم « ببرامج مقروءة ومسموعة «الأسرة في القرآن الكريم» .

إن أصعب الأمور التي تواجه الأمم عندما تريد أن تصحح مسارها، تقول: من أين تبدأ؟ وما هي الأولويات؟

وبمعنى آخر إيجاد الآليات الناجحة لمستقبلها إلا في العالم الإسلامي، المنهج واضح ومجرب أربعة عشر قرناً.

٢- تخصيب مبدأ «الاعتزاز» في المسلم، حتى يرى ما عنده خير بكثير مما عند الآخرين حتى يترك التقليد والجري وراء «العولمة» وعلى سبيل المثال بقيت الجيوش الصليبية قرناً من الزمان بعاداتها وتقاليدها ونسائها وأطفالها وأفراحها وأحزانها ويعيشون مختلطين بين الشعوب الإسلامية في بيع وشراء، ومع ذلك لم يتأثر الرجل بهم ويلبس لباسهم، ولم تتأثر المرأة وتتعرى عريهم وتتفسخ بتفسخهم، لأن المسلم في داخله الاعتزاز «أنا مسلم» وهؤلاء «كفرة فجرة».

وفي عالمنا اليوم البيوت التي فيها اعتزاز إسلامي هادئة وهانئة والبيوت «المتفرنجة» فيها الويل والثبور، وأكثر البيوت طلاقاً وشقاقاً، بيوت «المتعولمين» .

٣- وسائل التربية والإعلام والمساجد تتعاون على إيقاف الهزيمة النفسية أمام زحف «العولمة»، لأنها من أشد الهزائم خطراً، قد يحتل العدو أرضك، فتخرجه عاجلاً أو آجلاً. وإذا احتل نفسيتك لا يخرج إلا بإعادة صياغة نفسية إسلامية.

وإذا تضاربت هذه الثلاثة، تكون النتائج مرّة علقمية.

٤- بعد إصلاح الأنفس من الداخل، يبدأ إصلاح القوانين التي تحكم الأسرة في العصر الحاضر، فهي لا تتفق مع كثير من ا لمستجدات، وأولها حقوق المساواة بين الرجل والمرأة، ضمن الضوابط الشرعية، وإلغاء الحدود والقوميات والجنسيات في الزواج، لأن كثيراً من الإخوة الأعاجم يتمنى أن يتزوج عربية؛ لأنها من بنات الصحابة وهذه ميزة تسويقية يجب أن نحسن استثمارها من أجل بناتنا أفضل من أن تبقى البيوت مكدسة بهذه الصورة المرعبة، ولا يسمح للمرأة بالزواج من أجنبي بينما القوانين تسمح للرجل يتزوج من «بلاد الواق الواق».

٥- تشريعات خاصة وشديدة لمن يُسِيء استعمال الرخصة في التعدد، والضرب، والهجر، ولا أنسى يوم قال لي أحدهم: مضى على هجره لزوجته خمس سنين دفعة واحدة، وقلت له: عندك غيرها قال: لا. أين تعمل؟ قال «كذا .. وكذا «هو في وسط الشبه. وهذه المسكينة؟!

كما توجد تشريعات لمن يستغل الرخص الحكومية استغلالاً سيئاً، فلابد من إعادة هيبة الشريعة إلى البيوت المسلمة.

٦- إعادة صياغة وغربلة للمسلسلات ومناهج التربية من ثقافة «التمرد والتصادم» على الثوابت وبالأخص ثوابت الأسرة المسلمة.

٧- إنشاء جامعة «الأسرة المسلمة» فيها تخصصات مستحدثة ... نريد قاضياً متخصصاً بالخطوبة، وآخر متخصصاً بالشقاق، وثالثاً متخصصاً بالطلاق وقاضيا بالتحكيم، وهكذا..

وقد أوجد الناس تخصصات لأمور بسيطة لا تريد تخصصاً، مع ذلك قدموا للناس خدمات، مثل تخصصات الولادة، عند النساء، علماً بأن الولادة فطرية، وهذه ملايين الأرانب تلد يومياً ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ عبس: ٢٠.

٨- إحياء مبدأ الزواج «الشعيبي» عندما قال لسيدنا موسى عليهما السلام: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ القصص: ٢٧. الأهل هم الذين يخطبون لبناتهم وفي السنة عند عقد النكاح يبدأ الأب بقوله للعريس زوجتك وأنكحتك ...

٩- ما وقع تحت يدي حول هذا الموضوع «الطلاق» من أبحاث كانت شبه منفصلة عن الجو العام، والخاص، والكل يؤثر في الكل. فلابد من تقييم «الأمة» و تصحيح «الأسرة» وعلاج «الطلاق». ضمن هذه الأطر الثلاثة.

ملاحظة:

• من الأوراق المتميزة التي قدمت لمؤتمر الطلاق في جامعة الشارقة في ١/٢/ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ، الأوراق الميدانية التطبيقية من ماليزيا، ومن دبي، هذا في حدود ما أعلم، وأهم النقاط العلمية عندهم، إبعاد المحامين والقضاة عن هذه المسألة، حتى إذا يئسوا من إصلاح الزوجين دفعا إليهما، وبعد مرورهما - أي الزوجين - على لجان عدة فيها: علماء نفس، واجتماع، وتربية، و.

• وماليزيا تعمل دورة تدريبية لمدة شهر مدفوعة الأجر لكل العرسان من ذكور وإناث، والأنثى تتعلم فن التعامل مع الزوج في الرضا والغضب، واليسر والعسر، المهم ألا تصطدم معه، وهو يتعلم كيفية التعامل معها في الحيض والنفاس وفن الطبخ والغسل حتى في خدمة المواليد.

ومن ثمار هذا العمل انخفضت نسبة الطلاق إلى النصف تقريباً، والتطوير العلاجي في الأساليب مستمر.

• ونأمل من القضاء الشرعي في العالم الإسلامي نقل كل هذه التجارب الناجحة وإلزام الناس بمثل هذه الخطوات والدورات التي تحمي الأسرة من الطلاق. ا هـ .

من بحث الطلاق في المجتمع الإسلامي المعاصر بين جهل منفذيه وكيد مروِّجيه. للأخ الدكتور إبراهيم العنزاوي، الذي ألقاه في مؤتمر: (ظاهرة الطلاق) في جامعة الشارقة لعام ١٤٢٥ هـ.

بهجة العروسين:

١١- من كتاب (**بهجة العروسين**) تأليف مجموعة من المؤلفين اخترنا ما يأتي:

(واجب الزوج الخلقي في ليلة الزفاف)

إن الزوج مدعو إلى اعتبار تلك المرأة التي أضحت زوجته، واقترن اسمها باسمه، مدعو إلى اعتبارها إنسانة لها عواطف وأحاسيس، وتجيش نفسها بما تجيش به نفسه، ولها كرامتها وأفكارها وأحلامها وآمالها.

فعليه أن يحترم تلك العواطف، وعليه أن يعمل جاهداً على تقدير تلك الكرامة، وبالتالي عليه ألا يحطم تلك الأحلام والأماني.

وعلى الرجل في هذه المواقف المهمة ألا يقف كل تفكيره وجهده على الاهتمام برغبته المهمة من المتعة الجسدية حتى لا تطغى هذه الرغبة وتلك الإحساسات وشهوة التملك، على إهمال العروس وتحطيم خيالها، ثم ترويعها وحرونها.

ومن هنا، فإن الزوج عندما يندفع نحو غرضه بدون روية أو حكمة ودراية، فإنه بذلك يلطم مشاعر شريكته، ويحطم تلك الرقة المفروضة واللازمة.

وقد تكون اللطمة، وذلك الاندفاع عنيفاً، وذا نتائج سلبية سريعة لدى شريكته، فيتولد الشعور بالكراهية في قلب الزوجة نحو رجلها، بحيث يكون ذلك الشعور أسساً

يبنى عليها جدران كثيفة من النفور الدائم، والكراهية المستمرة، ثم تحطيمها الحياة الزوجية.

أهمية الملاطفة والجو الهادىء ليلة الزفاف:

من الأصلح والمستحسن أن يحاول العريس توفير جو من الحب والشاعرية، ليلة الزفاف، كأن يكون هناك عشاء هادىء، على ضوء خافت، ومفاجأة العروس بهدية لطيفة.

لأن كل هذه الأمور البسيطة لها تأثير السحر على العروس، وتدعم ثقتها واطمئنانها إلى زوجها.

ولذلك يتوجب على الزوج أن يركن إلى السياسة والحكمة والمداراة على شرط ألا تكون هذه مصطنعة، بل أن تكون منبعثة من قلبه وعواطفه، وكل مشاعره.

وهناك حقيقة لابد من ذكرها، وهي تدل على أن زمام مبادرة الأمور الجنسية بيد الرجل في العموم إلا في بعض الحالات الشاذة النادرة.

إن التصرفات من ضم، وقُبَلٍ، ومداعبة تكون في الحقيقة نوعاً من الاستجابة الجنسية، لذا فمن الضروري أن يمهد الرجل للعمل الجنسي التام بهذا النوع من التصرفات المشروعة.

فالرجل مدعو إلى سلوك جميع الطرق للحصول على رضا عروسه، واستجابة رغباتها، وتحريك عواطفها، وبعث النشاط والاستعداد، والتأهب لهذه الليلة، ثم التشويق بمختلف الوسائل المشروعة من الضرورة بمكانٍ بعيد.

الجرح الناتج عن غشاء البكارة:

المعتاد في ليلة الزفاف أن يتمزق غشاء البكارة، وينزف كمية من الدم، تتفاوت من مجرد قطرات قليلة إلى نزيف شديد، فإذا حصل نزيف شديد (وهو نادراً ما يحصل) ينصح العروسان بالراحة التامة في الأيام الآتية فيتوقفان عن الجماع عدة أيام، ريثما يلتئم الجرح.

لماذا يفشل بعض الأزواج في ليلة الزفاف؛

كثيراً ما يحدث، فيعجز الزوج في أيام شهر العسل الأولى عن القيام بواجباته الزوجية، المنظر يتكرر كثيراً، ففي الليلة الأولى يشعر الزوج بالتوتر والقلق وأحياناً الخوف، وينتهي به الأمر إلى الفشل التام، ثم تأتي الليلة الثانية فيحاول مرة أخرى، ولا تكون النتيجة في الليلة الثانية أفضل منها في الليلة الأولى، بل زاد عليها الإحساس بالانهيار والشك في الرجولة.

إن النشاط الجنسي للرجل تتحكم فيه مراكز معينة من المخ، هذه المراكز يصلها نوعان من الأعصاب اللا إرادية أي التي لا يتحكم الإنسان فيها، وهي:

النوع الأول: يعمل على زيادة كمية الدم الموجودة في الأوعية الدموي التي تغذي العضو الذكري، وتعطيه القدرة على الصلابة والمثابرة لإتمام اللقاء الزوجي بنجاح.

النوع الثاني: وظيفة عكس وظيفة النوع السابق، فهو يؤدي إلى الحد من كمية الدم الموجودة للعضو فتضعف القوة الجنسية، والذي يحدث عند القلق والتوتر والخوف أن تعمل الأعصاب التي تتبع الثاني فيفشل الجماع، إن الخوف والقلق يقضيان على الإثارة والرغبة، ومن هنا يحدث الفشل ! ..

والعملية الجنسية لكي تتم على الوجه الأكمل يلزم لها أمور كثيرة، أهمها الراحة الجسمية والراحة النفسية، والإرهاق الجسمي والنفسي يعملان على عدم إتمام اللقاء على الوجه الأكمل، ويلاحظ غالباً أن الزوج يرهق نفسه تماماً في يوم الزفاف والأيام السابقة له في تجهيزات العرس وخلافه، فإذا ما حانت ساعة خلوته بعروسه، فإن الإرهاق الجسمي يكاد يكون بداية أسباب الفشل في إتمام اللقاء الأول، فالمحاولة الأولى متوقع لها الفشل مع الإجهاد والتعب، وكان من الواجب أن يهدأ وينام، إلا أنه يحاول فيفشل ثم يكرر المحاولة في الليلة نفسها فيفشل أيضاً، فزاد الإجهاد الجسمي وترتب عليه إرهاق عصبي ينعكس عليه ما يصيب الجسم من مرض أو تعب، ومع تكرار المحاولات يدخل الزوج في عمل مقارنات بين المحاولة وما يعقبها من محاولات،

وفي الوقت ذاته يزداد خوفه من الفشل، ويزداد معه القلق، فينتهي الأمر ولا بد من الفشل.

ويمكن تلخيص أسباب الفشل، كما يأتي:

١- **التعب والإجهاد:** إذا عانى الرجل يوم زفافه، من تعب شديد وإجهاد نفسي وجسدي مرهق نتيجة الحركة المستمرة لعدة أيام قبل الزفاف مباشرة في تأمين حاجيات تلك الليلة المنتظرة فالأفضل، والحالة هذه، ألا يحاول البدء بالعمل الجنسي في ذلك اليوم؛ لأن تعبه الشديد قد يجلب عليه تجربة فاشلة في المرة الأولى، وذلك يسبب له في أعماق نفسه شعوراً بالخيبة والمرارة وتكون ردة فعله لإثبات رجولته أن يحاول من جديد ويحدث فشلاً جديداً آخر ربما يسبب له آلاماً نفسية تحدث عنده شعوراً بالخوف والرهبة من معاشرة زوجته، وقد ترافقه هذه الحالة شهوراً عديدة أو ربما لسنوات.

والمرأة الناضجة هي التي تعي مثل هذه الأمور وتستطيع مساعدة زوجها وعدم إحراجه دون إيذاء شعوره، وعند الضرورة يمكنها أن تلجأ إلى أمها أو من هي في مقامها لا إلى صديقاتها العزبات، لأنهن أشد منها جهلاً في هذه الأمور.

٢- **الخوف من الفشل:** يعد الخوف من الفشل العدو الأكبر للرجل ليلة زفافه، ويزداد احتمال وقوع الفشل، كلما ازداد التفكير بهذه الليلة والخوف منها، وعندما تحين الساعة الموعودة سيجد الرجل نفسه فاشلاً، رغم أنه يتمتع بكامل صحته ونشاطه، وغالباً ما يؤدي الفشل الأول إلى فشل ثانٍ بسبب الاضطراب النفسي والارتباك الناتجين عن الفشل الأول، يضاف إليهما عنصر الخوف الموجود سلفاً مما يزيد الحالة تعقيداً.

لذلك، من الأفضل للرجل أن يهدئ من روعه وينظر إلى ليلة زفافه نظرته إلى أية ليلة عادية، يعد العملية الجنسية الأولى بسيطة لا تعقيد فيها ولا صعوبات ويبعد عن تفكيره كل المخاوف والهواجس، وبذلك يضمن لنفسه تجربة ناجحة لا مشكلات فيها ولا تعقيدات.

٣- **الضعف الجنسي عند الرجل:** هذا ما يطلق عليه اسم العنَّة، وهو عدم تمكن الرجل من القيام بالعملية الجنسية بالشكل الصحيح بسبب عدم حدوث الانتصاب أصلاً أو حدوث انتصاب جزئي غير كامل لا يمكنه من فض غشاء البكارة.

هذا النوع من الرجال لديهم الرغبة الجنسية كاملة ويميلون إلى ممارسة الجنس ميلاً طبعيّاً ولكنهم يكونون غير قادرين على تحقيق ذلك بالشكل المطلوب، مما يسبب للرجال آلاماً نفسية قاسية قد تحدث عنده عقدة تترك أثرها على سلوكه طوال حياته.

٤- **خوف الزوجة:** تخاف بعض النساء خوفاً شديداً لدرجة الهلع من الاتصال الجنسي الأول مع أزواجهن، فتقاوم الزوجة زوجها ليلة زفافها بشكل علني مفضوح أو بأشكال ظاهرة غير معلنة تعبر عنها لا شعورياً ببرودها وسلبيتها وعدم تجاوبها، وأحياناً تحدث عندها بعض التقلصات في عضلات المهبل، أو في عضلات جسمها عامة، فتصاب بحالة من التشنج والهستريا ... وهذا يكفي لوقوع الفشل معها في المرة الأولى.

ولتجنب هذا الموقف أو لمعالجته عند حدوثه، يقوم الأهل بتوعية الفتاة وشرح الأمر لها وتسهيله عليها، ويمكن استعمال بعض المهدئات الخفيفة كالفاليوم والمزلجات الموضعية ريثما تنتهي الليلة الأولى، وتدرك الفتاة من نفسها أن الأمر طبعيّ للغاية ولا يستدعي ذلك الخوف والارتباك العظيمين.

وينصح الرجل دائماً أن يكون هادئاً ولطيفاً ولا يلجأ إلى العنف والقسوة.

٥- أسباب عضوية: في بعض الحالات تكون جميع الأمور طبعيَّة ومع ذلك لا يتمكن الزوج من إتمام العمل الجنسي وتفشل العملية الجنسية وتفشل جميع المحاولات للوصول إلى ذلك، هنا يمكن التوجه إلى الطبيب المختص لاستشارته، فإذا كان السبب في ضيق المهبل أو صلابة في غشاء البكارة يجري الطبيب ما يلزم من توسيع أو جراحة بسيطة تحت التخدير الموضعي أو العام، وينتهي الإشكال[(١)].

---

(١) د . هاني عرموش (الثقافة الجنسية وتنظيم الحمل)ص (٥٤-٥٦)، دار النفائس بيروت .

أشكال العجز الجنسي:

وللعجز الجنسي أنماط وأشكال عديدة ومختلفة، لكن أهمها:

١- عدم وجود رغبة مع شريكة الحياة (الزوجية) أو فقدان الرغبة بوجه عام.

٢- عدم القدرة على الانتصاب.

٣- عدم القدرة على استمرار الانتصاب لإتمام العملية الجنسية.

٤- عدم القدرة على قذف السائل المنوي رغم وجود الانتصاب.

٥- القذف المبكر (سرعة القذف).

نصائح لكل عروسين في ليلة الزفاف:

- يجب ألا تتصرف الزوجة في ليلة الزفاف أي تصرف يوحي لزوجها بأنها تهزأ منه؛ لأنه غير جدير بها أو غير مناسب.
- يجب على الزوجة أن تحتفظ بأسرارها الزوجية، بحيث لا تنقل تفصيلات حالة زوجها إلى أقاربها أو أقاربه .
- يفضل أن تكون أول أيام الزواج بعيدة عن جو الأسرة وازدحام الأقارب .
- على الأهل ألا يتدخلوا في الخصائص الدقيقة لبداية الحياة الزوجية، فيسألوا العروس وينصحوا العريس وهذا يزيد القلق ويؤدي إلى الفشل .
- يجب أن تقنع الزوجة زوجها بأنه في كامل قوته الجنسية إذا تعرض للفشل، لا أن تكون معول هدم تعيره بفشله .. إلخ، فالتهدئة النفسية للزوج تساعد في إزالة الإحساس بالفشل، بل وتنتهي بالنجاح الكامل.
- إذا فشل الزوج في أول محاولة يجب ألا يحاول تكرار اللقاء في الليلة نفسها، بل يأخذ قسطه من الراحة، ثم تأجيل المحاولة إلى صباح اليوم الآتي.
- لا يجب بدء اللقاء بين الزوجين إلا بعد المداعبات والملاطفات الكاملة كما أسلفنا.

أسباب عدم نزول دماء ليلة الزفاف:

يقول الزوج: اتصلت بزوجتي، ولم يكن هناك دم؟!

نعم، الإحصائيات تقول: إن ٣٠٪ من الفتيات لا ينزفن عند أول اتصال مع الزوج، وهذا يرجع إلى الأسباب الآتية:

١- **صلابة الغشاء**، وإذا جاوزت المرأة الناضجة سن الثلاثين دون أن يمسها إنسان ازدادت بكارتها صلابة ومتانة كما في أجزاء جسمها، فتزيد عندئذ مصاعب الجماع غالباً.

٢- **الغشاء المطاطي**، وهو يمتاز بنمو البكارة نمواً زائداً زيادة طفيفة، وقد يكون شكله عادياً ولكنه غير متماسك، يقبل الامتداد، ولا يثقبه الجماع، ويبقى سليماً بعد ولادة الطفل الأول، وهي حالات نادرة [١].

٣- في بعض الحالات تكون فتحة البكارة رقيقة جداً ويكون الثغر سميكاً لحمياً، كما في الغشاء المتين متانة زائدة، فيصعب ثقب الغشاء بالطرق العادية، والالتجاء إلى الأطباء أسلم وأولى.

٤- بعض النساء يولدن بدون غشاء بكارة أصلاً.

٥- كما قد يزول غشاء البكارة عند الفتيات غير المتزوجات بدون اتصال جنسي بتمزقه بواسطة الإصبع، أو إدخال الفوط الصحية أو الأجسام الغريبة.

٦- وكذلك عند تسلق الأشجار بصور متواصلة أو ركوب الخيل أو ممارسة الرياضة القوية والباليه [٢].

فض غشاء البكارة، الإصبع ... حذار!

الملاحظ أن غشاء البكارة يتمزق في معظم الأحوال بعد المعاشرة الأولى، وينجم عن ذلك تواجده على هيئة زوائد لحمية يتضح شكلها أكثر بعد انضمامها في أثناء

---

(١) الزواج المثالي د . فان دفلد (ص٦٠) .

(٢) المرأة في رحلة العمر لغسان الزهيري (ص١٠) .

الولادة. وفي معظم الأحوال يصحب تمزقه بعض الدم، ولكن من الثابت علمياً أن تمزقه قد لا يصحبه دم على الإطلاق رغم العذرية الكاملة عند الفتاة.

ولعل الشائع عن نزول دم كثير في أثناء فض البكارة أنه ناجم عن العادة الخاطئة التي كانت، وللأسف مازالت تمارس في الريف من محاولة فض غشاوة البكارة بالإصبع المحاطة بالمنديل، ففي رأيي أنها عملية غير إنسانية، فضلاً عن أن غالبية الدم ينجم عن تمزقات وتسلخات في فوهة المهبل ذاته، وليس من غشاء البكارة كما يعتقد بعضهم.

وفي بعض الحالات يحتاج فض غشاء البكارة للتدخل الجراحي لوقف النزيف الناجم عن التمزقات التي تحدث في جدار المهبل عند محاولة فضه بعنف.

وفض غشاء البكارة يصحبه ألم محتمل لبعض ثوان، لذلك يجب ألا ترهب الفتاة هذه اللحظة.

ولا أنصح إطلاقاً بالإصبع، إذ إنه فضلاً عن التمزقات التي تنجم عن ذلك، يوجد بها أضرار أخرى مثل الانسداد الكامل لفوهة المهبل تؤدي مثل هذه المحاولات إلى تمزق الشرج، وحدوث بواسير شرجية، وبعض الحالات تحتاج إلى تدخل جراحي لقطع الغشاء [1] اهـ.

من كتاب بهجة العروسين لمجموعة من المؤلفين / الناشر: دار الجسور الثقافية حلب ط١ ١٤٢٦ -٢٠٠٥.

(١) أسرار الحياة الزوجية لمحمد رفعت (ص٩٦).

الفصل الرابع

بستان الأسرة

واخترنا لبستاننا هذا، بعض القصص، والطرائف، والمواعظ، والآداب المتعلقة بالحياة الزوجية قطفناها من بطون الأسفار؛ ليتنزه فيه الأزواج والزوجات، ولعل قصة تحكي موعظة، ولعل طرفة تفيد إصلاحاً بين الزوجين، ورب حكاية لطيفة تثمر ما لا تثمره موعظة.

وأبدأ غراس هذا البستان بقصة زواج سيدنا علي ﷺ من سيدتنا الزهراء فاطمة رضي الله عنها).

١- كيف تزوج علي بفاطمة رضي الله عنهما ؟!

يروي ابن سعد في طبقاته هذا الزواج مفصلاً، ونحن نضم الروايات إلى بعضها؛ لنأخذ الصورة الواضحة عن عرس علي ﷺ بفاطمة رضي الله عنها.

الخطبة: قال ابن سعد: خطب أبو بكر فاطمة إلى النبي، فقال: يا أبا بكر أنتظر بها القضاء (أي أمر الله).

فذكر ذلك أبو بكر لعمر، فقال له عمر: ردك يا أبا بكر.

ثم إن أبا بكر قال لعمر: اخطب فاطمة إلى رسول الله ﷺ فخطبها، فقال له النبي ﷺ مثلما قال لأبي بكر.

(أنتظر بها القضاء) فجاء عمر إلى أبي بكر فأخبره، فقال له: ردك يا عمر.

ثم إن أهل علي قالوا لعلي: اخطب فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقال علي بعد أبي بكر وعمر.

فذكروا له قرابته من رسول الله ﷺ فخطبها، فزوجه النبي ﷺ.

ويذكر ابن سعد رواية أخرى، أن النبي ﷺ قال له: (هي لك يا علي)

وذكر أيضاً أن نفراً من الأنصار أشاروا عليه بخطبتها فأتى رسول الله ﷺ فقال له: ما حاجة ابن أبي طالب؟

قال: ذكرت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال: مرحباً وأهلاً، ولم يزد عليهما.

فخرج علي على أولئك الرهط من الأنصار ينتظرونه.

قالوا: ما وراءك يا علي؟ قال علي: ما أدري! غير أنه قال لي مرحباً وأهلاً.

قالوا: يكفيك من رسول الله ﷺ إحداهما، أعطاك الأهل، وأعطاك المرحب،

وذكر النبي ﷺ خطبة علي لفاطمة، فقال لها: إن علياً يذكرك! فسكتت فزوجها.

وليمة العرس: فلما كان بعد ما زوجه (أي عقد زواجه عليها).

قال له: يا علي، إنه لابد للعروس من وليمة،

فقال سعد: عندي كبش، وجمع له رهط من الأنصار آصعاً من ذرة. (فكانت تلك وليمة العرس).

المهر: ولما خطبها قال له رسول الله ﷺ: ما تُصْدِقُها؟ قال: ما عندي ما أصدقها.

قال رسول الله ﷺ: أين درعك الحطمية التي منحتك إياها؟

قال علي: عندي. قال: أصدقها إياها، قال فأَصْدَقَها وتزوجها.

(قال عكرمة أحد رواة الحديث) وكان ثمن الدرع أربعة دراهم،

وهناك رواية لابن سعد تقول: إنه باع بعيراً له بـ (٤٨٠) درهماً وأصدقها إياه، وهذا الموافق لرواية أخرى لابن سعد جاء فيها أن صداق بنات رسول الله ﷺ وصداق أزواجه خمس مئة درهم (اثنتي عشرة أوقية ونصفاً) والظاهر أن هذا أثبت.

جهاز العروسين: تكاد تجمع الروايات أن الجهاز كان كما في رواية سيدنا جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر أن علياً حين دخل بفاطمة كان فراشهما إهاب كبش

(جلد كبش) إذا أرادا أن يناما قلباه على صوفه، ووسادتهما من أدم (جلد) حشوها ليف، وفي رواية عكرمة: سرير مشروط، ووسادة من أدم حشوها ليف، وتَوَرْ (إناء) أدم وقربة، وجاؤوا ببطحاء (رمل) فطرحوها (فرشوها في البيت).

ليلة العرس: قال ابن سعد لما زوج رسول الله ﷺ علياً لفاطمة قال له:

إذا أُتيتَ بها فلا تقربنها حتى آتيك، فلما أتي بها قعدا في ناحية البيت، فجاء رسول الله ﷺ ، فاستفتح فخرجت إليه أم أيمن فقال لها: أَثَمَّ أخي قالت أم أيمن بأبي أنت وأمي يا رسول الله من أخوك ؟ قال علي بن أبي طالب.

قالت: كيف يكون أخوك وقد زوجته ابنتك ؟ قال: هو ذاك يا أم أيمن،

ثم قال: أأسماء بنت عميس هنا ؟ قالت: نعم قال: جئت تكرمين بنت رسول الله بحضور عرسها، قالت: نعم، فقال لها خيراً ودعا لها. ثم دعا رسول الله ﷺ بماء فأتي به، فمج فيه ومسك بيده ثم دعا علياً فنضح من ذلك الماء على كتفيه وصدره وذراعيه ثم دعا فاطمة فأقبلت تعثر في ثوبها حياءً من رسول الله ﷺ ، ثم فعل بها مثل ذلك ثم قال لها: يا فاطمة، أما أني ما آليت أن أنكحك خير أهلي.

الزوجان يطلبان خادماً، قال ابن سعد: لما زوج رسول الله ﷺ علياً لفاطمة بعث معها بخملة (كساء له خمل) ووسادة أدم حشوها ليف ورحوين (طاحونتي حجر) وسقاء (وعاء للماء) وجرتين قال: فقال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سَنَوْتُ (سقيت الماء للبستان) حتى قد اشتكيت صدري، وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي، فاستخدميه (اطلبي منه خادماً من السبي) فقالت فاطمة: وأنا والله قد طحنت حتى مجَلَت يداي (ظهر في الراحتين آثار ألم الطحن) فأتت (فاطمة) النبي، فقال: ما جاء بك يا بنية؟ قالت: جئت لأسلم عليك، واستحيت أن تسأله، ورجعت فقال (علي) ما فعلت؟

قالت: استحييت أن أسأله. (وبعد أيام) أتياه جميعاً (علي وفاطمة) فقال علي: والله يا رسول الله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداي، وقد أتى الله بسبي وسعة فأخدمنا (أعطنا خادماً).

فقال رسول الله ﷺ: والله لا أعطيكما وأدع (وأترك) أهل الصُّفَّة تطوي بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم (للسبي) وأنفق عليهم (على أهل الصُّفَّة) أثمانهم. فرجعا (إلى بيتهما)، (ولكن رسول الله ﷺ) أشفق عليهما، فأتاهما إلى بيتهما، وقد دخلا في قطيفتهما (غطاء النوم) إذا غطيا رؤوسهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشف رؤوسهما فثارا (قاما) فقال لهما: مكانكما، ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟ فقالا: بلى، فقال: كلمات علمنيهن جبريل: تسبحان في دبر (بعد) كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً، وإذا أويتما على فراشكما، فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين.

قال سيدنا علي: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ﷺ. (طبقات ابن سعد ج ٨ص١٩-٢٥).

٢- زوجتك بما معك من القرآن:

روى البخاري في صحيحه ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي (قال :جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، جئت أهب لك نفسي: قال (سعد) فنظر إليها رسول الله ﷺ، فصعَّد النظر فيها وصوَّبه (أي نظر إليها نظرة الخاطب المتفحص).

ثم طأطأ رسول الله ﷺ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقضِ فيها شيئاً، جلست،

فقام رجل من أصحابه، فقال: يا رسول الله، إن لم يكن لك بها حاجة، فزوجنيها! فقال ﷺ: وهل عندك من شيء؟! قال (الرجل): لا والله يا رسول الله. !

فقال ﷺ: اذهب إلى أهلك، فانظر هل تجد شيئاً؟! فذهب، ثم رجع فقال: لا والله ما وجدت شيئاً. فقال رسول الله ﷺ: انظر ولو خاتما من حديد !. فذهب (الرجل) ثم رجع، فقال: لا والله يا رسول الله، ولا خاتما من حديد، ولكن هذا إزاري (قال سهل: ماله رداء، بل يكسو جسمه الأسفل إزار فقط)، فلها نصفه، فقال رسول الله ﷺ: ما تصنع بإزارك، إن لبسته، لم يكن، عليك شيء، فجلس الرجل، حتى إذا طال مجلسه، قام فرآه رسول الله ﷺ مولياً، فأمر به فدعي، فلما جاء قال رسول الله ﷺ: ماذا معك

من القرآن ؟! قال (الرجل: معي سورة كذا وسورة كذا (عددها) فقال رسول الله ﷺ: هل تقرؤهن عن ظهر قلبك؟! قال (الرجل): نعم. قال (رسول الله ﷺ: اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن».

وفي رواية: «زوجتكها بما معك من القرآن» .

وفي رواية أنس عند البخاري أيضاً قال ثابت البناني: كنت عند أنس وعنده ابنة له، قال أنس: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تعرض عليه نفسها، قالت: يا رسول الله، ألك بي حاجة ؟ فقال بنت أنس: ما أقل حياءها، واسوأتاه، واسوأتاه، قال أنس: هي خير منك رغبت في النبي ﷺ فعرضت عليه نفسها.

(ثم ساق من حديث سهل المذكور أعلاه). البخاري كتاب النكاح ج٧ ص (٧-١٣-١٤-١٥).

٣- أخاف أن يسألني الله عن عزوبتك هذه الليلة:

وهذه قصة أغرب من الخيال ولكنها واقعة، ذكرتها كتب التاريخ والأدب والأخلاق وغيرها، وهي ما حدث مع سعيد بن المسيب - رحمه الله - وهو من أكابر التابعين وتلميذه عبد الله بن أبي وداعة، وكان يحضر حلقته العلمية في المسجد النبوي، فغاب عنه يوماً أو أياماً، فسأل عنه، ولما حضر المجلس قال له سعيد: أين كانت غيبتك يا أبا محمد؟

قال عبد الله: إن أهلي (زوجتي) كانت مريضة فمرضتها، ثم ماتت فدفنتها، فقال سعيد: يا عبد الله، أفلا أعلمتنا بمرضها فنعودها، أو بموتها فنشهد جنازتها، ثم عزاه ودعا له ولها.

ثم قال: تزوج يا عبد الله، ولا تلق الله وأنت عزب، فقال: يرحمك الله ومن يزوجني، فوالله ما أملك غير أربعة دراهم! فقال سعيد: سبحان الله، أوليس في أربعة دراهم ما يستعف به الرجل المسلم، يا عبد الله؟ أنا أزوجك ابنتي إن رضيت. قال عبد الله: فسكت استحياءً منه، وإعظاماً لمكانته، فقال: مالك سكت، سخطت ما عرضنا عليك!

قال: قلت يرحمك الله، وأين المذهب عنك؟ لأعلم أنك لو شئت زوجتها بأربعة آلاف، وأربعة آلاف!

قال: فقم يا عبد الله، فادع هؤلاء النفر من الأنصار، فقمت فدعوت له حلقة من الأنصار فأشهدهم على النكاح بأربعة دراهم، ثم ذهبت إلى منزلي بعد صلاة العشاء، وإذا برجل يقرع الباب.

فقلت: من هذا ؟ قال: سعيد، فخطر ببالي كل سعيد عرفته في المدينة غير سعيد ابن المسيب، وذلك أنه ما رئي خارجاً قط من داره إلا إلى المسجد، أو إلى جنازة، قال عبد الله فقلت من سعيد؟ قال: سعيد بن المسيب.

فارتعدت فرائصي، وقلت لعل الشيخ ندم (على تزويجه من ابنته) فجاء ليستقيلني، فخرجت إليه أجر رجلي، وفتحت الباب، فإذا أنا بشابة متلففة بثيابها، ودواب عليها متاع، وخادم بيضاء، فسلم علي، وقال: يا عبد الله، هذه زوجتك، فقلت مستحياً منه: يرحمك الله كنت أحب أن يتأخر ذلك أياماً، فقال لي: لم؟ أولست أخبرتني أن عندك أربعة دراهم؟ قلت: هو كما ذكرت لك، ولكني كنت أحب أن يتأخر ذلك، قال: إنها إذاً عليك لغير ميمونة، ما كنت لأريد أن يسألني الله عن عزوبتك الليلة، وعندي لك أهل، هذه زوجتك وهذه متاعكم، وهذه خادم تخدمكم، معها ألف درهم نفقة لكم، فخذها يا عبد الله، بأمانة الله، فوالله إنك لتأخذها صوامة قوامة عارفة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فاتق الله فيها، ولا يمنعك مكانها مني إن رأيت منها ما يكره، أن تحسن أدبها، ثم أَسْلَمَها إليَّ ومضى.

قال عبد الله: فوالله ما رأيت امرأة أقرأ لكتاب الله تعالى، ولا أعرف بسنة رسول الله ﷺ، ولا أخوف لله عز وجل، لقد كانت المسألة المعضلة تعيي الفقهاء، فأسألها عنها، فأجد عندها منها علماً.

قال: فأقمت معها ما شاء الله، ثم رزقني الله منها حَمْلاً.

وكان سعيد كثيراً ما يسألني عنها، فيقول: ما فعلت تلك الإنسانة؟ فأقول: بخير، فيقول: يا عبد الله، إن خَفَّ عليك أن تزيرناها فافعل، فلما حضر وِلادُها خرجت لأنظر فيما ينظر الرجل لأهله، ورجعت إلى الدار، فإذا بها شخص امرأة قائم ما رأيته قط، فنادتني من ورائي: يا عبد الله ادخل، فقد أحل الله لك هذه النظرة.

قلت: ومن أنت يرحمك الله ؟ قالت: أنا أم هذه الفتاة، يا عبد الله، كيف رأيت أهلك (زوجتك)؟

قلت: جزاكم الله من أهل بيت خيراً، فقد ربيتم فأحسنتم، وأدبتم فأحكمتم.

فقالت: يا عبد الله، لا يمنعك مكانها مني أن ترى بعض ما تكره، فتحسن أدبها،يا عبد الله لا تُمَلِّكْهَا من أمرها ما جاوز نفسها، فإن المرأة ريحانة وليس قهرمانة، ولا تكثر التبسم في وجهها فتستخف بك، يا عبد الله، بارك الله لكما في المولود، وجعله مباركاً خائفاً لله، وقاه الله فتنة الشيطان، وجعله شبيهاً بجده سعيد، فوالله إني تزوجته من أربعين سنة، ما رأيته عصى الله قط معصية، وهذه نفقة بعثها إليكم، قال: فأخذتها منها فإذا هي خمسة دنانير. ثم خرجت، فلم أُوَلِّها وجهاً ثماني عشرة سنة، حتى قضى الله عليها بالموت. (١)

حق الزوجة:

عن أبي موسى الأشعري قال: دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي فرأينها سيئة الهيئة، فقلن لها: ما في قريش رجل أغنى من بعلك (زوجك)؟ قالت: مالنا منه شيء؛ أما نهاره فصائم، وأما ليله فقائم، فدخل النبي ﷺ، فذكرن ذلك له، قال (أبو موسى): فلقيه النبي ﷺ فقال: يا عثمان، أمالك فيَّ أسوة؟ قال عثمان: وما ذاك يا رسول الله، فداك أبي وأمي؟ فقال النبي ﷺ أما أنت فتقوم بالليل وتصوم بالنهار، وإن لأهلك عليك حقاً، وإن لجسدك عليك حقاً، فصلِّ ونم، وصم وأفطر، قال

(١) - إحياء علوم الدين ج٣ ص٩٤، وتحفة العروسين ص٢٦١ .

أبو موسى: فأتتهم المرأة بعد ذلك عطرة كأنها عروس، فقلن لها: مه! قالت أصابنا ما أصاب الناس. رواه أبو يعلى والطبراني والهيثمي في مجمع الزوائد ج٤ص٣٩٦.

٥- أي شيء خير للنساء؟

عن علي رضي الله عنه أنه كان عند رسول الله، فقال ﷺ: أي شيء خير للمرأة ؟ فسكتوا قال علي فلما رجعت، قلت لفاطمة: أي شيء خير للنساء؟ قالت: لا يراهن الرجال، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: (إنها فاطمة بضعة مني) رواه البزار والهيثمي في مجمع الزوائد ج٤ص٣٢٨ .

٦- حديث خرافة:

عن عائشة - رضي الله عنها -: قالت حدث رسول الله ﷺ نساءه ذات ليلة حديثاً، فقالت امرأة منهن: يا رسول الله، كأن الحديث حديث خرافة، فقال: أتدرون ما خرافة ؟ إن خرافة كان رجلاً من أهل عذرة أسرته الجن في الجاهلية، فمكث فيهم دهراً طويلاً، ثم ردوه إلى الإنس، فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب، فقال الناس: حديث خرافة) رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والهيثمي في مجمع الزوائد ج٤ص٤١٤.

٧- نتيجة رضا الزوج عند الله :

عن أنس رضي الله عنه: إن سلامة حاضنة إبراهيم ابن سيدنا رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله، تبشر الرجال بكل خير، ولا تبشر النساء، قال ﷺ: أصويحباتك دسسنك (أرسلنك)؟ قالت: أجل، هن أمرنني، قال: أما ترضى إحداكن أنها إذا كانت حاملاً من زوجها، وهو عنها راض، أن لها مثل أجر الصائم القائم في سبيل الله، فإذا أصابها الطلق، لم يعلم أهل السماء والأرض ما أخفي لها من قرة عين. فإذا وضعت لم يخرج منها جرعة من لبنها، ولم يمص مصة إلا كان لها بكل جرعة وبكل مصة حسنة، فإذا أسهرها ليلة كان لها مثل أجر سبعين رقبة تعتقهن في سبيل الله. قالت سلامة: يعني، لمن؟ قال: أعني بهذا المتنعمات الصالحات المطيعات اللواتي لا يكفرن العشير) رواه الطبراني في مجمع الزوائد ج٤ ص٤٠٠.

٨- النفساء شهيد:

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أحسب رفعه إلى النبي ﷺ قال: (المرأة في حملها إلى قضائها (الرضاع) كالمرابط في سبيل الله، فإذا ماتت فيما بين ذلك، فلها أجر شهيد) رواه الطبراني في مجمع الزوائد ج٤ص٤٠٠.

٩- أزين الزينة الكحل:

قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لابنته، حين هداها على زوجها ليلة الزفاف: عليك بالزينة، واعلمي أن أزين الزينة الكحل، وأطيب الطيب الماء (يعني دوام النظافة، بالاغتسال بالماء) تحفة العروسين ص٢٧٠.

١٠- وافق شَنٌّ طبقة:

كان (شَنٌّ) من دهاة العرب قال: لأطوفن في البلاد حتى أجد امرأة مثلي فأتزوجها، فسار يبغي حاجته، فلقي في طريقه رجلاً يريد القرية التي كان يقصدها شن فاصطحبا في الطريق، فقال شن لصاحبه: أتحملني أم أحملك؟ قال الرجل: يا جاهل، كيف يحمل الراكب الراكب؟ فسكت شن وسار فرأيا زرعاً قد حان حصاده، فقال شن: أترى هذا الزرع قد أكله أصحابه أم لا؟ فقال الرجل: يا جاهل، أما تراه قائماً (لم يحصد، فكيف أكلوه؟) وقبل دخولهما القرية؛ رأيا جنازة تحمل إلى المقبرة، قال شن: أترى صاحبها حياً أم ميتاً ؟! فقال الرجل: ما رأيت أجهل منك، أتراهم حملوا إلى القبور حياً ؟ فسكت شن، ثم وصل الرجل إلى منزله، وأضاف شناً في بيته، واستقبلته ابنته مسلمة عليه، تسأله عن سفره وحاله، وكان اسمها (طبقة) فحدثها بما جرى بينه وبين صاحبه (شن) فقالت لأبيها: أما قوله: أتحملني أم أحملك، فقد أراد بذلك أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا، (فإن الحديث في الطريق يعين على قطعه) وأما قوله: أترى هذا الزرع، قد أكل أم لا؟ فأراد بذلك أن أهله إن كانوا مدينين، فقد أكلوا ثمنه، وأما قوله في الميت، فإنه أراد أترك هذا الميت ولداً حياً بعده يحيي ذكره أم لا ؟. فتعجب أبوها من فطنة ابنته، وحدث ضيفه شناً بتفسير ابنته لأسئلته، فقال له شن: هذه بغيتي وخطبها منه فزوجه إياها، وعاد بها إلى أهله، ولما عرفوا

عقلها وذكاءها قالوا: (وافق شن طبقة) عن كتاب تحفة العروسين؛ نقلاً عن كتاب: أغرب ما قيل في النساء ص٢٦٤.

١١- ما لأبي حمزة لا يأتينا؟

من طرائف ما يروى أن أبا حمزة الضبي تزوج امرأة وطمع أن تلد له غلاماً، فولدت بنتاً، فهجر منزلها (كعادة الجاهلية) وصار يأوي إلى بيت غير بيتها، وبعد عام مر بخبائها، وإذا هي ترقِّص ابنتها بأبيات من الشعر تقول فيها:

مـا لأبـي حَـمْـزَةَ لا يَـأْتِيـنـا   يظلُّ في البيتِ الـذي يَلِينَا
غَـضْـبـانَ ألا نَـلِـدَ البَـنِيـنا   تـاللَّـهِ مـا ذلـكَ فِـي أيدِينَـا
وَإنَّمــا نـأخـذُ مـا أُعْـطِـيـنـا   ونـحـنُ كـالأرضِ للـزَّارِعِينا
نَنبتُ مـا قَـدْ زَرَعُــوه فِينَا

فدخل خباء امرأته، وقبل رأسها ورأس ابنته. (تحفة العروسين ص٢٧ وتربية الأولاد في الإسلام ج١ص٥٦).

وانظر إلى قوله ﷺ (من كان له ثلاث بنات، فصبر عليهن (في التربية) وسقاهن وكساهن من جِدَتِه (من ماله) كُنَّ له حجاباً من النار) رواه الإمام أحمد. وقوله ﷺ: (من كان له ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن، وصبر عليهن، واتقى الله فيهن دخل الجنة) رواه الحميدي (تربية الأولاد ج١ص٥٧).

١٢- لعلني ثوابه !!

(قال الأصمعي: دخلت البادية، فإذا بامرأة من أحسن الناس وجهاً تحت رجل من أقبح الناس وجهاً، فقلت لها: يا هذه، أترضين لنفسك أن تكوني تحتَ (أي زوجة) مِثْلِه !؟ فقالت: يا هذا، اسكت فقد أسأت في قولك، لعله (أي زوجها) أحسن بينه وبين خالقه، فجعلني (الله) ثوابه، أو لعلني أسأت فيما بيني وبين خالقي، فجعله عقوبتي، أفلا أرضى بما رضي الله لي ؟ قال الأصمعي فأسكتتني).

ويروي ابن عبد ربه في العقد الفريد؛ أن عمران بن حطان نظر إلى امرأته وكانت من أجمل النساء، وكان هو من أقبح الرجال فقال لها: إني وإياك في الجنة إن شاء الله: قالت له: كيف ذاك؟ قال: إني أعطيت مثلك فشكرتُ، وأعطيت مثلي فصبرتِ) عن المرأة المثالية ص٤٨.

١٣- إياك أن تضعي نفسك في مواضع التهم:

روى ابن عبد ربه في العقد الفريد ما يأتي: قال: كان الفاكهُ بنُ المغيرة المخزومي أحد فتيان قريش، وكان قد تزوج هند بنت عتبة، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس بلا إذن (كعادة العرب في بيوت الضيافة) فقال (نام في القيلولة) يوماً في ذلك البيت ومعه هند، ثم خرج عنها وتركها نائمة، فجاء بعض من كان يغشى ذلك البيت، فلما وجد المرأة نائمة ولى عنها، فاستقبله الفاكه، ثم دخل على هند وأنبهها من نومها، وقال لها: من هذا الخارج من عندك ؟! قالت: والله ما انتبهت حتى أنبهتني، وما رأيت أحداً قط! قال: الحقي بأهلك. وخاض الناس في أمرها .. فقال لها أبوها: يا بُنَيَّة، العار وإن كان كذباً، أَبثِّيني شأنك (أطلعيني عليه) فإن كان الرجل صادقاً دسست عليه من يقتله، فيقطع عنك العار، وإن كان كاذباً حاكمته إلى بعض كهان اليمن .

قالت: والله يا أبت، إنه لكاذب، فخرج عتبة، فقال لزوجها: إنك رميت ابنتي بشيء عظيم، فإما أن تبين ما قلت، وإلا فحاكمني إلى بعض كهان اليمن. قال الفاكه ذلك لك.

فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش، ونسوة من بني مخزوم، وخرج عتبه في رجال ونسوة من بني عبد مناف. فلما شارفوا بلاد الكاهن، تغير وجه هند، وكسف بالها، فقال لها أبوها: أي بنية، ألا كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا ؟! قالت: يا أبت، والله ما ذلك لمكروه قبلي، ولكنكم تأتون بشراً يخطئ ويصيب، ولعله أن يَسِمَني بسِمَةٍ (يصفني بصفة) تبقى على ألسنة العرب! فقال لها أبوها: صدقت، ولكن سأخبُرُه لك (سأختبره وأفحصه في معرفته)، فأخذ حبة قبح، أدخلها في إحليل فرسه، ثم ربطها وغطاها، فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم، فقال له عتبة: إنا

أتيناك في أمر، وقد خبأنا لك خبيئة، فما هي ؟ قال الكاهن: بُرة في كمرة (أي حبة قمح في رأس الإحليل) قال عتبة: أريد أبين من هذا قال الكاهن: حبة بر في إحليل مهر، قال: صدقت، فانظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن، ويقول: قومي لشأنك، حتى إذا بلغ هند مسح يده على رأسها، وقال: قومي غير رفحاء (غير حبلى) ولا زانية، وستلدين ملكاً يسمى معاوية).

فلما خرجت، أخذ الفاكه بيدها، فنترت يدها (جذبتها بشدة) من يده، وقالت: إليك عني، والله لأحرصن أن يكون ذلك الولد من غيرك. فتزوجها أبو سفيان، فولدت له معاوية). ا هـ (المرأة المثالية ص٣٧)

وواضح من هذه القصة أن على المرأة والرجل اجتناب مواقع الشبهات، فكان عليها ألا تبيت في (مضافة الرجال) وكان عليه ألا يتركها ويذهب، ثم يشك فيها، وقد كان الكهان في الجاهلية يأخذون بأخبار الجن حتى جاء الإسلام، فانقطع استراق السمع، وبطل أمر الكهانة، وصار التصديق بالكاهن كفراً. (المرأة المثالية ص٤٤).

كما قال ﷺ: (من أتى عرافاً أو كاهناً، فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد).

١٤- إذا سميتها فاطمة فلا تشتمها ولا تضربها:

يروى أن رجلاً ولد له بنت فاغتم لذلك، فدخل عليه رجل صالح، فقال له: مالي أراك مغموماً ؟ فقال له: على الله - عز وجل - رزقها، وعلى الأرض ثقلها، تعيش في غير أجلك، وتأكل من غير رزقك، ما سميتها ؟ فقال: فاطمة، فقال: آه، أما إذا سميتها فاطمة فلا تشتمها ولا تضربها. (البدور في أحوال ربات الخدور ص١٧٣).

١٥- الملك والمرأة وفيروز:

حكي أن بعض الملوك طلع يوماً من أعلى قصره، يتفرج، فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار إلى جانب قصره لم ير الراؤون أحسن منها، فالتفت إلى بعض جواريه، فقال لها: لمن هذه؟ فقالت: يا مولاي، هذه زوجة غلامك فيروز، قال: فنزل

الملك وقد خامره حبها، وشغف بها، فاستدعى فيروز، وقال له: يا فيروز، قال: لبيك يا مولاي.

قال: خذ هذا الكتاب وامض به إلى البلدة الفلانية وائتني بالجواب، فأخذ فيروز الكتاب، وتوجه إلى منزله، فوضع الكتاب تحت رأسه، وجهز أمره وبات ليلته، فلما أصبح، ودع أهله، وسار طالباً لحاجة الملك، ولم يعلم بما قد دبره الملك، وأما الملك فإنه لما توجه فيروز قام مسرعاً، وتوجه متخفياً إلى دار فيروز، فقرع الباب قرعاً خفيفاً.

فقالت امرأة فيروز: من بالباب؟ قال: أنا الملك سيد زوجك، ففتحت له، فدخل وجلس.

فقالت له: أرى مولانا اليوم عندنا ؟ فقال: زائراً، فقالت: أعوذ بالله من هذه الزيارة، وما أظن فيها خيراً.

فقال لها: ويحك إنني أنا الملك سيد زوجك، وما أظنك عرفتني.

فقالت: بل عرفتك يا مولاي، ولقد علمت أنك الملك، ولكن سبقتك الأوائل في قولهم:

سَأَتْرُك ماءَكم من غَيرِ وِرْدٍ ... وذاكَ لِكَثْـرَةِ الـوُرَّادِ فِيه
إذَا سقطَ الذُّبابُ على طَعامٍ ... رَفَعتُ يَدِي ونفسِي تَشْتَهِيه
وَتَجْـتَنِـبُ الأُسـودُ ورودَ ماءٍ ... إذا كـانَ الـكِلابُ ولغْـنَ فِيه
ويرتجع الكريمُ خَميصَ بَطْنٍ ... ولاَ يَرْضَى مُسَاهَمَةَ السَّفِيه

وما أحسن يا مولاي، قول الشاعر:

قُل للَّذِي شفَّه الـغَـرَامُ بنا ... وصَاحِبُ الغدرِ غيرُ مَصْحُوبِ
وَاللهِ لا قَال قَائلٌ أبدا قد ... أكـلَ الـليثُ فَضْـلَـةَ الـذِّيـبِ

ثم قالت: أيها الملك ! تأتي إلى موضع شرب كلبك تشرب منه؟

قال: فاستحيا الملك من كلامها وخرج وتركها، فنسي نعله في الدار، وهذا ما كان من الملك.

وأما ما كان من فيروز، فإنه لما خرج وسار وتفقد الكتاب، فلم يجدهُ معه في رأسه، فتذكر أنه نسيه تحت فراشه، فرجع إلى داره، فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره، فوجد نعل الملك في الدار، فطاش عقله وعلم أن الملك لم يرسله في هذه السفرة إلا لأمر يفعله، فسكت ولم يبد كلاماً، وأخذ الكتاب وسار إلى حاجة الملك فقضاها.

ثم عاد إليه، فأنعم عليه بمائة دينار، فمضى فيروز إلى السوق واشترى ما يليق بالنساء، وهيأ هدية حسنة، وأتى زوجته فسلم عليها، وقال لها: قومي إلى زيارة بيت أبيك.

قالت: وما ذاك ؟ قالت: إن الملك أنعم علينا، وأريد أن تظهري لأهلك ذلك.

فقالت: حباً وكرامة، ثم قامت من ساعتها، وتوجهت إلى بيت أبيها، ففرحوا بها وبما جاءت به معها، فأقامت عند أهلها مدة شهر، فلم يذكرها زوجها ولا أَلَمَّ بها، فأتى إليه أخوها، وقال له: يا فيروز، إما أن تخبرنا بسبب غضبك، وإما أن تحاكمنا إلى الملك، فقال: إن شئتم الحكم فافعلوا، فما تركت لها عليَّ حقاً، فطلبوه إلى الحكم فأتى معهم، وكان القاضي إذ ذاك عند الملك جالساً إلى جانبه.

فقال أخو الصبية: أيد الله مولانا قاضي القضاة، إني أَجَّرْتُ هذا الغلام بستاناً سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة، وأشجار مثمرة، فأكل ثمره، وهدم حيطانه، وأخرب بئره. فالتفت القاضي إلى فيروز وقال له :ما تقول يا غلام؟

فقال فيروز: أيها القاضي، قد تسلمت هذا البستان، وسلمته إليه أحسن ما كان.

فقال القاضي: ما قولك ؟ قال: والله يا مولاي، ما رددت البستان كراهة فيه، وإنما جئت يوماً من الأيام، فوجدت فيه أثر الأسد، فخفت أن يغتالني، فحرمت دخول

البستان إكراماً للأسد، قال: وكان الملك متكئاً فاستوى جالساً، وقال: يا فيروز ! ارجع إلى بستانك آمناً مطمئناً، فوالله إن الأسد دخل البستان، ولم يؤثر فيه أثراً، ولا التمس منه ورقاً ولا ثمراً ولا شيئاً، ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة، وخرج من غير بأس، ووالله ما رأيت مثل بستانك، ولا أشد احترازاً من حيطانه على شجره.

قال: فرجع فيروز إلى داره، ورد زوجته، ولم يعلم القاضي، ولا غيره بشيء من ذلك، والله أعلم. (البدور ص١٦٤) .

١٦- إبليس وحبائله، والعفة ونتائجها:

حكي أن بعض بني إسرائيل سافر حاجاً، واستخلف أخاه، فدخل يوماً على زوجته وراودها عن نفسها، فقالت: اتق الله ولا تخن أخاك، فجاءه إبليس في صورة رجل، وقال: أقم عليها البينة بالزنا، وارجمها إن لم تطاوعك، فأخبرها بذلك، فقالت: افعل ما تريد، فاقام عليها البينة بالزنا ورجمها، فمر بها رجل جَمَّال ليلاً، فسمع أنينها، فأخذها إلى منزله، فدخل بعض أصحابه، فرآها جميلة، فراودها عن نفسها فامتنعت، فدخل ليلاً ليذبحها، فذبح ولد الجَمَّال، وكان الولد قد أَلِفَها فأعطاها الجمَّال دراهم، وقال: اخرجي من منزلي، فخرجت فرأت شخصاً مصلوباً على دين فخلصته بتلك الدراهم، فقال: لأكونن عبداً لك، فسار معها إلى ساحل البحر، فراودها، فقالت: هذا جزائي منك ؟ فلما أيس منها، قال لتاجر في مركب: عندي جارية جميلة أريد بيعها، فلما رآها التاجر دفع عنها ثلاثمائة دينار، فقالت: أنا حرة، فأخذها كرهاً، فلما كان الليل مد يده إليها، فقالت: اتق الله، فضرب وجهها، فعصفت الرياح على سفينته، فغرقت وحفظ الله المرأة، حتى وصلت إلى ملك عادل، فأخبرته بخبرها، فبنى لها خلوة تتعبد فيها، فشاع خبرها بالصلاح، فقصدها أصحاب العاهات، فدعت لهم فبرئوا.

فلما جاء زوجها من الحج، سأل عنها، فقيل له: إنها زنت فرجمت، فدخل على أخيه فوجده أعمى، ووقعت الأكلة في أفواه الشهود، فقيل لزوجها: خذ أخاك واذهب إلى امرأة صالحة بمكان كذا لتدعو له، فلما سار معه الشهود، فرأوا في طريقهم الجمال، ومعه

صاحبه الذي ذبح ولده، وقد أصابته عاهة، ثم وجدوا شاباً أعمى، وهو الذي خلصته من الصلب، ثم وجدوا التاجر الذي اشتراها قد قذفه الموج وهو في بلاء عظيم.

فلما وصلوا إليها وطلبوا منها الدعاء عرفتهم، وقالت: من اعترف بذنبه دعوت له، فقال أخو زوجها: أنا أستحي من أخي أن أذكر ذنبي بحضوره، فقال أخوه :لا بأس عليك، فقال: راودت امرأتك عن نفسها، فأبت، فأقمت عليها هؤلاء الشهود بالزنا زوراً فرجمت، وقال صاحب الجمَّال: أنا وجدت امرأة عند هذا الجمال فراودتها فأبت، فأردت ذبحها فأصابت السكين ولده فذبح، وقال الشاب الذي خلصته: خلصتني امرأة من الصلب، فراودتها فأبت فبعتها لتاجر في مركب بثلاث مئة دينار، وقال التاجر الذي اشتراها: أنا راودتها، فأبت وقالت: اتق الله فضربت وجهها، فعصفت الرياح فانكسرت المركب.

فقالت لزوجها: ادن مني، فكشفت عن وجهها، فلما رآها قال: إنك زوجتي، وإنك بريئة مما ذكر، فقالت له: قد سمعت قولهم، فإن شئت القصاص أو العفو، وأما أنا فقد عفوت عنهم. وقالت: اللهم اكشف عنهم ضُرَّهم، فبرئوا، وبقيت مع زوجها رحمة الله تعالى عليها. (البدورص١٦٧)

١٧- قالت هنيئة: أما الآن فنعم:

قال خارجة بن سنان: بلغني أن أوساً لما دخل منزله، وجاءه الحارث بن عوف خاطباً قال لزوجته: ادعي له فلانة، أكبر بناته، فأتته، فقال لها: أي بنية، هذا الحارث ابن عوف، سيد من سادات العرب جاءني خاطباً قد أردت أن أزوجك به، فما تقولين؟ قالت: لا تفعل، قال: ولم ؟ قالت: لأن في خلقي رداءة، وفي لساني حدة، ولست بابنة عمه فيراعي رحمي، ولا هو بجار لك في البلد فيستحي منك، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني، فيكون علي بذلك مسبة.

قال لها: قومي بارك الله فيك، ثم دعا بالثانية، فأجابته بما أجابت أختها، ثم دعا بالثالثة، وكانت أصغرهن سناً، فقال لها مثلما قال لأختيها، فقالت له: أنت وذاك، فقال لها: إني عرضت ذلك على أختيك فأبتاه، ولم يذكر لها مقالتهما.

فقالت له: والله إني الجميلة وجهاً، الرفيعة خلقاً، الحسنة رأياً، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه، فقال لها: بارك الله فيك، ثم خرج إليه، فقال: زوجتك يا حارث، بابنتي هنيئة، قال: قد قبلت ذلك منك، وأمر أمها أن تهيئها له وتصلح شأنها، ثم أمر ببيت فضرب له، وأنزله إياه، ثم بعثها إليه، فلما دخلت عليه دنا منها، قالت: مه، أعند أبي وإخوتي؟ هذا والله، لا يكون، قالت: ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا، وسرنا ما شاء الله.

ثم قال لي: تقدمي، فتقدمت فعدل عن الطريق، فلما دلف إليها، قالت: تفعل بي كما يفعل بالأمة السبيَّة الأخيذة؟

لا والله حتى تنحر الجزور والغنم، وتدعو العرب، وتعمل ما يعمل مثلك لمثلي.

فقلت: والله إني لأرى همة وعقلاً، قالت: صدقت، وأرجو الله أن تكون المرأة النجيبة، فوردنا إلى بلادنا فأحضر الغنم، فنحر وأولم، ثم دخل عليها، وقال لها: قد أحضرت من المال كما تريدين، قالت: والله لقد ذكرت من الشرف بما ليس فيك، قلت ولم ذاك ؟ قالت: أتستفرغ للنساء والعرب يقتل بعضها بعضاً ؟ وكان ذلك أيام حرب عبس وذبيان، قلت: فماذا تقولين ؟ قالت: اخرج إلى القوم فأصلح بينهم، ثم ارجع إلى أهلك، فلن يفوتك ما تريد، فقلت: والله، إني لأرى عقلاً ورأياً سديداً، قالت: فاخرج بنا، فخرجنا حتى أتينا القوم، فمشينا بهم بالصلح، فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى، ثم تؤخذ الدية فحملنا عنهم الديات، فكانت ثلاثة آلاف بعير، فانصرفنا بأجمل ذكر، ثم دخل عليها، فقالت له: أما الآن فنعم، فأقامت عنده في ألذ عيش وأطيبه، وولدت له البنين والبنات، وكان من أمرهما ما كان. (البدور ١٦٩)

١٨- الحمد لله الذي عوضنا عن درهمنا ديناراً:

وحكي أن هند ابنة النعمان كانت أحسن أهل زمانها فوصف للحجاج حسنها، فأنفذ إليها يخطبها، وبذل لها مالاً جزيلاً، وتزوج بها، وشرط لها عليه بعد الصداق مئتي ألف درهم، ودخل بها، ثم إنها انحدرت معه إلى بلد أبيها المعرة، وكانت هند فصيحة أديبة، فأقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة، ثم إن الحجاج رحل بها إلى

العراق، فأقامت معه ما شاء الله، ثم دخل عليها في بعض الأيام وهي تنظر في المرآة وتقول:

وَمَا هِنْـدُ إلا مُهْـرَةٌ عربيَّة سَليلةُ أفْـراسٍ تحلَّلَها بَغْلُ
فإنْ ولدَتْ مهْراً فذاكَ الذي لَها وإنْ ولدَتْ بغلاً فَجاءَ بِه البَغْلُ

وانصرف الحجاج راجعاً، ولم يدخل عليها، ولم تكن علمت به، فأراد الحجاج طلاقها، فأنفذ إليها عبد الله بن طاهر، وأنفذ لها معه مئتي ألف درهم، وهي التي كانت لها عليه، وقال يابن طاهر، طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما.

فدخل عبد الله بن طاهر عليها، فقال لها: يقول لك أبو محمد الحجاج: كنت فبِنْتِ، وهذه المئتا ألف درهم التي كانت لك قبله، فقالت: اعلم يابن طاهر، أنا والله كنا فما حمدنا، وبنَّا فما ندمنا، وهذه المئتا ألف درهم التي جئت بها بشارة لك بخلاصي من كلب بني ثقيف.

ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها، ووصف له جمالها، فأرسل إليها يخطبها، فأرسلت إليه كتاباً تقول فيه بعد الثناء عليه:

اعلم يا أمير المؤمنين، أنَّ الإناء ولغ فيه الكلب، فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها.

وكتب إليها يقول: إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم، فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب، فاغسلي الإناء يحل الاستعمال.

فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة، فكتبت إليه بعد الثناء عليه:

يا أمير المؤمنين، والله لا أحل العقد إلا بشرط، فإن قلت ما هو الشرط؟

قلت: أن يقود الحجاج محملي من المعرة إلى بلدك التي أنت فيها، ويكون ماشياً حافياً بحليته التي كان فيها أولاً.

فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكاً شديداً، وأنفذ إلى الحجاج، وأمره بذلك.

فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب، وامتثل الأمر، ولم يخالف، وأنفذ إلى هند يأمرها بالتجهز، فتجهزت وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة بلد هند، فركبت هند في محمل الزفاف، وركب حولها جواريها وخدمها، وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده ويسير بها، فجعلت هند تتواغد عليه، وتضحك مع الهيفاء دايتها.

ثم إنها قالت للهيفاء: يا داية، اكشفي لي سجف المحمل، فكشفته فوقع وجهها في وجه الحجاج، فضحكت عليه، فأنشد يقول:

فَـإِنْ تَضْـحَكِي مِنَّي فيَا طُـولَ ليلةٍ تركتُكِ فيها كالقِبَاء المفرَّجِ

فأجابته هند تقول:

ومَـا نُبالِي إذا أرواحُـنـا سَلِمَتْ بِمَا فقدنَاه مِنْ مَالٍ ومِنْ نَشَبِ
فالمالُ مكْتَسبٌ والعِزُّ مُرْتَجعٌ إِذَا النفوسُ وقَاهـا اللهُ من عَطَبِ

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب إلى أن قربت من بلد الخليفة، فرمت بدينار على الأرض، ونادت: يا جمال إنه قد سقط منا درهم فارفعه إلينا، فنظر الحجاج إلى الأرض فلم يجد إلا ديناراً، فقال: إنما هو دينار، فقالت: بل هو درهم، قال: بل دينار، فقالت: (الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله ديناراً)، فخجل الحجاج ولم يحر جواباً، ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان، فتزوج بها، وكان من أمرها ما كان. (البدورص١٧٠)

١٩- الفرج مع الدعاء:

لما تكلم أهل الإفك بعائشة - رضي الله عنها - رأت في منامها فتى قال لها: قولي كلمات يفرج الله عنك، وهن:

يا سابغ النعم يا دافع النقم، يا فارج الغم، ويا كاشف الظلم، ويا أعدل من حكم، ويا حسيب من ظُلم، ويا أول بلا بداية، ويا آخر بلانهاية، اجعل لي من أمري فرجاً وخرجاً. قالت: فانتبهت وقلت، فأنزل الله تعالى فرجي.

(روح البيان سورة النور. (البدور ص١٧٦).

الفصل الخامس

قطوف من المجلات والصحف عما ينفع الأزواج والزوجات

والحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها التقطها، والحكمة كالجوهر، قد يوجد في محله وعند أهله، وقد تجده في غير مظانِّه، وفي غير أوانه ... والعاقل من ينتفع بالحكمة ويستفيد من الموعظة ولو من غير أهلها ... ولا يمنعه رفعة مقامه وعلو منزلته من الاستفادة بخبرات الآخرين وتجارب الموفقين.

وما تنشره الصحف والمجلات باللغة العربية في الوطن العربي وغيره لا يعد ولا يحصر، ومما وقع تحت نظرنا وقرأناه أو سيق لنا اقتطفنا قليلاً من كثير وجنينا نزراً يسيراً من بحر هذه المطبوعات فيما كتب مما يدخل تحت الإطار العام لموضوعنا، ويسير ضمن خطتنا في الكتاب، ألا وهو تيسير المودة والرحمة بين الزوجين، لاستمرار مسيرة الحياة الزوجية على سننها الذي أراده الله لبني البشر، وحتى يتحقق السكن النفسي، والطمأنينة، والعيش الكريم لبني الإنسان:

أولاً- من المجلات:

١ - من مجلة الضياء اخترنا هذا العنوان: **(فن إدارة السعادة الزوجية) (٣٠ وصية لكل امرأة تريد حياة مُثلى).**

بقلم: الدكتور السيد عبد السميع حسونة قال فيه:

تستطيع المرأة أن تجعل بيتها جنة، يحب الزوج أن يأوي إليها كل حين، ويجد في رحابها السكينة والطمأنينة، وتذهب عنه الهموم والأحزان، وتمسح المتاعب والألم، وتجدد نشاطه، وترفع معنوياته، فيؤدي رسالته نحو ربه ودينه ومجتمعه .. ولكن كيف تنهض المرأة بهذا الدور العظيم؟

أقول بكل ثقة ويقين: لا طريق غير الإسلام، وهذه بعض الوصايا المتعلقة بالحياة

الزوجية استنتجتها من كتاب الله وسنة رسول ﷺ لعلها تكون نبراساً إلى كل امرأة تريد أن تحافظ على مملكتها من السقوط.

١ - **استيقظي قبله** وأعدي له إفطاره وقدميه له بيديك لا بيد الخادمة.

٢ - **قفي بين يديه عند ارتداء ملابسه**، وحتى خروجه، وودعيه عند الباب بحلو الكلام.

٣ - **تأكدي من جمال مظهره** وتناسق ملابسه، حتى لو لم يكن يهتم بذلك، لأن ذلك يسعده كثيراً، خاصة إذا أثنى أحد أصدقائه على ملابسه وأناقته والفضل لك.

٤ - **أحسني استقباله عند عودته إلى البيت**، بطلاقة وجه وابتسام ثغر، ونظافة ثياب، وتصفيف شعر، وعطر فواح، فيشعر بالسرور والارتياح.

٥ - **عبري عن شوقك إليه**، وانتظارك لعودته، وأنسك بقربه، وسعادتك في ظله وأشعريه بذلك: (نورت بيتك وحشتني جداً، الله يعطيك العافية).

٦ - **أشركي الأولاد في استقباله** عند عودته من الخارج، فهذا يصافحه وذاك يقبله وثالث يركب فوق كتفيه .. أهلاً .. أهلاً .. يا بابا.

٧ - **استقبلي كل ما يأتي به للبيت من أشياء بالشكر والثناء عليها** حتى ولو لم تحظ برضاك، وقولي له: سلمت لي وسلمت يداك.

٨ - **لا تقدمي شكاوى الأولاد** إليه لحظة عودته، أو قيامه من النوم، أو على الطعام، فإن لذلك آثاراً سيئة على الولد والوالد.

٩ - **خاطبيه بأرق صوت لديك** لتطربيه وتسعديه، وأقبلي عليه: في أثناء مخاطبتك له وأصغي إليه عندما يخاطبك، وناديه بأحب الأسماء إليه.

١٠- **تذكري دائماً أنوثتك** وحافظي عليها، وكوني كل ليلة عروساً لزوجك، ولا تسبقيه للنوم إلا للضرورة، فإن ذلك كله يجعله لا يهفو إلا إليك.

١١- **بادري إليه إذا دعاك** إلى فراشه واستشعري ذلك من كلماته أو نظراته واستجيبي له بسرعة، فإن ذلك يرضي رجولته، وينعكس أثره عليك.

١٢- **كوني له أرضاً**، يكن لك سماءً، وكوني له مهاداً يكن لك عماداً، وكوني له أمة يكن لك عبداً، وأريه منك أجمل منظر وأسمعيه أحلى كلام وليشمنَّ منك أطيب أريج، دلليه وناديه بأحب الأسماء إليه، وأشعريه بأن مشاعرك ما تزال متأججة نحوه، وأنه لا يزال موضع اهتمامك.

١٣- **أشعريه بحبك له**، ولا تقللي من شأنه مهما كانت عيوبه، فإن الزوج يحتاج .. لأن يشعر بأن شريكة حياته تسانده وتقف في صفه.

١٤- **ارضي بما قسم الله لك من رزق** ومال وجمال وتعليم، وانظري إلى من هو دونك، فالسعادة الحقيقية في التزود بزاد التقوى وحسن الخلق والعمل الصالح.

١٥- **عيشي معه على الحلوة والمرة** وشدي من أزره في وقت الأزمات.

١٦- **تجنبي الصياح والثورة في أثناء الخلافات الزوجية**، فإن الأسلوب الإيجابي في حل الخلافات هو حسن الاستماع، وإظهار التجاوب، والتفهم لمطالب الزوج.

١٧- **لا تبادليه الغضب بغضب أو بصوت عال**، والتزمي بالصمت وإياك أن تنامي وهو عليك غاضب، بل قوليها له بشجاعة: والله لا يغمض لي جفن يا حبيبي حتى ترضى.

١٨- **اعتذري إليه إذا أخطأت**، واحذري الكبر والعناد، والجدل والمراء، وليغلب عليك التراضي والتسامح، فإن ذلك من شيم الكرام، وأسباب دوام الود والألفة والوئام.

١٩- **لا تركضي إلى منزل أمك** كلما لاحت مشكلة في البيت، ولا ترفعي سماعة الهاتف للاستنجاد بها؛ حتى لا تتصاعد حدة التوتر بينكما.

٢٠- **أكرمي أهله**، وأحسني استقبالهم، واجعلي من بيتك قبلة لهم، وبخاصة والديه،ولا تفرقي في المعاملة بين والديك ووالديه، واعلمي أنك اليوم زوجة وغداً حماة.

٢١- **أطيعه في كل أمر**، فلا تخرجي من بيته إلا بإذنه، ولا تصومي نافلة إلا بإذنه، ولا تضيعي حقه بحجة أداء حق الله.

٢٢- **احرصي على إيجاد علاقة طيبة بينه وبين أبنائه**، وأشعريه أن تربيتك لأبنائه ستكون أفضل ما تكون بفضل استشارته ومتابعته لهم، ولو بالنصيحة.

٢٣- **لا يغرنَّك حلم زوجك وطيبته**، أو قلة ماله، أو عمله أو حَسَبه بمعصيته، أو مخالفة أمره، ولكن أدي له حقه، واحفظي جميع أمره.

٢٤- **احفظي زوجك في سره**، فلا تبوحي به لأحد مهما كان شأنه، واحفظيه في أولاده بحسن تربيتهم وتأديبهم والاهتمام بصحتهم واحفظيه في ماله، فلا تتصرفي في شيء منه إلا برضاه، ولا تبذريه، واحفظيه في نفسك وعرضك بالابتعاد عن مواطن التهم وغض البصر عن المحارم.

٢٥- **طوري نفسك دائماً في كل شيء؛ شكلك**، بيتك، أسلوبك، تغيير موضع أثاث غرفتك، وأشعريه أن ذلك كله من أجل سعادته، خاصة قبل عودته من السفر، لا تشعريه بأدنى ارتباك في الأمور المنزلية.

٢٦- **نظمي حفلاً عائلياً بمناسبة عودته من السفر**، أو ترقيته في العمل، أو شفائه من مرض، واعتني بشؤون منزلك، نظافته ونظامه وجماله، وأطعميه حلوى الحفل بيديك.

٢٧- **كوني منطقية في مطالبك** وكمالياتك وراعي الأوليات، وإياك أن تدفعي زوجك إلى أن يمد يديه أو أن يتهور.

٢٨- **اصبري على ضيق المعيشة**، وارضي بالقليل، واقنعي بالموجود، وخففي الطلبات واستغني عن الكماليات والخدمة بنفسك مهما كانت المشقات.

٢٩- **كوني كثيرة الذكر لربك**، وساعدي زوجك على فعل الطاعات، وكوني مصدر طمأنينة له وأمل، ولا تكوني مصدر قلق ونكد، واشغليه بالله لا بنفسك، وتوكلي على الله، فهو حسبك.

٣٠- **وتذكري دائماً أن كل وصية من هذه الوصايا**، وسيلة تقربين بها إلى الله تعالى ولا تظني أنني أحابي الرجل؛ لأنه من جنسي، فإن له عندي - أيضاً - مثل هذه الوصايا، فالنساء شقائق الرجال.

وتأكدي يا أختاه، أنه لو أقام كل زوج .. لزوجة صالحة .. بصدر بيته تمثالاً أشمَّ ... لما وفَّى جميلاً أو جزاءً ..

إن جزاءها في الخلد أسمى. (مجلة الضياء ص٦٠ عدد ٦٣ لعام ١٤٢١ هـ /٢٠٠٠).

٢ - ومن مجلة الوعي الإسلامي اخترنا هذا البحث تحت عنوان: **(انتبها؛ إنه مختبئ خلف الستار)**. بقلم الأستاذ محمد رشيد العويد) قال:

كان الزوجان يختلفان حول أمر من الأمور، وبدأ الخلاف يتطور إلى شجار، بسبب همس يسمعه الزوج، ولا يرى صاحبه يقول له: هل ترى كيف تهين زوجتك كرامتك ؟ ألا تلاحظ أنها تمس رجولتك ؟ كيف تسكت ؟ كيف ترضى ؟ أتغلبك امرأة ؟!!

وكان الهمس ينتقل إلى الزوجة، ولا ترى صاحبه أيضاً يقول لها: لقد تمادى زوجك ! صَبُرِك عليه أَطْمَعَهُ فيك، حلمك جعله يهينك، ويجرح أنوثتك ! عليك أن تضعي حداً لهذه الإهانات المتكررة منه .

واستمر الهمس في نفس كل من الزوجين، يشعل فيهما نار الغضب، ويؤجج جمر البغضاء، ويؤلب كلاً منهما على الآخر، وفيما الزوجان كذلك، ظهر صاحب الصوت الذي كان مختبئاً خلف الستار، بعد أن هبت ريح من النافذة، واكتشف الزوجان أن صاحب الصوت هو الذي أوقع بينهما ما أوقع، وأنه هو الذي زاد خلافهما اشتعالاً واحتداماً وتأزماً، وصارا يطاردانه وهما يضربانه حتى خرج من باب الدار، وعادا يضحكان بعد أن أدركا أن الخلاف ما كان ليصل بينهما إلى ما وصل إليه، حدة وشجار وعنف .. لولا هذا الذي كان متوارياً يهمس في نفس كل منهما ما لم يكن يسمعه الآخر.

عزيزي الزوج، عزيزتي الزوجة، أردت بهذه الحادثة الرمزية أن أنبه كلاً منكما إلى أن هذا ما يحدث في كل خلاف حاد يقع بينكما، ففي الحديث الصحيح الذي

رواه مسلم عن الأعمش عن أبي سفيان عن طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (إن الشيطان ليضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه في الناس، فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة، يجيء أحدهم، فيقول: مازلت بفلان حتى تركته يقول كذا وكذا، فيقول إبليس: لا والله ما صنعت شيئاً! ويجيء أحدهم، فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله، قال فيقربه ويدنيه ويلتزمه، ويقول: نعم أنت).

ما أرجوه منكما، **عزيزي الزوج وعزيزتي الزوجة**، حين تختلفان، أن تتذكرا أن الشيطان وقبيله يرونكما من حيث لا ترونهم: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُون** ﴾ الأعراف: ٢٦، ٢٧.

فاحرصا على أن تُزْجِرا كل هَمْسٍ يشعل فيكما الغضب؛ إلى جندي من جنود إبليس يقف معكما خلف ستار يحجبه عنكما، هلا تعاونتما على ضربه وطرده كما فعل الزوجان في تلك القصة الرمزية؟!

ما أعظمك يا سعدى!

أخرج الطبراني بإسناد حسن عن طلحة بن يحيى عن جدته سعدى - رضي الله عنها - قالت: دخلت يوماً على طلحة (تعني ابن عبيد الله زوجها) فرأيت منه ثقلاً، فقلت له مالك ؟ لعله رابك منا شيء فنعتبك (أي تترك ما يجد عليها من أجله، وترجع إلى ما يرضيه عنها).

قال: لا، ولنعم حليلة المرء المسلم أنت، ولكن اجتمع عندي مال، ولا أدري كيف أصنع به؟

قالت: وما يغمك منه ! اُدْعُ أهلَك وقومَك، فاقسم بينهم، فقال: يا غلام .. علي بقومي.

فسألت الخازن: كم قسم؟ قال: أربع مئة ألف.

ألا توافقونني إذا وصفت سعدى - رضي الله عنها - بأنها زوجة نادرة زوجة عظيمة، زوجة يتمنى كثير منا، معشر الرجال، لو تحلت نساءنا بما تحلت به هذه الزوجة المسلمة من صفات ثلاث جميلة؟

الصفة أو الخصلة الأولى: نراها فيها حين دخلت - رضي الله عنها - على زوجها فرأت منه ثقلاً (مما يحمله من هم) فسألته سؤال المهتمة لهمه المشغولة عليه، الراغبة في التفريج عنه: (مالك؟ لعله رابك منا شيء فنعتبك)؟!!! استرضاء جميل، وخضوع حبيب، وتقرب يبعث في نفس الزوج البهجة والرضا والحبور.

الخصلة الثانية: إذن، هي اتهام نفسها بأنها قد تكون وراء تكدر زوجها وغمه بعد خصلة الاهتمام بثقل الزوج ومشاركته همه.

وينفي الزوج عنها ما اتهمت به نفسها، ويثني عليها الثناء الجميل الذي تستحقه أعظم استحقاق: (لا، ولنعم حليلة المرء المسلم أنت).

ويكشف الزوج سر همه، وحقيقة غمه: مال اجتمع عنده ولا يدري كيف يفعل به؟

ولا تترد الزوجة في تقديم المشورة التي تؤكد كرمها وسخاءها وجودها، وهي:

الخصلة الثالثة فيها: (وما يغمك منه؟ ادع أهلك وقومك فاقسمه بينهم) لم تقل (أبقه لنا فنحن أولى به)! أو (أولادك أحوج إليه من الآخرين) أو (وهل المال هم أم فقده هو الهم؟).. لم تقل شيئاً من هذا الذي تقول أمثاله كثير من الزوجات.

لقد كانت تساعده على صلة رحمه، وبر قومه، حين دعته إلى أن يقسم ماله فيهم، ثقة منها بما عند الله تعالى.

ولا يتردد الزوج في الأخذ بمشورتها، فيبادر على الفور إلى مناداة الغلام، يطلب له قومه، فيوزع عليهم أربع مئة ألف.

ما أعظمك يا سعدى ! تنشغلين لهم زوجك، وتتهمين بهذا نفسك، وتشجعينه على صلة أهله وقومه ..

خصال ثلاث نتمنى أن تتحلى بها زوجاتنا جميعاً .. فهل هن فاعلات ؟ ا.ه.
(من مجلة الوعي الإسلامي الكويتية عدد ٣٦٢ شوال ١٤٦١ / آذار ١٩٩٦)

٣ - ومن مجلة منار الإسلام اخترنا هذه القصيدة بعنوان: **شكوى عانس** شعر أحمد حسن القضاة - الأردن.

كَتبتْ ظلامةَ قلبِها ... بدمُوعِ مهجتِها السَّخِيَّة
وشكتْ رداءةَ حظِّها ... في الزوج مُذْ صَارتْ صبيَّة
قالتْ تُكفكِفُ دمعَها: ... أَوْجِزْ لأمَّتِك (القضيَّة)
بِتْنا ضحيةَ عُرْفنا ... عُدْنا لعهدِ الجاهليَّة
فِي أمَّةٍ تُغْلي المهورَ ... ووالِدٍ يقسُو عليَّهْ
أَبْغي أُعِفُّ غريزَتي ... وأذودُ كي أبقَى تَقيَّة
ها قَدْ قطعتُ مدَى الطريـ ... ـقِ وكاد تدرِكُني المنيَّة
أمضِي الحياةَ بلا زوا ... جٍ أستبين به (الهُويَّة)
أخشَى تمرُّ بيَ السنو ... نُ وتستبِدُّ بيَ البلِيَّهْ
فأظلُّ كمَّاً مُهملاً ... لا زوجَ .. لا دُنيا هنيَّة
أين الرجالُ أم ارتمُوا ... في حُضْن غانِيَةٍ شقيَّة؟
صرفُوا النفوسَ عن الحَلا ... لِ لمتعةٍ فيهَا الدَّنيَّة!
إن بُحْتُ أطلبُ غايتي ... أَرْغَوْا وحَمِلْتُ (الأسيَّةْ)
أو لُذْتُ بالصمتِ استمرَّ ... تْ حالةُ اليَأسِ العَصيَّةْ
مَاذا بجُعبتِكم وما ... تفتُونني أهلَ الحميَّة؟

(مجلة منار الإسلام عدد /٤/ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١ ص٨٧) .

٤ - ومن المجلة العربية اخترنا هذا البحث بعنوان: (**أصدق وأنقى حب مع الإنسان**) بقلم سليمان بن ناصر العقيلي قال فيه:

.. لقد مر شريط الذكريات بخاطري كطيف يسألني: كيف تعيش الحب ؟ فقلت له: أعيشه حباً عذرياً صادقاً خالصاً لله وفي الله .. أتنفس هواه في حدود أسرة سعيدة .. لا حبًّاً ساقطاً خارج أسوار مملكتي السعيدة !!

ما أجمل أن يكتب الواحد من دمه ومن مداد قلمه !! قصصاً حقيقية لا أساطير خرافية .. ويرسم فرحته بتكوين أسرة سعيدة فوق أزهار ربيعية .. ونُسطر أحرفاً مغلفة بالحب والمودة لنصفنا الآخر مدادها من دموع الفرح !!

أخي القارىء، .. عفواً: ابحث في نصفك الآخر عن عطاء إنسانة .. عطاء حاول إثارته بعزيمة .. تجد أنك أول من يستحقه !!.. ولكن حذار أخي، من (**الطلاق العاطفي**) بادل نصفك الآخر بكلمات الحب والوئام كلمة: (أحبك) سحرها أخاذ وفعلها عظيم!!..

بادر زوجتك بكلمة جميلة؛ ليستمر صداها طويلاً .. وداعبها برفق وحنان تجد عطاءً يتدفق عليك من نهر عذب لا ينضب ..!! المرأة تريد من يحنو عليها أكثر ممن يصفق لها.

نعم مشكلتنا .. أننا نخجل .. لا نلاطف نصفنا الآخر بكلمات الود والحب والحنان .. ونعدها عيباً ونقصاً ففينا نحن الرجال .وهنا مكمن الخطأ ..!!

ليتكم سمعتم كما سمعت من شيخ فاضل .. أفادني أن امرأة صالحة .. هاتفته وأخبرته بأنها تفكر في عقد علاقة خاصة مع رجل آخر ..لم يا ترى ؟ ذلك أن زوجها لا يلاطفها ..ولا يشعرها بذلك الحب العاطفي والحنان الذي فقدته منه طوال حياتها .. لأن هذا الزوج طلق زوجته (طلاقاً عاطفياً ..)

لماذا لا نحتوي نبض إنسانة بذلت لنا المستحيل؟؟ لنتذكر ظمأ السنين الماضية في حياتنا .. من الحب والحنان .. والملاطفة والاهتمام .. ولنستشعرها الآن مع نصفنا

الآخر .. لا تكن مشاعرنا صماء .. ولنطرد برودة النفس .. وعتمة القلب .. نريد تمازجاً .. تقارباً .. واجعلوا ذكر الله ما يستطاب على ألسنتكم .. في غدوكم .. ورواحكم .. وعند اتصال الروح والجسد ..

ولا تقولوا لزوجاتكم: وداعاً، بل قولوا لهن: وداداً .. واكتبوه لهن على الورق مداداً صادقاً!!

والآن اتركوني أعيش إغفاءة ذلك الحب كما كنت وأكون وسأكون .. نعم سأكون أسيراً لإحساس الحب الصادق ؟ وسأحيل، بمشيئة الله، ذلك العطاء الإنساني .. ربيعاً أخضر .. وسوف أبقى في فكر وخاطر من يحبني ويهواني الذي يغار عليَّ إن زللت أو في الكلام أسأت.

مَنْ حبيبك؟

حَبيبُك مَنْ يغارُ إذا زَلَلْت ويُغْلِظُ في الكُلام متى أَسَأتَا
يُسَرُّ إذا اتصفتَ بكل فَضلٍ ويحزنُ إن نَقَصْتَ أو انْتُقِصْتا
ومن لا يكتَرِثْ بكَ لا يُبالي أَحِدتَ عن الصَّوابِ أم اعْتَدَلْتا.

واعلموا أن:

كلُّ قَلبٍ لا ينبضُ الحبُّ فيهِ ليسَ قلباً وإنَّما هُو صَخْرَة.

(المجلة العربية عدد ٣٣٣ شوال ١٤٢٥/٢٠٠٤ ص ٩٠-٩١)

٥ - ومن **مجلة المجتمع الكويتية** اخترنا مشكلة زوجية وحلها بعنوان: **(كلماته الرقيقة قليلة)** أجاب عليها محمد رشيد العويد؛ قالت الزوجة:

رزقني الله زوجاً صالحاً، محافظاً على صلاته، محباً لفعل الخير، متقناً لعمله، مخلصاً فيه، مبتعداً عما حرم الله تعالى من ربا ورشوة وغيرهما. وهو كريم علينا، ينفق عليَّ وعلى أولاده بسخاء، محب لهم، عطوف عليهم. بعد هذا الوصف لزوجي أحسبك تقول لي: زوجك تتمناه ملايين النساء اللواتي سيحسدنك عليه، فماذا تشكين منه، ولا ترضين فيه؟

وأجيبك فأقول: إنه سلبي تجاهي، لا يهتم بي كثيراً، كلماته الرقيقة قليلة جداً.

أطلب منه أن يشاركني في قراءة القرآن الكريم، فيقول لي: أنا متعب الآن، اقرئي أنت وسأقرأ أنا في وقت آخر. أدعوه لأن نقيم الليل معاً، فيتعلل بأنه نعسان ويريد أن ينام؛ لأنه متعب من عمله طول النهار، وهو يعمل عملين الأول من الصباح إلى العصر، والثاني من بعد العصر إلى التاسعة ليلاً. كيف أنجح في جعل زوجي أكثر اهتماماً بي؟

الرد: أبارك لك أولاً في هذا الزوج الذي أصبت حين وصفتِه بأنه صالح، فهو رجل صالح حقاً، وأقول، كما توقعت، بأن كثيرات من البنات والنساء يتمنين أن يرزقن برجل مثله، ولهذا فإن أول شيء أطلبه منك هو أن تكثري شكر الله تعالى على أن رزقك هذا الرجل الصالح وتحمديه سبحانه كل يوم.

ثم أقول لك: إن ما في زوجك من دين وخلق ظهر في كرمه وحبه وعطفه وإخلاصه في عمله يعوضك كثيراً عما وصفتِه فيه بالسلبية وعدم الاهتمام، ونحن نخطئ حينما نطلب الكمال في أزواجنا وزوجاتنا، ولا نقوم بعملية التغليب الواجبة في ذلك، وهي العملية التي أمرنا بها النبي ﷺ: (لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر) وهي وصية موجهة أيضاً إلى الزوجة التي إن كرهت في زوجها خلقاً رضيت منه آخر.

وعليه، فإني أدعوك إلى الرضا التام، وإلى تأكيد هذا الرضا بالنظر إلى زوجات ابتلين بأزواج غير متدينين، وليسوا كرماء، ولا يعطفون على أبنائهم كما يعطف زوجك على أبنائه.

لكن هذا لا يعني طبعاً ألا تحاولي جعل زوجك مشاركاً لك في عباداتك واهتماماتك، كريماً في كلامه الطيب، كما هو كريم في ماله، فماذا تفعلين لتحصلي منه على هذا؟

لابد أولاً من أن تعطيه ما تريدين أن يعطيك منه، أي أنه لابد من أن تكثري من إسماعه الكلمات الطيبات حتى يسمعك مثلها، أن تثني عليه كثيراً حتى يبادلك الثناء، وقد لا تجدين استجابة كبيرة في البداية، فعليك ألا تيأسي وألا تملي من مواصلة إسماعه الثناء والكلام الطيب.

ولعلك تسألينني: بم أثني عليه؟ أجيبك بما ذكرته لي عن زوجك من أنه رجل صالح ..فماذا يمنعك من أن تقولي له، وأنتما تستمعان إلى شكوى زوجة، في برنامج إذاعي أو تلفزيوني، من زوجها غير الصالح، ماذا يمنعك أن تقولي له: الحمد لله أنك زوج صالح.

كذلك أنقلي له شكوى صديقة لك من بخل زوجها وقولي له، لقد قلت لها: الحمد لله أنا زوجي كريم لا يبخل علينا بشيء. وهكذا توصلين إليه رسائل الثناء والإعجاب به، وبأخلاقه وستجدينه يسمعك مثل تلك العبارات، ولو بعد حين.

ولا بأس من مصارحته بمثل هذا الكلام، هل تعلم أنك كريم جداً، ولا تبخل علينا بشيء؟

ولاشك في أنه سيسعد بكلماتك هذه، وربما يظهر هذا على وجهه عبر ابتسامة!

واصلي كلامك قائلة: ليس هذا فقط، بل إنك عطوف جداً على أولادك، حتى إن جارتنا لاحظت هذا عليك.

وأحسب أنه سيزداد سعادة وفرحاً وفخراً.

قولي له أيضاً: والحمد لله أنك تحرص على الحلال، ولا تطعمنا من حرام .. وهذه وحدها نعمة كبرى.

وإذا جلس منتشياً بثنائك عليه **قولي له**: لكن شيئاً واحداً أفتقده فيك، وأتمنى أن

أجده منك. وأتوقع أن يبدي زوجك اهتمامه البالغ واستعداده ليعرف منك هذا الذي تفتقدينه فيه، وأن يسألك عنه بهدوء ورضا بعد ذلك الثناء الذي بدأت به.

وهذه فرصتك الذهبية لتقولي له عتبك عليه بكل لطف ومودة، أنت تشتري لنا ما نريد، رغم أن هذا يكلفك مالاً وجهداً، ولا تعطيني ما لا يكلفك مالاً وجهداً !! ستثيرين فضوله بهذه العبارة، وسيحاول أن يعرف منك هذا الذي لا يكلفه مالاً ولا جهداً ويبخل به عليك.

عندها قولي له: إنها الكلمات الطيبة واللمسات الحانية .. هي التي أحتاجها منك مع ما تقدمه لي.

أما مشاركته إياك في قراءة القرآن وقيام الليل، فأكثري من الدعاء له بظهر الغيب أن يعينه الله على ذلك، وأن يحببه إليه، ولعله يعذره، إلى حد كبير، أداؤه لعمله من الصباح حتى التاسعة مساءً ..والله المستعان. (مجلة المجتمع عدد ١٦٤١محرم ١٤٢٦هـ / آذار ٢٠٠٥ص ٥٩) .

٦ - واخترنا منها مقالاً أيضاً بعنوان (**الحمو الموت**) بقلم الباحث: خالد أحمد الشنتوت قال فيه:

من مقاصد الشريعة رفع الحرج عن المسلمين، قال تعالى في آيات الوضوء وإباحة التيمم عند فقد الماء: ﴿ . .**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ المائدة: ٦. (أي فلهذا سهل عليكم ويسر ولم يعسر بل أباح التيمم عند المرض وعند فقد الماء توسعة عليكم ورحمة بكم). تفسير ابن كثير .

وقال الله تعالى: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾ الحج: ٧٨.

(أي ما ألزمكم بشيء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجاً ومخرجاً، ولهذا قال ﷺ: (بعثت بالحنيفية السمحة) وقال لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما أميرين على اليمن: (بشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا) والأحاديث في ذلك كثيرة، ولهذا قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج: ٧٨. (يعني من ضيق) تفسير ابن كثير.

والأسرة الكبيرة التي فيها كنائن (جمع كنة، وهي امرأة الابن والأخ. انظر المعجم الوسيط) تشعر بالحرج (الضيق) كلما زارتها أسرة أحد أولادها، ومعه زوجته (الكنة) عندئذ سوف تنقسم الأسرة إلى رجال يجلسون وحدهم ونساء يجلسن وحدهن، وليست المشكلة كبيرة إذا وجد عدة رجال، وعدة نساء، وجلس كل فريق وحده لكن الحرج عندما يوجد شاب واحد في أسرة الجد، وتأتي الكنة مع زوجها وأولادهم؛ ليجلسوا مع الجدين في الصالة، بينما يعزل الشاب في غرفة الضيوف وحده، وعند الطعام تمد له مائدة خاصة به، أو ينتظر حتى تفرغ الأسرة من طعامها ثم تنقل المائدة إليه، وفي الحالتين حرج له، وللجدين. وذلك كله لأن (الكنة) تريد أن تأخذ حريتها، فتخلع حجابها، أمام زوجها وحماتها.

جدل بشأن الحمو: وهناك جدل داخل الأسر المسلمة المتمسكة بدينها بين المتساهلين والمتشددين، وهذا عرض للحالين:

١ - **يسمح المتساهلون للكنة بأن تجلس مع الأسرة** كاملة بما فيها الشاب شقيق زوجها، وهي بحجابها، وربما تكشف عن وجهها فقط. ويتناولون الطعام على مائدة واحدة، وفي هذا بعض المشقة عليها ولاشك، ولكن هؤلاء يرون ذلك أخف الحرجين، فتتحمل (الكنة) بعض الحرج أهون من أن يتحمل الجدان والحمو الحرج، فواحدة أقل من ثلاثة، لا يرى هؤلاء أن الحديث الشريف الذي مر فيه قول الرسول ﷺ: (الحمو الموت) يتعلق بجلوس الكنة مع الجدين والحمو وزوجها كلهم في غرفة واحدة، ويرون أن هذا الحديث مختص بالخلوة فقط، ولا أحد يرى جواز الخلوة بين الرجل وزوجة أخيه.

٢ - **يمنع المتشددون جلوس الكنة مع الأسرة** إذا وجد (الحمو) وهو أخو الزوج، وحجتهم في ذلك حديث الرسول ﷺ: (الحمو الموت) يقولونه بسرعة ودون تروٍ، وتمعن في الحديث من أوله إلى آخره، لكنهم يقطعون هاتين الكلمتين فقط: (الحمو الموت) ويبنون على ذلك عدم جواز جلوس الكنة مع الأسرة بحجابها مع وجود الحمو، فلنقرأ الحديث: عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟

قال: (الحمو الموت) رواه البخاري (٥٢٣٢)،

وزاد مسلم: قال الليث: الحمو أخو الزوج وأقاربه، كابن العم ونحوه[1]

قال ابن الأثير: (أي فلتمت ولا تفعلن ذلك، وقيل كلمة تقولها العرب مثل: الأسد الموت: أي لقاؤه مثل الموت، والمقصود الخلوة، فلا يجوز للحمو الخلوة بزوجة قريبه).

٣ - وأخرج الشيخان عن ابن عباس أنه سمع النبي ﷺ يقول: (لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم) رواه البخاري (٥٢٣).

منع الخلوة فقط: ويتضح من الحديثين أن الأول يمنع الدخول على النساء، فالكنة في بيتها ويدخل الحمو عليها في بيتها، ومن الحديث الثاني يفهم أن تكون وحيدة فصارت خلوة، وإلا لو كان أخوه (زوجها) موجوداً في البيت لجاز دخوله البيت، لذلك كان تعبير الرسول ﷺ: (إياكم والدخول على النساء) فهي (الكنة) موجودة في البيت وحدها، ولو كان زوجها موجوداً لدخل على أخيه، ولم يدخل عليها، إذن هذا الحديث يمنع دخول الحمو على بيت أخيه مع وجود زوجة أخيه في البيت وحدها، ولا يوجد زوجها أو محرم معها في البيت، أما لو كان أبوها موجوداً معها في البيت لكان دخول الحمو إلى بيت أخيه أمراً عادياً.

(١) - البخاري (٩ص٢٩٠) في النكاح، ومسلم (٢١٧٢) في السلام، والترمذي (١١٧١) في الرضاع .

والحديث الثاني، يصرح بتحريم الخلوة: (لا يخلون رجل بامرأة) لا الناهية تنهى عن ذلك الفعل، وهو الخلوة بالمرأة الأجنبية، والخلوة وجود رجل وامرأة أجنبية في غرفة واحدة لا يراهما إلا الله، وخلوة الحمو بزوجة أخيه وهذا هو الموت، لأنها جريمة مضاعفة، جريمة الزنا، وقطع للرحم.

وهذان الحديثان لا يفهم منهما أبداً تحريم جلوس الأسرة كاملة بما فيها الكنة وحموها عندما تكون الكنة محجبة.

وأرجو ألا يفهم من هذا أن الكنائن عندي يجلسن مع أحمائهن مع الأسرة كلها، لا أبداً، أنا أحاول الأخذ بالعزيمة، والأحوط، مع تحمل الحرج، ومع علمي أن مقاصد الشريعة الإسلامية رفع الحرج، لأن التساهل من أمثالي قد يفهمه الآخرون خطأً وتقصيراً، لذلك أتحمل الحرج الكثير، وأحياناً أشتغل عامل بريد داخل الأسرة، حيث يجوز للجد أن يمر من الصالون ويرى كنائنه، وأدخل الغرفة الفلانية لإخراج الكتاب أو الثوب لحمو فلان، وهكذا، وأنا راض ومحتسب أجري عند الله عز وجل.

وحسب ظني أن السبب هو كسل الكنة، وشعورها بالحرج من الحجاب داخل أسرة زوجها، فترفع الحجاب، ومن البدهي أن الحمو لا يجوز أن يرى زوجة أخيه بدون حجاب، ويتعلل بعضهن بأن الحمو: (الحمو الموت) وتترك الأسرة كلها، وخاصة الجد والجدة يشعرون بالحرج، وكي لا تشعر الكنة بالضيق من الحجاب، تترك الأسرة كلها محرجة نيابة عنها.

وأدى ذلك إلى توثيق الصلة بأسرة البنات، وضعف الصلة بأسرة الأولاد، أقصد من ذلك زيد من الناس له في مدينة مجاورة ولد متزوج وابنة متزوجة، ويسافر زيد مع أولاده الشباب إلى تلك المدينة، فينزل ضيفاً على بنته، لأن أولاده يتحركون بحرية داخل بيت أختهم، ويقيدون بغرفة الضيوف داخل بيت أخيهم، وينتظرون بفارغ الصبر كي يفك أسرهم، فيخرجوا من بيت أخيهم، وإذا أضفت هذا إلى سياسة (الجدة) في تقريب صهرها وابنتها، وإبعاد (كنتها) شعر الولد بالحرج، وربما بالألم لأنه يشعر أن أمه وأباه يفضلان أخته عليه.

وآمل أن تناقش هذه القضية، من الأخوة الأفاضل طلاب العلم الشرعي والمربين والمفكرين، ولعل المناقشة فيها توضح المزيد، وتستفيد الأسرة المسلمة منها. اهـ (من مجلة المجتمع عدد ١٦٤١ لعام ١٤٢٦هـ ص٦٠).

٧ - ومن مجلة النور اخترنا تحت باب: (**حتى يكون الزواج سكناً**) هذا البحث بعنوان (**عدم الاكتراث التراكمي**) كتب المحرر يقول:

تصرفات لا توليها الزوجة اهتمامها، ولا تكترث بها، وتحسبها هينة يسيرة مع أنها مهمة .. وقد تصبح خطراً على سلامة الزواج وحسن استمراره .. إذا استمرت وتراكمت. من هذه التصرفات:

١ - **يتحدث زوجك باهتمام** ... فتلتفتين إلى طفلك الذي يطلب منك شيئاً، وتذهبين معه لإحضاره له، دون أن تعتذري لزوجك .. أو تحاولي استمهال طفلك قليلاً، ريثما يتم زوجك عبارته.

٢ - **يطلب زوجك كأس ماء أو عصير فتكلفين الخادمة**، أو أحد أولادك، بتلبية طلبه .. دون أن تدركي أهمية تلبيتك أنت له ..

٣ - **تضعين الطعام لزوجك، وكأنك تضعين الطعام لقطة** .. لا اهتمام بطريقة التقديم، ولا اكتراث بالصحون التي فيها الطعام، ولا بترتيبها على المائدة .. ناسية أن العين تذوق قبل أن يذوق الفم !

٤ - **أوراق زوجك وأشياؤه الخاصة عزيزة لديه أثيرة لديه** .. ومع هذا فأنت تحشرينها وكأنك تحشرين أحذية الأطفال القديمة .. دون اكتراث.

٥ - **تستأذنين زوجك في زيارة أهلك ساعة من الزمان** .. وتبقين عندهم ساعتين أو أكثر دون أن تكترثي بإجراء اتصال هاتفي معه تخبرينه باضطرارك للتأخر.

وقد ترد الزوجة بقولها: ولكن زوجي لا يتضايق من هذه التصرفات وأمثالها .. ولا أجده يلقي لها بالاً.

ونقول في الرد على هذه الزوجة: قد يكون هذا ما يظهر لك حقاً، وقد يتجاوز الزوج فعلاً عن بعض هذه التصرفات. لكن هناك شيئاً اسمه (تراكم الأفعال الهينة) هذا التراكم لـ (عدم اكتراثك) و (عدم مبالاتك) يتولد عنه لدى الزوج إحساس بأنك مهملة له، غير مبالية به، وهذا بدوره يجعل الزوج حاملاً عليك، ناقماً منك، كارهاً لك .. ينفجر غاضباً فجأة وكأنه يريد أن يخرج ما تجمع في نفسه من ضيق تجاه عدم اكتراثك المتكرر.

وتعجب الزوجة: ماذا جرى له؟ ما الذي غيره ؟ لم يكن هكذا !! ويغيب عنها أنها وراء هذه الانفجارات الغاضبة التي وصفتها بأنها مفاجئة، وذلك بإهمالها أو عدم اكتراثها المتكرر المتراكم .

تأملي في قطرة الماء: ما أخفها وأضعفها .. ولكنها لو استمرت في النزول على صخرة لفتتها.

فاحذري عزيزتي،.. احذري عدم الاكتراث. ا.هـ مجلة النور الكويتية عدد ١٤٣ كانون الأول ١٩٩٦ ص١٠٤.

٨ - ومن مجلة العربي اخترنا هذه الكلمة تحت باب: **(مساحة ود)** بعنوان: **(مودة ورحمة)** بقلم الكاتبة والشاعرة خديجة مكحلي.

دخل منزله، فغر فاه، ورمش بعينيه رمشات سريعة متتابعة، ما بال زوجته الوديعة تستقبله كموج هادر، أو كبركان ثائر يقذف حمماً ولهباً؟:

- أخيراً عُدْتَ .. أخيراً تَذكَّرْتَ أن لك زوجة وبيتاً!

وارتسمت على وجهه ابتسامة باهتة حاول من خلالها عبثاً إخفاء علائم الوهن البادية عليه:

- وكيف لي أن أنسى أروع زوجة، وأحب وأحلى مكان؟!

تقدمت منه متجاهلة وقع كلماته الصادقة على نفسها، ومخفية ضعفاً نحوه وشوقاً كاد أن يبين:

- كلامك المعسول هذا لم يعد يعنيني في شيء، وليس لديَّ أي استعداد لسماعه، أرفض طريقة تعاملك معي وإهمالك لي، لقد نسيتني في زحمة أعمالك وتجارتك وخضم أسفارك وصفاتك، لن أقبل أبداً أن تضعني في آخر قائمة اهتماماتك، وأن تخصني بفتات وقتك، انتفخت أوداجه وزفر زفرة طويلة وبقي محافظاً على هدوئه وحزمه.

- أنت على يقين من أن اهتمامي بعملي ووفائي بالتزاماتي هو في حد ذاته اهتمام بك، ومن أجلك وأجل مستقبلنا معاً، وعليك أن تقدري ظروفي وتعذريني إن لم تفعلي ذلك فمن لي غيرك يعذرني ويفهمني؟

- بعد الآن لا أريد أن أفهم شيئاً أو أعذر أحداً، أنت من يجب عليه أن يقدر، لقد تركت عملي حباً وكرامة لك وضحيت بوظيفة مرموقة تتمناها الكثيرات بناءً على رغبتك، وقد لامني في ذلك الجميع، لكني لم آبه لهم، كان هدفي رضاك وسعادتك، والنتيجة إهمالك لي، وانصرافك إلى أصحابك، ومشروعاتك التي لا تتوقف ولا تنتهي.

صدقني أنا أفتخر بك وأعتز بنجاحك، ولكني بحاجة إليك، أحتاج إلى أن أشعر بمكانتي وأهميتي لديك.

- كفى عزيزتي، أرجوك، أنا متضايق ومتعب، سآخذ بعض الأوراق وأنصرف، فلديَّ موعد غاية في الأهمية، أعدك أن نبحث هذه الأمور لاحقاً.

- أرجوك أنت أن ترحم نفسك وترحمني، لأني أشد ضيقاً وتعباً منك، وإذا خرجت إلى موعدك هذا، فسأترك لك البيت، ولن أعود إليه .

فتح الباب بإحدى يديه، وبالثانية لوح مودعاً:

- أدرك بأنك عاقلة، ولن تفعلي هذا، وخرج مسرعاً، استشاطت غيظاً وجن جنونها: يا لبروده العجيب! لقد أصبح شخصاً غير معقول، إنه لا يعيرها أدنى أهمية، ومن يدري،

ربما لم يعد يحبها، ولعله يتعمد إيلامها، تدخُّلُ الأهل بات هو السبيل الوحيد، لطالما حاولت ألا تخرج بمشكلاتها خارج حدود بيتها، لكنها مكرهة ولم يعد لديها خيار آخر.

الأهل بالغوا في لطفهم وتعاطفهم معها، لكنها كانت في شوق وحنين دائم إليه، في كل لحظة تنتظر اتصالاً أو سؤالاً، وطال انتظارها، وطال معه عذابها، جفاها النوم، وساءت حالها وانتابتها الوساوس، وعصفت بها الشكوك، هل يمكن أن يكون بهذه القسوة ؟! أيتجاهلها إلى هذا الحد وهو يدرك مدى حبها له وتعلقها به؟!

فكرت من جانبها بالتراجع عن موقفها، ولكن ماذا سيقول عنها ؟ وأين كرامتها وكبرياؤها؟

وعاشت في صراع وتشتت وكلام يقال، وإشاعات تتداول عن عزمه على الزواج مجدداً!! إذا كان ما يقال صحيحاً، فماذا ستفعل من بعده؟ وكيف ستعيش دونه؟ الدنيا بأسرها لا تستطيع أن تغنيها عنه، وحده فقط يغنيها عن الدنيا ومن فيها، وجاء من يخبرها أنه شاهده بأحد المحال يشتري عقداً ألماسياً فريداً، إذن صحيح ما تردد عن نيته على الزواج، يا للحسرة ويا للندم! ما الذي فعلته بنفسها؟ وأي حال آلت إليه؟ هل يمكن إنقاذ الموقف؟ أم أن الوقت قد تأخر جداً؟! وقرع الباب، وتناهى إلى سمعها صوت محبب يلقي السلام، أطل بقامته الفارعة وخطواته الواثقة، وطوق جيدها بعقد من الألماس، كادت تحسب ما يحدث حلماً، لولا أنه أمسك بيدها، وقال: علينا أن نستأذن ونمضي إلى بيتنا، نظرت إليه بعينين نجلاوين ساحرتين تشعان ببريق كبريق الألماس في عقدها وبسعادة همست: أنت شديد الثقة بنفسك! ردَّ بغبطة: بل أنا شديد الثقة بك. (العربي الكويتية عدد ٥٥٧ نيسان ٢٠٠٥ ص١٧٨).

٩ - ومن مجلة الأوروبية اخترنا هذا البحث: (**زواج الإقامة**)، بقلم: **كريمة العلوي** قالت فيه:

لقد شرع الله الزواج حفظاً للنسل وإطاراً للاطمئنان النفسي للزوجين وأحاطه بمقومات، وركائز تضمن له الاستمرار والاستقرار.

وبما أن الأعمال بالنيات وأن النية الفاسدة تبطل العمل الصالح، فقد عَدَّ أهل السنة والجماعة زواج المتعة باطلاً لارتكازه على نيات فاسدة [١]، وبناءً عليه، فإن الزواج إذا قام على نية باطلة، ولم تتوافر فيه شروط صحته، فإنه معرض للزوال وما يجر ذلك من ضياع للأسرة والأبناء.

ومن الظواهر التي تستدعي اهتمام العلماء والدعاة على السواء تفشي ظاهرة الزواج بغية الحصول على الإقامة في ديار الغرب.

وإذا تناولنا بالتحليل عينة من هذا الزواج، فإننا غالباً ما نجد أن الرجل هو الذي يسعى للحصول على بطاقة الإقامة، ويكون في أكثر الحالات شاباً في مقتبل العمر، مؤهلاته العلمية والاجتماعية لا تخول له شق غمار الحياة وحده وفي بعض الحالات يكون من المتأثرين بالنموذج الغربي. **تكون المرأة في هذه العينة إما:**

١ - **أوربية مسيحية** يصل عمرها في أحسن الحالات ضعف عمر الرجل، لم تجد في سوق الرجال رجلاً جاداً بعد أن قضت زهرة عمرها في التيه والضياع، فرحبت بأول طارق عسى أن يكون باب الخلاص بعد أن بلغت سن اليأس من كل شيء.

٢ - **شابة مسلمة** من أصل عربي تحمل جنسية البلد الأوربي وترغب في الزواج من عربي مسلم يعرفها أمر دينها وتقبل أن تساعده في تسوية أوضاعه القانونية، آملة أن تؤسس هي وإياه أسرة على قواعد متينة.

وأحياناً يتم الزواج داخل الأسرة الواحدة، حيث يتفق ولي الفتاة مع الراغب في الحصول على الإقامة من الأقارب، إما شفقة عليه أو سعياً لتحصين ابنته بمن يثق به أو بوالديه، وغالباً ما تُغيَّب الفتاة عن القرار.

وفي كل الحالات يسلك الرجل أسلوب المداراة والمجاراة لميولات زوجته، فإن كانت مسيحية، فهو في قمة التسامح إلى درجة التسيب وعدم الانضباط، فلا الحلال حلال ولا الحرام حرام، وكل ما تهوى الزوجة، فهو تابع ومؤيد.

---

(١) زواج المتعة باطل ليس لأجل النية الفاسدة، بل لأجل أنه مؤقت بزمن محدود، أي زواج لمدة كذا يوماً أو أسبوعاً أو شهراً ثم ينتهي الزواج . أبو يحيى .

أما إذا كانت المرأة مسلمة، فإن التدين شعاره وديدنه. وفي حالة الزواج من الأقارب، فإن الزوج يظهر لأسرة الفتاة الوفاء والولاء وتشبثه بقيم الأسرة.

وتمر السنة (أو السنتان) التي تم بموجبها الحصول على الإقامة أو الجنسية فيبدأ شعوره بالاستغناء عن سند زوجته، وقد يحصل على شغل أو وظيفة تبعاً لذلك، مما يقوي من حدة هذا الشعور، فينقلب الحَمَل الوديع والرجل المتسامح والمتشبث بالقيم والأعراف إلى إنسان حاد في طباعه، عنيف في تصرفاته متنصل من مسؤولياته، مفرط في مبادئه وقيمه ...

ويبدأ مشوار طويل وشاق بين الطرفين، أحدهما استنفد الزواج عنده أغراضه وحصل من خلاله على بغيته، ويريد أن يتخلص منه بأي ثمن، والآخر وقف وقفة المندهش المصدوم والمتسائل عما إذا ما كان يجري أمامه واقع أم حلم، أم كابوس يود تكذيبه، فيسعى جاهداً لإصلاح الوضع، معتبراً ما يحصل سحابة صيف لا غيمة شتاء، وتذهب الجهود سدى، ويقع ما لا مناص منه، ولا فرار ...

أما النتائج المترتبة عن هذا الزواج الذي يكون مصيره الفراق، فهي متعددة ومتنوعة:

١ - **على المستوى الاجتماعي**، ارتفاع نسبة الطلاق وما يترتب عن ذلك من تفكك أسري وضياع للأبناء وخصومات عائلية تجرُّ في بعض الأحيان إلى قطيعة أبدية.

٢ - **على المستوى النفسي**، الإحباط الذي يصيب الفتاة المسلمة، وغالباً ما تعمم هذه الأخيرة صورة الزوج الذي استغل حسن نيتها على كل الرجال، فتعزف عن الزواج نهائياً. ناهيك عن تشويه صورة الرجل العربي المسلم عند غير المسلمين، حيث يصنف إنساناً انتهازيا يستغل الفرص، ولا يفي بعهد ولا ولاء.

أين نحن من توجيهات رسولنا الكريم ﷺ الذي أوصى بالزواج بذات وبذي الدين؛ كي تسلم عاقبة الزواج من الانهيار، فليتق الله كل قادم على الزواج، فيحسن نيته ويختار من يشارك حياته؛ ليساعده على عبادة الله، وإذا اضطر إلى الزواج بمن يعينه

على تحسين وضعه القانوني، فليكن الوفاء رائده وتقوى الله شعاره، وليكن شاكراً لأنعم الله عليه، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

كما ننصح كل فتاة، وكل ولي أمر أن يتقصيا الأخبار الكافية التي تعطي صورة وافية عن الزوج، وأن يستشيرا أولي الرأي والنصح قبل الإقدام على هذا المشروع الذي يحدد مستقبل الحياة، وأحياناً ما بعد الحياة .(عدد ٢سنة٣تموز ١٩٩٩ص٣٧) .

١٠ - ومن مجلة نهج الإسلام الدمشقية اخترنا هذه القصة: (**امرأة تقوى على الحجاج**) أعدها عبد العزيز الأسود من حلب.

شخصية نسائية متميزة .. لها في مجال الفصاحة والبلاغة قدم صدق .. ومواقفها في مواجهة الطغيان تثير العجب .. وتدعو إلى التقدير والإكبار .. وأثارت بشخصيتها مشاعر الشعراء وإلهاماتهم ..

كانت زوجة للخليفة الوليد بن عبد الملك، وهي: بنت عبد العزيز بن مروان .. وعرفت بكنية «أم البنين» لكثرة ما أنجبت من البنين .. وذكر العلامة ابن عساكر أم البنين فيمن حدث من النساء .. وروى عنها إبراهيم بن أبي عقيلة ..

وتردد كتب التاريخ والتراجم موقفها الرائع من الحجاج إذ كسرت جبروته .. وهددت طغيانه حتى رجع من الحوار معها، وهو يرى أن بطن الأرض خير له من ظهرها ..

وهذه هي القصة الرائعة التي ترددها كتب التراث:

وفد الحجاج بن يوسف على الوليد بن عبد الملك .. فوجده في نزهة خارج قصره .. وما إن رآه الحجاج حتى نزل عن جواده .. وقبل يد الخليفة .. ومشى في ركابه .. متسلحاً بدرعه وقوسه .. ودعاه الخليفة للركوب، فقال: دعني يا أمير المؤمنين، استكثر من الجهاد .. فقد شغلني عنك ابن الزبير وابن الأشعث .. فألح عليه حتى ركب وانتهى إلى قصره ..

وبقي في غلالة من ثيابه .. ودعا الحجاج للدخول .. وجلس معه وأطال الحديث .. وقطع حديثهما جارية أسرت بكلمات للوليد .. ثم انصرفت وعادت وأسرت إليه مرة أخرى ..

ويقول الوليد للحجاج: أتدري ما قالت الجارية ؟ فقال: لا والله، قال: بعثتها إليَّ ابنة عمي أم البنين تقول: ما مجالستك لهذا الأعرابي المتسلح في السلاح، وأنت في غلالة .. أي في ثوبك الرقيق هذا .. فأخبرها أنه الحجاج .. فأرسلت إلي مرة أخرى .. والله ما أحب أن يخلو بك، وقد قتل الخلق .. فقال الحجاج .. وقد أثارت غيظه هذه الكلمات: يا أمير المؤمنين، .. دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول، فإنما المرأة (ريحانة) وليست (بقهرمانة) فلا تطلعهن على سرك .. ولا مكايدة عدوك .. ولا تطمعهن في غير أنفسهن .. ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن وإياك ومشاورتهن في الأمور إن رأيهن إلى أَفَنٍ .. وعزمهن إلى وهن .. ولا تطل الجلوس معهن، فإن ذلك أوفر لعقلك وأبين لفضلك ..

قال الحجاج هذه الكلمات التي تفيض مرارة أمام هزائمه المتتالية من كرائم النساء، مثل: أسماء .. وغزالة .. وغيرهما ..

وتعلم أم البنين بكلماته، فتطلب إلى زوجها وابن عمها الوليد أن تقابله .. ويعرض الوليد الأمر على الحجاج .. ويتوجس الحجاج خوفاً من هذه المقابلة التي لا يأمن غايتها .. فيقول معتذراً: اعفني من ذلك يا أمير المؤمنين ..

فقال: له لا مناص من ذلك .. فمضى الحجاج إليها .. فحجبته طويلاً .. ثم أذنت له في الدخول .. ثم تركته قائماً، ولم تأذن له بالجلوس.

وبعد برهة قالت: إيه يا حجاج .. أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث؟؟

أما والله لولا أن الله جعلك أهون خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة، ولا بقتل ابن ذات النطاقين .. أول مولود في الإسلام ..

وأما ابن الأشعث .. والله .. والى عليك الهزائم حتى لذت بأمير المؤمنين عبد الملك، فأغاثك بأهل الشام .. وأنت في أضيق من القرن .. فأظلتك رماحهم وأنجاك كفاحهم .. ولولا ذلك لكنت أذل من الذل ..

وأما ما أشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذته .. والامتناع من بلوغ أوطاره من نسائه، فإن كن ينفرجن عن مثل ما انفرجت به عنك أمك .. فما أحقه بالأخذ والقبول منك .. وإن كن سينفرجن عن مثل أمير المؤمنين، فإنه غير قابل منك .. ولا مصغ لنصيحتك .. قاتل الله الشاعر وقد نظر إليك .. وسنان غزالة الحرورية بين كتفيك .. حيث يقول:

أَسَدٌ عليَّ وفي الحُرُوبِ نعامةٌ رَبْداءُ تنفرُ من صَفيرِ الصَّافِرِ
هَلاّ برزتَ إلى غَزالةٍ في الوغىَ بل كانَ قلبُك في جَنَاحَيْ طَائِرِ

ثم قالت على الفور: اخرج عني .. فخرج الحجاج من عندها يجر أذيال الخزي والهوان ..

حتى إذا دخل على الوليد، قال له: يا أبا محمد، ما كنت فيه؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما سكتت حتى كان لي بطن الأرض أحب إليَّ من ظهرها .. وعند ذلك ضحك الوليد حتى فحص الأرض برجليه سخرية منه .. قائلاً له: يا أبا محمد .. إنها بنت عبد العزيز.

وكان لها باع واسع في فعل الخير .. ولها أقوال حكيمة تدل على فصاحتها وقوة عقلها، ومن ذلك قولها: أف للبخل لو كان قميصاً ما لبسته .. ولو كان طريقاً ما سلكته، وتقول: ما حسدت أحداً قط على شيء إلا أن يكون ذا معروف، فإني كنت أحب أن أشركه في ذلك رحمها الله ورضي عنها. (من مجلة نهج الإسلام عدد ٩٤ لعام ١٤٢٥ ص١٨٠).

ثانياً- ومضات وخطرات من الصحف:

١ - من جريدة تشرين اخترنا هذه الكلمات (الومضات) كما يأتي:

أ - كتب السيد محمد الرفاعي الكاتب المشهور برصانته في الجريدة في زاويته الدائمة بعنوان:

على طريق التنمية: زوجة المدير العام ما يأتي:

قررت أم خالد بعد إلحاح السيدة أم فادي زوجة أحد المديرين العامين زيارتها. وبعد التحية والسلام وتبادل الكلمات الطيبة والسؤال عن الأحوال والأولاد، قالت أم خالد: لقد اعتقدت بعد أن أصبح زوجك مديراً عاماً لإحدى مؤسسات الدولة أن نفسيتك قد تغيرت. فحالياً وكما أسمع لديكم سيارة مخصصة لخدمات البيت وثانية لإيصال الأولاد وجلبهم من المدرسة وزوجك يركب سيارة فارهة حديثة ..

تنهدت أم فادي زوجة المدير العام، وقالت: ليته لم يصبح مديراً عاماً، فمنذ لحظة تعيينه أي منذ سنتين تحديداً لم يعد ينتبه إلى أمور البيت مطلقاً، فإذا جلس في البيت فإن وجوده يتحول إلى عبء عليَّ وعلى الأولاد، فالساعات القليلة التي يقضيها إما في الرد على الهاتف أو يقوم هو بإجراء المكالمات الهاتفية. وقد لاحظت أنا والأولاد كأن قبيلة من الشياطين قد سكنته وحوَّلَتْ وحرَفَت سلوكه باتجاه الشرور والأذى فكل موظف يخالف يدبر له المكيدة أو يفبرك له ورطة وكل الزبائن الذين لا ينصاعون ولا يلبون رغباته ونزواته يعرقل لهم أمورهم، فلا صدى في بيتنا لكلمات المحبة والطيبة والتسامح، فوحش المال اختبأ في منزلنا. ويكشر دوماً عن أنيابه، لقد أضحت الغرفة الخاصة به كأنها شيء مقدس يمنع على أي من أفراد الأسرة الدخول إليها أو حتى الاقتراب منها؛ لأن الخزنة والدروج والحقائب توزعت بها رزم المال، فهو لا يستطيع إيداع ما يبتزه من الناس ومن سرقات يرتكبها في أحد البنوك؛ لأن ذلك قد يثير حوله الشبهات.

لقد تحول زوجي إلى عبد يقدس المال ويعبده ويعده الهدف الأول في حياته، بل هو الحياة نفسها. كما أن المال أفسد نفسيته وقضى على المشاعر الإنسانية لديه، فهو يعتقد أنه بالإمكان الحصول على أي امرأة جميلة بالمال، وأن العواطف تأتي بالمال، ومن ليس لديه مال وفقاً لمفهومه لا يملك شيئاً من العواطف.

تتابع زوجة المدير العام حديثها: لقد حفظت كل أسماء الملاهي الليلية منذ أصبح مديراً عاماً، فهو يومياً يتفق على الهاتف مع أصدقائه على السهر في المربع الليلي .. يأتي في الثالثة ليلاً، لا يسأل عن شيء ليعود في الرابعة، ويغادر المنزل في السادسة مساءً، وهكذا ..

أخبرته من أيام أن ابنه فادي مقصر في دراسته، خاصة أنه سيتقدم هذا العام لامتحان الثانوية العامة، فرد عليَّ: لا تخافي إذا رسب بسيطة فأسجله في العام القادم في مدرسة خاصة ذات مستوى عال. المهم أن نستغل الفرصة الحالية السانحة، وبعدها سنلتفت إلى كل شيء وسأستقيل من الوظيفة. (تشرين ٤/٣/٢٠٠٥)

ب - وكتب سامر عبد الرحمن بعنوان: (**حافظ على حبك في الأوقات الصعبة**) ما يأتي:

يشاع أن (القلة تولد الشجار) أي أن الضائقة المالية تؤدي إلى المشكلات، ويقال أيضاً: إن الأجواء العاطفية والرومانسية على ضوء الشموع هما العلاج المثالي في مثل هذه الأوقات الصعبة بل إنهما أهم من المال. ليس على الحب بالضرورة أن يطير من النافذة، حين تطرق بابك بعض الصعوبات المالية. وعلى الرغم من أن معظم العلاقات قد تتعرض للمشكلات من خلال وجود صعوبات مالية كبيرة، إلا أنه بالإمكان العمل من أجل الحفاظ على القدرة على إحياء الحب، وإن تجاوز هذه الضائقة المالية، والديون، والمدفوعات الكثيرة هو امتحان عاطفي لكلا الزوجين.

و(فايونا مالكوم) اختصاصية علم الاجتماع الأسترالية تحدثنا عن بعض الوسائل التي يمكن المحافظة بها على علاقة جيدة مع الطرف الآخر:

١ - انظري إلى الناحية الإيجابية وحافظي على نظرة متفائلة بالنسبة للأوضاع المالية.

٢ - إن تقدير الذات مسألة حيوية .. حافظي على المظاهر، وتعاملي مع زوجك وأفراد عائلتك كفريق، الحب يعني التعاطي مع الأوقات الصعبة كالتعاطي مع الأوقات الجميلة.

٣ - احترام رغبات الطرف الآخر مهم جداً .. شجعي شريكك، ولا تكوني سلبية، وقد يكون هذا التشجيع هو الجواب لإيجاد الحلول لمشكلاتك.

٤ - في كل مناسبة ردّدي أمام شريكك أن حبك له هو لشخصه وذاته وتأكدي أن إظهار قدر أكبر من العاطفة يعمل العجائب بالنسبة له ولطريقة تعامله مع خيبات الأمل التي تصادفكما.

٥ - حين الذهاب لشراء حاجيات المنزل، خذي معك ما يكفي لشراء الضروري منها فقط، فإن ذلك يساعدك على عدم شراء ما ليس باستطاعتك تحمله.

٦ - ازرعي الأعشاب والخضار التي تحتاجين إليها إذا أمكن في حديقة منزلك كما بإمكانك تعلم صنع الخبز في المنزل وتحضير الأطباق غير المكلفة .

٧ - أشعريه باهتمامك التام والكامل إذا أراد التحدث بالتفصيل عن أي شيء في ذهنه، لاسيما التحدث عن محاولاته الدائمة لإيجاد عمل، فإن ذلك أفضل علاج للقضاء على إحساسه بالقلق والتوتر، واذكري أمامه أن الظروف سوف تتغير قريباً.

٨- هذه المرحلة هي الوقت ليعبر كل منكما عن حبه للآخر، وإذا كان بإمكانكما تخطي هذه المشكلة وتحدي الظروف الراهنة، فهذا يعني أنه بإمكانكما تجاوز أي مشكلات مستقبلية أخرى يمكن أن تطرأ عليكما وتعترض سبيلكما، وحين تنتهي هذه الضائقة المالية، فإنكما ستنظران إلى الوراء وتتذكران الدروس والعبر التي تعلمها كل منكما من خلال مشاركته الإيجابية لهذه التجربة. سامر عبد الرحمن. (جريدة تشرين ٢٠٠٥/٣/٤).

ج - وكتبت سفيرة اسماعيل بعنوان: **(من يحب الآخر أكثر: المرأة أم الرجل؟)** واخترنا له عنواناً **(الأسرة هي الرسالة الأولى للمرأة في الحياة)** ما يأتي:

هناك من يقول: إن المرأة تحمل في قلبها محبة وعاطفة أكثر من الرجل، فيما يصف آخرون هذا الكلام بأنه قائم على أسس وهمية صنعتها صورة المرأة في عصور مضت .. وصنعت صورة الرجل في زمان طغى عليه القهر..

لكن في الحقيقة إن القلب واحد، سواء كان قلب رجل أو قلب امرأة ..

الإحساس لا يختلف في درجته وعمقه بين الاثنين ..

لكن الذي رفع الدرجة هنا وهناك هو ظروف الحياة والتربية .. وكثيراً ما تجد رجلاً يتحكم فيه قلبه تماماً ..

وتجد امرأة تحمل في أعماقها قطعة صخر فيها ملامح القلب ..

الحب عند الرجل التزامات ومسؤولية، لكن لا يمكن أن نقول: إن المرأة عندما تحب تكون أصدق من الرجل .. أو العكس صحيح، فصورة الحب هنا تختلف مابين الرجل والمرأة؛ لأن الحب عند الرجل التزامات ومسؤولية وتضحيات يتحملها من عمره وجهده وأحلامه، لاسيما لأنه يأتي بعد جهد وأحلام وطموح في النجاح، سواء كان نجاحاً مادياً أو أدبياً ..

لكن الحب عند المرأة لا يمثل عبئاً ثقيلاً .. لأنه إحساس ومشاركة، وطموح المرأة يبقى دائماً في إطار رجل وأسرة وأبناء، وهناك الكثير من النماذج الأسرية التي خرجت على أساس هذه القاعدة.

الأبناء أهم شيء في حياة المرأة:

في الغالب تكون الأسرة عند المرأة أهم من العمل وأكبر من النجاح .. وإذا كان الرجل مشغولاً بأحلام وطموحات تأخذ مساحة فكره ومشاعره، فإن المرأة مشغولة بالأبناء، وهم أهم وأكبر الأشياء في حياتها.

ورغم تقدم العصر ودخول المرأة الكثير من المجالات وتسلمها المناصب إلا أن الأسرة مازالت هي الرسالة الأولى لها في الحياة وتعدّها أكبر أدوارها .. كما أن المجتمع مازال يرى نجاح المرأة من خلال نجاحها في إنشاء أسرة صالحة .. وإن كان طموح الرجل يجعله أحياناً أقل عطاءً من المرأة؛ لأن مشاعر المرأة تسحب من رصيد الرجل.

أمومة المرأة: إحساس المرأة بالأمومة عميق جداً يتجاوز في كثير من الحالات إحساسها الكامل بالرجل في حياتها .. وما أكثر الحالات التي فرطت فيها المرأة في كل شيء ابتداءً بالمال وانتهاءً بالرجل نفسه من أجل الأبناء أي من أجل أمومتها.

وإذا كان الرجل يحقق ذاته بالنجاح في الحياة العامة، فالمرأة تربط نجاحها عادة بما قدمت من أبناء ... والمرأة يمكن أن تنسى خسارتها في رجل أحبته، لكنها لا تنسى أبداً خسارتها في مشروع حياتها المتمثل بالأمومة .. ومن هنا تتساوى المواقف .. **إذا كان للرجل عمله .. فإن للمرأة أمومتها**، وعلى هذا الأساس يمكن تحديد المواقع ومن أحب أكثر ومن كان أكثر صدقاً وعطاءً مع الآخر.

حب الرجل للمرأة يجعله يتخلى عن طموحه

وتجدر الإشارة إلى أن هناك حالات بين الرجال أقدموا فيها على بيع كل شيء حتى طموحهم الشخصي من أجل امرأة أحبوها .. ولكن من الصعب إلا في حالات نادرة أن تفرط امرأة في أمومتها من أجل رجل.

لكن هناك حالات خاصة، بل قليلة في مجتمعنا اضطرت فيها المرأة لبيع أمومتها في سبيل رجل، ولكن هذا لا يمثل ظاهرة يمكن الاحتكام إليها.

وفي ظل هذا العرض يصعب علينا أن نطبق قواعد الحساب والجبر والهندسة في دنيا المشاعر؛ لأن أعظم ما في الإنسان وأجمل ما فيه عدم وجود نسخة ثانية عنه، إذ لا يوجد قلب مثل قلب الآخر .. ولا نبض مثل الثاني، حتى إن الناس لا يمكن أن يتشابهوا في مواقفهم ومشاعرهم وأحوالهم .. ولهذا يجب أن نتعامل مع كل حالة

على أساس أنها شيء مختلف، وهنا يصعب الوصول إلى أحكام عامة وقواعد صارمة، بحيث نقول: إن المرأة أكثر حباً من الرجل؛ لأنها قد تكون أكثر حباً من العالم كله، وهي تحتضن طفلها الصغير وأن الرجل عندما يضحي بعمره وشبابه وصحته من أجل عش صغير يجمعه مع امرأة أحبها .. فهو بذلك يقلب موازين أشياء كثيرة .. المرأة أكبر حباً إذا أخلصت .. والرجل أكثر حباً إذا صدق .. والمهم في النهاية من أخلص وصدق. ا.هـ
جريدة تشرين ٢٠٠٥/٣/٤

د – وكتب فادي منذر عباسي بعنوان: (**الولادة بين المرأة والرجل**) ما يأتي:

تعد الولادة الخطوة الأولى من خطوات الحياة، ولها منعكسات كثيرة على حياة المولود والمرأة في آن واحد، وبما أن الزوج هو شريك الزوجة في كل شيء، فقد أثبتت الدراسة أن وجود الرجل مع زوجته في غرفة الولادة له الأثر البالغ في تشجيعها وتحفيزها على الولادة الطبعية.

ومما لاشك فيه أن الولادة حدث كبير ومهم ورائع، وهي ترتبط بجملة من العادات والتقاليد والسلوكيات، وكل ذلك يختلف باختلاف البيئة والمجتمع والزمن.

فالولادة ترتبط بالفرح والبهجة والسعادة .. كما ترتبط بالقلق والمخاوف المتعدد منها، مخاوف الموت واحتمالاته بالنسبة للمرأة أو المولود.

ويمكن للمرأة أن تتولى عملية الولادة بنفسها ودون مساعدة أحد –كما هو معروف في بعض البيئات الريفية والبدوية في بلادنا – حيث يتطلب ذلك سحب الجنين من الرحم وقطع الحبل السري وربطه، ومن ثم تنظيف المولود وتغطيته، ويمكن أن يتم ذلك بيسر وسهولة، كما يمكن أن تحدث مضاعفات وتعقيدات طبية متنوعة.

وتدل الدراسات الطبية والتوجيهات الصحية الحديثة أن مشاركة الرجل لزوجته في عملية الولادة مفيدة جداً، وذلك من خلال دخوله غرفة الولادة وبقائه بجانب زوجته يطمئنها ويشجعها ويساندها.

كما يجب على الزوج أن يشارك زوجته في جلسات إرشادية وتدريبية منذ الأشهر الأولى للحمل، حيث تعرض عليهما تفاصيل تشريحية وجسمية ونفسية حول الحمل والولادة من خلال برنامج خاص لرعاية الأم الحامل، وبإشراف متخصصين، وهذه الدورات تساعد الأم الحامل وزوجها على تفهم هذه المرحلة الخاصة والتعامل معها بشكل ناجح، إذ يجري مثلاً تدريب الحامل على أخذ النفس بشهقات متواصلة خفيفة ثم القيام بشد عضلات البطن والظهر وذلك مما يساعد على تخفيف الألم، ودفع الجنين عبر عنق الرحم وتسهيل خروجه. وللحقيقة، فإن الألم مرتبط بالولادة، وتختلف شدته ودرجته وفقاً لشخصية المرأة وثقافتها وحالتها النفسية، ومشاركة الزوج لزوجته في غرفة الولادة لها فوائد عديدة لكليهما من النواحي العاطفية والنفسية والجسدية، وهذه المشاركة حديثة نسبياً في ثقافتنا وعاداتنا، فبعض الرجال يعدها تجربة رائعة ونادرة تبقى آثارها وذكرياتها الإيجابية سنوات طويلة، وبعضهم الآخر لا يحتمل الدخول إلى غرفة الولادة وينزعج ويخاف مما يتصور أنه سيحدث في أثناء الولادة مثل الصراخ والآلام وغير ذلك .

وقد أثبتت الدراسات العلمية أنه قد يؤدي ابتعاد الزوج عن زوجته في مرحلة الولادة إلى مشاعر سلبية وغضب وإحباط وقلق واكتئاب، وغير ذلك من آثار على العلاقة الزوجية، فالمرأة تشعر أن زوجها تركها وابتعد عنها في وقت حرج وصعب.

لذلك، فمن المطلوب عموماً تشجيع الرجل وتدريبه وتثقيفه من النواحي الطبية والتشريحية والنفسية حول عملية الحمل والولادة مما يخفف من قلقه ومخاوفه حول مشاركته لزوجته، في أثناء الولادة ويساعده على القيام بدور إيجابي تجاهها وتجاه المولود.

وأخيراً، فإن لحظات الولادة أو دقائقها سر جميل من أسرار الحياة البشرية، وتستحق أن يشارك الرجل في لحظات اكتمالها وأفراحها، وفي استقبال المولود الجديد .. ا هـ تشرين ٢٠٠٥/٦/٧

أقول: من الممكن هذا إذا كان في المستشفى ولم يكن الأمر خاصاً بالنساء، أو إذا كانت الولادة في البيت ولم تحضر النساء غير المحارم عملية الطلق، أما في حال حضور النساء الأجنبيات وحصول عملية المخاض، فإن الرجل يخرج من غرفة الولادة، ويبقى دور القابلة والنسوة المعينات لها، ولا يجوز شرعاً وجوده معهن، فلينتبه لهذا .

هـ - وكتب محيي الدين محمد بعنوان: (**بالخط العريض: في الزواج والطلاق والعنوسة والفقر**) ما يأتي:

في آخر الإحصائيات التي تناولتها وسائل الإعلام العربية عن الوضع السكاني في الوطن العربي ورد أن أكثر من ٥٠ ٪ من الشبان السوريين الذين تتراوح أعمارهم بين (٢٥-٢٩) عاماً لم يتزوجوا بعد، بينما كانت الإحصائيات قبل عقد من الزمن تشير إلى أن ٢٥ ٪ ممن هم في سن الزواج لا يستطيعونه في سورية، وهذا ما دفع بعض المنظمات الشعبية والجمعيات الأهلية والفعاليات الاقتصادية لتهتم بمساعدة الشباب على الزواج، وكان من أبرز ما تم اتخاذه إقامة الأعراس الجماعية، وتقديم الهدايا العينية (براد، غسالة، أثاث).

لكن ومع أهمية هذه الخطوة إلا أن المشكلة أكبر بكثير، وتتعدى كونها تتعلق بارتفاع سن الزواج الذي يكون منخفضاً في المجتمعات الزراعية والرعوية .. ومرتفعاً في المجتمعات المتطورة .. بمعنى آخر، فإن ارتفاع سن الزواج قد يكون أحد المؤشرات على تطور المجتمع، لكن عندما تبلغ النسبة٥٠ ٪ ممن هم في سن الزواج غير متزوجين أو غير قادرين على الزواج، فإن ذلك يتطلب حلولاً مجتمعية وتدخلاً من قبل الدولة ومؤسساتها لمساعدة الشباب على تكوين أسر جديدة، وهذا يتطلب تأمين المساكن الرخيصة (للإيجار أو التمليك) وتأمين المزيد من فرص العمل التي توفر دخلاً يسد الأعباء الضرورية لتكاليف الحياة ..

أما الأوضاع في الدول العربية، فهي ليست أحسن حالاً، وقد بينت الأرقام الرسمية أن نسبة الفتيات اللواتي بلغن مرحلة العنوسة ٨٥ ٪ في العراق، و٣٥ ٪ في

كل من الكويت وقطر والبحرين والإمارات و٣٠ ٪ في كل من السعودية واليمن وليبيا، أما في سورية ولبنان والأردن، فلم تتجاوز النسبة ٥ ٪.

وبسبب الأوضاع الاقتصادية وصعوبات تأمين العمل والمسكن تكون فرص الزواج للشباب أقل من الإناث كما أن حالات الطلاق ترتفع بشكل كبير، حيث أشارت الدراسات في جمهورية مصر العربية إلى أن هناك حالة طلاق واحدة كل ست دقائق، بسبب ضيق ذات اليد، وعدم قدرة الأزواج على الوفاء بالالتزامات التي قطعوها للعروس وأهل العروس، وكشف إحصاء أجراه الجهاز المركزي المصري للإحصاء أنه في مصر نحو مليونين و٤٥٩ ألف سيدة مطلقة، و ٤٣,٥ ٪ طلقن من السنة الأولى للزواج و١٢,٥ في السنة الثانية، وأن ٤٠٪ منهن طلقن فوق الثلاثين من العمر وأن ٦١ ٪ من المطلقات هن من المبادرات لطلب الطلاق و٤٢ ٪ من حالات الطلاق بسبب العجز المادي.

أما في السعودية وبسبب الأوضاع الاجتماعية التي تحظر الاختلاط بين الجنسين، فإننا قد نقرأ عن العديد من الظواهر الغريبة، ومنها ما نشرته الصحف قبل عدة أشهر عن أربع معلمات سعوديات قررن الزواج من سائقهن السعودي الذي كان ينقلهن من وإلى مقر المدرسة التي يعملن بها في إحدى القرى النائية بمنطقة الباحة في الجنوب، وقد أتم السائق السعودي وفق ما نشرته صحيفة (اليوم) السعودية الزواج من المعلمات الأربع دفعة واحدة.

هذه مجرد إشارات لوضع سكاني عربي بدأت مشكلاته تطفو على السطح، ليس في الدول الضعيفة الدخل، وإنما في الدول النفطية التي لم تستطع أن تستثمر عائدات النفط لخلق تنمية اجتماعية واقتصادية .. فهل تأتي الصحوة، وتتم معالجة ما فاتنا قطرياً وعربياً؟

سؤال نتركه للزمن وللمختصين. ا.هـ صحيفة تشرين ٢٢ /٢/ ٢٠٠٦ .

ثبت المراجع

القرآن الكريم

- تفسير حدائق الروح والريحان للشيخ الأومي الهرري ط بيروت ١٤٢١هـ.
- تفسير ابن كثير للحافظ ابن كثير الدمشقي ط د ٠ المفيد بيروت.
- تفسير سورة يوسف عبد الحميد طهماز دار القلم دمشق ١٤١٠هـ ١٩٩٠ م.
- تفسير ظلال القرآن سيد قطب دار إحياء التراث العربي بيروت ط ١٩٧١م.
- التفسير الكبير للفخر الرازي ط دار الفكر ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
- تفسير الجلالين للسيوطي وبهامشه تفسير الصاوي على الجلالين ط١ مصري البابي الحلبي ١٩١٤م.
- الترغيب والترهيب للحافظ المنذري بتحقيق محيي الدين عبد الحميد ط١ ١٣٨٠هـ١٩٦١ المطبعة التجارية الكبرى مصر.
- قصص الأنبياء لابن كثير.
- قصص الأنبياء عبد الوهاب النجار.
- طبقات ابن سعد ط بيروت دار صادر.
- إرشاد الخاطب والمخطوبة عادل فتحي عبد الله، نشر دار الإيمان الإسكندرية عام ٢٠٠٢.
- تحفة العروسين في فضل النكاح وحقوق الزوجين الأستاذ أحمد بن يوسف الأهدل ط١ مكة المكرمة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣.
- البدور في أحوال ربات الخدور محمد أبو اليسر عابدين دار البشائر دمشق ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

- الطب والحياة الزوجية: دكتور عبدو ناقو ورفاقه رسالة جامعية أعدت لنيل درجة الدكتوراه في الطب جامعة حلب ١٩٧٨م.
- سيرة خير البشر. محمد حبش / دمشق.
- الرحيق المختوم في السيرة النبوية صفي الدين المباركفوري مكة المكرمة ط١ ١٤٠٠هـ.
- النور الخالد (محمد ﷺ) مفخرة الإنسانية محمد فتح الله كولن إستانبول ط١.
- أضواء نحو بيت سعيد الأستاذ محمد كامل الشريجي دمشق.
- المرأة المتبرجة وأثرها السيئ في الأمة عبد الله التليدي دار ابن حزم بيروت ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
- ادفعي زوجك نحو النجاح عادل فتحي عبد الله دار الإيمان الإسكندرية.
- المرأة المثالية في أعين الرجال محمد عثمان الخشت.
- الموضة في التصور الإسلامي الزهراء بنت عبد الله.
- التفاهم في الحياة الزوجية مأمون المبيض المكتب الإسلامي بيروت - ٢٠٠١.
- الزواج الإسلامي المبكر الشيخ محمد علي الصابوني دار القلم دمشق ط١ ١٤١١هـ١٩٩١م.
- وعاشروهن بالمعروف.
- الطلاق في المجتمع الإسلامي المعاصر دكتور إبراهيم بن محمد العنزاوي.
- بهجة العروسين تأليف: مجموعة من المؤلفين طبع ونشر دار الجسور الثقافية / حلب ١٤٢٥هـ .